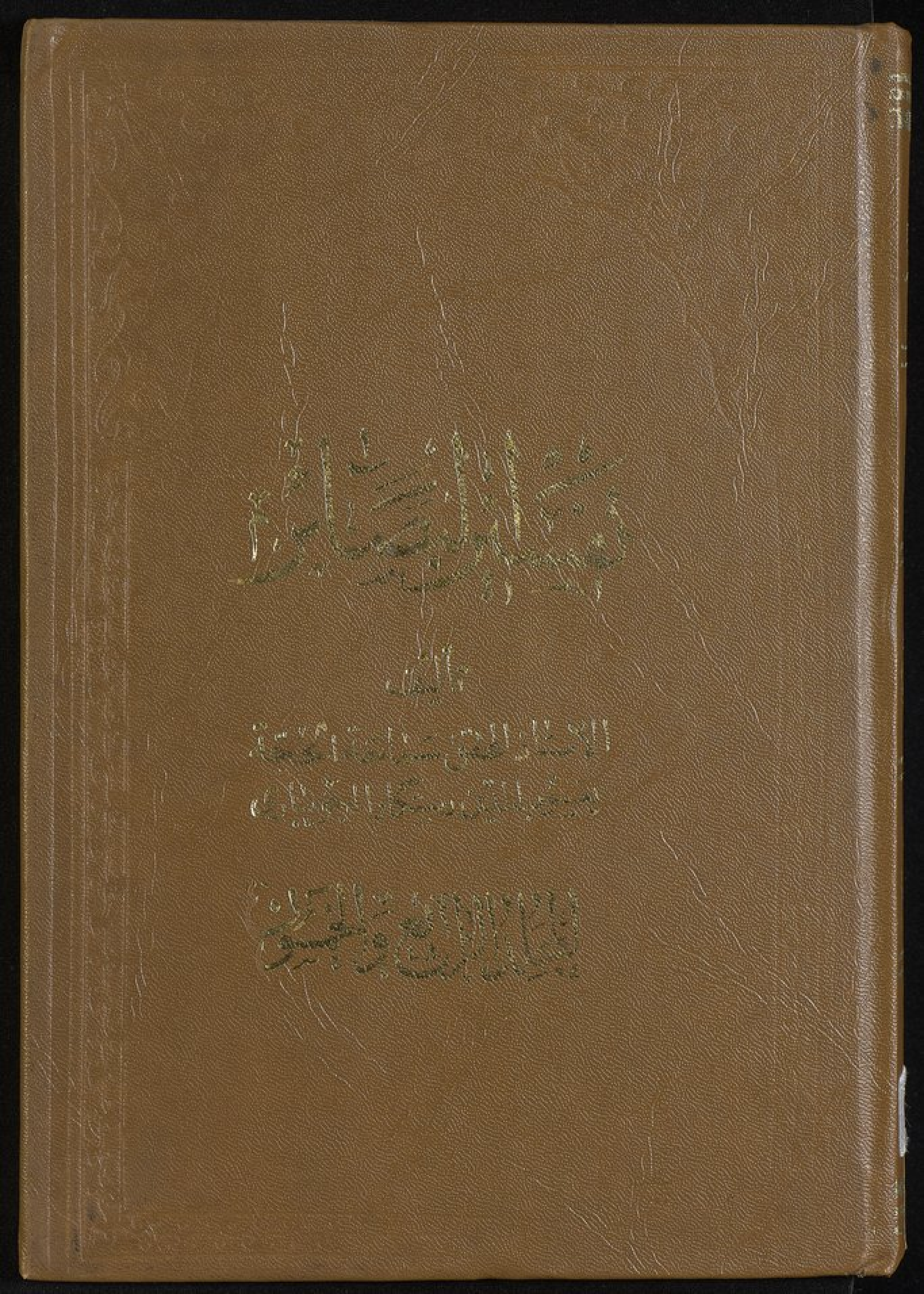
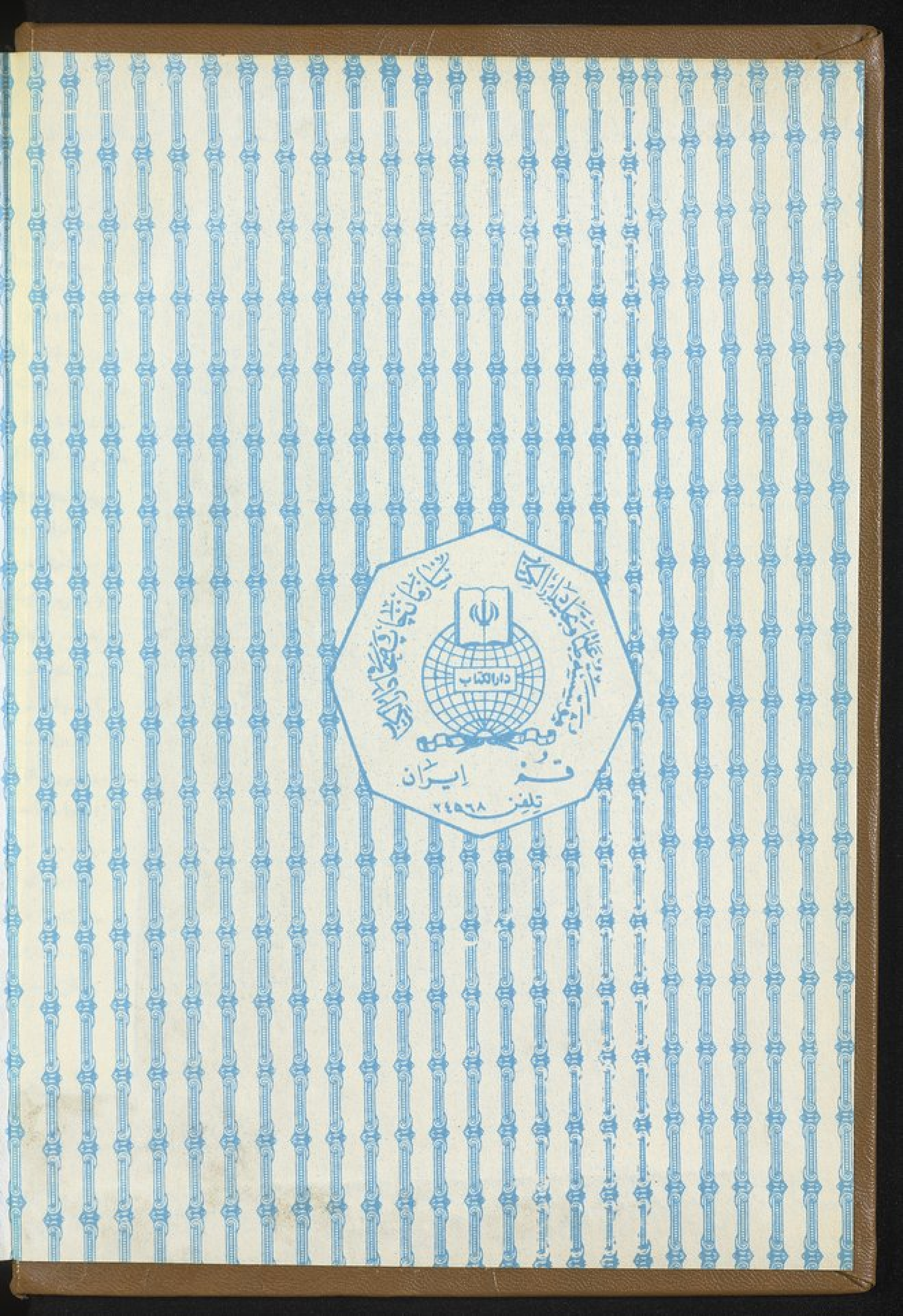
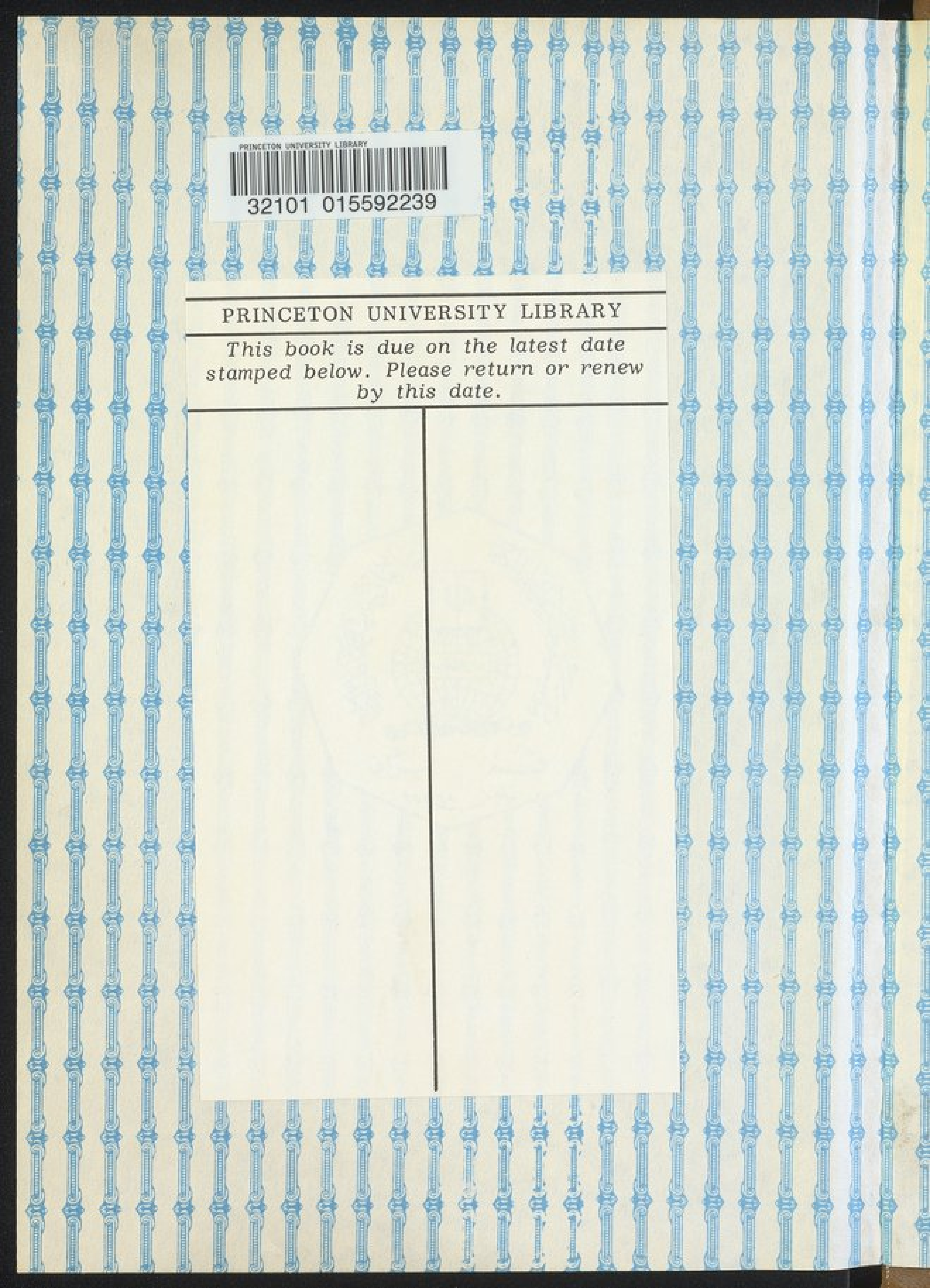
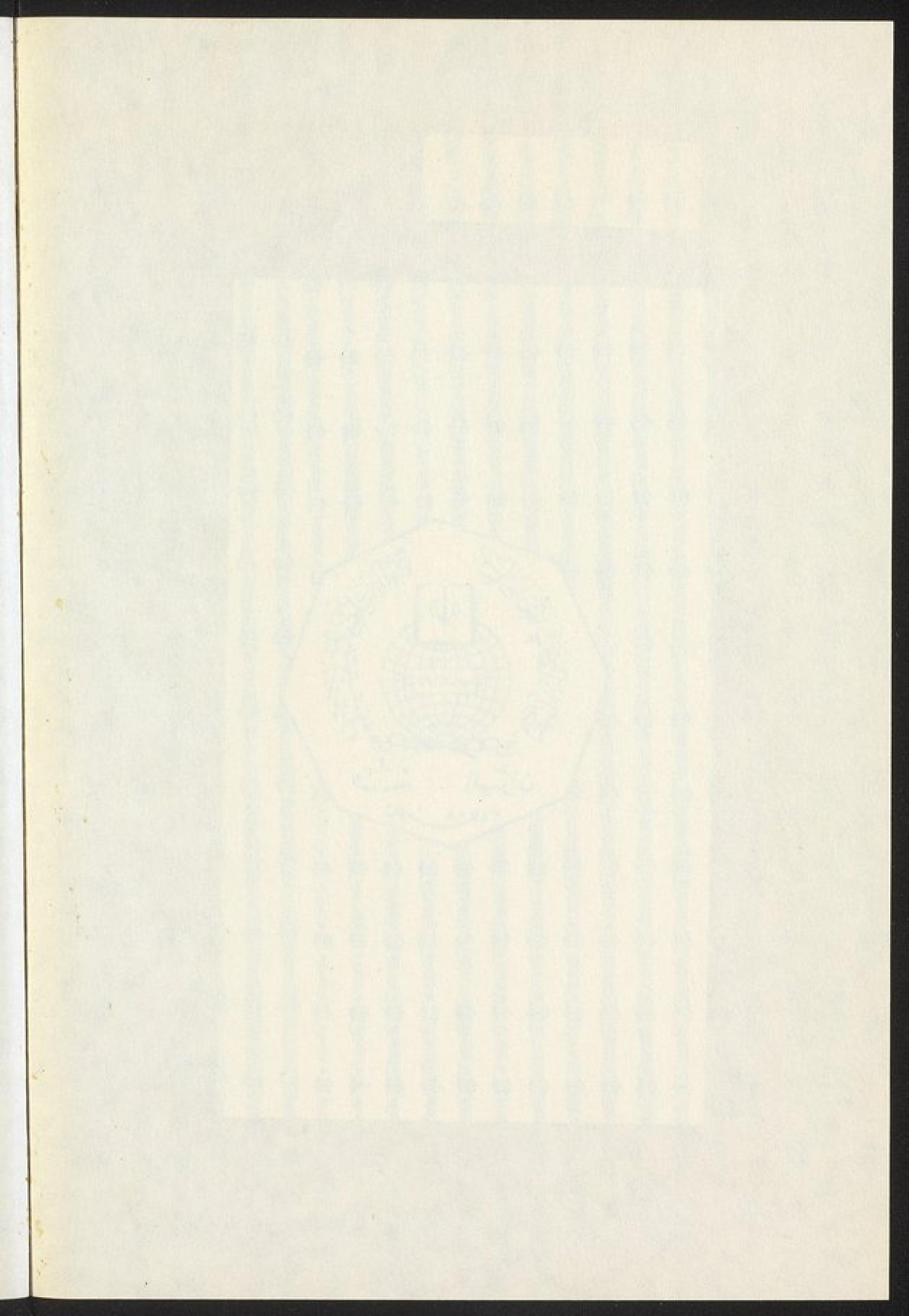

تأليف


دار الکتاب
قم ایران
تلفن ۲۴۵۶۸





Juybari

المجلد الرابع والخمسون

من كتاب

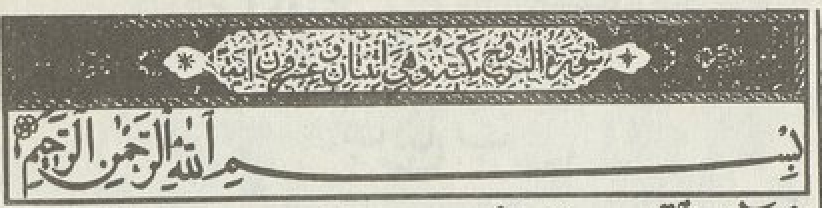
تفسير البصائر

تأليف

الاستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگار الجويباري

ايران - قم

١٤٠٣ هق = ١٣٦٢ هش



وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾
النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ
الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ
الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ
الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾
بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

قد جاءكم بصائر من ربكم
فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها
الانعام : ١٠٤

كتاب علمي ، فني ، أدبي ، فقهي ، ديني ، تاريخي ، أخلاقي ، اجتماعي ، سياسي روائي حديث يفسر القرآن بالقرآن مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه ، وأسراره الكونية والتشريعية ، وفريد في بابه ، يبحث فيه عن العقل والنقل

فضلها وخواصها

روى الصدوق رحمة الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن يونس بن ظبيان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ «والسماء ذات البروج» في فرائضه فانها سورة النبيين كان محشره وموقفه مع النبيين و المرسلين و الصالحين.

اقول: رواه الطبرسي في المجمع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة، والمجلسي في البحار.

و في وسائل الشيعة: بالاسنادعن معلى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من كانت قرائته في فرائضه بالسماء والطارق كان له عندالله يوم القيامة جاه ومنزلة، و كان من رفقاء النبيين وأصحابهم في الجنة.

اقول: و ذلك إذا كان القارىء سائراً سيرة الانبياء، ومقتدياً بالمرسلين، و كان الصلحاء المعصومون أئمته صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله تعالى: «ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً» النساء: ٦٩)

وقال: «يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً و من كان في هذه أعمى فهو في الاخرة أعمى و أضل سبيلاً» الاسراء: ٧١ ـ ٧٢)

وفي البرهان: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من قرأ هذه السورة أعطاه الله

من الأجـر بعدد كـل مـن إجتمع فـى جمعة،و كل من اجتمع يوم عرفة عشر حسنات ، و قرائتها تنجى من المخاوف والشدائد . . .

اقول : رواه الطبرسى فى المجمع ، والحويزى فى نور الثقلين باختلاف يسير .

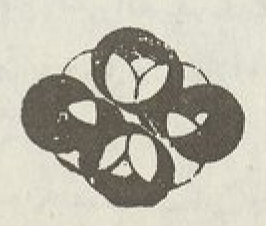
وفى مكارم الاخلاق : روى لمن سقى سماً أو لدغته ذوحمة من ذوات السموم تقرأ على الماء «والسماء ذات البروج » و يسقى فانه لايضره إن شاء الله .

وفـى الدر المنثور : عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ : إقرأبهم العشاء بسبّح إسم ربك الاعلى ، والليل إذا يغشى والسماء ذات البروج .

اقول : أى باحدى السور الثلاث لا الجمع فى صلاة واحدة كما توهم البعض .

وفى البرهان : عن الصادق عليه السلام قال :ماعلقت على مفطوم إلاّ سهل الله فطامه ، و من قرأها على فراشه كان فى أمان الله إلى أن يصبح .

اقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورةما ورد فى المقام لمن آمن وعمل صالحاً .



﴿الغرض﴾

غرض السورة حملة على الكفار والمشركين لاضطهادهم ضعاف المؤمنين والمؤمنات، و فتنتهم إياهم عن الايمان بالله جل وعلا ورسوله ﷺ و كتابه و باليوم الآخر على طريق الاشارة الانذارية إلى حادث مماثل.

إنذار لهؤلاء المكذبين المفتنين إذ كانوا يفعلون بالذين آمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ و يعذبونهم ليرجعوا إلى شركهم السابق كما فعل أصحاب الا خدود بالذين آمنوا بالله عزوجل، و كانوا يعذبونهم ليرجعوا إلى شركهم السابق.

ووعيد شديد لهم بنار جهنم المحرقة إذا لم يكفوا، ولم يتوبوا ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والتكذيب والفتنة والطغيان، وتهديد بنقمة الله جل وعلا المحيط بهم، وتذكيرهم بمصائر البغاة كفرعون وثمود.

وتبشير للمؤمنين والمؤمنات، وتثبيت لهم وتنويه بقوة بطش الله جل وعلا، فهو فعال لما يريد، و تطييب لنفس النبي الكريم ﷺ بوعد النصر، و تنويه في الوقت نفسه بسعة رحمة الله عزوجل وغفرانه و مودته للصالحين من عباده مستشهدة على قصة الذين حفروا الا خدود، و أججوا فيه النيران، و القوا فيه المؤمنين، و هم جالسون يشهدون عذابهم دون أن تأخذهم الشفقة عليهم.

ولم يكن لهم ذنب يغضبهم عليهم إلا انهم آمنوا بالله تعالى وحده على سبيل الا قسام الربانية ، فحقت على هؤلاء البغاة اللعنة و العذاب ، و قد انتهت السورة بالتنوية بقدر القرآن الكريم ، وحفظه لايمكن أن يطرأ عليه تبديل وتغيير و تحريف .



﴿النزول﴾

سورة«البروج» مكية نزلت بعد سورة «الشمس» وقبل سورة «التين» وهى السورة السابعة والعشرون نزولاً، والخامسةوالثمانون مصحفاً، وتشتمل على ثنتين وعشرين آية ، سبقت عليها ٤٥٩/ آية نزولاً، و٥٩٠٩/ آيةمصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على ١٠٩/ كلمة ، وعلى ٤٣٠/ حرفاً ، وقيل :على ٤٣٨/ حرفاً وقيل : ٤٦٥/ حرفاً وقيل : ٤٥٨/ حرفاً على ما فى بعض التفاسير .

فــى السيرة النبويـة لابن هشام : ان أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان، كان فى قريةمن قراها قريباً من نجران ـ نجران:القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد ـ ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها ، فيميون ابتنى خيمة بين نجران،وبين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نجران يرسلون غلما نهم إلى ذلك الساحر يعلّمهم السحر

فبعث إليه الثامر إبنه عبدالله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مرّ بصا حب الخيمة أعجبه مايرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه، ويسمع منه حتى أسلم فوحّد الله وعبده ، وجعل يسئله عن شرائع الاسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسئله عن الاسم الاعظم و كان يعلمه فكتمه إياه وقال له :

يا بن أخى انك لن تحمله أخشى عليك ضعفك عنه ، و الثامر أبو عبدالله لا يظن إلاّ ان إبنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رآى عبدالله ان صاحبه ، وقد ضنّ به عنه وتخوّف ضعفه فيه عمد الى قداح فجمعها ثم لم يبق الله

إسماً يعلمه إلاّ كتبه في قدح - أي سهم - لكل إسم قدح حتى إذا أحصاها أوأوقدلها ناراًثم جعل يقذفها فيها قدحاً قدحاًحتى إذا مرّ بالاسم الاعظم قذف فيها بقدحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضرّه شيئاً فاخذه .

ثم أتى صاحبه ، فأخبره بأنه قدعلم الاسم الذى كتمه ،فقال وماهو ؟ قال :هو كذا وكذا قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع قال : أى إبن أخى قدأصبته ، فأمسك على نفسك و ما أظن أن تفعل ، فجعل عبدالله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق الله أحداً به ضرّ إلاّ قال له : يا عبدالله ! أتوحّد الله و تدخل فى دينى ،و ادعو فيعا فيك مما أنت فيه من البلاء ؟

فيقول : نعم فيوحّد الله ويسلم ويدعوله ، فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضرّ إلاّ أتاه ، فأتبعه على أمره ودعاله ، فعوفى حتى رفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له :افسدت علىّ أهل قريتي ، وخالفت دينى ودين آبائى لأمثلنّ بك ، قال : لاتقدر على ذلك قال :

فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل ، فيطرح على رأسه فيقع إلى الارض ليس به بأس وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لايقع فيها شيء إلاّ هلك ، فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه قال له عبدالله بن الثامر : انك و الله لن تقدر على قتلى حتى توحّد الله فتؤ من بما آمنت به ، فانك ان فعلت ذلك سلّطت علىّ فقتلتنى قال :

فوحّد الله تعالى ذلك الملك ، و شهد شهادة عبدالله بن الثامر ثم ضربه بعصاًفى يده فشجّه شجّة غير كبيرة ،فقتله ثم هلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبدالله بن الثامر وكان على ماجاء به عيسى بن مريم من الانجيل وحكمه ، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنا لك كان أصل النصرانية بنجران - فسار إليهم ذونواس بجنوده ، فدعا هم إلى اليهودية ، وخيّر هم بين ذلك والقتل .

فاختاروا القتل ، فخدّ لهم الأخدود فحرق من حرق بالنار وقتل بالسيف ومثّل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً ،ففى ذى نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ :

« قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذهم عليها قعود و هم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » .

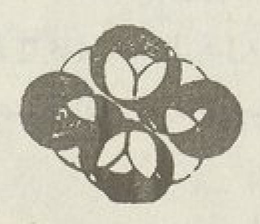


﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة « المجيد » بكسر الدال وصفاً لـ « ربك » في « ان بطش ربك » ويحتمل أن يكون وصفاً لـ « العرش » والباقون بالرفع ، نعتاً ا « ذوالعرش » و من المحتمل أن يكون خبراً بعد خبر .

وقرأ نافع « محفوظ » بالرفع نعتاً ا «قرآن » لانه موصوف بالحفظ في قوله تعالى :«انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » الحجر : ٩) و المعنى : بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح ،ومعنى حفظه انه مأمون من التحريف والتبديل و التغيير ، فلا يلحقه شيء من ذلك ، ولا تدسه يدخبيثة .

وقرأ الباقون بالجر صفة ا «لوح » على أن اللوح ههنا موصوف بالحفظ .



«الوقف والوصل»

« البروج لا » لمكان العطف ، و « الموعود لا » كالسابق ، و «مشهود ط» بناء على حذف جواب القسم ، و ان معنى « قتل »:لعن وأصحاب الاخدودهمأهل الظلم والطغيان ، و إن جعل « قتل » بمعناه الاصلى ، فكان جواباً للقسم على تقدير : لقد قتل .

« الاخدود لا » لان« النار» بدل اشتمال منه ، و« الوقود لا» لمكان الظرف التالى و هو « إذ » و «قعود لا » لمكان الحال الآتية ، و« شهود ط »لتمام الكلام ، و « الحميد لا » للوصف التالى ، و « الارض ط » لتمام الكلام ، و « شهيد ط » لاستيناف التالى ، و « الحريق ط » كالمتقدم ، و« الانهار ط » كذلك و «الكبير ط» كالسابق إلاّ من جعل « ان بطش ربك » جواباً للقسم ،وسائر الوقوف ههنا لابد منها لطول الكلام .

و«لشديدط » و « يعيدج » لاختلاف الجملتين ، و « الودود لا »للوصف التالى ، و « المجيد لا » كالسابق ، و « يريدط » للاستفهام الآتى ، و« الجنود لا» لان ما بعده بدل وقيل : بيان ، و « ثمود ط » للاضراب التالى ، و « تكذيب لا » لانالواو للحال ، و « محيط ج ى » لاحتمال «بل» الاضراب والعطف ،و«ى»علامة العشر و توضع عند إنتهاء عشر آيات . . . و « مجيد » الحال الآتية .

﴿ اللغة ﴾

٢٢- البروج - ١٠٦

برج الشيء يبرج برجاً - من باب نصر - : ظهر و إرتفع .

برج يبرج برجاً - من باب علم - : إتسع أمره في الأكل والشرب .

و أصل التبرج : التكلف في اظهار ما يخفى ثم خص بتكشف المرأة يقال تبرجت المرأة تبرجاً : أظهرت محاسنها وزينتها للرجال فهي متبرجة وهن متبرجات قال الله تعالى: «وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى» الاحزاب: ٣٣) وقال : «فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة » النور : ٦٠) أي غير مظهرات بزينة . وفي دعاء الصباح : « و اتقن صنع الفلك الدوار في مقادير تبرجه » أي زينته البرج : الحصن والركن والقصر وجمعه: بروج وأبراج. قال الله تعالى: «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» النساء : ٧٨)

وسميت منازل الشمس والقمر و النجوم بروجاً قال الله تعالى : « والسماء ذات البروج» البروج: ١ وقال : «ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين» الحجر : ١٦)

في المفردات: البروج : القصور الواحد برج و به سمي بروج النجوم لمنازلها المختلفة بها .

وفى المجمع : البروج فى الاصل : بيوت على أطراف القصر من برجت المرأة إذا ظهرت . والبروج أيضاً : الكواكب العظام سميت بها لظهورها .

وفى اللسان : البرج : تباعد ما بين الحاجبين و كل ظاهر مرتفع فقدبرج و إنما قيل للبروج: بروج لظهورها و بياضها وإرتفاعها .

قالوا : البروج المعروفة إثنى عشر برجاً ولكل برج إسم على حدة .

وفى الصحاح : برج الحصن : ركنه .

وفى القاموس وشرحه : بروج سور المدينة والحصن بيوت تبنى على السور وقد تسمى بيوت تبنى على نواحى أركان القصر بروجاً والبرج : قلعة أو كورة بنواحى حلب .

٨٢ - النقم - ١٥٥٧

نقم الشىء ينقمه نقماً ونقوماً ـ من باب ضرب ـ : كرهه أشد الكراهة و سخطه .

ومنه يقال : نقم من فلان أو على فلان الشىء : عابه عليه وأنكره و تقول : فلان لاينقم من فلان إلا انه يحسن إليه أى انه يكرهه ولاباعث على ذلك فان إلتمس لذلك سبباً فلن يجد إلا الاحسان وهو ـ بلاريب ليس سبباً للكراهة .

قال الله تعالى : « و ما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » البروج : ٨)

وتقول : لاينقم من فلان إلا انه من معدن الفضل والكمال .

قال الله تعالى: « ومانقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله »التوبة:٧٤)

إنتقم منه : عاقبه على ذنب صدر منه .

ويأتى الانتقام فى القرآن الكريم مضافاً إلى الله سبحانه فى قصة من أذنب من عباده وبعض ذلك فى الدنيا وبعضه فى الاخرة

قال الله تعالى : « إنا من المجرمين منتقمون » السجدة : ٢٢)

في المفردات: نقمت الشيء و نقمته : إذا أنكرته إما باللسان وإما بالعقوبة و النقمة : العقوبة .

وفي المجمع : نقموا أي كرهوا غاية الاكراه . النقمة وهي الأخذ بالعقوبة والجمع: نقمات .

وفي النهاية : في أسماء الله تعالى : « المنتقم » هو المبالغ في العقوبة لمن يشاء وهو مفتعل من نقم ينقم إذا بلغت به الكراهة حدّ السخط

ومنه الحديث : « انه ما انتقم لنفسه قط إلاّ أن تنتهك محارم الله » أي ما عاقب أحداً على مكروه أتاه من قبله .

وفي اللسان : النقمة و النقمة : المكافأة بالعقوبة و الجمع نقم و نقم . و النقمة : الانكار . ونقمت : بالغت في كراهة الشيء .

٢٧-الحريق-٣١٥

حرقه بالنار يحرقه حرقاً - من باب ضرب ونصر - : أصابه بها و جعلها فيه أثرها المعهود فاحترق . ومثله حرّقه تحريقاً وأحرقه .

والحريق: النار

وفي اللسان : حرق النار : لهبه . وفي رواية : الحريق أي الذي يقع في حرق النار فيلتهب. والحرقة : حرارتها. هذه نار حراق وحراق : تحرق كل شيء. و الحرقة : ما يجده الانسان من لذعة حب أو حزن أو غضب أو طعم شيء فيه حرارة والحروق : ما يقدح به النار . ورجل حراق و حراق : لا يبقى شيئاً إلاّ افسده.

٦٦-الفوز-١١٨٥

فاز القدح يفوز فوزاً ـ من باب قال ـ : أصاب .

ومنه النجاة من الهلكة والشر والظفر بالامنية والخير .

قال الله تعالى : « ذلك هو الفوز الكبير » البروج : ١١) .

ويقال : فاز الرجل : مات وهلك و فاز الرجل من مكروه: نجى و بخير : ظفر به فالفوز من الأضداد . ويقال لمن أخذ حقه من غريمه : فاز بما أخذ .

فى المفردات : الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة ـ فالموت وإن كان من وجه هلكا فمن وجه فوز ولذلك قيل: ماأحد إلاّ والموت خير له هذا إذا إعتبر بحال الدنيا .

فاما إذا اعتبر بحال الاخرة فيما يصل إليه من النعيم، فهوالفوز الكبير .

وفى النهاية : المفاز والمفازة : البرية القفر، والجمع المفاوزسميت بذلك لانها مهلكة من فوّز إذا مات ، وقيل : سميت تفاؤلا من الفوز: النجاة

٤٦-البطش-١٣٠

بطش به يبطش بطشاً ـ من باب ضرب ونصر ـ : أخذه بعنف وتناوله بشدة عند الصولة وأخذه أخذاً شديداً فى كل شيء .

وإذا وصف البطش بالشدة فتضاعف وتفاقم .

قال الله تعالى: «ان بطش ربك لشديد» البروج : ١٢) والمراد أخذه تعالى الظلمة والجبابرة بالعذاب الأليم والانتقام الشديد .

البطشة : إسم مرّة من بطش قال الله تعالى : «يوم نبطش البطشة الكبرى» الدخان ١٦)

يقال : فلان يبطش فى العلم بباع بسيط أى يتناوله بسرعة .

باطشه مباطشة : مدّ كل منهما يده إلى صاحبه ليبطش به .

البطّاش مبالغة أى الشديد الأخذ بالعنف. البطيش: الرجل الشديدالبطش كالبطاش .

فى المفردات : البطش : تناول الشيء بصولة ـ يقال : يدباطشة .

وفى النهاية : البطش : الأخذ القوى الشديد .

وفى المجمع : البطش : الأخذ بسرعة والأخذ بعنف وسطوة .

٣٠-العرش- ٩٩٥

عرش يعرش عرشاً ـ من باب ضرب ـ:بنى بناء من خشب . وعرش الكرم: رفع دواليه على الخشب .

من الحسى العرش : الأصل يكون فيه أربع نخلات أو خمس و إذا ثبتت رواكيب أربع أو خمس على جذع النخلة فهو العريش . العريش : البيت الذى يستظل به .

والعرش ـ بالضم ـ : عرق فى أصل العنق . و عرش البئر : طيّها بالخشب بعد أن يطوى أسفلها بالحجارة و الفعل منه ـ كضرب و نصر ـ و عرش الكرم : تدعيمه بالخشب لتمتد عليه قضبان الكرم فهو معروش .

ومن هذا و سائر المعانى يمكن القول بأن المعنوى منه التوثق فى مثل قولهم : عرش الرجل : قوام أمره وثلّ عرشه : هدم ما هو عليه من قوام أمره .

ومنه العرش للملك : سريره يكنى بهعن العزّ والسلطان .

وورد فى القرآن الكريم لسرير الملك وعرش الله تعالى ولما عرش ودعم بقوائم فى قوله تعالى : «ولها عرش عظيم» النمل : ٢٣) للبشر .

وقوله تعالى : «ورفع أبويه على العرش» يوسف: ١٠٠)

وقوله تعالى : «ذوالعرش المجيد» البروج: ١٥) لله تعالى .

وقوله تعالى : «وهى خاوية على عروشها» البقرة: ٢٥٩)

وقوله تعالى : « ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كان يعرشون » الاعراف : ١٣٨) وأنسب معنى له هنا هو التدعيم والتوثيق .

و قوله تعالى : « جنات معروشات و غير معروشات » الانعام : ١٤١) من عرش الكرم .

فى المفردات : العرش فى الأصل : شيء مسقف وجمعه عروش . و عرش الله مالايعلمه البشر على الحقيقة إلاّ بالاسم، وليس كما تذهب إليه أوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى عن ذلك لامحمولا .

وفى النهاية :ومنه الحديث : «أو كالقنديل المعلق بالعرش» العرش ههنا: السقف وهو والعريش: كلما يستظلّ به .

٧ - المجدو المجيد - ١٤٠٥

مجد يمجد مجداً ومجوداً ومجادة - من باب نصر - : إتسع كرمه وشرفه و اصل المجد : الكثرة المجيد : الرفيع العالم والكريم والشريف وهوفعيل للمبالغة ومن أسماءالله تعالى : المجيد وهو الكثير التفضل والاحسان العلىّ فوق كل ذى سلطان والعظيم فى ذاته وصفاته الكثير الخير والاحسان على عباده .

قال الله تعالى : «ذو العرش المجيد» البروج : ١٥)

والقرآن المجيد : كثير الفوائد الدنيوية والاخروية عالى الطبقة بين الكتب فى النظم والمعنى قال الله تعالى : «والقرآن المجيد» ق:١)

ومجده وأمجده - من بابى التفعيل والافعال - : عظّمه واثنى عليه و نسبه إلى المجد ومجّد العطاء : كثّره .

تمجّد: تعظّم. تماجد: تفاخر الماجد أيضاً: الحسن الخلق السمح المجد: العز والرفعة ونيل الشرف والكرم . المجد أيضاً: الارض المرتفعة كالنجد .

فى المفردات : المجد : السعة فى الكرم والجلال. وأصل المجد من قولهم

مجدت الابل إذا حصلت في مرعى كثير واسع .

والتمجيد من العبد لله بالقول وذكر الصفات الحسنة ، ومن الله للعبد باعطائه الفضل .

وفي اللسان: المجد : المرؤة والسخاء .

٢٨ - الوراء - ١٦٦١

الوراء: الخلف ويقع ظرفاً تقول : جلس فلان ورائي .ويقال: جئت من وراءه

قال الله تعالى : «والله من ورائهم محيط» البروج: ٢٠)

وقد يأتي الوراء بمعنى قدام فهو من الاضداد .

قال الله تعالى : «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً» الكهف: ٧٩)

إذ قد ورد ان الملك كان قدامهم .

الوراء : بمعنى سوى قال تعالى : «ومن ابتغى وراء ذلك» المعارج: ٣١)

وبمعنى بين يديه قال تعالى : «ومن ورائه عذاب غليظ» إبراهيم: ١٧)

والوراء : ولد الولد . والوراء : الاخر .

في النهاية : وفيه «ليس وراء الله مرمى» أي ليس بعد الله لطالب مطلب فاليه إنتهت العقول ، ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به غاية تقصد . و«ليس وراء الله للمرء مذهب» .

٨٩ الاحاطة - ٣٧٧

حاط يحوط حوطاً وحيطة وحياطة - من باب قال - : حفظ وتعهد وصان و

حاط الشيء : ذبّ عنه وتوفّر على مصالحه .

ومنه «ولا زلت في حياطة الله وقايته» وفي الدعاء : «واجعلني في حياطتك»

وحياطة الاسلام : حفظه وحمايته.

وفي حديث ترغيب المرء وكونه مع عشيرته : «هم أشد الناس حيطة من وراءه» أي حياطة وحفظاً . يقال : فلان يتحوّط أخاه: إذا كان يتعاهده ويهمّ بامره

الاحاطة بالشيء : الاحداق به من جميع جوانبه قال الله تعالى : «والله من ورائهم محيط» البروج : ٢٠) أي لا يعجز أحد قدرته مشتملة عليهم . وقال: «إلا أن يحاط بكم» يوسف :٦٦) اى تؤخذوا من جوانبكم .

وأحاط بالشيء علمه وأحاط به علماً وأحاط به خبراً وأحاط بعلمه : شمله علمه من جميع جهاته فهو محيط وأحاطت به قدرته: شملته. وأحاطت به خطيئته أي شملته وسدت عليه منافذ الهداية . قال الله تعالى: «بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار» البقرة : ٨١)

احيط به : أحصر ومنع سبيل النجاة قال تعالى: «وظنوا انهم احيط بهم» يونس ٢٢) أي حصروا ومنعوا سبيل النجاة. واحيط به : دنا هلاكه وهو محاط به قال تعالى «واحيط بثمره» الكهف : ٤٢) أي أهلك كله .

إحتاط إحتياطاً : أخذ في اموره بالاحزم ولنفسه : أخذ بالثقة وعلى الشيء : حافظ . إستحاط فلان في أمره وفي تجارته : بالغ في الاحتياط .

الحائط : الجدار لانه يحوط ما فيه جمعه: حيطان وحياط .

والمحاط : المكان الذي يكون خلف المال والقوم يستدير بهم ويحوطهم.

في المفردات : الاحاطة تقال على وجهين : أحدهما في الاجسام نحو احطت بمكان كذا و تستعمل في الحفظ نحو : « ان الله بكل شيء محيط » أي حافظ له من جميع جهاته . . . والثاني في العلم نحو قوله : « أحاط بكل شيء علماً » .

والاحاطة بالشيء علماً هي أن تعلم وجوده وجنسه و كيفيته وغرضه المقصود به وبايجاده وما يكون به ومنه ، وليس ذلك إلاّ لله تعالى .

وقال عزوجل : «بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه» فنفى ذلك عنهم .

٥٢ - اللوح - ١٣٨٩

لاح النجم يلوح لوحاً ـ من باب قال ـ : بداوبرز .

يقال : لاح لى أمرك ولاح لى فلان : برز وظهر. لاح إليه: لمح إليه ولاح الشيء : أبصره . لاحه ببصره لوحة : إذا رآه ثم خفي عنه. لاح : عطش. إبل لوحى عطشى .

اللوح : الصفحة العريضة من خشب أو عظم أو نحوهما . اللوح : مايكتب عليه من خشب ونحوه جمعه : ألواح .

قال الله تعالى : «وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة» الاعراف:١٤٥)

قيل: كانت الالواح من جوهر معين كتب الله تعالى فيها بطريقة مامواعظ وأحكاماً مبيّنة للحلال والحرام ومجموع ما كتب فيها هو التوراة وقيل: كانت الكتابة قبل نزول التوراة .

وقد وصفت سفينة نوح عليه السلام بانها ذات الواح ودسر في قوله تعالى : «و حملناه على ذات ألواح ودسر» القمر: ١٣)

اللوح المحفوظ : شيء لايعلم حقيقته إلاّ الله تعالى ومن أفاض الله جل وعلا علمه عليه السلام و يعبّر عن اللوح أحياناً بام الكتاب ، و يوصف بأنه مستودع لما كان وما يكون مما يعلمه الله تعالى وقدّر أن يعلمه .

اللائحة : الظاهرة وهى أيضاً ورقة مفتوحة تدرج فيها الاعمال الحسابية أوغيرها جمعها: لوائح .

اللوح ـ بالضم ـ : الهواء بين السماء والارض .

لوّح ـ من باب التفعيل ـ أشار من بعيد مطلقا بأىّ شيء كان. لوّح بسيفه: لمع به وبثوبه : رفعه وحرّكه ليلوح للناظر .

لاحت الشمس أوالنار بشرتها تلوحها لوحاً : غيرت حرارتها لونهافاسود فهى لائحة : وقد يبالغ فى وصف الشمس أو النار باللوح ، فيقال : لوّاحة وقال الله تعالى : «لوّاحة للبشر» المدثر : ٢٩) أى شديدة التأثيرفىلون البشرة إذان حرارتها الشديدة تسودّه، ويقال : لوّحت الشيء بالنار: احميته. والشمسلوّاحة للبشر : أى تحرق الجلد حتى تسوده . التلويحات : زيادات وشروح فى حواشى الكتب .

فى المفردات : واللوح : العطش . ودابّة ملواح: سريع العطش.واللوح أيضاً بضم اللام : الهواء بين السماء والارض ، ولوّحه الحرّ : غيّره .



﴿ النحو ﴾

١ـ (والسماء ذات البروج)

الواو للقسم ، و « السماء » مجرور بواو القسم ، على تقدير: أحلف أواقسم بالسماء ، فحذف الفعل مع الفاعل ، و «ذات» اضيف إلى «البروج» :جمع البرج، صفة لـ «السماء » أى السماء صاحبة البروج .

وفى جواب القسم وجوه : أحدها ـ قوله تعالى: «قتل» أى لقدقتل. وهذا على ظاهره ولكن الواقع انه دليل على جواب القسم المحذوف ، والتقدير: لعن الذين عذبوا الصحابة كبلال وخباب وعمار ... كما لعن أصحاب الاخدود .

ثانيها ـ جوابه محذوف على تقدير : لتبعثن أو نحوه . ثالثها ـ قوله جل وعلا : «إن بطش ربك لشديد» . رابعها ـ على تقدير: ان الامرحق فى الجزاء على الاعمال ... خامسها ـ قوله عزوجل : «ان الذين فتنوا المؤمنين ... »

٢ـ (واليوم الموعود)

الواو للعطف ، و «اليوم» مجرور بالعطف على « السماء» و «الموعود»إسم مفعول من «وعد» صفة لـ «اليوم» على تقدير: الموعود به لعود الضميرمن الوصف إلى موصوفه ، وحذف الضمير للعلم به .

٣ـ (وشاهد ومشهود)

معطو فان على «السماء» وقيل : على «اليوم الموعود» وعلى أى تقدير فهذا من باب عطف النكرة على المعرفة. على تقدير: واقسم بشاهد هذا اليوم ومشهوده

أو مشهود عليه فيه .

٤- (قتل أصحاب الاخدود)

«قتل» فعل ماض ، مبنياً للمفعول، و«أصحاب» جمع صاحب، ناب مناب الفاعل، أضيف إلى «الاخدود» جمعه أخاديد. الاخدود : الشق العظيم المستطيل في الارض كالخندق ، ومنه الخدّ لمجارى الدموع .

٥- (النار ذات الوقود)

في «النار» وجوه: أحدها ـ أنها مجرور على بدل الاشتمال من «الاخدود» لان «الاخدود» يشتمل على النار أى النار منه. ثانيها ـ أنها مجرور على الجوار. ثالثها ـ على تقدير: ذى النار لان الاخدود هو الشق فى النار، و «ذات الوقود» صفة لـ «النار»

ان تسئل : لما ذا خصت هذه النار بهذه الصفة ، و كل نار لها وقود ؟

تجيب : ان النار قد لاتكون بذات وقود كنار الحجر، ونار الكبد، أوان الوقود معرف ، فصار مخصوصاً كأنه وقود بعينه كقوله جل وعلا : «وقودها الناس والحجارة» فكأن الوقود هنا أبدان المجرمين ...

٦- (اذهم عليها قعود)

« إذ » ظرف لقوله : « قتل» اضيف إلى الجملة ، و هذا اذا كان إخباراً لادعاءاً . وقيل: على تقدير: اذكر. وقيل: في موضع نصب على الحال أى حال كون اولئك الطغاة الجبابرة قاعدون حول النار المشرفة عليها .

و «هم» في موضع رفع على الابتداء راجع إلى «أصحاب الاخدود» و «عليها» متعلق بـ «قعود» والضمير راجع إلى «النار» و «قعود» خبر المبتداء ، و الجملة فى موضع الجر لاضافة «إذ» إليها .

٧- (وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود)

الواو للحال ، و «هم» مبتداء ، راجع إلى «أصحاب الاخدود» و «على ما »

متعلق بـ «شهود» و «ما» موصولة ، و «يفعلون» فعل مضارع على الجمع ، وفاعله الضمير الراجع الى «أصحاب الاخدود» و « بالمؤمنين» متعلق بـ « يفعلون » و « شهود » جمع شاهد ، خبر للمبتداء ، و الجملة فى موضع نصب على الحال من « شهود »

٨- (ومانقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد)

الواو للحال ، و «ما» نافية ، و«نقموا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب ، فاعله واو الجمع ، راجع إلى «أصحاب الاخدود» و «منهم» متعلق بـ « نقموا» و الضمير راجع إلى «المؤمنين» و «إلاّ» حرف إستثناء و «أن يؤمنوا» فى موضع نصب بقوله : « نقموا » أى و مانقم هؤلاء المجرمون الطغاة من اولئك المومنين إلاّ ايمان المؤمنين ، و «بالله» متعلق بـ « أن يؤمنوا» و «العزيز» نعت من «الله» و «الحميد» نعت ثان .

٩- (الذى له ملك السموات والارض والله على كل شىء شهيد)

«الذى» موصولة في موضع جر، نعت ثالث لـ «بالله» و «له» متعلق بمحذوف، وهو خبر مقدم، و «ملك السموات » مبتداء مؤخر ، والجملة صلة الموصول ، و «الارض» عطف على «السموات» والواو فى «والله » للاستيناف ، و قيل : للحال و قيل: للعطف، و «الله» مبتداء و«على كل شىء» متعلق بـ «شهيد» وهو خبر المبتداء

١٠- (ان الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)

«إن» حرف تأكيد ، و «الذين» فى موضع نصب، إسم لحرف التأكيد ، و «فتنوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب، فاعله واو الجمع الراجع إلى «الذين» و «المؤمنين» مفعول به ، و «المؤمنات» عطف على «المؤمنين» ، و « ثم » حرف عطف و«لم»حرف جحد، و«يتوبوا» فعل مضارع،مجزوم بحرف الجحد، عطف على المتقدم ، والفاء فى «فلهم» للتفريع ، والجار و المجرور متعلق بمحذوف ، خبر

مقدم ، والضمير راجع إلى الموصول ، و« عذاب جهنم » مبتداء مؤخر ، و « لهم عذاب الحريق » عطف على «فلهم عذاب جهنم » .

١١ - (ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهارذلك الفوز الكبير)

«ان» حرف تاكيد ، و « الذين » موصولة في موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ، و «آمنوا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب ، «من باب الافعال ، صلة الموصول ، و « عملوا » عطف على « آمنوا »و«الصالحات »جمع الصالحة ،و«لهم» متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « جنات » جمع جنة ، مبتداء مؤخر ،والجملة خبر لحرف التأكيد ، و« تجرى » فى موضع رفع ، صفة لـ« جنات »و«من تحتها» متعلق بـ « تجرى » و « الانهار » جمع النهر ، فاعل لـ « تجرى » و « ذلك » فى موضع رفع على الابتداء و « الفوز » خبره ، و « الكبير» صفة من « الفوز »

١٢- (ان بطش ربك لشديد)

« ان » حرف تأكيد ، و « بطش » إسمها، اضيف إلى « رب » و هواضيف إلى كاف الخطاب للنبى الكريم ﷺ ، و اللام فى « لشديد » حرف تأكيد ، و مدخولها خبر لحرف التأكيد المتقدم.

١٣ - (انه هو يبدىءويعيد)

« ان » حرف تأكيد ، والضمير المتصل فى موضع نصب ، إسم لها ، راجع إلى « ربك » و « هو» مبتداء ، و «يبدى» فعل مضارع من باب الافعال ،على حذف المفعول خبر المبتداء ، و الجملة خبر لحرف التأكيد ، و قيل : « هو » ضمير فصل . و « يعيد» عطف على « يبدىء » على حذف المفعول أى يبدىء الخلق ويعيدهم .

١٤- (وهو الغفور الودود)

الواو للعطف ، و « هو » مبتداء ، و« الغفور» صيغة مبالغة ، خبر المبتداء ، و « الودود » صفة من « الغفور » وقيل : خبر بعد خبر. والمعنى : وربك كثير المغفرة ، بليغ الودادة .

١٥ (ذو العرش المجيد)

« ذو العرش » نعت ثان ، و « المجيد » صفة ثالثة ، أو خبر بعد خبر.

١٦- (فعال لما يريد)

فى « فعال » وجوه : أحدها - انه بدل من « ذو العرش » ثانيها - انه خبر لمحذو ف على تقدير: هو فعال. ثالثها- انه خبر بعد خبر . رابعها - نعت رابع ، و با عتبار ان هذه الصفة ليست لغير الله تعالى فهى معرفة معنى ، و « فعال » صيغة مبالغة .

. و« لما» متعلق بـ « فعّال »و«ما» موصولة ، و« يريد »فعل مضارع،فاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى الله تعالى صلة الموصول على حذف العائد أى يريده .

١٧ - (هل أتاك حديث الجنود)

« هل » حرف إستفهام ، و« أتى» فعل ماض ، و كاف الخطاب للنبى الكريم ﷺ فى موضع نصب ،مفعول به ، و« حديث » فاعل الفعل،اضيف إلى «الجنود»

١٨- (فرعون وثمود)

فى موضع جرّ على البدل من « الجنود » وقيل : فى موضع نصب على تقدير : أعنى .

١٩- (بل الذين كفروا فى تكذيب)

«بل» حرف إضراب ، و « الذين » موصولة ، و « كفروا » فعل ماض ، صلة الموصول ، و«فى تكذيب » متعلق بمحذوف أى ثابتون أومستقرون فى تكذيب.

٢٠ (والله من ورائهم محيط)

الواو للحال ،و«الله » مبتداء ، و « من ورائهم » متعلق بـ « محيط » وهو خبر المبتداء .

٢١ - (بل هو قرآن مجيد)

« بل » حرف إضراب ،و« هو » مبتداه ، و « قرآن » خبره ، و « مجيد »

صفة لـ « قرآن».

٢٢- (في لوح محفوظ)

« في لوح » متعلق بـ « محفوظ » وقيل : متعلق بمحذوف ، وهو نعت ثان لـ « قرآن » وقيل : متعلق بمحذوف و هو الحال أي حال كون القرآن ثابتاً فيه ، و « محفوظ » صفة لـ « قرآن » .



﴿ البيان ﴾

١ـ (والسماء ذات البروج)

قسم بالسماء ذات المنازل العالية التي تنتقل بها الكواكب ، والغرض من هذا القسم هو التنبيه إلى ما فى الكواكب من نظام وإتقان دال على وجود الصانع وعظمته ، و علمه وحكمته ، وعلى وجود الخالق لهذا العالم وقدرته و تدبيره و توحيد ربوبيته . . .

ولما فيها من مصالح ومنافع كثيرة لاتحصى لخلقه عامة، وللانسان خاصة فى هذه الحياة الدنيا ، فعلينا التدبر والتفكر فيها وفيها .

وفى القسم بالسماء صاحبة البروج من التفخيم لها ما لايخفى على القارى الخبير المتدبر، فكأنه قيل :اقسم بالسماء عظيمة الشأن التى هى صاحبة البروج . . . وإفراد السماء لارادة الجنس أو السماء الدنيا منها .

وقوله تعالى : « ذات البروج» تشبيه بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت أو هى منازل القمر ، أوهى عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها.

وان البرج هو الامر الظاهر ، ويغلب إستعماله فى القصر العالى لظهوره على الناظرين ، و يسمى البناء المعمول على سور البلد للدفاع برجاً ، و تطلق البروج على المدارات السماوية التى يدور فيها الشمس أو القمر أو الكواكب السيارة على ما كان هو معروفاً فى وقت نزول القرآن الكريم ،والمراد بالبروج

هنا مواضع الكواكب من السماء .

٢- (واليوم الموعود)

كناية عن يوم القيامة الذى وعدبه الناس على لسان أنبياء الله ﷺ و فى الكتب السماوية ، يوم وعدالله عزوجل فيه القضاء بين عباده ، والفصل بين المؤمن والكافر ، بين المطيع والعاصى ، بين السعيد و الشقى ، بين المصلح و المفسد ، بين المتقى والفاجر ، بين الأمين والخائن ، بين الصادق والكاذب ، وبين المصلح والخاسر .. . فيجازيهم بومئذ كلاً حسبما عملوا فى الحياة الدنيا :إن خيراً فخير وإن شراً فشر

وفى القسم باليوم الآخر على طريق العطف على القسم بالسماء ذات البروج مالايخفى على الخبير المتدبر ، و إنما حسن القسم بيوم القيامة لانه يوم الفصل والجزاء وتفرد الله تعالى بالحكم والقضاء .

٣- (وشاهد ومشهود)

الشاهد: هو الرائى للاشياء المحسّ بها ،حيث يشهدها واقعة فى حواسّه...
والمشهود : ما يقع عليه الحسّ البصرى من عوالم المخلوقات فى الارض وفى السماء . . . ومن المحتمل أن الله جل و علا جمع فى هذه الأقسام الثلاثة عالم المخلوقات كلها : علوية وسفلية ، غائبة و حاضرة ، و منظورة و ناظرة ، و دنياوية واخروية . . .

وقد استحضر الله تعالى الوجود كله ليشهد هذا الجرم الغليظ ، و ليسمع حكمه جل وعلا على الطغاة المستبدّة ، و الفجار الجبابرة ، والبغاة المستكبرة الذين اقترفوه وهم أصحاب الاخدود ، ومن يسلك مسلكهم بعدهم .

حكم عليهم بالقتل بيده جل وعلا كما قتلوا المؤمنين رجال الله سبحانه بأيديهم . . .

أقسم الله جل وعلا بالعوالم كلها: الدنيا والاخرة وما يشاهد فيهما ليلفت الناظرين إلى مافيها من العظم والفخامة، والانذار و البشارة، وليعتبروا بما حضرو ويبذلوا جهدهم فى درك حقيقة ما استتر...

وقيل: «شاهد و مشهود» كناية عما يجرى يوم القيامة من محاسبة الناس على أعمالهم. وقيل: كناية عن إختلاف الناس بين ناظر ومنظور إليه.

وفى تنكيرهما دلالة على إرادة العموم بهما لقوله تعالى: «علمت نفس ما احضرت» إذ لا يقسم بنكرة لا يدريها، ولا يعرفها الانسان، ولكن إذا لوحظ فيها معنى العموم إندرج فيها المعرفة، فحينئذ يحسن القسم بها كقوله عزوجل: «والطور و كتاب مسطور» حيث حمل الكتاب على العموم، فحينئذ يدخل فيه الكتب السماوية من التوراة والانجيل والزبور والقرآن المجيد، فيحسن القسم به.

فكأنه قيل: ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود أو اريد الابهام فى الوصف كأنه قيل: وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما، أواريد المبالغة فى الكثرة على أن التنوين فيهما للتقليل وهو يفيد التكثير.

وقيل: تنكيرهما دون سائر ما اقسم به من السماء و اليوم الموعود لاختصاصهما من بين الأيام بناءاً على كونهما يومى العرفة بفضيلة ليست لغيرهما، فلم يجمع بينهما وبين غيرهما بلام الجنس فتنكيرهما للتفخيم.

وقيل: إن التنوين فيهما للنوع أى شاهد من العقلاء ومشهود من المكلفين لا غيرهم.

ومن المحتمل أن يكون القسم بعد القسم فى الآيات الثلاث مع التأكيد لما يقسم به وعيداً شديداً لمن يفتن المؤمنين و المؤمنات لايمانهم بالله تعالى واليوم الآخر، ووعداً جميلاً لمن آمن وعمل صالحاً.

فكأنه قيل: اقسم بالسماء ذات البروج التى يدفع الله عزوجل بها الشياطين عنها، ان الله تعالى يدفع عن المؤمنين و المؤمنات كيد الشياطين و أذنابهم من

الفجار والكافرين ، ومردتهم من الفسّاق والمجرمين ... واقسم باليوم الموعودبه وهو الذى يجزى فيه الناس بأعمالهم ... واقسم بشاهد يشهد، وبماين أعمال هولاء الكفار ومايفعلونه بالمؤمنين لايمانهم بالله عز و جل ، واقسم بمشهود أومشهود عليه سيشهده الكل ويعاينونه : ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات - إلى آخر الآيتين .

٤- (قتل أصحاب الاخدود)

دعاء على أصحاب الاخدود بقتل أرواحهم باللعن والطرد، وأبدانهم بالهلاك والدمار و العذاب و النار قتل لاحياة لهم فيه ولاممات ، و هم الطغاة الجبابرة و البغاة المستبدة الذين حفروا فى الارض حفرة مستطيلة، و أضرموا فيها النار و أدخلوا المؤمنين والمؤمنات فاحرقوهم بها لايمانهم بالله تعالى .

دعاء يشير إلى قصة الاخدود لتكون توطئة وتمهيداً لما سيجيىء من قوله جل وعلا : « ان الذين فتنوا . . . » وفيها وعيد شديد للفاتنين ، و وعد للمؤمنين الصالحين، وان الله تعالى يوفقهم على الصبر فى الضرّاء والمصائب ... ويؤيدهم على حفظ ايمانهم من كيد الكائدين وحيل الماكرين إن أخلصوا كمافعل بالمؤمنين فى قصة الاخدود ...

دعاء يدل على جواب القسم كأنه قيل : اقسم بهذه الاشياء : ظاهرها و باطنها ، شاهدها وغائبها، حاضرها وخفيها ... ان كفار مكة وفجّار الامة ملعو-نون كمالعن أصحاب الاخدود .

لماان السورة نزلت لتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من الايمان ، وتصبير هم على أذية الكفرة الفجرة ، و تذكيرهم بماجرى على من تقدمهم من التعذيب بالايمان وصبرهم على ذلك ، حتى يأتسوابهم ويصبروا على ماكانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عندالله جل وعلا بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم : ماقد قيل فيهم .

وهذا شأن كل الكافرين وأذنابهم مع المؤمنين في كل زمان ومكان ...

٥- (النار ذات الوقود)

بدل من «الاخدود» وفيه دلالة على ملأها من النار كأنها نار كلها، كما أن في توصيف النار بذات الوقود إشارة إلى عظمة أمر هذه النار وشدة إشتعالها و أجيجها ولهيبها من الحطب الكثير وأبدان الناس ...

٦- (اذهم عليها قعود)

بيان لاحوال الطغاة الجبابرة و البغاة المستبدة من أصحاب الاخدود حين يلقى المؤمنون في النار مرأى أعينهم بأن هؤلاء الطغاة قاعدون على الكراسي و نحوها تفرّجاً ونزهة حول الخندق ملأ النار في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود بعيدين عنها عرضاً وعمقاً دون أن يتأثروا بها.

وفي التعبير بالقعود دون الجلوس دلالة على أنهم ما كانوا جالسين على وجه الارض بل كان لهم كراسي ونحوها في أطراف الاخدود، فحفروا و قعدوا عليها لان يشاهدوا المؤمنين حين إلقائهم في النار وعذابهم فيها.

و ذلك ان الجلوس لمن كان مضطجعاً وساجداً، والقعود لمن كان قائماً فالجلوس من الضجعة والسجود، والقعود من القيام، وإن الجلس - بالفتح: الغليظ من الارض - هذا هو الاصل في المادة، ومنه سمي الجلوس وهو أن يضع مقعده في جلس من الارض، وليس هذا في القعود.

٧- (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود)

وصف لهؤلاء الطغاة الجبابرة من أصحاب الاخدود بقسوة القلب إذهم يشهدون تنفيذ حكمهم في المؤمنين بالله جل وعلا، ويشفون بما هم فيه من نار وعذاب، هم ينظرون إلقاء المؤمنين في النار ويسمعون صرخاتهم وتسبيحاتهم، ويتلذذون بمشاهدة الاجسام الطاهرة التي تحترق، وما تفعل بهم النار دون أن تأخذهم الشفقة.

وفي الآية الكريمة إشارة إلى صلابة هؤلاء المؤمنين في دينهم ، وقوة إصطبارهم ورباطة جأشهم وإستمساكهم بدينهم حيث لم يلتفتوا إليهم وبقوا مصرين على الحق .

وفيها حث للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة لما فعله طغاة مكة بالمؤمنين المستضعفين،وحث للمؤمنين الآخرين على الصبر وتحمل أذى طواغيت الأزمنة وفراعنة الاعصار في كل وقت ومكان .

٨- (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)

تقرير لسبب تعذيب هؤلاء الطغاة الجبابرة اولئك المؤمنين بالنار ، و ما كان هناك سبب إلا ايمانهم بالله تعالى ، فالاستثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب و ينكر بالتمام .

وفي التعبير عن ايمان المؤمنين بصيغة المضارع: « إلا أن آمنوا » بدلاً من فعل الماضي الذي يقتضيه المقام ، والذي بسبب وقوعه كانت نقمة الناقمين عليهم إشارة إلى أن هذا الايمان الذي في هولاء المؤمنين هو ايمان ثابت في قلوبهم مصاحب لهم لا يتحولون عنه ولا يجليه عن قلوبهم وعد أو وعيد .

مع الاشارة إلى أن هؤلاء الطغاة الجبابرة كانوا يطلبون من اولئك المؤمنين ترك الايمان في المستقبل ، فلم يعذبوهم على الايمان الماضي ، بل كانوا يعذبونهم على ثباتهم و صبرهم على ايمانهم بمن يستحق أن يؤمنوا به لكونه إلهاً قادراً لا يغالب بليغاً في الكمال بحيث إستأهل الحمد كله مالكاً لجميع المخلوقات . .

وفيه ايماء إلى أن الله عز وجل لو شاء لمنعهم عن ذلك التعذيب ، ولكنه أخرهم إلى الجزاء كما يدل على ذلك قوله تعالى : « والله على كل شيء شهيد » ويدل عليه قوله : «العزيز» عزيز غالب يخشى عقابه ، كما انه «الحميد» يرجى ثوابه

وفي وصف الله جل وعلا بصفتي الخوف والرجاء في المقام ما لا يخفى على من له لب السياسة الالهية . و قوله : « بالله العزيز الحميد » في موضع تعليل

لايمان المؤمنين وإشعار بمناط ايمانهم .

ولايخفى ان اسلوب الايات اسلوب تقريعي لهذا العمل الوحشي الظالم غضباً على الناس آمنوا بالله جل وعلا وتمسكوا بايمانهم وإستقاموا ، وفيه تلقين قرآني عـام مستمر المدى .

٩- (الذى له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد)

بيان لوصفي العزة والحمد فهم آمنوا بالله الذى لاقوة إلاقوته ، ولاعزة إلا عزته ، فله الحمد إذ له ملك السموات والارض ، و ان مايملكه أصحاب الاخدود الطاغية من قوة وما يجدونه في أنفسهم من عزة فهو من الله عزوجل ، وهم غفلوا عنه وعن عزته ونعمه عليهم ، و المؤمنون يلوذون بالله تعالى ، ويحمدونه على السراء والضراء لانه وحده المستحق للحمد لانه حميد بذاته حمدوا أم لا .

وقوله تعالى : « و الله على كل شيء شهيد » تهديد و وعيد شديد على الجبابرة المستكبرة بما صنعوا بالمؤمنين بأن لهم جزاء سيلاقونه ، ووعد جميل للمؤمنين في ثباتهم على الايمان وإستقامتهم على عقيدتهم الحقة .

وذلك ان علمه جل وعلا بجميع الاشياء التي من جملتها أعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حسب ما عملوا حتماً .

فالاوصاف الجارية في الآيتين على إسم الجلالة «الله» تشير إلى الحجة على أن اولئك المؤمنين كانوا على الحق في ايمانهم ، مظلومين فيما فعل بهم ، و لا يخفى حالهم على الله عزوجل ، وسيجزيهم خير الجزاء ، وعلى أن هؤلاء الجبابرة الطاغية كانوا على الباطل مجترين على الله عز و جل فيما فعلوا بالمؤمنين ، و سيذوقون وبال أمرهم .

وذلك ان الله تعالى هو الغالب غير مغلوب على الاطلاق ، وهو المنعم الجميل في فعله على الاطلاق ، فله وحده كل الجلال و تمام الجمال ، فمن الواجب أن يخضع له العباد ، و أن لايتعرضوا لجانبه ، و إذ كان له ملك السموات و الارض

فهو المليك على الاطلاق وله الامر والحكم، فهو رب العالمين ، فمن الواجب أن يتخذ إلهاً معبوداً ،ولا يشرك به أحد، فالمؤمنون به على الحق والهدى ، والكافرون على الباطل والضلالة .

ثم ان الله عز وجل ـ وهو الموجد لكل شيء ـ على كل شيء شهيد لا يخفى عليه شيء من خلقه :صغيرهم و كبيرهم ، حاضرهم وغائبهم ، في السماء أو في الارض ، في البحر أو في البر . . .

ولا يخفى عليه عمل من أعمالهم : خيرها وشرها ؛ حسنها وقبيحها، صغيرها و كبيرها ، ظاهرها وباطنها ، صالحها وطالحها . . .فلا يحتجب عنه إحسان محسن ولا إساءة مسيء فسيجزى كلاً بما عمل .

وبالجملة اذ كان تعالى هو الله المتصف بهذه الصفات الكريمة كان على هؤلاء المؤمنين أن يؤمنوا به ، ولم يكن لاولئك الجبابرة المستكبرة أن يتعرّضوا لحالهم ولا أن يمسوهم بسوء .

١٠ـ(ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)

حملة شديدة ووعيد من الله عز وجل لكل من تعرّض لأوليائه المؤمنين و المؤمنات بأذى سواء كان من أصحاب الاخدود أم من مشركي مكة ، أو من طواغيب الازمنة في كل وقت ومكان ، يريد أن يصرف المؤمنين و المؤمنات عن الايمان أو يصدّهم عنه أو يضلّهم ويدعوهم إلى ماهم فيه من الشرك والطغيان...
فهؤلاء الذين آذوا المؤمنين والمؤمنات بسبب ايمانهم إذا لم ينزعوا عما هم فيه ، و لم يرجعوا إلى الله جل وعلا مؤمنين تائبين ، فقد أعدّ الله تعالى لهم عذاب جهنم بما فيها من مقامع من حديد ، من شدّ الى السلاسل والاغلال، ومن حميم يصبّ فوق الرؤس ، ومن غسّاق يقطع الأمعاء ثم لهم فوق ذلك كله من عذاب النار ذاتها الذى يرعى أجسامهم كما ترعى النار الحطب .

و قوله تعالى : « ثم لم يتوبوا » ايماء إلى أنهم لو تابوا قبل موتهم غفر الله

جل وعلا لهم ما قدّموا قبل التوبة من ذنب كما ان الفاء فى «فلهم عذاب جهنم» تدل على ذلك إذ فرّع العذاب على ترك التوبة . وانظروا إلى كرم الله جل وعلا ورحمته كيف يدعو قاتلى أوليائه إلى التوبة والانابة.

ان تسئل: كيف فصّل بين عذاب جهنم وعذاب الحريق وهما واحد؟ هل هناك عذاب غير عذاب جهنم إسمه الحريق حتى عطفه عذاب جهنم ، و العطف يقتضى المغايرة؟

تجيب: ان المراد لهؤلاء الطواغيت الجبابرة أنواع عذاب فى جهنم سوى الاحراق مثل الزقوم والغسلين والمقامع والسلاسل والاغلال والضريع والماء الصديد ولهم مع ذلك كله إحراق بالنار ، وهى نار عظيمة اخرى ، تتسع لهم كما يتسع لهم الحريق فى الحياة الدنيا أوانها مرتبة من مراتب النار خصّها الله جل وعلا بالذكر لعظيم خطرها و كبير أثرها .

١١-(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير)

تقرير لما يقابل ما يلقى الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات من عذاب... إذ ليس العذاب هو كل ما فى الآخرة ، بل فيها إلى جانب النار للمجرمين جنات تجرى من تحتها الانهار للمؤمنين المتقين ، و هذا اسلوب خاص قرآنى يقرن الهول و العذاب و النار للكفار المجرمين من الأمن و السلامة و النعمة و الأمان للأبرار المتقين ، و يقرن عذاب الجحيم بثواب النعيم و فيها بشرى للمؤمنين الصالحين و تثبيت لهم ، و وعد جميل لهم يطيّب به نفوسهم كما أن ما قبله و عيد شديد للكفار الفاتنين المعذبين . و « ذلك » إشارة إما إلى الجنات الموصوفة ، و التذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذى يتنافس فيه المتنافسون ، فان إسم الاشارة متعرّض لذات المشار إليه من حيث إتصافه بأوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير ، و إما إلى ما يفيد قوله

عزوجل : « لهم جنات . . . » من حيازتهم لها ، فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعاً ، ومعنى البعد فيها ايذان بعلو درجته، وبعد منزلته في الفضل والشرف.

وفى الاية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف كالاية السابقة ما لايخفى على القارىء الخبير .

١٢-(ان بطش ربك لشديد)

مستأنف بيانى خطاب للنبى الكريم ﷺ ايذاناً بأن لكفار قومه نصيباً موفوراً من مضمونه كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة إلى ضميره ﷺ كقوله تعالى: « و كذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة »هود:١٠٢)

وفى إضافة البطش إلى الرب ، و إضافة الرب إلى كاف الخطاب لرسول الله ﷺ تطييب للنبى الكريم ﷺ بالتأييد والنصر .

وفى الآية الكريمة وعيد شديد على الكفرة الجبابرة ، والطواغيت الظلمة، وإرهاب لقريش و من معها ، وتعزية لرسوله ﷺ ولمن معه ، و إنذار للذين اضطهدوا ضعفاء المؤمنين والمؤمنات الذين تبعوا النبى ﷺ و أرغموهم على الارتداد عن الاسلام ، و تنويه لهم بقوة بطش الله الذى خلق الخلق بدءاً .

وفيها تأكيد لماتقدم من الوعد والوعيد، وإشارة إلى أن لجبابرة امته نصيباً من الوعيد المتقدم . وشدّ لأزر النبى الكريم ﷺ وإلقاته إلى أن هؤلاء المشركين وأذنابهم فى قبضة الله جلا وعلا لايفلتون منه أبداً .

١٣- (انه هو يبدىء ويعيد)

مستأنف بيانى سيق لتقرير دليل القدرة الفعّالة الدائمة القائمة على تدبير هذا الوجود،وتبدّل صوره حالاً بعدحال، وان صانع هذا الوجود يعيد هؤلاء الظلمة الجبابرة كما أبدأهم ليبطش بهم إذلم يؤمنوا ولم يشكروا و كذبوا بالاعادة ، ومزيد تقرير لشدة بطشه و تعليل لها.

وذلك ان الله عز و جل مبدىء يوجد ما يريده من شىء ايجاداً إبتدائياً من

غير أن يستمد على ذلك من ماسواه ، وهو جل وعلا يعيد كل ما كان إلى ما كان ، و كل حال فاتته إلى ما كانت عليه قبل الفوت ، فهو تعالى لا يمتنع عليه ما أراد ولا يفوته فائت زائل، وإذا كان كذلك فهو القادر على أن يحمل على العبد الذى تجاوز حده من العذاب ماهو فوق حده ووراء طاقته ، و يحفظه على ما هو عليه ليذوق العذاب الأليم .

والله جل وعلا وحده هو القادر على أن يعيد ما أفسده العذاب إلى حالته الاولى ليذوق الكافر المستكبر و الفاجر المستبد بذلك العذاب من غير انقطاع ، قال الله تعالى : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » النساء : ٥٦)

فقد إتضح على هذا البيان امور :

احدهاـ ان سياق قوله تعالى:« انه هو...» يفيد القصر أى ان إبداع الوجود و إعادته لله جل و علا وحده فان الصنع و الايجاد ينتهي إليه تعالى وحده .

و **ثانيها**ـ ان حدود الأشياء كلها إلى الله جل و علا ، فلو شاء أن لا يحد فلم يحدد أو بدل حداً من آخر ، فهو الذى حد العذاب والفتنة في الحياة الدنيا با لموت والزوال ، ولو لم يشأ لم يحدد كما في عذاب الآخرة .

ثالثها ـ ان المراد من شدة البطش ـ وهو الاخذ بشدة وعنف ـ أن لا دافع لأخذه ،ولاراد لحكمه كيفما حكم إلا أن يحول بين حكمه ومتعلقه حكم آخر منه يقيد الاول .

١٤- (وهو الغفور الودود)

شروع ببيان بعض صفات الرحمة والجلال بعد أن ذكر بعض صفات الغضب .

وفى الاية الكريمة تنويه بسعة رحمة الله جل وعلا على من آمن ، و كثير غفرانه لمن تاب ، وبليغ مودته لمن صالح من عباده .

١٥- (ذو العرش المجيد)

وصفان آخران من صفات الجلال والجمال لله عز وجل ، والاول كناية عن الملك أي هو ملك له يتصرف في ملكه كيفما يشاء ويحكم حينما أراد ، والثاني كناية عن العظمة المعنوية و كلا الوصفين من كمال الذات و صفاته كما أن المغفرة والمودة من صفات الفعل .

ولايخفى ان الفارق بين صفات الذات و الفعل : ان صفات الذات هي التي يستحيل أن يتصف الله جل وعلا بنقيضها أبداً ، إذافهي التي لايصح سلبها عنه في حال كالعلم والقدرة والحياة والملك والمجد ...

وان صفات الفعل هي التي يمكن أن يتصف بها في حال وبنقيضها في حال آخر كالغفران والودود والتكلم ... فيقال : ان الله تعالى غفر فلاناً ولم يغفر فلاناً، ويود فلاناً ولايود فلاناً .

ومن المحتمل أن يكون الوصفان في موضع تعليل لكثرة غفرانه للتائبين، وبليغ مودته للصالحين .

١٦- (فعال لمايريد)

وصف خامس لله جل و علا على طريق المبالغة فيما يفعل من غير أن يعجزه شيء ، يفعل مايشاء دون معوق أومعقب ، فكل ماأراد سبحانه تمضيه قدرته .

وفي الاية الكريمة دلالة على كمال قدرته بأنه القادر بأن يعذب الكافر ، و يغفر للمستغفر ، وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إشعاراً بأنه سيصيب قومه ماأصاب الجنود .

ولايخفى ان في هذا العرض لصفات الله جل وعلا الجامعة بين القدرة والبطش، وبين المغفرة والود وعيد ووعد وتهديد وترغيب وخوف ورجاء، فمن خاف وعيد الله بالعذاب تلقاه وعده بالرحمة والرضوان ، و من أفزعه التهديد بالنار و عذابها آنسه الترغيب بالجنة ونعيمها .

١٧- (هل أتاك حديث الجنود)

مستأنف بيانى سيق لتقرير مواقف الجماعات الجبابرة الذين تجندوا على أنبياء الله تعالى عليهم السلام لتماديهم فى الكفر والاستكبار وفى الغى والضلال، و اجتمعوا على أذاهم وأتباعهم المؤمنين.

وقيل: فى الآية الكريمة إستشهاد على كمال قدرة الله تعالى، ووعيد على من لم يستغفر ولم يتب، وتقرير لما تقدم من شدة بطشه جل وعلا بالعصاة الظلمة و العتاة الكفرة، و الطغاة الفجرة، و لكونه ملكاً مجيداً فعالاً لما يريد، و فيها تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وتطييب لنفسه الشريفة بالاشارة إلى حديثهم.

وفيها الفات إلى طغمة من عتاة الناس وأشرارهم من الذين إستخفوا بقدرة الله عزوجل، ولم يرهبوا سلطانه، فتسلطوا على العباد، وطغوا فى البلاد، فاكثروا فيها الفساد.

وان الاستفهام هنا: إما أن يكون على حقيقته، ويكون النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قد تلقى من آيات ربه قبل ذلك، حديثاً عن فرعون وثمود، وما أخذهم الله جل و علا به من بلاء ونكال. و على هذا يكون جواب الاستفهام محذوفاً تقديره: نعم أتانى حديث الجنود فرعون و ثمود! ويكون التعقيب على هذا جواب أظهر من أن يدل عليه، وهو: ألا ترى فى هذا الحديث ما أخذ الله به أهل البغى و التعدى؟ و هل قومك أعتى عتواً وأشد قوة من فرعون و جبروته و ثمود و بطشهم؟

و من المحتمل أن يكون المراد بالاستفهام النفى أى إنه لم يأتك حديث الجنود... و إذن فسنقصه عليك فيما سينزل عليك من آياتنا بعد... و فى هذا ما يبعث الشوق و التطلع إلى هذا الحديث العجيب، و إنتظار فى لهفة و ترقب.

و فى وصف القوم بالجنود إشارة دالة إلى أنهم ذوو بأس و قوة، كبأس

أبطال الحرب وقوتهم . وأنهم فى حرب مع أولياء الله تعالى يلبسون لباس الحرب دائماً .

١٨- (فرعون و ثمود)

بدل من الجنود يبين من هم اولئك الجنود، وان المراد من الجنود فرعون طاغية مصر وقومه، وثمود: قبيلة بائدة من العرب، واستغنى بذكر فرعون عن مردته وهذا من الايجاز البديع والتلويح الفصيح الذى لايقوم مقامه التصريح ، وحديثهم ماصدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال والبغى والاستبداد ... وماحل بهم من العذاب والنكال .

والمعنى : قد أتاك حديثهم ، وعرفت مافعلوا ومافعل بهم، فذكر قومك يا أيها النبى ﷺ بشؤن الله عز وجل ، وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم ...

وفيه هذا تنبيه لمن كفر بالنبى الكريم ﷺ والقرآن ليتعظوا به .

١٩ - (بل الذين كفروا فى تكذيب)

إضراب عن مماثلتهم لهم، وبيان لكونهم أشد منهم فى الكفر والطغيان كأنه قيل: ليسوا مثلهم فى ذلك بل هم أشد منهم فى إستحقاق العذاب وإستيجاب العقاب، فانهم مستقرون فى تكذيب شديد بالقرآن الكريم ، ومصرون على ذلك .

وقيل: ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك فى تكذيب شديد بالقرآن الناطق بذلك لكن لانهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون مانطق به قرآناً من عند الله تعالى مع وضوح أمره ، وظهور حاله بالبينات الباهرة .

وإضراب عن إنتفاع المشركين بهذه العبر والمثلات والمواعظ والحجج البالغة من حيث الاثار التى يقصها الله جل وعلا من أخبار القرون الاولى ، وما أخذ به أهل البغى والضلال ، والسفه والعناد ، والكبر واللجاج ،فالذين كفروا فى تكذيب أى هكذا شأنهم دائماً هم فى سلسلة لاتنقطع من التكذيب لكلما يسمعون من آيات

الله دون أن يصغوا إلى مايسمعونه أو يعقلوه فالتكذيب بآيات الله جل وعلا و برسله و أنبيائه عليهم السلام هو الظرف الذى يحتويهم فى كل زمان ومكان .

فلا يرجى منهم الايمان بهذه الآيات البينات ، فانهم ماداموا الكفر والطغيان مصرّون على تكذيبهم ، ولاينتفعون بموعظة أوحجة، فانمن طبيعة الكفر والعناد هو التكذيب للحق .

٢٠ - (والله من ورائهم محيط)

تمثيل لغاية إقتداره جل وعلاعليهم ، وانهم فى قبضة حكمه ونفوذ قدرته و سلطانه لايفوتونه كالمحاصر المحاط إذا احيط به من ورائه، فانسدّت عليه المسالك كلها بحيث لايجد لنفسه مهرباً ، فلايمكنه الفوات ولايتمكن من الفرار ، فهم غير معجزين لله تعالى ، فانه محيط بهم، قادر عليهم من كل جهة ، فلا نجاة لهم من بأس الله عزوجل .

وفى الآية الكريمة تهديد شديد للطغاة الفجرة، والبغاة الظلمة ، والكفار المستكبرة وأذنابهم المستبدة كقوله تعالى : «ان ربك لبالمرصاد» بأن الله عزوجل محيط بهم ، وهم فى غفلة عن هذا ، ولذلك يصرّون فى إستكبارهم و كفرهم ، فى إستبدادهم وعنادهم، وفى طغيانهم وتكذيبهم بالحق، فهم سيؤخذون دون أن يشعروا لانهم غافلون عن علم الله تعالى بهم، وعن إحاطته بهم وقدرته عليهم ، ذاهلون عن عقابه الراصد لهم ولاعاصم لهم منه .

وقيل : إن الآية الكريمة تعليل لكونه جل وعلا شاهداً على الجميع فى قوله «والله على كل شيء شهيد» وان فى قوله تعالى: «من ورائهم» تلويحاً إلى أنهم اتخذوا الله عزوجل وراءهم ظهرياً ، وهذا مبنىّ على أخذ وراء بمعنى خلف .

وفيها أيضاً تطييب وتسلية لنفس النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بانهم فى قبضتنا لا يستطيعون الفرار إذا أردنا بهم فلا تجزع من تكذيبهم و إستمرارهم فى الكفر و الطغيان ، و العناد واللجاج ، فلن يفوتونى إذا أردت الانتقام منهم .

وفيها من غاية البلاغة ونهاية الفصاحة مالا يخفى على أهلها فتد برجيداً أو اغتنم جداً .

٢١- (بل هو قرآن مجيد)

إضراب عن إضراب المشركين عن هذا الوحي السماوي ، و إضراب عن إصرارهم على التكذيب به ، وردّ لكفرهم وإبطال لتكذيبهم ، و تحقيق للحق .

وذلك ان المشركين المكذبين، وإن لم ينتفعوا بمافى هذا القرآن الكريم ، ولابشىء من نوره السماوى الذى يملأ الآفاق ، فهو قرآن مجيد : عالى القدر ، رفيع الشأن ، متناه فى الشرف والعظمة ، صاحب الجلال و المنزلة ، و واسع الكرم والبركة . . . لاينال منه هذا النباح ، ولا يصل إلى سمائه هذا العواء من المشركين الضالين و الكافرين المستكبرين ، و الفاجرين المستبدين ، و هو بيان مابالناس إليه الحاجة من أحكام الدين والدنيا ، ما فيه سعادتهم و كمالهم ، عزتهم وسيادتهم ، شرفهم وصلاحهم ، وأمنهم ونجاتهم ... لا كما زعم المشركون و المكذبون .

ان هذا الكتاب السماوى مجيد كما الله جل وعلا مجيد، وماورد فى القرآن الكريم وصف المجد إلاّ لله تعالى ولكتابه هذا بعدالله تعالى : « ذوالعرش المجيد - قرآن مجيد » البروج : ١٥ - ٢١)

وقدجاءت صفة المجد فى القرآن الكريم أربع مرات : ثنتان منها فى هذه السورة و ثالثتها فى سورة ق : ١) و رابعتها فى سورة هود : ٧٣)

ومن لطيف البيان ان الله عزوجل سوّى بين مجده ومجد كتابه فى الاصل و فى العدد مرتين مرتين إذ قال : « انه حميد مجيد » هود : ٧٣) وقال : « ق و القرآن المجيد » ق : ١) وقال : « ذوالعرش المجيد - قرآن مجيد » البروج: ١٥-٢١)

وفى الآية الكريمة تنويه بالقرآن الكريم على طريق تو كيد صلة الله تعالى

به ، وتوكيد مااحتواه من نذر ووعيد للطغاة المتمردين ، فهو كتاب الله المجيد الذى لايمكن أن يطرأ عليه تبديل ولا تغيير لان الله عزوجل حافظ له فى لوحه ، وردٌ على تمادى المكذبين فى تكذيب القرآن ، وإدعائهم انه أساطير الاولين.

٢٢- (فى لوح محفوظ)

وصف خارجى للقرآن الكريم بعد ذكر وصف داخلى و نفسى له بأنه محفوظ فى لوح محفوظ عندالله عزوجل لايمسّه إلاّ المتطهرون، ولايصافح نوره إلاّ من طهرت أنفسهم من دنس الكفر و العصيان ، ومن رجس الضلال و الطغيان .

وفيه وعد بحفظ القرآن الكريم عن الكذب و الباطل ، ووقايته عن مس الشياطين و يد التغيير و التحريف لان الله تعالى حافظ له فى لوحه ، و فيه من التأكيد فى حفظ القرآن المجيد مالايخفى أى ان هذا الوحى السماوى محفوظ فى محفوظ فالقرآن الكريم محفوظ فى محفوظ .

وفى الآيتين تسلية للنبى ﷺ بوجه آخر ، وهو ان هذاالقرآن الذى كذبوابه هو شريف الرتبة فى نظمه ومعانيه ، و فى اسلوبه ومبانيه ... حتى بلغ حدّ الاعجاز ، وهو مصون عن التغيير والتحريف ، فلاتحزن فانا له لحافظون .



﴿الاعجاز﴾

ومن البديهى انه من وجوه اعجاز هذا الوحى السماوى: القرآن المجيد هو حسن الأداء ونعنى بحسن الأداء : النظم الذى نظمت فيه المعانى القرآنية، و المعارف العالية ، و الحكم الالهية . . . على هذا الاسلوب الذى عرف به القرآن الكريم لامثيل له فى كلام الجن والانس . . .

فانظر فى حسن الأداء إلى هذه السورة ـ أعنى سورة البروج ـ: « والسماء ذات البروج ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود ، قتل أصحاب الاخدود، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ـ بالله العزيز الحميد ـ والله على كل شىء شهيد ـ يبدىء ويعيد ـ الغفور الودود ، ذو العرش المجيد فعال لما يريد ـ حديث الجنود ، فرعون وثمود ـ قرآن مجيد . . . »

فالصدق الذى بنى عليه هذا الوحى السماوى كله ، وهذه السورة خاصة... لفظة لفظة وآية آية . . . و علوّ الجهة التى جائت بها هذه الالفاظ والايات محملة بالصدق ـ هذا الصدق ، و علوّ جهته قد جائت فى أروع صورة من صور الأداء، وفى أكمل وضع من أوضاع نظم الكلام على وجه لم تعرفه العرب ، ولم تتعامل به شعراً أو نثراً . . .

وإنما القرآن الكريم قد جاء منفرداً بنظمه بهذا الاسلوب الفريد العجيب من النظم . . . إذ كانت العرب تعرف الشعر الموزون المقفىّ ، و تعرف النثر المرسل كما تعرف النثر المسجوع ـ طبعاً لاتكلفاً ـ فى خطب الخطباء

ومحاورة الحكماء ، أو متكلفاً فى سجع العرافين والكهان . . ولكنها لم تعرف هذا الاسلوب الذى يأخذ فيه الكلام هذه الصورة التى يقيم منه آيات تختم فيه كل آية بفاصلة ذات نغم ورنين، فيجد الصدر لذلك راحة عند الوقوف على الفاصلة كما تجد النفس إسترواحاً لهذا النغم المرجّع منها . .

ولأن النظم القرآنى هو الصورة المحسوسة التى يبدو فيها القرآن المجيد بهذا الوضع بين صور الأداء القولى ، و لأن هذا النظم كان أبين وجه من وجوه الاعجاز فى نظر الباحثين عن إعجاز هذا الوحىْ السماوى ، فلنا وقفة عند هذا الوجه . . لنرى ما فى هذا النظم من عجائب وروائع وأسرار . . .

والنظم القرآنى ماذا يقال فيه ، وقد نظمته قدرة القادر ، وأبدعته حكمة الحكيم الخبير ؟ فأىّ نظر يحيط به ؟ و أىّ قول يحمل مايبلغ النظر منه ؟ إن أقرب شىء الى الحق والخير معاً من أمر هذا النظم هو إدامة النظر فيه ، و شغل العقل به ، وتوجه القلب إليه والتفكر والتأمل و التدبر فيه ، ثم الامساك بتلك المشاعر والأحاسيس التى تقع للنفس فى هذا الوقف ، ثم تنطوى عليها النفس لتعيش بها فى أعماقها فى صمت خاشع، وجلال ساج ساكن أشبه بسكون العافية فى الجسم السليم ، وسجوّ العين مع جلال الخيال العبقرى ، فاذا كان لابد من قول يقال فى نظم القرآن المجيد ، فانما هو وصف للحال ، وليس بياناً للمقام .

فقد جلّ المقام عن أن يحيط به وصف واصف، أو يؤدّيه كلام متكلم، أو يفصح عنه بيان فصيح ، أو ينال به بلاغة بليغ ! ! ! و أول ما يبدوا فى نظم هذا الوحى السماوى هو تلك الصورة الفريدة التى جاء عليها فى بناء كيانه ، وفى رسم صورته ، وتلوينها وتحديد معالمها . . .

فالكلام كما عهدته العرب: شعر ونثر، وماهو بين الشعر والنثر وهو السجع، ولو كان لانسان عربى يجيىء إلى العرب فى صورة عالم أو حكيم أو متكلم أو مشرّع لما جاء علمه أو حكمته او كلامه أو تشريعه إلاّ فى ثوب من هذه الأثواب ، و

إلاّ فى صورة من تلك الصور الكلامية المعهودة عندهم ! وإلاّ لكان ما يأتى به على غير هذا المألوف عندهم ، و المتعامل به فى محيطهم حدثاً عجباً يشغبون عليه أو يصمّون آذانهم عنه .

ولكن القرآن المجيد جاء فى ثوب غير تلك الأثواب فى صورة غير تلك الصور... جاء نسيج وحده ، وصورة ذاته لا تشبه غيره ولا يشبهه غيرها لا نظير له ولا مثيل !

. . فلا هو شعر ، ولا هو نثر ، و لا هو سجع ، و إنما هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ ، محفوظ فى محفوظ .

فالآية هى الوحدة التى بنى منها هذا القرآن المجيد . . .وهى ليست بيت شعر ، ولا جملة نثر ، ولا مقطع سجع ... و كل آية لها مقطع تنتهى به . . . هو الفاصلة وليست هذه الفاصلة قافية شعر ، ولا حرف سجع ،وإنما هى شاهد قرآنى لا يوجد إلاّ فيه ولا يمتدل فى كلام غيره .

هذا هو الوجه الظاهر فى نظم هذا الوحى السماوى ، و تلك هى الظاهرة الملموسة فيه . . .

نظم قد فصّل فى آيات ، و آيات قد ختمت بفواصل . . .

والنظر فى هذا النظم ، و فى حسن الأداء يقتضينا أن ننظر فيه فى أكثر من وجه: فى كلمات الآية . . كلمة كلمة . .

لم اختيرت هذه الكلمة دون غيرها من مرادفاتها و مثيلاتها مما يؤدّى معناها ؟ و لم اخذت الكلمة مكانها هذا الذى أخذته فى الآية . . . فتقدمت أو تأخرّت؟ وماذا لو تبادلت الكلمات إمكانها فى الاية فتقدم المتأخر و تأخر المتقدم؟؟؟

﴿التكرار﴾

سورتان يشتمل كل واحد منهما على ثنتين و عشرين آية : إحداهما - سورة المجادلة وثانيهما - سورة البروج.

و نحن نشيرفى المقام إلى صيغ عشرة لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة - الصيغ التى جاءت فى هذه السورة ، وفى غيرها من السور القرآنية :

١- جاءت كلمة (البروج) على صيغها فى القرآن الكريم نحو : سبع مرات:
١- سورة البروج : ١) ٢- سورة النساء : ٧٨) ٣- سورة الحجر : ١٦)
٤- سورة الفرقان: ٦١) ٥و٦- سورة الاحزاب : ٣٣) ٧- سورة النور : ٦٠) .

٢- « « (النقم) « « « :١٧مرة

٣- « « (الحرق) « « « : تسع مرات:
١- سورة البقرة : ٢٦٦) ٢- سورة البروج : ١٠) ٣- سورة آل عمران : ١٨١) ٤- سورة الأنفال : ٥٠) ٥ و ٦- سورة الحج : ٩و ٢٢) ٧- سورة الانبياء : ٦٨) ٨- سورة العنكبوت : ٢٤) ٩- سورةطه : ٩٧)

٤- « « (الفوز) « « « : ٢٩ مرة :

٥- « « (العرش) « « « : ٣٣ « :

٦- « « (المجيد) « « « : أربع مرات:
١و٢- سورة البروج : ١٥- ٢١) ٣- سورة ق : ١) ٤- سورةهود : ٧٣)

٧- » » (الوراء) » » » : ٢٤ مرة :

٨- » » (البطش) » » »: عشر مرات:

٩- » » (الاحاطة) » » » : ٢٨ مرة :

١٠- » » (اللـوح) » » »: ست مرات:

١- سورة البروج : ٢٢) ٢- ٣- سورة الاعراف : ١٤٥و ١٥٠ و١٥٤) ٥- سورة القمر : ١٣) ٦- سورة المدثر : ٢٩)



﴿ التناسب ﴾

واعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث .

احدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

اما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة «الشمس» فما بين الشمس و البروج نفسا هما مالا يخفى من التناسب كما أن بين مافي سورة «الشمس» من تسوية النفس وإلهامها فجورها وتقواها ، و بين ما في سورة «البروج» من قسمي النفس : النفس الفاجرة وخيبتها لفتنها ودسيستها ، والنفس المؤمنة التقية وفلاحها لتزكيتها واستقامتها مالا يخفى على القارئ الخبير فتأمل جيداً و اغتنم جداً .

وأما الثانية: فمناسبة هذه السورة لسورة «الانشقاق» فبامور :

احدها ـ انه لما اشير في سورة «الانشقاق» إلى مصائر الانسان يوم القيامة اما ساع في حياته الدنيا فيلاقيه يومئذ ، فيؤتى كتابه بيده ويحاسب به إما بيمينه إن كان مؤمناً ، و إما بيساره ان كان كافراً ، اشير في سورة «البروج» إلى هذا اليوم الموعود و مآل أمر الفريقين مع حملة شديدة على الكفار و أذنابهم من طواغيت الازمان . . . لاضطهادهم ضعاف المؤمنين والمؤمنات ، وفتنتهم إياهم عن الحق والهدى ، إنذارهم وتهديدهم بنار جهنم المحرقة اذا لم يكفوا ، و لم

يتوبوا ، وتذكير هم بمصائر البغاة الماضية كأصحاب الاخدود وفرعون و ثمود ، وإنذارهم بنقمة الله جل وعلا المحيط بهم ، وبشرى للمؤمنات بالجنة ونعيمها.

ثانيها ان هذه السورة إبتدأت بالحلف بالسماء كالسورة السابقة .

ثالثها - ان هذه السورة معرض من معارض يوم القيامة ، فكان سياقها مع ما قبلها سياق الجزء من الكل .

رابعها - لما ختمت سورة « الانشقاق » بذكر المؤمنين ، اشير فى هذه السورة إلى المؤمنين والمؤمنات الذين عذبوا بأيدى أصحاب الاخدود واستقاموا ولم يرجعوا عن عقيدتهم الحقة ، فلهم فيهم اسوة حسنة .

خامسها - انه لما ذكر فى سورة « الانشقاق » تكذيب الكفرة الفجرة بالقرآن الكريم وصف هذا الوحى السماوى المحفوظ فى اللوح المحفوظ عند الله جل و علا بأنه القول الفصل رداً على هؤلاء المكذبين .

سادسها - لما اشير فى ختام السورة السابقة إلى تكذيب مكذبى هذه الامة بما جاء هم النبى الخاتم ﷺ سلّى الله عزوجل نبيه ﷺ فى هذه السورة فكأنه قال له ﷺ : لاتحزن من تكذيب قومك وايذائهم اياك ومن تبعك لان سائر الامم السالفة كانوا كذلك كأصحاب الاخدود و كفرعون و ثمود . وغيرها من التناسب فعلى القارى الخبير التأمل .

وأما الثالثة - فان الله تعالى لما أقسم بامور ثلاثة: ماهو ظاهر مشاهد فى مرأى العين من البروج لما فيها من عجائب الصنعة ، و ما هو غيب صرف يقع فيه حوادث البعث وهو اليوم الموعود ، وماهو شاهد ومشهود ، أخذ بما هو دال على جواب القسم ، و هو الدعاء على أصحاب الاخدود بالقتل مع بيان أحوالهم وقساوة قلوبهم ، وتمكن الكفر والطغيان منهم ، وسبب إيذائهم وتعذيب المؤمنين بالله الذى هو وحده يستحق أن يؤمن به عباده فى قوله جل وعلا : « و السماء ذات البروج - والله على كل شىء شهيد » : ١-٩)

وقد حكى الله تعالى قصة أصحاب الاخدود تمهيداً لما يأتى من حملة شديدة على الكفار والمشركين لان فيها إشارة إلى حادث مما ثل أخذت بالحملة عليهم إذ هم الذين كانوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات ، وتهديد هم بنار جهنم المحرقة مالم يتوبوا وبيشرى للمؤمنين بجنات ونعيمها ، وليكون تثبيتاً لقلوب المؤمنين ووعداً لعباده الصالحين ، و حملاً لهم على الصبر والمجاهدة فى سبيله ، و وعيداً للكافرين ، وانه سيحل بهم مثل ماحل بمن قبلهم .

ثم دعا المفتنين إلى الايمان تلويحاً ، و أنذرهم بالعذاب إذا تركوا ، ثم أخذ بذكر مآل أمر المؤمنين بشرى لهم ، وتحريصاً لغيرهم على الايمان بقوله: « ان الذين فتنوا المؤمنين - الفوز الكبير » : ١٠ - ١١)

ان الله تعالى لما ذكر الوعد الجميل للمؤمنين الصالحين ، والوعيد الشديد على الكفار المستكبرين أخذ بذكر ما يؤكد به الوعيد فى قوله : « ان بطش ربك لشديد - فرعود وثمود » : ١٢ - ١٨)

ان الله جل وعلا لما أشار إلى قصة أصحاب الاخدود وبيّن سوء أحوالهم ، ووصف ما كان من ايذائهم المؤمنين والمؤمنات لايمانهم بالله عزوجل ليرجعوا عن دينهم ، وأشار إلى حديث طاغية مصر فرعون وثمود اجمالاً أخذ بذكر حال الكفار وطواغيت الازمنة فى كل وقت ومكان بأن طبيعة الكفار والاذناب هى تكذيب الحق والهدى على طريق الاضراب عما تقدم من الموعظة و الحجة من حيث الأثر على أن لاينبغى أن يرجى منهم الايمان بهذه الايات البينات ، فانهم مصرّون على الكفر والطغيان ، والتكذيب والعصيان ، فلا ينتفعون بموعظة ، و لايقفون عند حجة ، فقال : « بل الذين كفروا فى تكذيب » : ١٩)

ثم أخذ بتهديدهم فقال : « والله من ورائهم محيط » : ٢٠)

ثم بالاضراب عن إصرارهم على تكذيب هذا الوحى السماوى: القرآن المجيد، والوعد بحفظ ما كانو يكذبون به رغماً عليهم فقال : « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » : ٢١ - ٢٢) .

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً أو متشابهاً ، فآيها محكمات والله عز وجل هو أعلم .



﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١ـ (والسماء ذات البروج)

فى « السماء» قولان: أحدهما ـ اريد بالسماء سماء الدنيا . ثانيهما ـ اريد بهاالجنس فتشمل للسموات كلها .

اقول : و الاول هو المؤيد بالسياق إذلو اريد بها الجمع لقيل : ذوات البروج .

وفى « البروج » أقوال : ١ـ عن الحسن و قتادة ومجاهد و الضحاك و إبن عباس و السدى و إبن نجيح : أى ذات النجوم ، فنجوم السماء : بروجها .

قيل : هى النجوم العظام . وقيل : أى ذات الكواكب العظيمة التى لم يقدر لها احصاء ولاعدّ منها مالايصل ضوؤه إلينا إلاّ بعد ملايين سنة ، و فائدتها انها تضيىء ماتحتها القريب منها .

إن قلت : ان بعض الكواكب لم تصل إلينا ضوؤه بعد ، و لايصل إلاّ بعد ملايين سنة فما فائدته ؟ قيل : ليس العالم مختصاً بكرتنا الأرضية حتى تنحصر فائدته بأهل الارض .

وقيل : هى الكواكب إثنى عشر برجاً: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب و القوس و الجدى و الدلو و الحوت و هى منازل الكواكب السبعة السيارة : المريخ ، و له الحمل و العقرب ، و الزهرة و لهاالثور والميزان ، و عطارد وله الجوزاء والسنبلة ، و القمر وله السر طان ، و

الشمس و لها الأسد . و المشترى و له القوس ، و الحوت ، و زحل و له الجدى والدلو .

٢- عن إبن عباس ومجاهد أيضاً وعكرمة : البروج هي القصود في السماء . و عن مجاهد : البروج في السماء : الحرس . والبروج في كلام العرب : القصور قال الله تعالى :« ولو كنتم في بروج مشيّدة » ٣- عن المنهال بن عمرو : أي ذات الخلق -بفتح الخاء ثم السكون - الحسن .

٤- عن أبي عبيدة و يحيي بن سلام : ذات البروج أي ذات المنازل العالية التي تنتقل بها الكواكب . وهي إثني عشر برجاً وهي منازل الكواكب السيارة و الشمس والقمر .

فلكل منها بروج ومنازل يسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم، وذلك ثمانية وعشرون يوماً ثم يستتر ليلتين ، و تسير الشمس في كل برج منها شهراً ، و البروج هي : الحمل والثور و الجوزاء والسرطان و الأسد والسنبلة و الميزان و العقرب و القوس و الجدى و الدلو و الحوت . و سميت بروجاً لظهورها.

فبروج السماء هي المنازل التي تنزل فيها الكواكب والنجوم في مداراتها وبروج الشمس هي منازلها في حركتها على السنة ، وهي إثناعشر برجاً : منها ستة شمال خط الاستواء ، وستة في جنوبه ، وقد رصد الفلكيون قديماً و حديثاً هذه المنازل وسمّوها بأسمائها .

٥- عن سفيان بن حسين : ذات البروج : أي ذات الرمل و الماء . ٦- قيل : البروج هي أبواب السماء. ٧- قيل : أي أبواب السماء حين إنشقاق السماء و إنفطارها وبطلان بروجها .

٨- قيل: البروج : جمع برج وهو في الأصل بمعنى الأمر الظاهر ، ويغلب إستعماله في القصر العالي أو الحصن لظهورهما على الناظرين ،ويسمي البناء المعمول

على سور البلد للدفاع برجاً ، وهو المراد فى الآية الكريمة لقوله جل و علا : «و لقدجعلنا فى السماء بروجاً وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم » الحجر : ١٨)

فالمراد بالبروج مواضع الكواكب من السماء ففى الآية الكريمة إقسام بالسماء المحفوظة بالبروج

٩ـ قيل : البروج هى : القصور العالية المتبرجة بالزينة ، سواء كانت فى السماء التى عمّرها الله جل و علا أو الانسان لقول الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: « هذه النجوم التى فى السماء مدائن مثل التى فى الارض مربوطة كل مدينة إلى عمودين من نور طول ذلك العمود فى السماء مسيرة مأتين و خمسين سنة »

فبروج السماء: قصور عالية من محصّنة جعلها الله تعالى فى السماء حفظاً عن مسترقى السمع من الشياطين وسكناً للملأ الاعلى :« لايسمعون إلى الملأ الاعلى و يقذفون من كل جانب » قصور هى حصون ومدرعات وقاذفات جوية تقذف مسترقى السمع من كل جانب :« دحوراً ولهم عذاب واصب إلاّ من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب »

اقول : و الرابع هو المروى من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

٢ـ (واليوم الموعود)

فى «اليوم الموعود» قولان: أحدهما ـ هو يوم القيامة لفصل القضاء الذى و عدهم الله تعالى به على ألسنة رسله للحساب والجزاء إما الثواب وإما العقاب ، إما النعمة وإما النقمة ، إما العزة وإما الذلة ، إما الجنة وإما النار ... ثانيهما ـ هو يوم الرجعة .

اقول: والاول هو المروى وعليه جمهور المفسرين .

٣ـ (وشاهد ومشهود)

وقد إنتهت الاقوال في «شاهد ومشهود» إلى نحو ستين قولاً نشير إلى ما يسعه المقام :

١- عن إبن عباس وإبن عمر والحسن وإبن زيد وسعيد بن المسيب وقتادة : شاهد هو : يوم الجمعة لانه يشهد على الاعمال ، و يشهد على كل عامل بما عمل فيه ، وان يوم الجمعة هو سيد الأيام ، ومشهود هو : يوم عرفة لانه يوم يشهده الناس والملائكة الذين تنزلون فيه بالرحمة على الحجاج .

٢- عن ابن عمر أيضاً و إبن الزبير : الشاهد هو : يوم الأضحى ، و المشهود هو : يوم عرفة . ٣- قيل : الشاهد يوم عرفة ، و المشهود يوم القيامة .

٤- عن سعيد بن المسيب أيضاً : الشاهد يوم التروية ، و المشهود يوم عرفة لان الملائكة تشهده وتنزل فيه بالرحمة ، و كذا يوم النحر و يشهد فيه الناس موسم الحج .

٥- عن إبراهيم النخعي : الشاهد : يوم عرفة ، و المشهود يوم النحر . ٦- عن إبن عباس والحسن و سعيد بن المسيب أيضاً و سعيد بن جبير : الشاهد هو الله تعالى لقوله : « و كفى بالله شهيداً » وقوله : « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم » والمشهود يوم القيامة ٧- قيل : الشاهد هو الله جل وعلا الذي يشهد على جميع ما خلقه لقوله : « ان الله على كل شيء شهيد » و المشهود كل شيء من جميع خلقه .

٨- عن إبن عباس أيضاً وعكرمة : الشاهد هو محمد ﷺ لقوله تعالى : « فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » وقوله : « ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » وقوله : « ويكون الرسول عليكم شهيداً » والمشهود يوم القيامة .

٩- قيل: الشاهد الانبياء الذين يشهدون على اممهم لقوله جل وعلا: «فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد» ١٠- قيل: الشاهد هو آدم عليه السلام والمشهود ذريته. وقيل: امته.

١١- قيل: الشاهد هو عيسى بن مريم لقوله تعالى: «و كنت عليهم شهيداً مادمت فيهم» والمشهود امته.

١٢- عن إبن عباس أيضاً ومحمد بن كعب: الشاهد الانسان لقوله تعالى: «كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» والمشهود هو الكتاب ومافيه من الاعمال: خيرها وشرّها: صغيرها و كبيرها ...

١٣- عن مقاتل وعطاء الخراساني: الشاهد هو أعضاء الانسان لقوله تعالى: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» ١٤- عن الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الامة المسلمة، والمشهود سائر الامم كقوله جل وعلا: «و كذلك جعلنا كم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس» ١٥- قيل: الشاهد: حفظة الانسان من الملائكة، و المشهود بنو آدم. ١٦- قيل: الشاهد: الملائكة المتعاقبون لكتابة الاعمال، والمشهود قرآن الفجر.

١٧- قيل: الشاهد الليالى و الايام و المشهود مايعمله الانسان فيها.

وينشد للامام سبط المصطفى سيد الشهداء الحسين بن على عليهما السلام:

مضى أمسك الماضى شهيداً معدّلاً　　وخلّفت فى يوم عليك شهيد
فان أنت بالأمس إقترفت إساءة　　فقيّد باحسان و أنت حميد
و لاترج فعل الخير يوماً إلى غد　　لعلّ غداً يأتى و أنت فقيد

١٨- قيل: الشاهد هو المال، والمشهود صاحبه. ١٩- قيل: الشاهد: الارض والمشهود مايعمل عليها الانسان من الاعمال. ٢٠- قيل: الشاهد: الخلق لانهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية، و المشهود له بالتوحيد هو الله عز و جل أخذاً من

قول الاصوليين : انه إستدلال بالشاهد على الغائب . ٢١- عن أبى بكر العطار : الشاهد : الحجر الاسود لانه يشهد لمن امسه بصدق، وإخلاص ويقين ، والمشهود الحاج .

٢٢- قيل: الشاهد: الانبياء عليهم السلام، والمشهود محمد رسول الله الخاتم ﷺ لقوله تعالى :« وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ـ و أنا معكم من الشاهدين » ٢٣- عن مجاهد و عكرمة والضحاك : الشاهد : إبن آدم و المشهود : يوم القيامة .

٢٤- عن إبن عباس أيضاً : الشاهد : الانسان ، و المشهود : يوم الجمعة .

٢٥- قيل : الشاهد و المشهود : جميع ما خلق الله عزوجل في هذا العالم، فان كل ما خلقه شاهد على جليل قدرته، و كمال علمه و عظيم حكمته وغاية تدبيره ، وهو مشهود أيضاً لكل ذي عينين :

وفى كل شيء له آية　　تدل على أنه واحد.

٢٦- عن عكرمة أيضاً :الشاهد : الملك الذي يشهد على بني آدم، والمشهود: يوم القيامة لقوله تعالى : « وجائت كل نفس معها سائق وشهيد وذلك يوم مشهود»

٢٧- عن الجبائي : الشاهد : الذين يشهدون للناس و عليهم ، و المشهود الذين يشهدون عليهم ٢٨- قيل: الشاهد: الله جل وعلا، والمشهود : لا إله الا الله لقوله تعالى : « شهد الله انه لا إله إلا هو » .

٢٩- قيل: الشاهد الخلق، والمشهود: الحق، وإليه أشار الشاعر بقوله :

أيا عجباً كيف يعصى الاله　　أم كيف يجحده الجاحد

و لله فى كل تحريكة　　وفى كل تسكينة شاهد

٣٠- قيل : الشاهد : كل من يحضر يوم القيامة ، و المشهود كل ما فى ذلك اليوم من الاهوال والشدائد ، من الاحوال و العجائب ، من موقف الحساب والجزاء ، من الفزع والاحزان ، والفرح و السرور ، من وجوه مسودة ، و من

طيران صحائف الاعمال وعرض الكتب ، ومن الصراط وأصحاب الاعراف ، و من الجنة و النار ... و مالم يره أحد من قبل ، فالمشهود يوم القيامة و ما فيه لقوله تعالى : « واليوم الموعود » وقوله : « فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم » وقوله : « و إن كانت إلاّ صيحة واحدة فاذاهم جميع لدنيا محضرون »

٣١- قيل : الشاهد : يوم الاثنين ، والمشهود : أعمال العباد . ٣٢ - قيل: الشاهد : المقربون ، و المشهود : عليون لقوله تعالى : « كتاب مرقوم يشهده المقربون » ٣٣ - قيل : الشاهد : هو الطفل الذى قال لامه في قصة الاخدود : إقتحمى وارمينى فى النار واصبرى فانك على الحق ، والمشهود : الواقعة .

٣٤- قيل : الشاهد : هم أصحاب الاخدود إذ كانوا يشهدون على ايذاء المؤ منين وتعذيبهم حول الاخدود لقوله جل وعلا : « إذ هم عليها قعود و هم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود » .

٣٥ - قيل : الشاهد : الرائى للأشياء ، و المحسّ بها حيث يشهدها واقعة فى حواسّه ، والمشهود : ما يقع عليه الحسّ البصرى من عوالم المخلوقات فى الارض و السماء . ٣٦ - قيل : الشاهد : يوم القيامة والمشهود : ما يشاهد يومئذ من أعمال الناس وعقائدهم : صالحها وفاسدها ، وحقها وباطلها . . .

٣٧ - قيل : الشاهد : المؤمن الذى يشهد يوم القيامة على أعمال الكافر ، والمشهود : الكافر وأعماله لقوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » التوبة : ١٠٥)

٣٨- عن إبن عباس والضحاك ومجاهد وسعيد إبن المسيب وإبراهيم النخعى والثورى : الشاهد : الذين يحضرون يوم القيامة من الجن والانس والملائكة من الاولين والآخرين ، والمشهود : يوم القيامة لقوله تعالى : « من مشهد يوم عظيم ذلك يوم مجموع له الناس » .

٣٩- عن عكرمة أيضاً : الشاهد : محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و المشهود يوم الجمعة .

٤٠- عن إبن عباس ومجاهد والضحاك أيضاً : الشاهد : الانسان، والمشهود يوم القيامة .

٤١- عن عطاء:الشاهد : حفظة الانسان ، والمشهود بنو آدم لقوله تعالى : « إن عليكم لحافظين » وقوله : « له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله » .

٤٢- : قيل : الشاهد : هو الله جل وعلا ، والمشهود : الخلائق كلهم لقوله تعالى : «أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد» ٤٣ - قيل :الشاهد: النجوم، والمشهود الليل . ٤٤ - قيل : الشاهد : الشمس ، والمشهود : النهار .

٤٥- قيل :الشاهد:من شهدعلى يوم غدير خم،والمشهود:الامام علي بن أبيطالب عليه السلام . ٤٦ - قيل : الشاهد : هذا القرآن الكريم ، والمشهود: الأمة الاسلامية، يشهد عليهم يوم القيامة بالكفر و الايمان ، و الاخلاص والطغيان ، و بالفلاح و الخسران . . .

٤٧- قيل : الشاهد والمشهود . بمعنى واحد، وهو المعاينة بالحضور ، على أنها لو كانت بمعنى تأدية الشهادة لكان حق التعبير : « و مشهود عليه » لانها بهذا المعنى إنما تتعدى بـ « على » و على هذا يقبل « شاهد » الانطباق على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لشهادته على أعمال امته ثم يشهد عليها يوم القيامة ، ويقبل « مشهود » الانطباق على تعذيب الكفار لهؤلاء المؤمنين ، وما فعلوا بهم من الفتنة ، وإن شئت فقل : على جزائه ، و إن شئت فقل : على مايقع يوم القيامة من العقاب و الثواب لهؤلاء الظالمين والمظلومين .

٤٨- قيل : الشاهد والمشهود من الشهادة وهي الحضور مع المشاهدة بالبصر

أو بالبصيرة والشاهد هنايعم كافة الشهداء : الله جل و علا و ملائكته و كتبه و رسله ، و الانس والجن والاعضاء . . . لشمول تنكير « شاهد و مشهود » لكل من يشهد عليه على إختلاف الشاهد والمشهود عليه :من الاعيان والاعراض ،والاعمال والاقوال ، والاصوات والعقائد ، والايام الليالى ، و الازمنة والامكنة . . .

وغيرها من الاقوال التى لم أجدلها وجهاً ، ولالذكرها فائدة .

اقول : و التعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق ، و ماورد من الروايات الآتية فمن بيان بعض المصاديق فتأمل جيداً .

٢- (قتل أصحاب الاخدود)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس و مجاهد و الضحاك:أى لعن أصحاب الاخدود . وقال إبن عباس : كل شيء فى القرآن : « قتل » بمعنى لعن وطرد . فالاية الكريمة دعاء باللعن و الطرد على أصحاب الاخدود بسبب ذنوبهم وإيذائهم المؤمنين ، فنزل عليهم نكال الدنيا وعذاب الآخرة ، فاخذوا بذنوبهم و طغيانهم وقالوا:ان أصحاب الاخدود ناس من بنى إسرائيل من أهل نجران خدوا اخدوداً فى الارض - والاخدود - الشق العظيم المستطيل فى الارض كالخندق والجدول ومنه الخدّ لمجارى الدموع ، ويقال لأثر السيف والسكين فى الجلد ،وأثر السوط ونحوه : اخدود - ثم أو قدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الاخدود من أهل الا يمان رجالاً ونساء فعرضوا عليها ، فقالوا :تكفرون أو تقذفكم فى النار ، فاختار المؤمنون و المؤمنات الدخول فى النار ، فرموا فيها نقماً منهم لايمانهم فكان جرمهم هوايمانهم بالله تعالى .

٢- قيل : ان فى الكلام تقديماً وتأخيراً، والتقدير : قتل اصحاب الاخدود و السماء ذات البروج وأصحاب الاخدود هم قوم كانوا من أهل كتاب من بقايا المجوس،وهم قوم كافرون ذوو بأس وقوة فلما رأوا قوماً من المومنين، فغاظهم ايمانهم فحملوهم على الكفر ،فلما أبوا عن ذلك شقوا لهم شقاً فى الارض،وحشوه بالنار و ألقوهم فيه و كان هؤلاء الغلاظ الاكباد على جوانب الشق يشهدون إحتراق المؤمنين و

والمؤمنات بالنار ، فلعنوا بتحريقهم إياهم فى الحياة الدنيا قبل الآخرة .

٣- قيل : هذا خبرعن قوم من الكفار عمدوا إلى من عند هم من المؤمنين بالله جل وعلا فقهر وهم وأراد و هم أن يرجعوا عن دينهم ، فأبوا عليهم فحفروا لهم فى الارض اخدوداً وأججوا فيه ناراً ، وأعدّوا لها وقوداً يسعرونها به ثم أراد وهم ، فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها .

٤ - عن الربيع بن أنس : ان الآية الكريمة إخبار عن المؤمنين الذين عذبوا بالنار فى الاخدود . والمعنى : انهم قتلوا بالاحراق فى النار ذكر هم الله تعالى و أثنى عليهم بحسن بصيرتهم و صبرهم على دينهم حتى احرقوا بالنار لا يعطون التقية بالرجوع عن الايمان . فليس « قتل » للدعاء فى شيء . فأصحاب الاخدود هم المؤمنون و المؤمنات الذين احرقوا فيه ، و قوله : « قتل » إخبار عن قتلهم بالاحراق ، وليس من الدعاء فى شيء .

اقول : و هذا ضعيف لرجوع الضمائر فى قوله تعالى: «إذهم عليها - هم على ما يفعلون -وما نقموا » إلى أصحاب الاخدود بلاخلاف .

وقال الربيع : كان أصحاب الاخدودقوماً مؤمنين اعتزلواالناس فى الفترة وإن جباراً من عبدة الاوثان ارسل إليهم ، فعرض عليهم الدخول فى دينه ،فأبوا فخدّوا اخدوداً ، وأوقدوافيه ناراً ثم خيّر همبين الدخولفى الكفر وبين رميهم فى النار ، فاختاروا النارعلى الرجوع عن دينهم ،فالقوافيها، فنجى الله جلوعلا المؤمنين من الحريق بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسّهم النار ، و خرجت النار إلى من على شفير الاخدود من الكفار فأحرقتهم فذلك قول الله : « فلهم عذاب جهنم»فى الآخرة «ولهم عذاب الحريق » فى الدنيا .

ولكن شتان بين النارين فى الشدة و المدة والحرافة ، فان حريق الدنيا بناريوقدها الخلق العاجز ، و حريق الآخرة بنار يوقدها الخالق القادر ، و ان حريق النار الدنياوية ينتهى بعد لحظات ، وحريق النارالاخروية يدوم لايطفىء

، وان حريق الدنيا لرضا المؤمنين وإنتصارهم ، وحريق الآخرة بغضب الله جل وعلا.

٥- قيل : ان الله تعالى أقسم بهذه الاشياء : ان كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الاخدود لان السورة نزلت لتثبيت المؤمنين والمؤمنات وتصبيرهم على أذى مشركي مكة و تذكيرهم بما جرى على من قبلهم من التعذيب على الايمان حتى يقتدوا بهم ويصبروا على أذى قومهم ، ويعلموا أن كفارهم أحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش أى لعنوا كما قتل أصحاب الاخدود . وقيل: أى لعن الذين عذبوا الصحابة كبلال وخباب وعمار كما لعن أصحاب الاخدود . ٦- قيل: ان أصحاب الاخدود هم الجبابرة الذين أوقدوا النار في الاخدود لا المؤمنون الذين أحرقوا فيها لأن أصحاب الاخدود - حسب النص - قتلوا والمؤمنون أحرقوا، ولا يعبّر عن الحرق بالقتل ، و إن كان هو أيضاً قتلاً ولكنه بالحرق كما أن المقتول بالصلب يقال عنه : مصلوب لامقتول : « و ماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم »

٧- قيل : انه إخبار عن قتل أرواحهم و ضمائرهم لما أقدموا على إحراق المؤمنين فهم قتلوا إذا قتلوا رغم حياتهم فى الجسد قتلوا ضمائرهم قبل أن يقتلوا المؤمنين فالضمائر الانسانية الحية والارواح الطاهرة لا تسمح لأصحابها ، هكذا قساوة و ضراوة أن يلقوا المؤمنين و المؤمنات - بأطفالهم و ضعفائهم - فى النار و هم قريبون من علمية التعذيب البشعة يشاهدون أطوارها ، وفعلة النار فى هذه الاجسام الطاهرة ، و هم فى لذة وسعار ، فهذا إخبار بقتلهم و ليس بدعاء ، فانه لا يليق بساحة الربوبية إخبار عن ما فيهم يوم الدنيا ، و عن مستقبلهم يوم الدين كيف يلاقون جزائهم الوفاق يوم التلاق .

اقول : والاول هو المروى ، وعليه جمهور المفسرين ، و هذا غير بعيد من اليهود العنيد لعنهم الله فى الدنيا والآخرة ، و لقد رأينا جنايتهم فى زماننا هذا بسنين عديدة ، وخاصة - سنة ١٤٠٣هـ ق - كيف أحرقت اليهود صهيونسيمية الغاصبة الباغية الطاغية ، مسلمى فلسطين فى حصونهم مجتمعين ، و قتلوا صغارهم و كبارهم ، ورجالهم ونسائهم فى دورهم متفرقين . . . اللهم العنهم لعناً و بيلاً

واخذلهم بقهرك وغضبك .

٦- (اذهم عليهم قعود)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس : أى حالكون هؤلاء الكفار الجبابرة جالسين على الكراسى فى حافات الاخدود ، مشارف على النار الموقدة ليعذبوا المؤمنين و المؤمنات و يحرقوهم . عن مقاتل : انهم كانوا قاعدين فى أطراف النار، فيعرضون المؤمنين إما على العذاب، إما على الكفر. وقيل: انهم كانوا يشهدون المؤمنين الذين كانوا هم بالنار يحرقون ، و يلتذون بذلك العمل .

٢- عن قتادة : أى حالكون المومنين قاعدين على النار . وهذا بناء على أن أصحاب الاخدود هم المؤمنون . وقيل : هم طرحوا عليها . و قيل : أى قعدوا حوالى الاخدود للاحراق وذلك انهم كانوا يعرضون المؤمنين على النار ،فكل من ترك دينه تركوه ومن صبر على دينه ألقوه فى النار . ٣- عن مجاهد : أى انهم كانوا قعوداً على الكراسى عند الاخدود .

اقول : و الاول هو الانسب بظاهر السياق .

٧- (و هم على مايفعلون بالمؤمنين)

فى « شهود » أقوال : ١- قيل : أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان أحداً منهم لم يفرط فيما امربه ، و فوّض إليه من التعذيب . ٢- قيل : أى ان الملك و أصحابه الذى خدّوا الاخدود من عرضهم على النار وارادتهم أن يرجعوا إلى دينهم حضور .

و عن أبى مسلم : انهم كانوا طائفتين : طائفة تعذّب المؤمنين ، و طائفة تشاهد الحال ، وهم قاعدون و كانوا راضين بفعل هؤلاء المعذبين ، و كانت الطائفة القاعدة مؤمنة ، ولم ينكروا على الكفار صنيعهم ، فلعنهم الله جميعاً ، فهم كل حاضرون على ما شاهدوه إما بسمع أو ببصر .

٣- قيل : أى تشهد عليهم جوارحهم يوم القيامة على صنيعهم هذا فى الحياة الدنيا .

٤- قيل : أى ان أصحاب الاخدود يشهدون تنفيذ حكمهم فى المؤمنين ويتشفون بما هم فيه من نار و عذاب .

اقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

٨- (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)

فى الاية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عباس: أى ما كره أصحاب الاخدود من الملك وأصحابه من اولئك المؤمنين إلاّ انهم آمنوا بالله جل وعلا ، فأحرقوهم لأجل ايمانهم . والنقم بفتحتين - : الكراهة الشديدة .

٢- عن مقاتل و زجاج : أى ما أنكروا عليهم ديناً ، و ما عابوا منهم شيئاً إلاايمانهم بمن يستحق أن يؤمنوا به ، ثباتهم وصبرهم عليه . ٣ - قيل أى وما كان لهم عندهم من ذنب يأخذونهم به الاّ ايمانهم بالله العزيز الذى لايضام لكل من لاذ بجنابه المنيع الحميد فى جميع أفعاله ،فكانوا يعاقبونهم على شىء ينبغى أحد أن يكون عليه ، ويدعو غيره إلى التمسك به ، فضلاً أن يعاقب عليه .

٤- قيل : أى وما سخطوا منهم إلاّ لايمانهم بالله عزوجل . ٥ - قيل : أى وما حقدوا عليهم إلاّ بسبب ايمانهم بالله تعالى . ٦- عن الجبائى :أى وما فعلوا بهم ذلك العذاب إلاّ بايمانهم .

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

١- (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)

فى قوله تعالى : « فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق » أقوال : ١- عن الربيع بن أنس والكلبى :وإبن عباس: أى فلهؤلاء أصحاب الأخدود خاصة و للكفار

والطغاة عامة عذاب جهنم فى الاخرة لكفرهم وطغيانهم، وعذاب الحريق فى الحياة الدنيا لاحراقهم المؤمنين بالنار بأن خرجت النار فأحرقتهم . و قيل : ان الله تعالى أنجى المؤمنين الملقين فى النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وإرتفعت النار من الاخدود فأحرقت أصحابها.

٢- قيل : أى ولهم عذاب الحريق فى الاخرة زائداً على عذاب كفرهم بما أحرقوا المؤمنن بالنار وآذوهم فى الحياة الدنيا .

٣ - قيل : أى لهم عذاب جهنم لكفرهم وعذاب الحريق فى الاخرة ، و الحريق : إسم من أسماء جهنم كالسعير . والنار دركات وأنواع ولها أسماء و كأنهم يعذبون بالزمهرير فى جهنم ثم يعذبون بعذاب الحريق ، فالاول عذاب بيردها، والثانى عذاب بحرّها .

اقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين وقريب منه الثالث .

١١ - (الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير)

فى « الفوز الكبير » أقوال : ١- قيل : أى نعيم كبير لهؤلاء المؤمنين الذين فتنهم هؤلاء الطواغيت فأجرهم كبير بالنسبة إلى غيرهم من المؤمنين الذين يدخلون الجنة لما فيه من الاجلال والاكرام والمدح و العظام ، و ليس ذلك لغيرهم من داخلى الجنة . ٢ - قيل: أى كبير بالنسبة إلى نعيم الذين يدخلون الجنة بالشفاعة ، إذ لهم إجلال واكرام ليس لمن يدخلها بها . ٣- قيل : أى كبير بذاته. ٤- قيل : أى الظفر بالخير مع السلامة هو النجاة الحقيقية والنجاح الكبير فى معارك الحياة . ٥- قيل : أى العظيم الذى لافوز يشبهه .

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

١٣ - (انه هو يبدىء ويعيد)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس : أن الله تعالى يبدىء البطش

والانتقام، و يعيده فيأخذ الكفار و الفجار بالعذاب فى الدنيا و الآخرة، فليس إمهاله إياهم لاهماله إياهم. ٢ ـ قيل: انه تعالى يبدىء البطش فى الحياة الدنيا، ويعيده فى حال الاحتضار. ٣ ـ قيل: انه جل وعلا يبدىء البطش فى ليلة القبر، ويعيده فى الآخرة. ٤ ـ قيل: انه تعالى يبدىء العذاب فى الآخرة ثم يعيده بعد ما فسد الانسان بالعذاب إلى حالته الاولى ثم يعذّبه لقوله جل وعلا: «ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب» النساء: ٥٦) عن إبن عباس أيضاً: أى ان أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فحماً ثم يعيدهم خلقاً جديداً، فذلك قوله: «هو يبدىء و يعيد».

٥ ـ عن الضحاك وإبن زيد: أى ان الله تعالى هو يبدىء الخلق، فيخلقهم فى الحياة الدنيا، وهو يعيدهم بعد الموت فى الآخرة للحساب والجزاء من غير دخل لأحد فى شىء منهما.

اقول: و الأخير هو الأنسب بظاهر السياق، وعليه جمهور المفسرين.

١٤ ـ (والغفور الودود)

فى «الودود» أقوال: ١ ـ عن إبن عباس ومجاهد: أى الحبيب وذو المحبة لمن تاب وآمن و أصلح. فهو جل و علا يحبّ أولياءه ويتودّد إليهم بالعفو عن صغير ذنوبهم.

والودود: لمن خلصت نفسه بالمحبة له. فهو كثير الود لمن وادّه و رسوله ﷺ كقوله تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم» آل عمران: ٣١)

٢ ـ عن إبن زيد: أى الرحيم. ٣ ـ قيل: أى يثيب الله تعالى أهل طاعته أتم الثواب. ٤ ـ عن القفال: الودود: الحليم. ٥ ـ قيل: الودود: فعول بمعنى المفعول أى المودود وذلك ان عباده الصالحين يحبونه لما عرفوا من فضله و كرمه، ولما اسبغ

عليهم من آلائه ونعمه .

٦- قيل : الودود أي يحبّ الخير لجميع الخلق بلا إستثناء . ٧- قيل : أي المتودد إلى أوليائه بالكرامة .

أقول : و الأول هو الانسب بمعناه اللغوى و الباقى من آثاره فتأمل جيداً .

٢٠- (والله من ورائهم محيط)

في الضمير في «ورائهم» أقوال: ١- قيل: أي من وراء الكفار المكذبين تهديداً ووعيداً عليهم . ٢- قيل: أي من وراء جميع الناس : مؤمنهم و كافرهم ،مصلحهم ومفسدهم، صادقهم و كاذبهم ...

٣- قيل: أي من وراء جميع الخلق من الجن والانس، ومَن على وجه الارض، وضمير العقلاء للتغليب . ٤- قيل: راجع الى مَن في الكون من أهل السموات و الارض ومابينهما ، ومنهم الناس، ومنهم الكفار المكذبون .

أقول: والاول هو الأنسب بسياق التهديد على المكذبين ، والتسلية للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتثبيت لأهل التقوى واليقين، و هذا لاينا فى إحاطته تعالى بغيرهم وبماسواه جل وعلا .

وفى الاحاطة أقوال : ١- قيل: اريد بالاحاطة وصف إقتداره جل وعلا على الانسان بانهم فى قبضته وحوزته كالمحاط إذا احيط به من ورائه، فسدّت عليه المسالك ،فلايجد لنفسه مهرباً .

والمعنى : والله تعالى من وراء كفار قريش قادر عليهم ، قاهر لايفوتونه ، و لايعجزونه ، قادر على إهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم بك، فانهم فى قبضة الله تعالى يقلبهم كيف يشاء ، و يهلكهم متى أراد الانتقام منهم كالمحاصر المحاط به من جوانبه لايمكنه الفوات والهرب كمن احيط به من ورائه، فانسدت عليه المسالك .

وان وراء الشيء : الجهات الخارجة منه المحيطة به . وفيه إشارة إلى أنهم

غير معجزين لله تعالى فهو محيط بهم قادر عليهم من كل جهة .

٢ـ قيل: اريد بالاحاطة قرب إهلاكهم كقوله تعالى: «واخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها» وقوله: «وإذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس» وقوله: «وظنوا انهم احيط بهم».

فكل ذلك في مشارفة الهلاك، فهم شارفون بالهلاك بتكذيبهم إياك، وهم في غفلة عن ذلك، وهم لهذا سيؤخذون دون أن يشعروا، وهم في غفلة عن علم الله عزو جل وعن قدرته، ذاهلون عن عقابه الراصد للمجرمين الضالين .

٣ـ قيل: أي محيط بأعمالهم وعالم بها محص لها، لايخفى عليه منها شيء، و هو مجاز يهم على جميعها، فهو مرصد بعقابهم عليها، وهم غافلون عن علم الله تعالى بها .

٤ـ قيل: أي و الله تعالى عالم بأنفسهم و بمافي صدورهم. وقيل: في الاية الكريمة تلويح إلى أنهم اتخذوا الله سبحانه وراء هم ظهرياً. وهذا مبنيّ على أخذ وراء بمعنى خلف .

٥ـ قيل: أي والله من وراء هم محيط لافيهم إذهو بعيد عن ذواتهم بعد القرب والمعرفة، وبعد الذات والصفة، فهو من ورائهم محيط نافذ فيهم علمه غالبة عليهم قدرته قريب في بعده، وبعيد في قربه، محيط بهم و بعالمهم لايفلت منه أحد، ولايغيب عنه أحد وبيده ناصية كل شيء ولاعاصم لهم منه .

٦ـ قيل: أي يقدر على أن ينزل بهؤلاء العتاة الكفرة ماأنزل بفرعون وثمود والمحاط به كالمحصور .

اقول: والاول هو الأنسب بالتهديد والوعيد، وبالتطييب لنفس النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من غير تناف بينه وغيره من الاقوال فتأمل جيداً .

٢١ـ (بل هو القرآن المجيد)

في «مجيد» أقوال: ١ـ عن إبن عباس وسعيد بن جبير وقتادة: أي كريم لانه

كلام الرب الكريم .

ومعنى الاية: ليس الامر كمايقول المشركون : انهشعر أو كهانةأوسحر أوسجع ، ولا كما يدعى الكفار المعاندون : قدينال منهبزيادة أونقصان كماان امة القرآن ينال منهم بين الامم ، بلهو كتاب مقروء، واسع فى الكرم والجلال ،عظيم فىمعانيه ومبانيه ، عزيز فى حكمه ومعارفه ، و عظيم الكرم فيما يعطى من الخير ، جليل الخطر و القدر كماان الله عز و جل مجيد : واسع فى كرمه و إحسانه، وهدايته وفضله، وفى سعة الرحمة الالهية،جليل عزيز لايذلّ ولايغلب، فماا كذوبة تحريف هذا الوحى السماوى إلاّ ذماً ودماراً يتنافى ومجده. فالمجيد من المجد أىصاحب المجد والعظمة والشرف .

٢- قيل: مجيد أىمتناه فىالشرف والكرم والبركة، وهوبيان لما بالناس إليه الحاجة منأحكام الدين و الدنيا لا كما زعم المشركون . ٣- قيل : أىغير مخلوق .

٤- قيل: أىعظيم بدعوته إلى العمل بالعلم والعقل، ونهيه عنتقليد الاعمى والتعصب الجاهلى ، وجعله الناس كلالناس على مستوى واحد فىجميعالحقوق و الواجباب ، ولافضل ولا إمتياز إلاّ لمن آمن و قدم عملاً صالحاً يفيد الفرد و الجماعة .

٥- قيل : انهمجيد لمافيه من المعانى الجليلة والمبانى الرفيعة و الدلائل النفسية و الآفاقية ... ولأن جميعه حكم ، والحكم على أقسام ثلاثة لارابع لها : حكم يعمل بهفيما يخشى ويتقى ، وموعظة تلين القلوب للعمل بالحق ، و حجة تؤدى إلىتميز الحق منالباطل ، الكفر منالايمان ، الفلاح منالخسران ،السعيد منالشقى ، الصادق من الكاذب ، والمصلح منالمفسد ... وإلى علم الدين أوالدنيا ،وعلم الدين أشرفها . وانهذا القرآن يحتوى كلها .

فالمجيد منالاجادة ومعناه المجوّد .

٦- قيل: مجيد أى عالي القدر، رفيع الشأن لاينال منه هـذا النباح و لايصل إلى سمائه هذا العواء من المشركين الضالين، و الكافرين المعاندين...

اقول: و على الاول جمهور المحققين من غير تناف بينه و بين أكثر الاقوال الآخر.

٢٢- (فى لوح محفوظ)

فى الاية الكريمة أقوال: ١- عن عباس ومجاهد وقتادة: اللوح المحفوظ هو ام الكتاب، وهو محفوظ عندالله عزوجل، ومنه نسخ القرآن الكريم، وجميع الكتب السماوية النازلة على الانبياء عليهم السلام، وهو الذى يعرف باللوح المحفوظ، و هو من درة بيضاء طوله مابين السماء و الارض، و عرضه ما بين المشرق والمغرب.

٢- قيل: أى ان القرآن محفوظ عن التغيير والتبديل وعن الزيادة والنقصان، محفوظ عن الكذب والباطل، و مصون من مسّ شياطين الجن و الانس. و هذا على قراءة رفع «محفوظ» نعتاً للقرآن.

٣- قيل: اللوح المحفوظ هو الذى كتب الله جل و علا فيه جميع ما كان و مايكون. وان القرآن المجيد فى هذا اللوح يحفظه الله جل وعلا إلى يوم القيامة من شياطين الجن والانس، فلاتمسّه يد التحريف والتغيير، فلايطرأ عليه تبديل و زيادة ونقص. ٤- قيل: «لوح محفوظ» شيء أخبر الله تعالى به وأنه أودعه كتابه، ولكن لم يعرّف حقيقته، فعلينا أن نؤمن به، وليس علينا أن نبحث فيما وراء ذلك مما لم يأت به خبر من المعصوم عليه السلام.

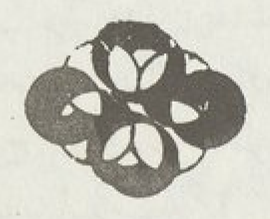
٥- قيل: أى انه فى لوح محفوظ عندالله تعالى وفى كتاب مكنون، ولايمسه ولايصافح نوره إلاّ من طهرت أنفسهم من دنس الكفر ورجس الضلال. ٦- قيل: أى مثبت فى لوح محفوظ وهو فى الهواء فوق السماء السابعة. ٧- قيل: أى فى الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقصان. ٨- قيل: اللوح المحفوظ شيء فيه أصناف

الخلق والخليقة ، وبيان امورهم و ذكر آجالهم و أرزاقهم و أعمالهم و الأقضية النافذة فيهم، ومآل عواقب امورهم وهذاهو امالكتاب .

٩- قيل: اللوح المحفوظ شيء لايطلع عليهغير الملائكة ،فيلوح للملائكة فيقرؤنه ، وأمثال هذهالحقائق ممايجب التصديق بهسمعاً .

١٠- قيل: انهذاالقرآن محفوظ في كافة الالواح: ألواح الصدوروالصحف وألواح الألسن الناطقة به، ولايقدر أحدأن يغيّره، فانه مضمون الحفظ بالقدرة الالهية فيتلك الالواح . ١١- عنمجاهد أيضاً وأنس بن مالك : اللوح المحفوظ الذي ذكرهالله تعالى في جبهة إسرافيل . ١٢- عن مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش .

اقول: والثالث هوالأنسب بظاهر السياق ، وسيأتي بحث اللوح عنقريب إنشاء الله تعالى فانتظر .



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (والسماء ذات البروج)

السماء هنا هي سماء الدنيا،والبروج :جمع البرج وهو في الأصل :الارتفاع والبروز والظهور ، ثم صار يطلق على القصر العالي وعلى القلاع و الحصون ، و على المدارات السماوية التي يدور عليها القمر والشمس والكواكب السيارة على ما كان معروفاً وقت نزول القرآن الكريم .

قال الله عزوجل : « و لقد جعلنا في السماء بروجاً و زيناها للناظرين و حفظناها من كل شيطان رجيم إلاّ من إسترق السمع فأتبعه شهاب مبين » الحجر : ١٦ـ ١٨)

وقال : « تبارك الذي جعل في السماء بروجاً و جعل فيها سراجاً و قمراً منيراً » الفرقان : ٦١)

و قال : « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد لا يسمّعون إلى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب إلاّ من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » الصافات : ٦ ـ ١٠)

أقسم الله جل وعلا بالسماء ذات البروج لما في كواكبها من عجيب الصنعة الحكمة ،وآثار القدرة المطلقة الالهية ،مشهود نورها،مرئيّ ضوئها،معروفة نها في طلوعها وغروبها ، ولشرفها حيث نيط تغيرات العالم السفلي بحلول كب فيها ، ولما فيها من مصالح الناس ومنافعهم في هذه الحياة الدنيا تدل

كلها على أن لها صانعاً حكيماً ، و خالقاً مدبراً إلى أنه يحث عباده على البحث و التحقيق فـي هذه العوالم . . . ليستدلّ بذلك على كمال علمه وجليل حكمته ،وعظيم قدرته ،وغاية تدبيره ،ولما أودع الله تعالى فيهما من القوى وما فيهما من عوالم لانراها ولاندرك حقيقتها .

وماورد في المقام من الروايات الآتية : ان المراد بالسماء: النبي الكريم ﷺ والمراد بالبروج أئمة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فمن باب التأويل وهو اللبّ فتأمل واغتنم جداً .

٢- (واليوم الموعود)

واليوم الموعود هو يوم القيامة : يوم قد وعد الله جل وعلا فيه الفصل والقضاء بين عباده ، يوم الحساب و الجزاء الذي وعد به على ألسنة رسله . . . وهذا الوعد منجز لامحالة ، فيجزي يومئذ كل نفس بما كسبت إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قال الله عزوجل: «ونفخ في الصور فاذاهم من الاجداث إلى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون »يس : ٥٢)

وقال تعالى حكاية عن الابرار: «ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه ان الله لايخلف الميعاد ـ ربنا و آتنا ما وعدتنا على رسلك و لا تخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد » آل عمران: ٩ـ ١٩٤)

وقال : « يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا و غرّتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين » الانعام : ١٣٠)

وقال: «يوم نطوي السماء كطيّ السجلّ للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنافاعلين » الانبياء : ١٠٤)

وقال : « ان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين » الانعام : ١٣٤)

وقال : « هذا ما توعدون ليوم الحساب »ص : ٣٥)

وقال : « فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون » الذاريات : ٦٠)

وقال: «ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجائت كل نفس معها سائق وشهيد» ق : ٢٠ _ ٢١)

وقال : « إنما توعدون لواقع » المرسلات : ٧)

و قال : « إليه مرجعكم جميعاً و عد الله حقاً انه يبدىء الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون » يونس : ٤)

وقد أقسم الله تعالى بيوم القيامة لما يكون فيه من حوادث البعث والحساب، والعقاب والثواب ، يوم يقوم فيه الاشهاد ، يوم يتفرد ربنا بالملك والحكم ، يوم الفصل والقضاء ،ويوم يجازى فيه الخلائق ، ويفصل بينهم: بين المومنين والكافرين ، بين المصلحين والمفسدين، بين المخلصين والمنافقين،بين المتقين و الفاجرين ، بين المتواضعين والمستكبرين،بين الامناء والخائنين،وبين المفلحين والخاسرين ، وبين السعداء والاشقياء . . .

قال الله تعالى : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الارض إلاّ من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنورربها ووضع الكتاب وجيىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » الزمر : ٦٨ _ ٧٠)

وقال : « يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب» غافر : ١٦ _ ١٧)

وقال : « يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله » الانفطار : ١٩)

وقال : « وامتازوا اليوم أيها المجرمون » يس : ٥٩)

وقال : « ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد _الملك

يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا و كذّبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين » الحج : ١٧ ـ ٥٧)

٣- (وشاهد ومشهود)

ان الله تعالى اقسم بشاهد شهد ، ومشهود شهدعلى طريق الاجمال والابهام، وان أكثر الاقوال المحتملة المتقدمة ـ كماترى ـ مبنيٌ على أخذالشهادة بمعنى أداء ماحمّل من الشهادة ، وبعضها على التفريق بين الشاهد و المشهود في معنى الشهادة ،ولكن الأنسب بظاهر السياق أخذ الشهادة ، بمعنى الحضور والمعاينة ، وإن استلزم الشهادة بمعنى الأداء يوم القيامة .

وعلى هذا يقبل الشاهد الانطباق على رسول الله ﷺ لشهادته على أعمال امته ثم يشهد عليها يوم القيامة كيف لا ؟ وقدسمّاه الله جل وعلا شاهداً إذ قال : « يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » الاحزاب : ٤٥)

وسمّاه شهيداً إذ قال : « ليكون الرسول شهيداً عليكم » الحج : ٧٨)

وقال : « وجئنابك على هؤلاء شهيداً » النساء : ٤١)

و يقبل « مشهود » الانطباق على تعذيب الكفار لهؤلاء المؤمنين ، و ايذاء الفجار لأهل التقوى واليقين ، و ما فعلوا بهم من الفتنة « و هم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود » البروج : ٧)

و على الاعمال : « ولاتعملون من عمل إلاّ كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه » يونس : ٦١) .

و على يوم القيامة و ما يقع فيه من الاهوال والاحوال ، و من الحساب و القضاء والثواب والعقاب . . .

قال الله جل و علا : « فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم »مريم : ٣٧)

و قال : « ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود » هود : ١٠٣)

٤- (قتل أصحاب الاخدود)

أصل الدعاء بالقتل والهلاك والدمار ثم جرى مجرى اللعن كأنه قيل : لعن هؤلاء الجبابرة المستبدة و الطاغية القاسية الذين كانوا يشقون في الارض شقاً ، فيوقدون فيها ناراً ، ويرمون فيها المؤمنين والمؤمنات ، و ما كان لهم جرم إلاّ ايمانهم بالله جل وعلا ونبيه وباليوم الآخر .

وجائت القصة لتثبيت المؤمنين و المؤمنات في كل وقت ومكان وتصبير هم على أذى طواغيت الازمنة ، وظلم مستبدة الاعصار ... وتذكير هم بما جرى على من قبلهم من الايذاء والتعذيب على الايمان حتى يقتدوابهم ، ويصبروا على أذى هؤلاء الجبابرة الملعونة .

والآية الكريمة في الدعاء نظير قوله عزوجل : « قتل الخرّاصون الذين هم في غمرة ساهون » الذاريات : ١٠)

وقوله : « قتل الانسان ما أكفره » عبس : ١٧)

٥- (النار ذات الوقود)

أصحاب الاخدود هم أصحاب النار التي لها من الحطب الكثير و أبدان المؤمنين والمؤمنات ، يرتفع لهيبها ، و يشتدّ إشتعالها و يطير أجيجها ، فلا جرم يكون حريقها عظيماً .

٦- (اذهم عليها قعود)

حالكون اولئك الجبابرة الطاغية قاسية القلوب غليظ الأكباد من أصحاب الاخدود قاعدين على الكراسي من مشارف النار الموقدة ، يلقون فيها المؤمنين والمؤمنات ، و يلتذون بذلك العمل كما هودأب الطغاة المستكبرين ، والظلمة المستبدين في كل وقت ومكان ...

٧- (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود)

وحالكون هؤلاء الجبابرة قاسيةالقلوب شاهدين على ما يفعلون بالمؤمنين بالله جل و علا ، حاضرين يسمعون صرخاتهم و تسبيحاتهم ، و يعاينون تعذيبهم

بالالقاء فى النار الموقدة ، وايذائهم إن لم يرجعوا عن ايمانهم ، ويشهدون تنفيذ حكمهم فيهم ، ويرون ما تفعل النار بأجسامهم الطاهرة دون أن تأخذهم الشفقة عليهم ، ويتلذذون بذلك ، ويتشفون بماهم فيهمن عذاب وإحتراق .

٨- (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)

وما كره أصحاب الاخدود ، وما سخطوا من اولئك المؤمنين ، و ما عابوا منهم شيئاً ، و ما كان لهم عندهم من ذنب ، وما فعلوا بهم ذلك العذاب إلاّ لأجل ايمانهم بالله الذى هو الغالب المنيع لايغلب ، القادر الذى لايمتنع عليه شيء ، القاهر الذى لايقهر لاقوة إلاّ قوته ، ولاعزّة إلاّ عزّته ، الحميد بذاته : حميد فى خلقه وتدبيره ، حميد فى تقديره و تشريعه ، حميد فى أحكامه وأقواله . . . وحميد فى كل حال . . .

ان نقمة الايمان هى دور المؤمنين طوال تاريخ الانسان ،فليطلب المؤمنون أن يفرغ عليهم ربهم صبراً ، ويتوفا هم مسلمين :

قال الله جل و علا : « قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلاّ أن آمنا بالله » المائدة:٥٩)

و قال : « و ما تنقم منا إلاّ أن آمنا بآيات ربنا لمّا جاء تنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين » الاعراف : ١٢٦)

و ان قتل المؤمن هو أشد الكفر قال الله عزوجل : « و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزائه جهنم خالداً فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعدّ له عذاباً عظيماً » النساء : ٩٣)

وقال : « ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم» آل عمران : ٢١)

و قال : « من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعاً » المائدة : ٣٢)

فعلى قاتل المؤمن خاصة ، وقاتل النفس عامة بغير حق ، غضب الله جل وعلا ، و اللعنة ، وشديد العذاب ، وإن ادّعى القاتل الاسلام كما نرى في زماننا هذا فكيف بالكافر ؟

٩- (الذى له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد)

الله جل وعلا هو الذى لهملك السموات والارض لا شريك له فيهما ولا نديد، وله التصرف فيهما من غير إعتراض لأحد عليه ، فله الامر والحكم ،والله عزوجل شهيد على كل شيء ، منها أعمال خلقه ، فلاتخفى عليه خافية ، و لا يغيب عنه شيء فى جميع السموات و الارض و ما فيهما و ما بينهما ، فكيف فعل هؤلاء الجبابرة بالمؤمنين فيجازيهم ، فينتقم منهم لاوليائه المؤمنين و يأخذلهم بحقهم ممن إعتدى عليهم فلامفرّ لهم من سلطانه .

قال الله تعالى : « ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء و الله على كل شيء قدير » المائدة : ١٧)

وقال : «الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢)

وقال : « ثم الله شهيد على ما يفعلون » يونس : ٤٦)

وقال : « انا من المجرمين منتقمون »السجدة: ٢٢)

١٠- (ان الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)

ان الذين ابتلوا المومنين و المؤمنات بأنواع الايذاء ، و امتحنوهم با لتعذيب باحراق النار ليرجعوهم عن دينهم - يقال :فلان فتن الذهب إذا أدخله الكور لينظر جودته ، و الفتنة : الايذاء والمحنة والتعذيب- وليقفوهم عن الرقى فى دينهم ، وليصدو هم عن سبيل الله جل و علا ، و عن بيان الحقائق . . . سواء كانوا هؤلاء الطواغيت الجبابرة من عتاة الكفر أم من مدّعى الاسلام - والاسم

منهم و من شؤم أعمالهم برىء - و ثبتوا على كفرهم و طغيانهم ، و ظلمهم و إستبدادهم ، و على هتك الاعراض المحترمة ، و نهب أموال المسلمين بحيل مختلفة وسفك دمائهم بغير حق كما نرى ذلك كله فى زماننا هذا . . .

ثم لم يتوبوا من كفرهم و إستكبارهم، ولم يقلعوا عما قلعوا ،ولم يندموا على ماأسلفوا من قبح صنيعهم ، ولم يرتدعوا عما هم فيه حتى أخذهم الموت ، فثبت لهم الجزاء الوفاق من أنواع عذاب جهنم لأنواع ايذائهم المؤمنين والمؤمنات و لهم فى جهنم زائداً على عذاب كفرهم وطغيانهم عذاب الحريق الذى يرعى أجسامهم الخبيثة كما ترعى النار الحطب لماأحرقوا المؤمنين والمؤمنات بنار الحريق فى الاخدود أم فى السجون أو غيرهما . .

قال الله عزوجل : « فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار يصبّ من فوق رؤسهم الحميم يصهر به مافى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق » الحج : ١٩-٢٢)

فهؤلاء الطواغيت و كل طاغية فى طوال الاعصار يفتنون على نارجهنم كما فتنوا المؤمنين بنار الدنيا ، وذلك لان الجزاء من جنس العمل .

قال الله تعالى : « يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم » الذاريات : ١٣ - ١٤)

فتنة بفتنة ، ولكن شتان بين الفتنتين ، بين الاحراقين ، و بين النارين : نار الدنيا التى تطفىء ، ونار الاخرة التى تدوم ،وأين حريق من حريق ؟ فى شدته و مدته . . .

١١ - (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير)

ان الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ وما جاءهم به ، و باليوم الآخر ، و عملوا عملاً صالحاً : من الطاعة والخير والاحسان مع الخلوص ، و من الائتمار

بأوامر الله عز وجل والانتهاء عن نواهيه ... لهم بساتين متنوعة في الجنة تجري من تحت أشجارها الانهار : نهر من ماء غير آسن ، ونهر من لبن لم يتغير طعمه ،و نهر من خمر لذة للشاربين ، ونهر من عسل مصفى ذلك هو الفوز العظيم الذى لا يشبهه فوز.

قال الله عزوجل : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين » الجاثية :٣٠)

وقال : « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، و أنهار من لبن لم يتغير طعمه و أنهار من خمر لذة للشاربين و أنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم » محمد ﷺ : ١٥)

وقال : « ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم » النساء : ١٣)

وقال : « ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم » الصف : ١٠-١٢)

١٢- (ان بطش ربك لشديد)

إن إنتظام ربك يامحمد ﷺ من هؤلاء الطغاة الجبابرة ، والعتاة الكفرة ، و العصاة الفجرة ، والبغاة الظلمة ، وأخذه جل و علا إياهم بالعقوبة أخذ عزيز مقتدر لفي غاية الشدة ، و في نهاية الألم و الذلة حسب كفرهم و طغيانهم ، و إستكبارهم وإستبدادهم .

و ان البطش هو : تناول الشيء بصولة ، و عنف وشدة باطشة منها ظالمة و منها عادلة ، وبطش الرب جزاء عن صولتهم الظالمة بصورة عادلة .

قال الله عزوجل : « يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون » الدخان :١٦)

وقال : «حتى إذا أخذنامترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون» المؤمنون:٦٤)
وقال : «كذّبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر» القمر : ٤٢)
وقال : «فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى» النازعات : ٢٥ _ ٢٦)
وقال : «و أخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون» الاعراف : ١٦٥)
وقال : «و كذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد» هود : ١٠٢)

١٣ - (انه هو يبدىء ويعيد)

ان الله تعالى هو يبدىء الخلق ويوجد ما يريد من شىء ايجاداً إبتدائياً من أن يستمدّ على ذلك من غيره ، و هو يعيد كل ما كان إلى ما كان إذا شاء، فلا يعجزه ما يريده بقوته وقدرته بلامانع ولادافع ، فيحيى ويميت ، ويمت ويحيى ثانياً للحساب والجزاء ، فيبطش الكفار والفجار ، ويرحم وينعم على من آمن به واطاعه . قال الله تعالى : «كما بدأ كم تعودون» الاعراف : ٢٩)
وقال : «وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه» الروم : ٢٧)
و قال : «يوم نطوى السماء كطىّ السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين» الانبياء :١٠٤)
وقال : «إليه مرجعكم جميعاً وعدالله حقاً انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط و الذين كفروا لهم شراب من حميم و عذاب أليم بما كانوا يكفرون» يونس : ٤)

١٤ - (وهو الغفور الودود)

والله جل وعلا هو كثير المغفرة : يغفر لذنوب عباده حتى لامثال اصحاب الاخدود لو تابوا وآمنوا و أصلحوا ،فانه عزوجل منبع الغفران ، بليغ الودادة ،

كثير المحبة : يحب عباده الصالحين .

قال الله تعالى : « و انى لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى » طه : ٨٢)

وقال : « والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها و آمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » الاعراف : ١٥٣)

وقال :« نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم » الحجر : ٤٩)

وقال :« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » آل عمران : ٣١)

و قال : « و استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود » هود : ٩٠)

و قال : « ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً » مريم: ٩٦)

١٥- (ذوالعرش المجيد)

الله جل وعلا هو صاحب العرش العظيم العالى على جميع الخلائق ، مالك الملك لهأن يتصرف فى مملكته كيفما تصرف و يحكم بما شاء ، نافذ أمره فى مملكة الوجود ويستولى سلطانه على رعيته، وهو صاحب المجد و العظمة، المستحق لكمال الذات والصفات ، الجليل فى أفعاله ، والجزيل فى نواله .

قال الله جل وعلا :« ان ربكم الله الذى خلق السموات و الارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر » يونس : ٣)

وقال :« قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ـ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » المؤمنون: ٨٦ـ ١١٦)

وقال :« رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده » غافر : ١٥)

١٦- (فعال لما يريد)

الله عز و جل هو الذى يفعل مهما أراد فعله ، لامعقب لحكمه ، ولا يسئل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله، فماشاء كان، و مالم يشأ لم يكن ، فلا يعجزه شيء طلبه، ولا يمتنع منه شيء أراده لامن داخل لضجر و كسل ، ولا لملل و تغير إرادة وغيرها من العوارض الداخلة ، ولامن خارج لمانع ومعوق و لامعقب يحول بينه و بين ماأراد .

فكما انه جل وعلا يخلق مايشاء ويفني ماأراد كذلك يعذب العتاة الكفرة و العصاة الفجرة، والبغاة الفسقة ، والطغاة الظلمة مهما أراد في الحياة الدنيا بالخزى والهلاك والدمار أو بالهوان والذلة والنار في الآخرة، ويدخل المؤمنين الصالحين في الجنة ، و ينعم عليهم بما فيها من النعم ، و لن يخلف وعده فانه فعال لما يريد .

قال الله تعالى : « فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل و هم يسئلون » الانبياء: ٢٢ـ ٢٣)

وقال : «ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل مايريد» الحج: ١٤)

وقال : « ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير» المائدة : ١٧)

و قال : « و إذا أراد الله بقوم سوءاً فلامرد له و مالهم من دونه من وال » الرعد : ١١

وقال : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » يس: ٨٢)

وقال : « يوم يأت لاتكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير و شهيق ـ ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها» هود: ١٠٥ـ ١٠٨)

١٧- (هل أتاك حديث الجنود)

هل أتاك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم حديث الجنود الذين تجنّدوا على أنبياء الله تعالى، واجتمعوا على أذى رسله، وتلبّسوا لباس الحرب مع أولياء الله جل و علا؟ هل بلغك ماصدر من اولئك الجنود الطاغية من التمادى فى الكفر والعناد، والبغى والضلال، وما أحل الله عزوجل بهم من البأس والخزى والنكال، وماأنزل عليهم من النقمة التى لم يردّها عنهم أحد؟

نعم!

قد أتاك حديثهم، و عرفت مافعلوا، ومافعل بهم، فذكّر يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم قومك بشئون الله تعالى وأنذرهم أن يصيبهم مثل ماأصاب بهم، فتذكر أنت أيضاً من حديثهم تذكر معتبر كيف كذبوا أنبياء الله عزو جل، و كيف صبر الانبياء؟ و كيف نصروا؟ فاصبر كما صبر اولوا العزم حتى يأتيك النصر كما أتاهم. قال الله تعالى: «فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل» الاحقاف: ۳۵)

۱۸- (فرعون وثمود)

من هؤلاء الجنود المجندة هم فرعون طاغية مصر و أذنابه المبتورة الغريقة فى اليم لكفرهم وطغيانهم، لجرمهم و جنايتهم، لظلمهم وإستكبارهم، لعتوهم و إستبدادهم، لتمردّهم و عصيانهم، و لاستعبادهم الناس و سفك دمائهم و هتك أعراضهم وحرماتهم ونهب أموالهم وإستغلال كدّ أيمانهم وإستثمارهم...

قال الله عزو جل: «ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين-وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين» يونس: ۷۵-۸۳)

وقال: «وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض و يذرك و آلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون» الا-عراف: ۱۲۷)

وقال: «ان فرعون علا فى الارض و جعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم

يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ـ واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين» القصص : ۴ـ ۴۰)

وقال :« ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم» طه: ۷۷ـ۷۸)

وحديث ثمود الباغية مع صالح النبي عليه السلام قد أخذ الله جل و علا هؤلاء الباغية بعذاب بئيس لما كذّبوا صالحاً عليه السلام و كفروا بالله تعالى و استحبّوا العمى على الهدى ، وعتوا عن أمر ربهم وعقروا الناقة فاهلكوا بالطاغية :

قال الله عزوجل:« وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جائتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ـ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة و عتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين » الاعراف : ۷۳ـ ۷۸)

وقال :« وأما ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » فصلت: ۱۷)

وقال :« فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية» الحاقة: ۵)

وقال :« كذّبت ثمود بطغواها إذانبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله و سقياها فكذّبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها و لايخاف عقباها » الشمس : ۱۱ـ ۱۵)

هل قومك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم أعتى عتواً ، وأشد قوة من فرعون طاغية مصر ،و

إستبداده وإستكبار رؤساءمملكته وجنايات حواشيه، وثمود وبطشهم؟ ليس قومك بيدع فى الامم فى الكفر والعناد،فى البغى واللجاج،وفى العتو والضلال،فقدسبقتهم امم قبلهم فكانت عاقبتهم الهلاك والوبال و النكال و الدمار فى الحياةالدنيا ، ثم الخزى والعذاب والنار فى الآخرة ، فاصبر إن العاقبة للمتقين .

١٩- (بل الذين كفروا فى تكذيب)

بل هؤلاء الذين لايؤمنون بك من قومك ، و كفروا بالله جل وعلا هم مصرّون على تكذيبهم بك وبكل ماجئتهم من الوعد والوعيد،والانذار والبشارة ، و من الأوامر والنواهى و أخبار القرون الاولى و كفرهم وعنادهم وما حل بهم من الهلاك و الدمار ، وما اخذ به أهل الضلال والسفه ، و أتباع الشهوة و عبيد الدنيا والرئاسة... وهم لاينتفعون بموعظة وعبر ومثلات قصّها الله جلاوعلا كدأب من كان قبلهم . فلايرجى منهم الايمان والطاعة ، ولاالصدق وقبول الحجة . . . لانهم غارقون فى تكذيب الحق والصدق وأهله ، حتى لم يدع ذلك لعقلهم مجالاً للنظر ، ولامتسعاً للتدبر ، وهم لايزالون فى غمرة الجهل والغفلة حتى يؤخذوا على غرّة .

وهذا دأبهم ماداموا على الكفر والعنادلان هذا من طبيعة الكفر واللجاج فى كل وقت ومكان .

قال الله تعالى : « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون- ولو نزّلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلاّ سحرمبين » الانعام (١ - ٧)

وقال : « فمالهم لايومنون وإذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون بل الذين كفروا يكذّبون » الانشقاق : ٢٠ - ٢٢)

وقال : « ولئن قلت انكم مبعوثون من بعدالموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلاّ سحرمبين » هود: ٧)

وقال: «و إن يروا كل آية لايؤمنوابها حتى إذاجاؤك يجاد لونك يقول الذين كفروا إن هذا إلاّ أساطير الاولين» الانعام: ٢٥)

٢٠- (والله من ورائهم محيط)

وحالكون الله جل وعلا من وراء هؤلاء الكفار الذين دأبهم الاصرار فى تكذيب الحق والصدق، وفى العناد واللجاج، محيط بهم من كل جهة، و عالم بما كانوا يعملون كما أنه تعالى محيط بجميع خلقه.

والله عزوجل مقتدر على الكفار، وهم فى قبضته وحوزته لا يجدون مهرباً ولايستطيعون الفرار إذا أرادهم، فلن يفوتوه إذا أراد الانتقام منهم بسبب كفر هم بالله تعالى وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وطغيانهم، فينزل عليهم ما نزل بفرعون طاغية مصر ومردته وبثمود.

فلاتحزن يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من تكذيب قومك و إستمرار هم على الكفر و الضلال والبغى واللجاج...

قال الله تعالى: «والله محيط بالكافرين» البقرة: ١٩)

وقال: «و ان تصبروا وتتقوا لايضرّ كم كيدهم شيئاً ان الله بما يعملون محيط» آل عمران: ١٢٠)

وقال: «ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط» الانفال: ٤٧)

وقال: «ان ربى بما تعملون محيط وياقوم إعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب» هود: ٩٢ _ ٩٣)

٢١- (بل هو قرآن مجيد)

ليس الامر كما زعم المشركون والفجار ولا كما يقول المعاندون والكفار: ان هذا القرآن شعر وسجع أو سحر و كهانة، بل هذا - هو الوحى السماوى

هو كتاب مقروّ عظيم في معانيه و مبانيه ، عزيز في حكمه و معارفه ، واسع كرم فيما يعطي من الخير والبيان والأثر لمن كان له قلب أوالقى السمع ، كتاب شريف عالي الرتبة بين الكتب السماوية ، متفرّد في نظمه واسلوبه حتى بلغ حدّ الاعجاز عجز الانس والجن عن إتيان مثله .

كتاب جليل القدر والخطر ، متناه في الشرف و الكرم و البركة إذ فيه بيان مابالناس إليه الحاجة من أحكام دينهم وسيادة دنياهم ، ومافيه من سعادتهم وعزهم وشرفهم وصلاحهم وفلاحهم في الحياة الدنيا والاخرة .

قال الله تعالى : « ق و القرآن المجيد بل عجبوا أن جاء هم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ـ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد» ق:١ـ ٣٧)

وقال : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » البقرة : ١٨٥)

وقال : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » آل عمران : ١٣٨)

و قال : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ـ وننزّل من القرآن ماهو شفاء و رحمة للمؤمنين» الاسراء : ٩ ـ ٨٢)

و قال : « و نزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى و رحمة وبشرى للمسلمين » النحل : ٨٩)

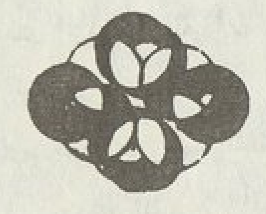
٢٢- (في لوح محفوظ)

ان هذا القرآن المجيد محفوظ في لوح ، هو محفوظ عند الله عزوجل ، فيكون القرآن الكريم محفوظاً في محفوظ ، يحفظه الله تعالى إلى يوم القيامة من شياطين الانس والجن ، فلايمكن أن يطرأ عليه تبديل وتغيير ، ولا زيادة و نقصان ، فهومصون من التحريف والتزييف ، ومحفوظ من التبديل والتغيير لانه

جل وعلا حافظ له فى لوحه حفظاً تاماً من جر الشياطين ، ومن تغيير شيء منه ، والله تعالى ضمن بحفظه .

إذ قال : « انا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون » الحجر : ٩)

وقال : « وانه لكتاب عزيز لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد » فصلت : ٤١ ـ ٤٢)



﴿ جملة المعانى ﴾

٥٩١٠- (والسماء ذات البروج)

اقسم بالسماء ذات البروج لمافى كواكبها من عجيب الصنعة وباهر الحكمة

٥٩١١- (واليوم الموعود)

و اقسم بيوم القيامة الذى وعدنا فيه الفصل والقضاء بين عبادنا ، فنجزى يومئذ كل نفس بما كسبت فى الحياة الدنيا إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

٥٩١٢- (وشاهد ومشهود)

واقسم بشاهد يشهد بالمعاينة والحضور على الاعمال ، واقسم بمشهود وقع عليه شهادة الشاهد .

٥٩١٣- (قتل أصحاب الاخدود)

لعن أصحاب الاخدود الجبابرة الذين كانوا يحفرون حفرة مستطيلة .

٥٩١٤- (النار ذات الوقود)

هم أصحاب النار شديدة الاشتعال ، مرتفعة اللهيب أوقدوها فى الحفرة لاحراق المؤمنين بها.

٥٩١٥- (اذهم عليها قعود)

حالكون هؤلاء قاسية القلوب جالسين على مايدنوا من حافات الاخدود لأن يشاهدوا المؤمنين الذين يرمون فيها ويحترقون بنارها .

٥٩١٦- (وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود)

و حالكون هؤلاء الجبابرة شاهدين على مايفعلون بالمؤمنين و يتشفون بذلك .

٥٩١٧- (وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد)

وما كره أصحاب الاخدود وماسخطوا من اولئك المؤمنين إلا لأجل ايمانهم بالله الغالب غيرمغلوب ، الحميد بذاته وصفاته ، حمده الحامدون أم لا .

٥٩١٨- (الذى له ملك السموات والارض والله على كل شىء شهيد)

الله تعالى هو الذى له ملك السموات والارض لاشريك له فيهما ولانديد، والله عزوجل على كل شىء شهيد، منها أعمال خلقه: خيرها وشرها، صالحها و فاسدها ، صغيرها و كبيرها فلاتخفى عليه خافية من السماء ولافى الارض .

٥٩١٩- (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)

ان الذين ابتلوا المؤمنين والمؤمنات بأنواع الايذاء، وامتحنوهم بالتعذيب باحراق النار ليردوهم عن دينهم ،ثم لم يتوبوا وثبتوا على ما كانوا عليه من الكفر و العناد فقد ثبت لهم عذاب جهنم ، و ثبت لهم فيها زائداً على ذلك عذاب الحريق .

٥٩٢٠- (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير)

ان الذين آمنوا بالله تعالى وعملوا الصالحات ثبت لهم جنات تجرى من تحت أشجارها الانهار العديدة ، ذلك الجنات ونعيمها فوز عظيم .

٥٩٢١- (ان بطش ربك لشديد)

ان إنتقام ربك يا محمد ﷺ من هؤلاء الجبابرة وأخذه إياهم بالعقوبة لفى غاية الشدة .

٥٩٢٢- (انه هو يبدىء ويعيد)

ان الله تعالى وحده مبدئه يوجدما يريده من شيء ايجاداً إبتدائياً، و يعيد كل ما كان إلى ما كان للحساب والجزاء.

٥٩٢٣- (وهو الغفور الودود)

والله جل وعلا هو كثير الغفران لمن تاب، و كثير المودة لمن آمن و عمل صالحاً.

٥٩٢٤- (ذو العرش المجيد)

هو الله عزوجل صاحب العرش في غايه المجد و الكرم، و نهاية الفضل و الاحسان بعباده.

٥٩٢٥- (فعال لما يريد)

يفعل مهما أراد فعله، من غير صارف ولا مانع له عن فعله.

٥٩٢٦- (هل أتاك حديث الجنود)

هل أتاك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حديث الجنود الذين تجندوا على أنبياء الله عليهم السلام.

٥٩٢٧- (فرعون وثمود)

من هؤلاء الجنود المجندة فرعون طاغية مصر و مردته، وثمود قوم صالح عليه السلام

٥٩٢٨- (بل الذين كفروا في تكذيب)

بل الذين كفروا بالله جل وعلا هم مصرّون في التكذيب بك و بما جئتهم من آيات الله جل وعلا، فلا تحزن.

٥٩٢٩- (والله من ورائهم محيط)

والله عزوجل من وراء هؤلاء الكفار محيط بهم، وعالم بما كانوا يفعلون كما انه تعالى محيط بجميع خلقه.

٥٩٣٠- (بل هو قرآن مجيد)

ليس الامر كما زعم المشركون ان هذا القرآن ليس بوحي سماوي، بل هو كتاب ذو مجد وعظمة و منزلة عند الله تعالى، شريف عالي الرتبة بين الكتب

السماوية في النظم والمعنى.

٥٩٣١- (وفي لوح محفوظ)

ان هذا القرآن المجيد محفوظ في لوح، هو محفوظ عند الله القادر المتعال يحفظه هو جل وعلا إلى يوم القيامة من شياطين الجن والانس، فلا تمسه يد تحريف ،ولا تطرأ عليه شائبة تغيير.



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي: باسناده عن إبن أبي عمير عن بعض الاصحاب عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ان علياً أمير المؤمنين عليه السلام قال: «هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل التي في الارض مربوطة كل مدينة إلى عمودين من نور طول ذلك العمود في السماء مسيرة مأتين وخمسين سنة»

و في الدر المنثور: عن جابر بن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن «السماء ذات البروج» فقال: الكواكب، وسئل عن «الذي جعل في السماء بروجاً» فقال: الكواكب.

قيل: «فبروج مشيدة» فقال: قصور.

قوله عليه السلام: «الكواكب»: التي لها قصور.

و في روضة الكافي: باسناده عن الاصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن للشمس ثلاثمأة و ستين برجاً كل برج منها مثل جزيرة من جزاير العرب، وتنزل يوم على برج منها، فاذا غابت إنتهت إلى بطنان العرش، فلم تزل ساجدة إلى الغد ثم ترد إلى موضع مطلعها، ومعها ملكان يهتفان معها

وفي كمال الدين و تمام النعمة: باسناده عن الاصبغ بن نباته عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - في حديث - قال: ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانا عنده عن الأئمة بعده فقال للسائل: «والسماء ذات البروج» ان عدد هم بعدد البروج ورب الليالي والأيام و الشهور ان عدتهم كعدة

الشهور .

وفى الاختصاص: باسناده عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: ذكر الله عزوجل عبادة ، وذكرى عبادة وذكر على عليه السلام عبادة وذكر الأئمة من ولده عبادة ، والذى بعثنى بالنبوة ، وجعلنى خير البرية، ان وصيى لأفضل الأوصياء وانه لحجة الله على عباده وخليفته على خلقه ، و من ولده الأئمة الهداة بعدى بهم يحبس الله العذاب عن أهل الارض، وبهم يمسك السماء أن تقع على الارض إلاّ باذنه ، و بهم يمسك الجبال أن تميد بهم، و بهم يسقى خلقه الغيث، و بهم يخرج النبات أولياء الله حقاً و خلفاء صدقاً عدتهم عدة الشهور ، و هى اثنا عشر شهراً .

وعدتهم عدة نقباء موسى بن عمران ثم تلا هذه الآية :« والسماء ذات البروج» ثم قال : أتقدر يا بن عباس ! ان الله يقسم بالسماء ذات البروج ، ويعنى به و بالسماء و بروجها ؟ قلت: يارسول الله فما ذاك ؟ قال: فأما السماء فأنا ، وأما البروج ، فالأئمة بعدى أولهم على ّ وآخرهم المهدى عليه السلام .

وفى الخصال: عن أبان بن تغلب قال: كنت عند أبى عبدالله عليه السلام إذا دخل عليه رجل من أهل اليمن - إلى قوله عليه السلام - : يا أخا أهل اليمن عندكم علم؟ فقال اليمانى : نعم جعلت فداك ان فى اليمن قوماً ليسوا كأحد من الناس فى علمهم ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : و ما يبلغ من علم عالمهم ؟ قال له اليمانى : ان علم عالمهم ليزجر الطير، و يقفو الأثر فى الساعة الواحدة مسيرة شهر للراكب المجد ّ فقال أبو عبدالله عليه السلام :

فان عالم المدينة أعلم من عالم اليمن، قال اليمانى: وما بلغ من علم عالم المدينة؟ فقال: ان عالم المدينة ينتهى إلى حيث لا يقفو الاثر و يزجر الطير ، ويعلم ما فى اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع إثنى عشر برجاً، وإثنى عشر براً ، وإثنى عشر عالماً ، فقال له اليمانى: جعلت فداك ما ظننت ان أحداً يعلم هذا أو يدرى ما كنهه؟

قال ثم قام اليمانى وخرج .

و فى تفسير القمى : « واليوم الموعود » قال: أى يوم القيامة .

وفى تفسير العياشى : عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال فى قول الله : « ذلك يوم مجموع له الناس » فذكر يوم القيامة وهو يوم الموعود .

وفى البرهان : بالاسناد عن عبدالرحمن بن أبى عبدالله عن أبى عبدالله عليه السلام قال : الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ، والموعود يوم القيامة .

وفى المجمع « واليوم الموعود » قال : يعنى يوم القيامة فى قول جميع المفسرين ، وهو الذى تجازى فيه الخلائق ، ويفصل فيه القضاء .

وفى تفسير ابن كثير الدمشقى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « واليوم الموعود » يوم القيامة و شاهد يوم الجمعة ، وما طلعت شمس ولاغربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، وفيه ساعة لايوافقها عبد مسلم يسئل الله فيها خيراً إلاّ أعطاه إياه ولايستعيذ فيها من شر إلاّ أعاذه ومشهود يوم عرفة .

اقول : رواه السيوطى فى الدر المنثور والقرطبى فى الجامع لاحكام القرآن وغيرهما باختلاف .

وفى الكافى : باسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله : « وشاهد ومشهود » قال : النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام .

وفى تفسير فتح القدير للشوكانى فى قوله تعالى : « شاهد و مشهود » باسناده عن الامام سيدالشهداء سبط المصطفى الحسين بن على بن أبيطالب عليهما السلام انه قال : الشاهد جدّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و المشهود يوم القيامة ثم تلا : « انا أرسلناك شاهداً » ذلك يوم مشهود .

اقول : رواه بعينه أبوطيب صديق بن حسن بخارى هندى فى تفسيره (فتح البيان فى مقاصد القرآن) .

وفى كشف الغمة: قال كمال الدين إبن طلحة : روى أبوالحسن على بن

أحمد الواحدى فى تفسيره (الوسيط) ان رجلا قال : دخلت مسجد المدينة ، فاذا أنا برجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الناس حوله ، فقلت له : أخبرنى عن « شاهد ومشهود » فقال : نعم أما الشاهد فيوم الجمعة ، وأما المشهود فيوم عرفة ، فجزته إلى آخر يحدث ، فقلت : أخبرنى عن « شاهد ومشهود » فقال : نعم.

اما الشاهد فيوم الجمعة ، وأما المشهود فيوم النحر ، فجزتهما إلى غلام كأن وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: أخبرنى عن « شاهد و مشهود » فقال : نعم أما الشاهد فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأما المشهود فيوم القيامة ، أما سمعته يقول : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهداً » وقال تعالى : « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود »

فسئلت عن الاول فقالوا : إبن عباس ، وسئلت عن الثانى فقالوا : إبن عمر وسئلت عن الثالث فقالوا : الحسن بن على بن أبيطالب ، وكان قول الحسن أحسن.

اقول رواه الطبرسى فى المجمع ، و الحويزى فى نور الثقلين ، والمجلسى فى البحار و غيرهم من المفسرين و المحدثين باختلاف يسير .

و فى الدر المنثور : عن الحسن بن على عليه السلام : ان رجلاً سئله عن قوله : « وشاهد ومشهود » قال : هل سئلت أحداً قبلى ؟ قال : نعم سئلت إبن عمر و إبن الزبير فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة فقال : لا ولكن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم قرأ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك « يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود »

وفيه : عن على عليه السلام قال : اليوم الموعود يوم القيامة ، والشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم النحر .

و فى الجامع لاحكام القرآن : عن معقل بن يسار عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليس من يوم يأتى على العبد إلا ينادى فيه يابن آدم ! أنا خلق جديد ، وأنا

فيما تعمل عليك شهيد فاعمل فيّ خيراً أشهد لك به غداً فاني لو قد مضيت لم ترني أبداً ويقول الليل مثل ذلك .

و في الصحيفة السجادية : قال الامام سيد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام - في دعائه وقت الصباح والمساء - وهذا يوم حادث جديد وهو علينا شاهد عتيد إن أحسنا ودّعنا بحمد وإن أسأنا فارقنا بذم .

وفي مصباح الشريعة - في خطبة مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام خطب بها يوم الغدير قال فيها - : ان هذا يوم عظيم الشأن - إلى قوله - : ويوم شاهد و مشهود .

وفي رواية: عن إبن الدرداء قال : قال رسول الله: أكثروا من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة .

وفي محاسن البرقي : باسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال : بعث الله نبياً حبشياً إلى قومه فقاتلهم فقتل أصحابه وأسروا وخدوا لهم اخدوداً من نار ثم نادوا: من كان من أهل ملتنا فليعتزل، ومن كان على دين هذا النبي فليقتحم النار فجعلوا يقتحمون النار وأتت إمرأة معها صبيّ لها ، فهابت النار فقال لها صبيها : إقتحمي قال : فاقتحمت النار وهم أصحاب الاخدود .

وفي تفسير العياشي : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : ارسل علي عليه السلام إلى اسقف نجران يسئله عن أصحاب الاخدود فأخبره بشيء فقال عليه السلام ليس ذكرت ولكن سأخبرك عنهم :

ان الله بعث رجلا حبشياً نبياً وهم حبشية فكذبوه فقاتلهم، فقتلوا أصحابه وأسروه وأسروا أصحابه ثم بنوا له جسراً ثم ملأه ناراً ثم جمعوا الناس، فقالوا: من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل ومن كان على دين هولاء فليرم نفسه في النار فجعل أصحابه يتهافتون في النار ، فجائت إمرأة معها صبيّ لها إبن شهر فلما هجمت هابت و رقت على إبنها فنادى الصبي : لاتهابي وارميني و نفسك في النار فان هذا والله في

الله قليل ، فرمت بنفسها فى النار وصبيها ، وكان ممن تكلم فى المهد .

وفيه: باسناده عن ميثم التمار قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام وذكر أصحاب الاخدود فقال : كانوا عشرة وعلى مثالهم عشر يقتلون فى هذا السوق

وفى الكافى : باسناده عن جميل بن دراج عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون و ينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الارض برحبها، فما يردّهم عماهم عليه شىء مماهم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولاأذى بل «ما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا باللّه العزيز الحميد» فاسئلوا ربكم درجاتهم، واصبروا على نوائب دهر كم تدر كوا سعيهم .

و فى جوامع الجامع : «ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات» أى أحرقوهم وعذبوهم بالنار وهم أصحاب الاخدود « فلهم » فى الآخرة « عذاب جهنم » بكفرهم « و لهم عذاب الحريق » وهى نار اخرى عظيمة باحراقهم المؤمنين « و لهم عذاب جهنم » فى الآخرة «ولهم عذاب الحريق » فى الدنيا لما روى ان النار انقلبت عليهم فأحرقتهم .

وفى البرهان : بالاسناد عن صباح الأزرق قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول فى قول الله عزوجل : «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار » هو أمير المومنين عليه السلام و شيعته .

وفيه : بالاسناد عن إبن عباس قال: «إن الذين آمنوا» يريد الذين صدقوا وآمنوا بالله عزوجل ، و وحّدوه يريد لا إله إلاّ الله «وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار» يريد ما لاعين رأت ولا اذن سمعت « ذلك الفوز الكبير» يريد فازوا بالجنة وآمنوا العقاب « ان بطش ربك » يا محمد «لشديد » إذا أخذ الجبابرة والظلمة والكفار كقوله فى سورة هود « ان أخذه أليم شديد» « انه هو يبدىء ويعيد » يريد الخلق ثم أماتهم ثم يعيدهم بعد الموت أيضاً « وهو الغفور» يرى لاوليائه وأهل طاعته « والودود » كما يودّ أحدكم أخاه وصاحبه بالبشرى والمحبة .

وفي تفسير القمي : وفي رواية أبي الجاورد عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: « ذوالعرش المجيد » فهو الله الكريم المجيد .

وفيه : باسناده عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس وعنده جبرئيل إذا حانت من جبرئيل نظرة قبل السماء إلى أن قال: قال جبرئيل : ان هذا إسرافيل صاحب الرب ، وأقرب خلق منه ، واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء ، فاذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه ، فنظر فيه ثم ألقاه إلينا نسعى به في السموات والارض .

وفيه : في قوله تعالى : « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » قال : اللوح المحفوظ له طرفان : طرف على يمين العرش على جبين إسرافيل ، فاذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل ، فنظر في اللوح فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل .

وفي تفسير ابن كثير : عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إمرأة تقرأ : « هل أتاك حديث الجنود » فقام يستمع فقال : نعم قد جاءني .

و في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى باسناده عن سبط المصطفى سيد الشهداء الحسين بن علي أبيه عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل عليهم السلام عن اللوح عن القلم قال : يقول الله عز وجل: ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من ناري .

و في الدر المنثور : عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خلق الله لوحاً من درة بيضاء دفتاه من زبرجدة خضراء كتابه من نور يلحظ إليه في كل يوم ثلاث مأة وستين لحظة يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعز ويذل ويفعل ما يشاء.

وفي تفسير ابن كثير : عن إبن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور و كتابه نور ، لله في كل يوم ستون وثلاثمأة لحظة ، يخلق ويرزق ويميت ويحيي

ويعزّ ويذلّ ويفعل ما يشاء .

وفي المناقب: لا بن شهر آشوب قدس سره : **كتب ملك الروم إلى عبد الملك** : أكلت لحم الجمل الذى هرب عليه أبوك من المدينة **لاغزونك** بجنود مأة ألف ، ومأة ألف ، مأة ألف ، فكتب عبدالملك إلى الحجاج أن يبعث **إلى** زين العابدين عليه السلام و يتوعده ويكتب إليه ما يقول ، ففعل **فقال على بن** الحسين : ان لله لوحاً محفوظاً يلحظه فى كل يوم ثلاثمأة لحظة **ليس منها لحظة** واحدة الايحيى فيها ويميت ويعزّ ويذل ويفعل مايشاء وانى لأرجو **أن يكفيك** منها لحظة واحدة فكتب بها الحجاج إلى عبدالملك ، فكتب **عبدالملك ، فكتب** عبدالملك بذلك إلى ملك الروم، فلما قرأه قال: ما **خرج هذا إلا من كلام النبوة.**



﴿ بحث فقهي ﴾

و قد استدل بعض المحققين من الفقهاء بقوله جل و علا : « إن الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق » البروج : ١٠)
على قبول التوبة من قاتل المؤمن عمداً وايذائه قبل أن يقدر عليه ، و لو تاب فلابدله من الدية .

اقول: وقد اختلفت آراء الفقهاء قديماً وحديثاً في هذه المسئلة ، وأكثرهم يفتون بالمنع .

و لكن مايستفاد من الايات الكريمة و الروايات الواردة و القضايا في المقام هو القبول ، وإن كان القاتل قليل التوفيق للتوبة جداً ، سواء كان القاتل مؤمناً أم لا .

قال الله عزوجل : « إنما جزاؤ الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » المائدة : ٣٣ـ ٣٤)

وقال : « والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك لغفور رحيم » الاعراف : ١٥٣)

في الكافي : باسناده عن عبدالله بن سنان وإبن بكير جميعاً عن أبي عبدالله

عليه السلام قال: سئل عن المؤمن يقتل المؤمن متعمداً هل له توبة ؟ فقال : إن كان قتله لايمانه فلاتوبة له ، وإن كان قتله لغضب أو لسبب من أمر الدنيا فان توبته أن يقاد منه، وإن لم يكن علم به إنطلق إلى أولياء المقتول فأقرّ عندهم بقتل صاحبهم فان عفوا عنه فلم يقتلوه أعطاهم الدية وأعتق نسمة وصام شهرين متتابعين وأطعم ستين مسكيناً توبة إلى الله عزوجل .

وفي التهذيب: باسناده عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئلته عن قول الله عز و جل :« ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم» قال: من قتل مؤمناً على دينه فذاك المتعمد الذى قال الله عزوجل:« وأعدّ له عذاباً عظيماً » قلت: فالرجل يقع بينه وبين الرجل شيء فيضربه بسيفه فيقتله ، فقال: ليس ذاك المتعمد الذى قال الله عزوجل .

رواه العياشي في تفسيره عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام و زاد : و لكن يقاد به ، و الدية إن قبلت قلت : فله توبة ؟ قال : نعم يعتق رقبة و يصوم شهرين متتابعين ، و يطعم ستين مسكيناً و يتوب و يتضرّع ، فأرجو أن يتاب عليه .

و فيه: باسناده عن أبي السفاتج عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: « و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » قال : جزاؤه جهنم إن جازاه .

قوله عليه السلام : « إن جازاه » يعني إن القتل مقتض للخلود في جهنم لاعلة تامة ،وهذا حكمة في الآخرة .

وفي تفسير العياشي : : أحمد بن محمد بن أبي نصر رفعه إلى الشيخ عليه السلام في قوله :« خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » قال : قال : قوم إجترحوا ذنوباً مثل قتل حمزة وجعفر الطيار ثم تابوا ، ثم قال :« ومن قتل مؤمناً لم يوفّق للتوبة إلاّ

أن الله لايقطع طمع العباد فيه ورجاؤهم منه .

قال الشيخ الحر العاملي ـ بعد ذكر الحديث في وسائل الشيعة ـ : وجه الجمع: ان من قتل مؤمناً على دينه، فهو مرتد إن تاب من الارتداد ولم يكن مرتداً عن فطرة قبل، وإلاّ قتل .

وقوله عليه السلام : « لم يوفق للتوبة » أي غالباً أو على الاقتضاء لا على طريق العلة التامة ، فليست القضية كلية ، بل هو نظير قولهم : « الرجل أقوى من المرأة »

و حاصل الكلام ان قاتل المؤمن إن قتله لايمانه بحيث علم ان بغضه له لكونه مؤمناً فالقاتل كافر قطعاً يبغضه لايقتله ، و لو لم يقتله أيضاً ، و علم بغضه كان كافراً ، وأما توبته من كفره فبأن يسلم كالوحشي قاتل حمزة حين كان كافراً ثم أسلم و قبلت توبته ، وأما القتل فيجب بالاسلام و لايعاقب عليه ظاهراً، وإن كان القاتل مسلماً ثم ارتد وقتل مؤمناً لايمانه فلايقبل توبته من إرتداده بل يقتل حداً على كل حال ، و لاقصاص عليه إذ ليس له نفسان بل يقتل على الارتداد وإن لم يكن قاتلاً .

هذا كله في المرتد الفطري وللملّي حكمه من جهة كفره، وأما من جهة كونه قاتلاً إن نجى من الحد و قبلت توبته من إرتداده فلا ريب في ثبوت القصاص عليه ، و إن تاب من القتل ، و قلنا بقبول توبته ، و إن قتل مؤمناً و لم يثبت كون القاتل مرتداً ومبغضاً للمقتول لايمانه ، فحكم القصاص فيه معلوم . و أما توبته عند الله تعالى فلا ريب في قبول توبته تفضلاً من الله تعالى كسائر الذنوب إن عرف منه الصدق ، فان مذهبنا ان قبولها تفضل مطلقاً و الله العالم .

وتؤيد ماذكرناه قصة توبة حر بن يزيد الرياحي بكربلاء ، و ماجرى بين

الامام سيد الساجدين زين العابدين على ابن الحسين و عمته زينب الكبرى سلام الله عليهما فى مجلس يزيد بن معاوية عليهما الهاوية من إمكان قبول توبة يزيد و أتباعه عليهم اللعنة والنار، ومن أراد التفصيل فليراجع إلى باب التوبة فى المجلد السابع والاربعين من هذا التفسير .



﴿بحث مذهبى﴾

و اعلم أن من الآيات القرآنية التى يستدل بها على حفظ القرآن الكريم من التحريف و التزييف ، و التغيير و التبديل ، و صونه من الزيادة و النقيصة قوله عز و جل : « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » البروج : ٢١ـ ٢٢)

رداً على من تشبث على وقوع التحريف فى القرآن الكريم بما هو مدفوع بالبداهة ونفس الكتاب .

وذلك ان الآيتين الكريمتين تخبر بأن هذا القرآن الذى بأيدى المسلمين محفوظ فى لوح هو محفوظ عندالله عز و جل ، فهو محفوظ فى محفوظ ، فكيف تمسّه يد تحريف وتطرأ عليه زيادة أو نقصان !

وان هذا الوحى السماوى بنفسه أتقن دليل على مصونيته من التحريف و التبديل إذسدّ هو بابيهما بقوله :« وانه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه» من جانب الالفاظ والمعانى ... «ولامن خلفه » من جانب الصدور ومصدر الوحى ، والمراد «من خلفه » ليس ظهراً محسوساً ، وإنما هو من جهة إنتسابه بالله جل وعلا لقوله : « تنزيل من حكيم حميد » فصلت : ٤١ـ ٤٢)

مضافاً إلى تولية الله عزوجل و تعهده بحفظ كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان و التمييز إذقال : « انانحن نزّلنا الذكر وانا له لحافظون »

الحجر : ٩)

مع تأكيد عديد في وفائه بعهده سواء كان متعلق العهد ألفاظ القرآن الكريم ، فحينئذ لا سبيل للتحريف و التغيير ، ولا الزيادة والنقصان فيه ، أم كان تعلقه بوثاقته وإعتماده أو الاعم .

فنفس القرآن الكريم أتقن برهان على مصونيته عن يد الخائن و مس شياطين الجن و الانس به ، لأن صائنه هو صانعه الذي وعد بحفظه ، فتمامية هذا الوحي السماوي من أيّ جهة بديهي ، و لم يضمن الله جل و علا بحفظ كتاب من الكتب السماوية النازلة على أنبيائه عليهم السلام غير هذا الكتاب المعجز الخالد .

و قد أجمع المسلمون قديماً و حديثاً ، و خاصة أهل الفضل و الكمال على حفظ القرآن الكريم من التحريف إلى يوم القيامة ، و القول بذلك من ضروريات الاسلام عندنا إلاّ فرقة حشوية تشبث بخبر واحد ، و هو ساقط بالذات ، و أتبعهم بعض الناس ممن إشتبه عليه الامر لعدم خبرويته في ذلك .

في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « و كتاب الله بين أظهركم ناطقاً لايعيا لسانه وبيت لاتهدم أركانه وعزّ لا تهزم أعوام » .

قال الامام عليه السلام : « بين أظهركم » ولم يقل : « بين صدورهم » إشعاراً بشدة المحاماة عنه والمرماة من دونه لان النزيل إذا حامى القوم عنه استقبلوا شبا الأسنّة وأطراف السيوف عنه بصدورهم ، وكان هو محروساً مصوناً عن مباشرة ذلك وراء ظهورهم . وقوله عليه السلام : « لايعيا » : لايكل .

واستدل بعض المتفسرين بقوله تعالى : « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ »

على قدم القرآن .

اقول: وهذا مردود لان اللوح المحفوظ هو مخلوق كسائر مخلوقات الله عزوجل ، فانه شيء وان الله تعالى خالق كل شيء ، وإلاّ يلزم تعدد القدم ، وكون شيء غير مخلوق لله تعالى .



﴿ كلام قرآني و روائي في البروج ﴾

قال الله عزوجل : « والسماء ذات البروج » البروج : ١)

وقال : « ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين و حفظناها من كل شيطان رجيم إلاّ من إسترق السمع فأتبعه شهاب مبين » الحجر :١٦-١٨)

وقال : « تبارك الذي جعل في السماء بروجاً و جعل فيها سراجاً و قمراً منيراً » الفرقان : ٦١)

وقدوردت روايات كثيرةحول البروج عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين نشير إلى ما يسعه مقام الاختصار .

في الاختصاص : باسناده عن عبدالرحمن قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن ، فسلّم فردّ عليه السلام ثم قال عليه السلام له: عندكم علماء ؟ قال : نعم قال عليه السلام : فما بلغ من علم عالمكم ؟ قال : يزجر الطير ويقفو الأثر في الساعة الواحدة مسيرة شهر للراكب المحثّ .

فقال له أبوعبدالله عليه السلام : ان عالم المدينة أعلم من عالمكم قال : وما بلغ من علم عالم المدينة ؟ قال : علم عالم المدينة ينتهي إلى أن لايقفو الأثر ولا يزجر الطير ، ويعلم في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس يقطع إثنى عشربروجاً ، وإثنى عشربراً وإثنى عشر بحراً وإثنى عشر عالماً فقال له اليماني : جعلت فداك ماظننت - أن أحداًيعلم هذا وما أدرىما هو ؟ وخرج .

وفي البحار : عن أبان بن تغلب قال : انه دخل يمانيّ على الصادق عليه السلام

فقال له مرحباً بك ياسعد فقال الرجل : بهذاالاسم سمتني امي،وقلَّ من يعرفني به ، فقال عليه السلام : صدقت ياسعد المولى ، فقال : جعلت فداك بهذا كنت القب فقال : لاخير في اللقب ، الله يقول : « ولاتنابزوا بالألقاب »

ماصنا عتك يا سعد ؟ قال : أنا من أهل بيت تنظر في النجوم فقال : كم ضوء الشمس على ضوء القمر درجة ؟ قال : لاأدري قال : فكم ضوء القمر على ضوء الزهرة درجة ؟ قال : لاأدري قال : فكم للمشتري من ضوء عطارد ؟ قال : لا أدري قال : فما إسم النجوم التي اذا طلعتها جت البقر ؟ قال : لا أدري .

فقال : يا أخاأهل اليمن عند كم علماء ؟ قال : نعم ان عالمهم ليزجر الطير ويقفوالأثر في الساعة الواحدةمسيرة الراكب المجدّ فقال عليه السلام :انعالم المدينة أعلم من عالم اليمن لان عالم المدينة ينتهي إلى حيث لايقفو الاثرويزجرالطير ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس يقطع إثني عشر برجاً و إثني عشر بحراً وإثني عشر عالماً قال : ما ظننت أن أحداً يعلم هذا ويدري .

اقول : لعل المراد بقفو الأثر : الحكم بأوضاع النجوم وحركاتها . . . و بزجر الطير : ما كان بين العرب من الاستدلال بحركات النجوم و أصواتها على الحوادث . . . و هونوع من الكهانة والقيافة .

وفي الكافي : باسناده عن الأصبغ بن نباته قال أمير المؤمنين عليه السلام :ان للشمس ثلاثمأة وستين برجاً كل بـرج منها مثل جزيرة من جزائـر العرب ، فتنزل كل يوم على برج منها ، فاذا غابت إنتهت إلى حدّ بطنان العرش ، فلم تزل ساجدة إلى الغد ثم تردّ إلى موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها ، وان وجهها لأهل السماء و قفاهـا لارض الارض ، و لـو كـان و جهها لأهل الارض لاحترقت الارض ، ومن عليها من شدةحرّها ، ومعنى سجودها مـا قال سبحانه تعالى : « ألم تران الله يسجد لهمن في السموات ومن في الارض والشمس و القمر والنجوم والجبال والشجر والدواب و كثير من الناس » .

اقول : قوله عليه السلام : « ثلاثمأة وستين برجاً » لعل المراد بها : الدرجات الدرجات التى تنتقل إليها الشمس بحركاتها الخاصة أوالمدارات التى تنتقل إلى واحد منها كل يوم فيكون هذا العدد مبنياً على ما هو الشائع بين الناس من تقدير السنة به ، وإن لم يكن مطابقاً لشيء من حركتى الشمس والقمر .

وقيل : هى الدرجات التى ينقسم مدارها إليها .

وقوله عليه السلام : « مثل جزيرة من جزائر العرب » أى نسبتها إلى الفلك نسبة جزيرة من الجزائر إلى الارض أو الغرض التشبيه فى أصل العظمة لا خصوص المقدار والمراد بيان سرعة حركتها، وإن كانت بطيئة بالنسبة إلى الحركة اليومية .

وقال الفيروز آبادى : جزيرة العرب ما أحاط به بحر الهند و بحر الشام ثم دجلة والفرات ، أوما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولاً، و من جدة إلى أطراف ريف العراق عرضاً .

وقيل : هى كناية عن طولها وسعتها .

وقوله عليه السلام : «فاذا غابت» أى بالحركة اليومية « إلى حدّ بطنان العرش» أى وسطه . ولعل المراد وصولها إلى دائرة نصف النهار من تحت الارض فانها بحذاء أوساط العرش بالنسبة إلى أكثر المعمورة . إذورد فى الاخبار ان العرش محاذ للكعبة .

وقوله عليه السلام « فلم تزل ساجدة » أى مطيعة خاضعة منقادة جارية بأمره جل وعلا « حتى تردّ إلى مطلعها » والمراد بمطلعها ما قدّر أن تطلع منه فى هذا اليوم أوما طلعت فيه فى السنة السابقة فى مثله .

وأما السجود فى الاية الكريمة فبمعنى غاية الخضوع والتذلل والانقياد سواء كان بالارادة والاختيار أو بالقهر والاضطرار ، فالجمادات لمالم يكن لها إختيار وإرادة ، فهى كاملة فى الانقياد والخضوع لما أراد الرب تعالى منها ، فهى على الدوام فى السجود والانقياد للمعبود والتسبيح والتقديس له سبحانه بلسان الذل والامكان والافتقار و كذا الحيوانات . . .

و أما ذوو العقول فلما كـانوا ذوى إرادة و إختيار فهم مـن جهة الامكان والافتقار والانقياد للامور التكوينية كالجمادات فى السجود و التسبيح ، و من حيث الامور الارادية والتكليفية منقسمون بقسمين : منهم الملائكة وهم جميعاً معصومون ساجدون منقادون من تلك الجهة إيضاً ، و ظاهر السجود فـى الاية الكريمة عام لمن فى السموات والارض لاخصوص الملائكة ، وعلى هذا ،فحمل السجود فيها على السجود التكوينى الذى يعمّ الخلق كله أولى .

وأما الناس فهم على طائفتين : طائفة مطيعة من تلك الجهة أيضاً ، وطائفة عاصية من تلك الجهة ، وإن كانت مطيعة من جهة اخرى ، فلم يتأتّ منهم غاية ما يمكن منهم من الانقياد ، فلذا قسّمهم جل وعلا إلى طائفتين فقال :« و كثير من الناس و كثير حق عليه العذاب »

وفى البحار: من كتاب النجوم للسيد بن طاووس باسناده عن إبـن ذى العلمين ، قال : كنت واقفاً بين يدى ذى الرياستين بخراسان فى مجلس المأمون ، وقد حضره أبوالحسن الرضا عليه السلام فجرى ذكر الليل و النهار ، و أيّهما خلق قبل فخاضوا فى ذلك ، و إختلفوا ثم ان ذا الرياستين سئل الرضا عليه السلام عن ذلك وعما عنده فقال له :

أتحب أن اعطيك الجواب من كتاب الله ، أو من حسابك ؟ فقال : اريده أولا من جهة الحساب ، فقال : أليس تقولون : ان طالع الدنيا السرطان ، و ان الكواكب كانت فى شرفها ؟ قال : نعم قال : فزحل فى الميزان ، و المشترى فى السرطان ،والمريخ فى الجدى ، والزهرة فى الحوت ، والقمر فى الثور ، و الشمس فـى وسط السماء فى الحمل ، و هذ الايكون إلاّ نهاراً قـال : نعم فمن كتاب الله ؟

قال : قول الله عزوجل : « لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النهار » أى النهار يسبقه .

وفي تفسير الصافي : عن الامام باقر العلوم محمد بن علي عليه السلام: البروج : الكواكب والبروج التي للربيع والصيف : الحمل و الثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة ، وبروج الخريف والشتاء : الميزان والعقرب و القوس والجدي والدلو والحوت وهي إثنى عشر برجاً .

ثم قال الفيض : البروج: القصور العالية سميت الكواكب بها لأنها للسيارات كالمنازل لسكانها.

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « تبارك الذي جعل في السماء بروجاً» الفرقان ٦١)

قال : ان البروج : الكواكب وهي إثنى عشر برجاً ستة منها للربيع والصيف وهي : الحمل والثور والجوزاء و السرطان والأسد والسنبلة ، وستة منها للخريف والشتاء وهي : الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ،وهي منازل الكواكب السيارة السبعة ، وهي : المريخ وله الحمل والعقرب ، و الزهرة ولها الثور و الميزان ، و عطارد و له الجوزاء و السنبلة ، و القمر وله السرطان ، و الشمس و لها الأسد ، و المشتري و له القوس و الحوت ، و زحل و له الجدي والدلو .

وقال الشاعر في البروج :

حمل الثور جوزة السرطان	ورعى الليث سنبل الميزان
و رمى عقرب بقوس لجدي	نزح الدلو بركة الحيتان

﴿ كلام فى البروج ﴾

قال الله تعالى : « والسماء ذات البروج » البروج : ١)

ان البروج : جمع البرج و هو يطلق على الحصن و القصر العالى كقوله تعالى : « أين ما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » النساء : ٧٨) ، وعلى أحد بروج السماء الاثنى عشر ، و هى منازل الكواكب السيارة و الشمس والقمر .

وان القمر يسير فى كل برج منها يومين وثلث يوم، فذلك ثمانية وعشرين يوماً ثم يستتر ليلتين ، وتسير الشمس فى كل برج منها شهراً، ستة منها فى شمال خط الاستواء ، وستة فى جنوبه ، فالتى فى شماله هى : الحمل والثور والجوزاء و السرطان والأسد والسنبلة ، والتى فى جنوبه هى : الميزان و العقرب و القوس و الجدى والدلو والحوت .

و تقطع الثلاثة الاولى فى ثلاثة أشهر :أولها اليوم الأول من شهر فرودين ش ـ اليوم الواحد و العشرون من شهر مارت م وهذه المدة هى فصل الربيع .

و تقطع الثلاثة الثانية فى ثلاثة أشهر أيضاً ، أولها اليوم الاول من شهر تير ش ـ اليوم الثانى والعشرون من شهر ژوئن م وهذه المدة هى فصل الصيف .

و تقطع الثلاثة الاولى من الجنوبية فى ثلاثة أشهر أيضاً، أولها اليوم الاول من شهر مهر ش ـ اليوم الثالث والعشرون من شهر سبتمبر م وهذه المدة هى فصل الخريف .

و **تقطع الثلاثة الثانية** من الجنوبية فى ثلاثة أشهر أيضاً، أولها اليوم الاول من شهر دى ش - اليوم الثانى والعشرون من شهر ديسمبر ، وهذه المدة هى فصل الشتاء .

وان لعلماء الهيئة فى معرفة النجوم ومنازلها علوماً ومعارف وهم يقولون :
دائرة فلك البروج هى دائرة عظيمة ترسمها الارض بدوراتها السنوية حول الشمس سطحها يمر فى مركز الارض ، ومركز الشمس ، وهى مائلة على خط الاستواء ٢٣ درجة و ٢٨ دقيقة .

وان الاعتدالين هما نقطتا تقاطع خط الاستواء ، ودائرة فلك البروج يسمى الواحد الاعتدال الربيعى، والثانى الاعتدال الخريفى، وان المتسامتة الاعتدالية هى الدائرة المارة بالاعتدالين ، والمتسامة المدارية هى الدائرة المارة بالمدارين .

وان الصعود المستقيم أو المطلع هو بعد جرم سماوى من الاعتدال الربيعى مقيساً على خط الاستواء شرقاً فقط ، والميل هو بعد جرم عن خط الاستواء شمالاً أو جنوباً ، والبعد القطبى هو بعد جرم عن القطب الاقرب وهو متم الميل ، والعرض السماوى هو بعد جرم عن دائرة فلك البروج شمالاً أو جنوباً ، و الطول السماوى هو بعد جرم عن الاعتدال الربيعى مقيساً على دائرة فلك البروج شرقاً .

وان منطقة فلك البروج هى منطقة واقعة على جانبى دائرة البروج عرضها ١٦ درجة وتنقسم إلى إثنى عشر قسماً متساوية تسمى أبراجاً ، وقد جعل لكل منها علامة ، وهى هذه: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت .

وان النظام الشمسى واقع فى منطقة فلكا لبروج ، وهو يتضمن مايأتى .
الشمس مركز المجموعة الشمسية .

ثم السيارات العظيمة وهى عطارد والزهرة والارض والمريخ و المشترى و زحل واورانوس ونبتون .

ثم السيارات الصغيرة، ومعروف منها الآن نحو: ١٤١ و أفلاك البعض منها تخرج عن المنطقة قليلاً .

ثم الأقمار وهي عشرون قمراً : واحد للارض ، و إثنان للمريخ ، و خمسة للمشترى ، وثمانية لزحل ، وأربعة لاورانوس والنبتون .

ثم الشهب .

ثم نجوم مذنبة يعرف منها الآن أكثر من ٢٠٠ لا تعرف أفلاك غير تسعة منها.

ثم النور البرجي .

وان المجموعة الشمسية عائمة في الفضاء الذي لانهاية له بين مجموعات شمسية اخرى لا يحصيها إلا الله عزوجل، وهي ممسوكة بقانون الجاذبة العامة التي تجذب جميع الاجرام السماوية بعضها إلى بعض على ما بيّنه نيوتن .

ففي مجموعنا الشمسي تعتبر الشمس مركزاً لجميع الكواكب الدائرة حولها، فهي تجذبها إليها وتحفظها من الانفراط ، وهي دائرة حولها .

وان السيارات تدور في أفلاك اهليلجية الشكل حول الشمس مع دورانها على محاورها الخاصة بها، ثم الاقمار كل واحد منها يدور حول سيارة الخاص كما بيّنا، والجميع تدور بسرعة عجيبة ثم ذات الأذناب، وهي تقطع بسرعة غريبة أفلاك السيارات في أوقات مختلفة ...

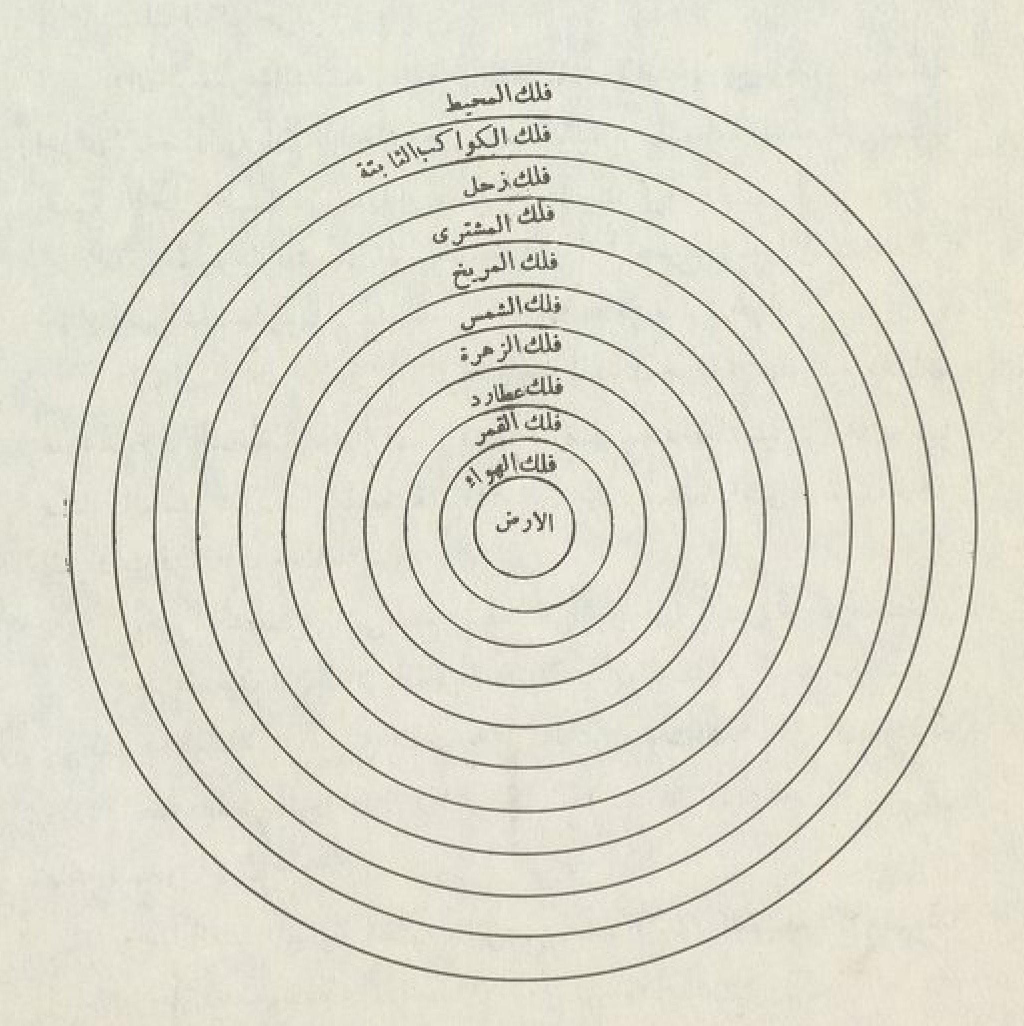
وأخيراً الشهب وهي التي تلمع وتنقص في الجوّ في أوقات، وأماكن مختلفة...

وهم يقولون : ان الفلك المحيط دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق إلى المغرب فوق الارض ، ومن المغرب إلى المشرق تحت الارض في كل يوم وليلة دورة واحدة ويدير سائر الأفلاك والكواكب معه كما قال الله عزوجل :« و كل في فلك يسبحون » يس: ٤٠)

وهذا الفلك المحيط مقسوم باثنى عشر قسماً كجزر البطيخة كل قسم منها يسمى برجاً، وهذه أسماؤها : الحمل والثور والجوزاء ...

فكل برج ثلاثون درجة جملتها ثلاثمائة وستون درجة، و كل درجة ستون جزءاً و كل جزء يسمى دقيقة ، وجملتها أحدوعشرون ألفاً وستمائة دقيقة، و كل دقيقة ستون جزءاً يسمى ثانية ، و كل ثانية ستون جزءاً و كل جزء يسمى ثالثة، وهكذا إلى الروابع والخوامس ، ومازاد بالغاً مابلغ .

ومثال ذلك الرسم ماتراه :

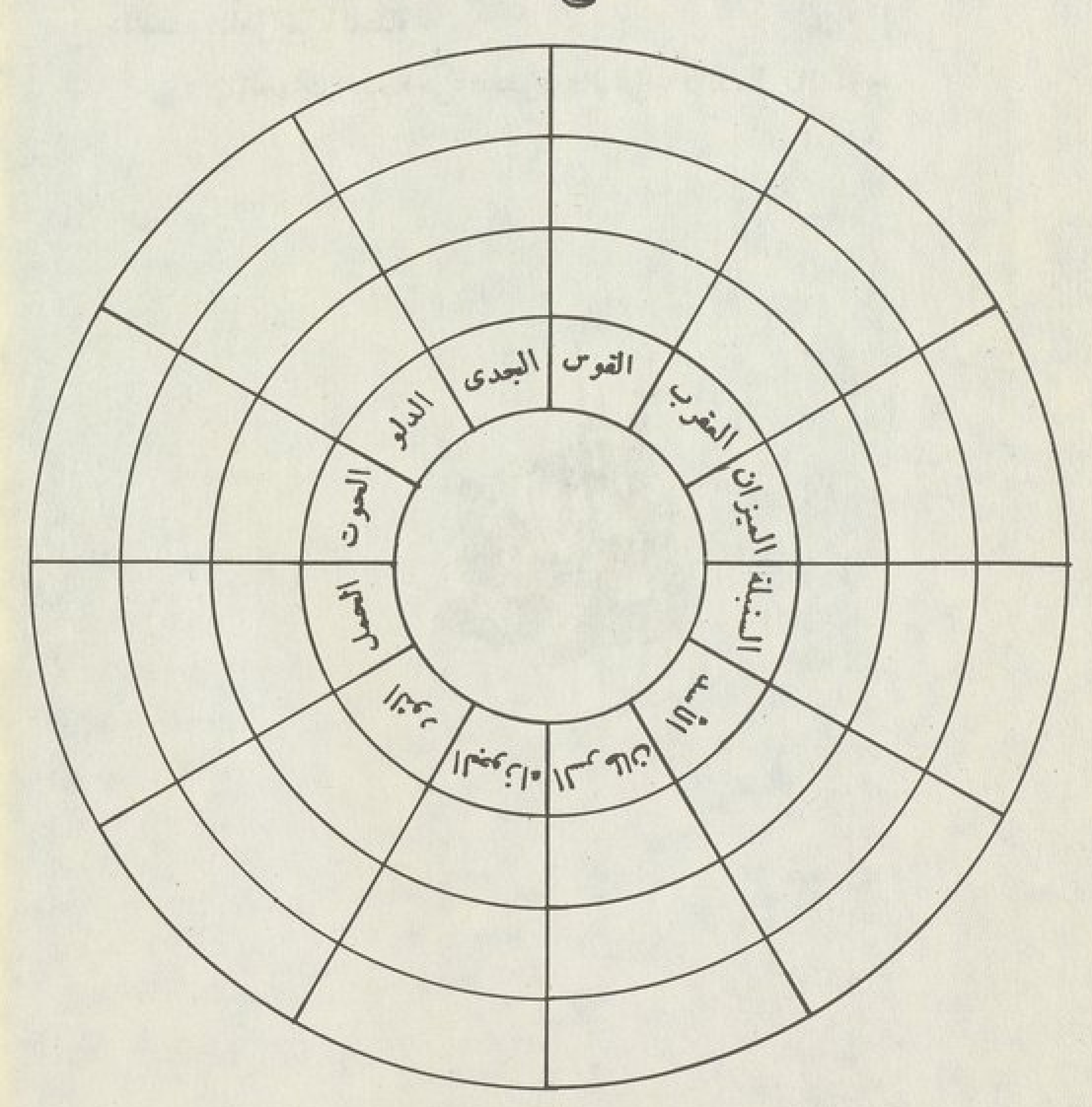


ومن غير بعيد أن تلك الأفلاك كلها في السماء الدنيا، و في السماء الثانية إلى السابعة أفلاك غيرها، وهذه البروج توصف بأوصاف شتى من جهات عدّة وقبل وصفها لابد من ذكر الفصول والجهات ، وهي ان الفصول على أربعة فصول: الربيع والصيف والخريف والشتاء .

وان الجهات أربع وهي: المشرق والمغرب والشمال والجنوب .



﴿البروج و صفاتها﴾



تصف العلماء البروج بصفات فتقول : ستةمنها شمالية وستة جنوبية :

أما الاولى: فهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة وإذا كانت الشمس فى واحد منها يكون الليل أقصر والنهار اطول .

و اما الثانية : فهى الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت .

وإذا كانت الشمس فى واحد منها يكون الليل أطول والنهار أقصر .

وستة منها مستقيمة الطلوع وستة اخرى معوّجة الطلوع .

أما الاولى: فهى السرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب و القوس و كل واحد منها يطلع أكثر من ساعتين

وإذا كانت الشمس فى واحد منها تكون هابطة من الشمال إلى الجنوب ومن الأوج إلى الحضيض والليل آخذ من النهار .

وأما الثانية : فهى الجدى والدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء .

و كل واحد منها يطلع أقل من ساعتين .

وإذا كانت الشمس فى واحد منها تكون صاعدة من الجنوب إلى الشمال ومن الحضيض إلى الاوج والنهار آخذ من الليل .

وإلى الأخذين أشار تعالى بقوله: « ألم تر ان الله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وان الله بما تعملون خبير » **لقمان : ٢٩)**

وستة منها ذكور نهارية وستة اخرى اناث ليلية :

أما الاولى: فهى الحمل والجوزاء والأسد والميزان والقوس والدلو .

وأما الثانية : فهى الحوت والجدى والثور والسرطان والسنبلة و العقرب .

وأما التى تطلع بالنهار فهى من البرج الذى فيه الشمس إلى البرج السابع منها، وأما التى تطلع بالليل فهى من البرج السابع إلى البرج الذى فيه الشمس .

ومن وجه آخر تنقسم هذه البروج إلى أربعة اقسام :

ثلاثة منها ربيعية صاعدة فى الشمال زائدة النهار على الليل و هى الحمل و

الثور و الجوزاء .

وثلاثة منها صيفيّة هابطة فى الشمال آخذة الليل من النهار وهى السرطان والأسد والسنبلة .

وثلاثة منها خريفية هابطة فى الجنوب زائدة الليل على النهار وهى الميزان والعقرب والقوس .

وثلاثة منها شتويّة صاعدة من الجنوب آخذة النهار من الليل وهى الجدى والدلو والحوت .



﴿ كلام فى أصحاب الاخدود ﴾

قال الله عزوجل : « قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود إذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود » البروج : ٤ ـ ٧)

وقد كثرت الروايات والاقوال فى أصحاب الاخدود ، و فى الزمان الذى كانوا فيه ، و فى الوطن الذى كانوا ينتسبون إليه .

وان القرآن الكريم لايذكر أسماء الأشخاص أو تحديد الأماكن أو الا زمان إلاّ إذا كان للشخص دلالة خاصة فى ذاته لاترى فى غيره أو كان للمكان أو الزمان أثر خاص فى الحدث الذى حدث فيه ، أوصفات لاتوجد فى مكان آخر ، أو زمن غير هذا الزمن ، و أما حين لا يكوّن للشخص أو المكان أو الزمان وزن خاص فى ميلاد الحدث ، و لا فى تكوين صورته وطبعه بطابعه الخاص ، فلا يعنى القرآن الكريم بذكر ذات الشخص و لا موضع المكان و لا حدود الزمان . . .

و ذلك ليكون الحدث مطلقاً من أىّ قيد ليعطى دلالة و حكمة حتى يلتقى بما يشبهه من ذوات الأشخاص وملامح الزمان والمكان .

ومهما يكن من قصة الاخدود فان روح الايات الكريمة حولها، وإكتفائها بالاشارة الخاطفة إلى أصحاب الاخدود يدل على أن سامعى القرآن الكريم كانوا يعرفون حادث التحريق فى الاخدود و أسبابه ، فاقتضت حكمة التنزيل

التذكير به فى صدر الحملة على مقتر فى إثم يماثل إثم أصحاب الاخدود ، و اسلوب الايات اسلوب تقريعى لهذا العمل الوحشى الظالم غضباً على اناس آمنوا بالله جل وعلا ، وتمسكوا بايمانهم ، و فيه تلقين عام مستمر المدى ، و فيه درس التضحية والفداء فى سبيل الله جل وعلا .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما ذكرت أصحاب الاخدود إلاّ تعوّذت بالله من جهد البلاء » وأما إختلاف الروايات الواردة فى القصة فيمكن لنا الجمع بتكررها ونظيرها فى الازمان . . .

ونشير الى ما يسعه المقام لما فيها من المواعظ والدروس والعبر فاعتبروا يا اولى الابصار .

١- فى كمال الدين وتمام النعمة عن أبى رافع عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث طويل يقول فيه وقد ذكر بخت النصر - : وملك بعده مهرويه بن بخت نصرستة عشر سنة وعشرين يوماً ، وأخذ عند ذلك دانيال ، وحفر له جباً فى الارض وطرح فيه دانيال عليه السلام وأصحابه وشيعته من المؤمنين ، فالقى عليهم النيران ، فلما رآى ان النار ليست تقربهم ولاتحرقهم استودعهم الجبّ ، وفيه الاسد والسباع بكل لون من العذاب حتى خلّصهم الله عزوجل منه ، و هم الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه فقال جل وعز : « قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود »

اقول : رواه إبن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه فى « الغيبة » والبحرانى فى « البرهان » والحويزى فى « نور الثقلين » .

٢- فى البحار بالاسناد عن جابر بن يزيد الجعفى عن الباقر عليه السلام قال : ولّى عمر رجلاً كورة من الشام ، فافتتحها و إذا أهلها أسلموا فبنى لهم مسجداً ، فسقط ثم بنى فسقط ثم بناه فسقط ، فكتب إلى عمر بذلك ، فلما قرأ الكتاب سئل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم : هل عندكم فى هذا علم ؟ قالوا : لا .

فبعث إلى على بن أبيطالب عليه السلام فاقرأه الكتاب ، فقال : هذا نبى كذّبه قومه، فقتلوه ودفنوه فى هذاالمسجد ، وهو متشحّط فى دمه، فاكتب إلى صاحبك فلينبشه فانه سيجده طرياً ليصلّ عليه وليد فنه فى موضع كذاثم ليبن مسجداً فانه سيقوم ففعل ذلك ثم بنى المسجد فثبت .

وفى رواية: اكتب إلى صاحبك أن يحفر ميمنة أساس المسجد فانه سيصيب فيها رجلاً قاعداً يده على أنفه ووجهه ، فقال عمر: من هو؟قال على عليه السلام : فاكتب إلى صاحبك فليعمل ما أمرته ، فان وجده كما وصفت لك اعلمتك إن شاء الله ، فلم يلبث إذ كتب العامل : أصبت الرجل على ما وصفت ، فصنعت الذى امرت ، فثبت البناء فقال عمر لعلى عليه السلام : ما حال هذا الرجل ؟ فقال : هذا نبى أصحاب الاخدود .

و فى السيرة النبوية لابن هشام : ان رجلاً من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب حفرحربة من خرب نجران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعداً واضعاً يده على ضربة فى رأسه،ممسكاً عليها بيده فاذا اخرت يده عنها تثعبت ـ أىسالت ـ دماًوإذا ارسلت يده ردّها عليها ، فامسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : «ربى الله » فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبر بأمره ، فكتب إليهم عمر: أن أقرّوه على حاله ،وردّوا عليه الدفن الذى كان عليه ففعلوا .

ومن ذلك ما يروىمن أن حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه وجده معاوية حين حفر العين صحيحاً لم يتغيّر وان الفأس أصابت إصبعه فدميت .

رواه إبن كثير الدمشقى فى « تفسيره »

وفيه : عن إبراهيم محمد عبدالله بن جعفر بن أبيطالب حدثنى بعض أهل العلم : ان أباموسى لماافتتح اصبهان وجد حائطاًمن حيطان المدينة قدسقط فبناه، فسقط

ثم بناه ، فسقط فقيل له : إن تحته رجلاً صالحاً فحفر الأساس فوجد فيه ورجلاً قائماً معه سيف فيه مكتوب : أنا الحارث بن مضاض نقمت على أصحاب الاخدود فاستخرجه أبو موسى ، وبنى الحائط فثبت « فقلت » هو الحارث بن مضاض بن عمر وبن مضاض بن عمر و الجرهمى أحد ملوك جرهم الذين و لّوا أمر الكعبة بعد ولد نابت بن إسمعيل بن إبراهيم ، وولد الحارث هذا هوعمر و بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة ، و أجلوهم الى اليمن وهو القائل فى شعره الذى قال إبن هشام : إنه أول شعر قالته العرب :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا　　أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا　　صروف الليالى والجدود العوائر

و هذا يقتضى أن هذه القصة كانت قديماً بعد زمان إسمعيل ﷺ بقرب من خمسمأة سنة أو نحوها ، و ما ذكره إبن إسحق يقتضى أن قصتهم كانت فى زمان الفترة التى بين عيسى و محمد عليهما من الله السلام و هو أشبه و الله أعلم .

وقد يحتمل أن ذلك قد وقع فى العالم كثيراً كما قال إبن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا أبو اليمان أخبر نا صفوان بن عبدالرحمن إبن جبير قال : كانت الاخدود فى اليمن زمان تبع ، وفى القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح و التوحيد ، فاتخذوا أتوناً و ألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح و التوحيد ، و فى العراق فى أرض بابل بختنصر الذى صنع الصنم و أمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال و صاحباه عزريا وميشائيل فأوقد لهم أتوناً ، وألقى فيها الحطب و النار ثم ألقاهما فيه ، فجعلها الله تعالى عليهما برداً وسلاماً ، و أنقذهما منها و ألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلهم النار .

و قال أسباط عن السدى في قوله تعالى : « قتل أصحاب الاخدود » قال : كانت الاخدود ثلاثة : خدّ بالعراق ، وخدّ بالشام ، وخدّ باليمن. رواه إبن أبى حاتم .

وعن مقاتل قال : كانت الاخدود ثلاثة :واحدة بنجران باليمن ، و الاخرى بالشام ، واخرى بفارس حرقوا بالنار أما التى بالشام فهو انطنابوس الرومى ، و أما التى بفارس فهو بختنصر ، وأما التى بأرض العرب فهويوسف ذو نواس ، فأما التى بفارس والشام ، فلم ينزل الله تعالى فيهم قرآناً ، و أنزل فى التى كانت بنجران .

وفيه : عن إبن أنس فى قوله تعالى :«قتل أصحاب الاخدود » قال : سمعنا انهم كانوا قوماً فى زمان الفترة ، فلما رآوا ما وقع فى الناس من الفتنة والشر ، وصاروا أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون ، إعتزلوا إلى قرية سكنوها و أقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمر هم حتى سمع بهم جبار من الجبارين ، وحدث حديثهم ، فأرسل إليهم، فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التى اتخذوا وانهم أبوا عليه كلهم ، وقالوا لانعبد إلاّ الله وحده لاشريك له ،فقال لهم : إن لم تعبدوا هذه الآلهة التى عبدت ،فانى قاتلكم فأبوا عليه فخدّ اخدوداً من نار .

وقال لهم الجبار و وقفهم عليها ، اختاروا هذه أو الذى نحن فيه فقالوا : هذه أحب إلينا ، وفيهم نساء وذرية ، ففزعت الذرية فقالوا لهم : آباؤهم لانار من بعد اليوم ، فوقعوا فيها : فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسّهم حرّها وخرجت النار من مكانها ، فأحاطت بالجبارين ، فأحرقهم الله بها ففى ذلك أنزل الله عزوجل : « قتل أصحاب الاخدود . . . »

وفى المجمع: عن ميثم التمار قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام - وذكر أصحاب الاخدود - فقال : كانوا عشرة ، وعلى مثالهم عشرة يقتلون فى

هذا السوق .

وفيه : وقال مقاتل : كان أصحاب الاخدود ثلاثة: واحد بنجران، والآخر بالشام والآخر بفارس حرقوا بالنار ، أما الذى بالشام فهو انطيا خوس الرومى ، وأما الذى بفارس فهو بخت نصر ، وأما الذى بأرض العرب فهو يوسف بن ذى نواس ، فأما من كان بفارس و الشام ، فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآناً ، و أنزل فى الذى كان بنجران ، وذلك ان رجلين مسلمين ممن يقرؤن الانجيل :

احدهما ـ بأرض تهامة .

والآخر ـ بنجران اليمن ، أجر أحدهما نفسه فى عمل يعمله ، فجعل يقرأ الانجيل ، فرأت إبنة المستأجر النور يضيء من قراءة الانجيل ، فذكرت لأبيها فرمق ـ أى أطال النظر إليه ـ حتى رآه فسئله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام ، فتابعه مع سبعة وثمانين إنساناً من رجل وامرأة ، و هذا بعدما رفع عيسى إلى السماء فسمع يوسف بن ذى نواس بن شراحيل بن تبع الحميرى فخدّ لهم فى الارض وأوقد فيها ، فعرضهم على الكفر ، فمن أبى قذفه فى النار ، و من رجع عن دين عيسى لم يقذف فيها ، و إذا إمرأة جائت و معها ولد صغير لايتكلم ، فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى إبنها فرجعت فقال لها :

يا اماه ! إنى أرى أمامك ناراً لاتطفىء فلماسمعت من إبنها ذلك قذفهافى النار ، فجعلها الله وإبنها فى الجنة ، وقذف فى النار سبعة وسبعون إنساناً . قال إبن عباس : من أبى أن يقع فى النار ضرب بالسياط ، فأدخل الله أرواحهم فى الجنة قبل أن تصل أجسامهم إلى النار .

وفى الكامل : لا بن الأثير عن إبن عباس : كان ذلك قبل مولد النبى صلى الله عليه وآله وسلم بسبعين سنة .

و فـى الجامع لاحكام القـرآن للقرطبى : قال الضحاك : هم قوم مـن النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم بأربعين سنة ، أخذهم يوسف إبن شراحيل بن تبع الحميرى ، و كانوا نيفاًوثمانين رجلاً ، و حفرلهم اخدوداً وأحرقهم فيه .

وفيه : عن إبن عباس : ان النار إرتفعت من الاخدود فصارت فوق الملك ، و أصحابه أربعين ذراعاً فأحرقتهم .



﴿أصحاب الاخدود و قصصهم﴾

وقدسبق مناآنفاًانقصة أصحاب الاخدود قدوردت بطرق مختلفة، وأشرت سابقاً إلى بعض مجملاتها ، فنأخذ ههنا بذكر بعض مفصلاتها لمافيها من فوائد و دروس كمافي مجملاتها :

في صحيح مسلم :باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: كان ملك فيمن كان قبلكم ،و كان له ساحر ، فأتى الساحر الملك ، فقال: قد كبرت سنى ودنا أجلى ، فادفع لي غلاماً لاعلّمه السحر ، فدفع إليه غلاماً يعلّمه السحر ، و كان الغلام يختلف إلى الساحر ، و كان بين الساحر و بين الملك راهب ، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه(أمره خ)و كلامه ، فكان يطيل عنده القعود ، فاذا أبطأعن الساحر ضربه ، وإذا أبطأ عن أهله ضربوه ، و قالوا : ماحبسك فشكى ذلك إلى الراهب، فقال له الراهب: إذا قال لك الساحر:ماحبسك؟ قل: حبسني أهلي، وإذاقال أهلك : ماحبسك ؟ فقل : حبسني الساحر .

فبينما هو كذلك إذمرّ في طريق ، وإذاً دابة عظيمة فظيمة في الطريق قد حبست الناس لاتدعهم يجوزون ، فقال الغلام : الآن أعلم أمرالساحر ارضى عند الله أم أمرالراهب (أعلم أمرالساحر أفضل أم أمر الراهب خ) (اليوم أعلم ألساحر أفضل أم الراهب أفضل خ) (أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر خ) قال : فأخذ حجراً ، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك من أمر الساحر، فاني أرمي بحجري هذا فاقتل هذه الدابة، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب،

فأخبره فقال له الراهب : أى بنىّ ! أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ماأرى .

وانك ستبتلى فان ابتليت فلاتدلّ علىّ ، و كان الغلام يبرىء الأكمه والابرص وسائر الأدواء ويشفيهم . و كان للملك جليس فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : إشفنى ! فقال: ماأنابطبيب يشفيك ولكن الله يشفى ، فان آمنت به دعوت الله أن يشفيك ، فآمن الأعمى فدعا الله فشفاه ، فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : أليس كنت أعمى ؟ قال: نعم قال : من شفاك ومن ردّ عليك بصرك ؟ قال: ربى قال : أنا؟ قال : لاقال : ولك رب غيرى ؟ قال : نعم ربى و ربك الله.

فأخذه بالعذاب فلم يزل به فقال : لتدلّنى على من علّمك هذا ، فدلّ على الغلام فبعث إلى الغلام فجيىء به ، فقال له الملك : أى بنىّ ! قد بلغ من أمرك (من سحرك خ) أن تشفى الاكمه والابرص وهذه الادواء ؟ قال: ماأشفى أحداً إنما يشفى الله، فقال له : إرجع عن دينك ، فأبى الغلام ، فأخذه بالعذاب حتى دلّه على الراهب ، فجيىء بالراهب ، فقال له : إرجع عن دينك ، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى بلغ الارض ، وأخذ الاعمى ، فقال : لترجعنّ أو لأقتلنك ؟ فأبى الاعمى ، فوضع المنشار على هامته ، فشقه شقين .

ثم قال للغلام: لترجعنّ عن دينك أو لأقتلنك؟ فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: إذهبوا به إلى جبل كذا و كذا فاصعدوا به الجبل، فاذا بلغتم ذروته، فان رجع عن دينه ، وإلاّ فاطرحوه منه، فلما بلغوا به ذروة الجبل ، قال: اللهم اكفينهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فوقعوا فماتوا كلهم، وجاء الغلام ماشياً إلى الملك ،فقال له الملك، فقال:أين أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر آخرين من أصحابه فقال : إذهبوا به فلججوه فى البحر ، فان رجع عن دينه ، وإلاّ فغرقوه ، فانطلقوا به فى السفينة العظيمة ،فلما توسطوا به البحر، قال الغلام: اللهم اكفنيهم بماشئت،

فانكفأت بهم السفينة فغرقوا أجمعون ، وجاء الغلام حتى دخل على الملك ، فقال: مافعل أصحابك ؟

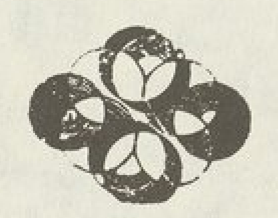
قال: دعوت الله فكفانيهم ، فقال الملك : لأقتلنك ! قال : ماأنت بقاتلي حتى تصنع ماأمرك به فقال الغلام للملك : أجمع الناس في صعيدو احدثم اصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي فارمني ، وقل: باسم رب الغلام فانك إذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع الناس في صعيد واحد ، وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته، ووضع السهم في كبد القوس ثم قال : باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغ الغلام فوضع يده في صدغه في موضع السهم ، فمات الغلام .

فقال الناس: آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! فقيل له: أرأيت ما كنت تخاف قد نزل والله بك آمن الناس كلهم (فقالوا للملك: ماصنعت الذي كنت تحذر قد وقع قد آمن الناس خ) فأمر بأفواه السكك فأخذت وخد الاخدود و ضرم فيه النيران ، وأخذهم ، وقال : من رجع عن دينه فدعوه ،ومن أبى فاقتحموه فيها، فجعلوا يقتحمونها ففعلوا حتى جاءت إمرأة بابن لها، فلما ذهبت تقتحم وجدت حر النار ، فنكصت ، فقال لها صبيها: يا اماه امضي و اصبري فانك على الحق ، فاقتحمت في النار .

اقول: رواه الطبري في تفسيره والطبرسي في (مجمع البيان) و القرطبي في (الجامع لاحكام القرآن) وإبن كثير في (تفسيره) و غيرهم من كثير من المفسرين باختلاف يسير .

وفي تفسير الطبري: باسناده عن إبن أبزى قال: لما رجع المهاجرون من بعض غزواتهم بلغهم نعي عمر بن الخطاب ، فقال بعضهم لبعض: أي الاحكام تجري في المجوس ، وانهم ليسوا بأهل كتاب وليسوا من مشركي العرب ، فقال علي بن أبيطالب رضي الله عنه قد كانوا أهل كتاب ، وقد كانت الخمر أحلت لهم فشربها ملك من ملوكهم حتى ثمل منها، فتناول اخته ، فوقع عليها فلماذهب عنه السكر

قال لها :ويحك فما المخرج مما ابتليت به؟ فقالت أخطب الناس فقل:
يا أيها الناس ان الله قد أحل نكاح الاخوات، فقام خطيباً ،فقال : يا أيها الناس!
ان الله قد أحل نكاح الأخوات ، فقال الناس: إنا نبرأ إلى الله من هذا القول ، ما أتانا
به نبي ولا وجدناه في كتاب الله فرجع إليها نادماً ، فقال لها : ويحك ان الناس قد
ابوا على أن يقروا بذلك فقالت : أبسط عليهم السياط، ففعل فبسط عليهم السياط
،فأبوا أن يقروا فرجع إليها نادماً، فقال: انهم أبوا أن يقروا فقالت : اخطبهم فان
أبوا فجرد فيهم السيف، ففعل فأبى عليه الناس، فقال لها:قد أبى علي الناس،فقالت:
خد لهم الاخدود ثم اعرض عليها أهل مملكتك ، فمن أقر وإلا فاقذفه في
النار ففعل ثم عرض عليها أهل مملكته ، فمن لم يقر منهم قذفه في النار فأنزل الله
فيهم « قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود - إلى - ولهم عذاب الحريق » فلم
يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الاخوات والبنات والامهات .



« اليهود وأصحاب الاخدود »

وقدوردت روايات كثيرة عن الطريقين : ان أصحاب الاخدود هم اليهود الذين أخذوا رجالاً من المؤمنين ونساءاً من المومنات ، فخدّوا لهم الأخاديدثم أوقدوافيها النار ، فأحر قوهم .

اقول : وهذاليس ببعيد من اليهودالعنيد . وقد رأيناجنايتهم ـ مع حماية الدولة الآمير يكية الطاغية و أذنابها المستثمرة إياهم ـ فى زماننا هذا بمسلمى فلسطين فى سنين عديدة وخاصة سنة , ١٤٠٣ هـ ق = ١٣٦١ هـ ش كيف قتلوا هؤلاء المسلمين مجتمعين او كيف أحرقوا صغير هم و كبيرهم ، رجالهم و نساه هم ، شبابهم وشيوخهم ،وحتى صبيانهم المرتضعين ، و ما كانت جنايتهم هذه أقل من جناية أصحاب الاخدود بل أشد بمرّات . . .

فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « قتل أصحاب الاخدود » قال : كان سببهم ان الذى هيّج الحبشة على غزوة اليمن ذونواس ، وهو آخر من ملك من حمير تهوّدواجتمعت معه حمير على اليهودية ، وسمى نفسه يوسف ،فأقام على ذلك حيناً من الدهر ثم اخبران بنجران بقايا قوم على دين النصرانية ، و كانوا على دين عيسى عليه السلام وعلى حكم الانجيل ، ورأس ذلك الدين عبدالله بن بريا من (عبدالله بن الثامر خ) ـ و هو فى أكثر الروايات ـ فحمله أهل دينه على أن يسير إليهم ويحملهم على اليهودية ، ويدخلهم فيها فسار حتى قدم نجران ، فجمع من كان بها على دين النصرانية.

ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها ، فأبوا عليه فجادلهم و عرض عليهم وحرّص الحرص كله فأبوا عليه ، وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها ، واختاروا القتل فخدّ لهم خدوداً وجمع فيها الحطب وأشعل فيه النار فمنهم من احرق بالنار ومنهم من قتل بالسيف ومثّل بهم كل مثلة ،فبلغ عدد من قتل وأحرق بالنار عشرين ألفاً، وأفلت رجل منهم يدعى دوس ذو ثعلبان على فرس له ، وركضه واتبعوه حتى أعجزهم في الرمل ،ورجع ذو نواس إلى ضيعة(صنيعة خ) في جنوده، فقال الله: « قتل أصحاب الاخدود ـ إلى قوله ـ العزيز الحميد »

وفي تفسير النيسابوري : ما لفظه : وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعا هم فأجا بوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير، فخيّر هم بين النار و اليهود فأبوا فأحرق منهم إثنى عشر ألفاً في الأخاديد . و قيل : سبعين ألفاً . وذكر ان طول الاخدود أربعون ذراعاً وعرضه إثنا عشر .

وفي الجامع لاحكام القرآن : عن الثعلبي: ان أصحاب الاخدود من بني إسرائيل أخذوا رجالاً ونساءاً فخدّوا لهم الأخاديد ، ثم أو قدوا فيها النار ، ثم اقيم المؤمنون عليها وقيل : لهم تكفرون أو تقذفون في النار ؟ويزعمون انه دانيال وأصحابه .

أعلم الله عزوجل المؤمنين من هذه الامة في هذه الآية ما كان يلقاه من وحّد قبلهم من الشدائد، يؤنسهم بذلك ،وذكر لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من الأذى والآلام ، والمشقات التي كانوا عليها ، ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمكّسه به ، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته ، ودخول الناس في الدين مع صغر سنّه وعظم صبره ، و كذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار ،وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الايمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار ، و لم يرجعوا في دينهم .

﴿ الفتنة و أقسامها ﴾

قال الله عزوجل : « ان الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق » البروج : ١٠)

واعلم أن أصل الفتنة هو : إخلاص الشيء باحراق ما فيه من الفساد . يقال : فتنت الذهب بالنار إذا أخلصته من الغش باحراقه . و منه :

قوله تعالى :« يومهم على النار يفتنون» الذاريات: ١٣) أي يحرقون إحراق ما يطلب إخلاصه من الفساد .

والفتنة : شدة في التعبد تظهر ما في نفس العبد: من خير وشر، ومن خلوص ونفاق ... وان الفتنة في القرآن الكريم على وجوه وأقسام :

في تفسير النعماني : فيما سئل أمير المؤمنين إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام عن المتشابه في تفسير الفتنة ؟ فقال:

منه : فتنة الاختبار وهو قوله تعالى :« ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وقوله لموسى :« وفتنّاك فتوناً » .

ومنه :فتنة الكفر وهو قوله تعالى : « لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله » وقوله سبحانه في الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك أن يتخلّفوا عنه من المنافقين، فقال الله تعالى فيهم :« ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا » يعني ائذن لي ولا تكفرني، فقال عزوجل :« ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين » .

ومنه : فتنة العذاب . وهو قوله تعالى :« يوم‌هم على النار يفتنون »أى يعذّبون« ذوقوا فتنتكم هذاالذى كنتم به‌تستعجلون » أى‌ذوقوا عذابكم .

ومنه : قوله تعالى :« ان‌الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم‌لم يتوبوا » أى عذّبوا المؤمنين .

ومنه : فتنة المحبة للمال والولد كقوله تعالى : « إنماأموالكم وأولادكم فتنة »

ومنه: فتنة المرض وهو قوله سبحانه :« أولايرون انهم يفتنون فى كل‌عام مرة أومرتين ثم‌لايتوبون ولاهم يذكرون » أى‌يمرضون ويقتلون .

و فى التوحيد: الفتنة على‌عشرة أوجه :

فوجه منها الضلال .

والثانى: الاختبار وهوقوله عزو جل : « وفتنّاك فتوناً » يعنى إختبرناك إختباراً ، وقوله عزو جل : « ألم أحسب الناس أن‌يتركوا أن‌يقولوا آمنا وهم‌لا يفتنون » يعنى لايختبرون .

و الثالث :الحجة وهوقوله عزوجل :« ثم‌لم تكن فتنتهم إلاّ أن قالوا و الله ربنا ما كنا مشركين »

والرابع: الشرك وهوقوله عزوجل :« والفتنة أشدمن القتل »

والخامس: الكفر وهو قوله عزوجل : « ألا فى الفتنة سقطوا » يعنى فى الكفر .

والسادس: الاحراق بالنار وهوقوله عزوجل :« ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات» يعنى‌أحرقوا .

والسابع: العذاب وهو قوله عز و جل : « يوم‌هم على‌النار يفتنون » يعنى يعذّبون .

و قوله عز و جل : « ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم بهتكذبون » يعنى عذابكم . وقوله عزوجل :« ومن يرداللّه فتنته » يعنى عذابه ، فلن تملك لهمن اللّه شيئاً .

والثامن: القتل وهو قوله عزوجل : « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا» يعنى إن خفتم أن يقتلوكم وهو قوله عزوجل : «فما آمن لموسى إلاّ ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم » يعنى أن يقتلهم .

والتاسع: الصدّ وهو قوله تعالى : « و إن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك » يعنى ليصدونك .

والعاشر : شدة المحنة و هو قوله عزوجل : « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا » وقوله عزوجل : «ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين» أى محنةفيفتنّوا بذلك ويقولوا فى أنفسهم : لم نقتلهم إلاّ و دينهم الباطل و ديننا الحق ، فيكون ذلك داعياً لهم إلى النار على ما هم عليه من الكفر والظلم .

وقد زاد على بن إبراهيم على هذه الوجوه العشرة وجهاً آخر فقال : من الوجوه من الفتنة ما هو المحبة وهو قوله عزوجل : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » أى محبّة .

وفى الملاحم والفتن: باسناده عن عاصم بن ضمرة عن على بن أبى طالب عليه السلام قال : « جعل اللّه فى هذه الامة خمس فتن : فتنة عامة ، ثم فتنة خاصة ، ثم فتنةعامة ،ثم فتنة عامة(خاصةخ)، ثم فتنة خامسة تصير الناس فيها كالبهائم »

وفى رواية : عن عاصم بن حمزة عن على عليه السلام قال:جعل اللّه فى هذهالامة خمس فتن : فتنة خاصة ، وفتنة عامة ، ثمفتنة خاصة ، ثمفتنة عامةثم تجيىء فتنة سوداء مظلمة يصير الناس فيها كالبهائم »

وفيه : باسناده عن حذيفة إبن اليمانقال : قال رسول اللّه : تكون فتنة ثم

تكون جماعة ،ثم تكون فتنة ، ثم تكون جماعة، ثم فتنة يعوج فيها عقول الرجال.

وفى رواية : قال ﷺ : «بين ذلك ثبج أعوج ، ليسوا مني ولا أنا منهم» الثبج : هو معظم الناس وأكثرهم

وفيه : باسناده عن عبدالله بن مسعود قال :قال لنا رسول الله ﷺ : أحذركم سبع فتن تكون بعدى فتنة تقبل من المدينة ، وفتنة بمكة ، وفتنة تقبل من اليمن ، وفتنة تقبل من الشام ، وفتنة تقبل من المشرق ، و فتنة من المغرب ، و فتنة من بطن الشام ، وهى فتنة السفياني . قال إبن مسعود: منكم من يدرك أولها ومن هذه الامة من يدرك آخرها . وقال الوليد بن عباس : فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة و الزبير ، و فتنة مكة فتنة إبن الزبير و فتنة اليمن من قبل نجدة ، وفتنة الشام من قبل بنى امية ، وفتنة المشرق من قبل هؤ لاء قال سيد ابن طاووس : وقلت: أنا لعله يعنى بنى العباس لان ولايتهم كانت قبل المشرق .

وفيه : قال رسول الله ﷺ : لتأتيكم بعدى أربع فتن : الاولى يستحل فيها الدماء و الثانية يستحل فيها الدماء والاموال ، و الثالثة يستحل فيها الدماء و الاموال و الفروج ، و الرابعة صماء عمياء مطبقة تمور مور السفينة في البحر حتى لايجد أحد من الناس منها ملجأ تطير بالشام ،وتغشى العراق وتخبط الجزيرة يدها ورجلها ، يعرك الأنام فيها البلاء عرك الأديم لايستطيع من الناس يقول فيها: مه . . مه . . ؟ لاترفعونها من ناحية إلاّ إنفتقت من ناحية اخرى .

وفيه : باسناده عن أرطأة بن المنذر قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : يكون في امتى أربع فتن: فالاولى يصيبهم فيها بلاء حتى يقول المؤمن : هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، والثانية حتى يقول المؤمن : هذه مهلكتي ، والثالثة كلما قيل : إنقطعت تمادت الفتنة ، والرابعة تصيبهم إذا كانت الامة مع هذه مرة ومع هذا مرة بلا إمام ولاجامع .

وفيه : باسناده عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ستكون بعدى فتن : منها فتنة الاجلاء يكون فيها حروب ، وهرب ، ثم فتن بعدهن أشد منها ، ثم تكون فتنة كلما قيل : إنقطعت تمادت حتى لايبقى بيت إلا دخلته ، ولامسلم إلا صكته يخرج رجل من عترتي .

وفي رواية : « حتى يخرج رجل من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلح الله على يديه أمرهم »

اقول : إنما المراد من « رجل من عترتي » هو الامام الثاني عشر الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام .

وفيه : باسناده عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تكون فتنة يعرج فيها عقول الرجال حتى لايكاد يرى رجلاً عاقلاً وذكر ذلك في الفتنة الثالثة .

وفيه : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هرجاً بين الناس يقتل الرجل جاره و أخاه وإبن عمه ، قالوا : ومعهم عقولهم ؟ قال : ينزع عقول اكثر أهل ذلك الزمان ، و يخلف لهم هباء من الناس يحسب أحدهم أنه على شيء .

وفيه : باسناده عن عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام قال : في الفتنة الخامسة العمياء الصماء المطبقة تصير الناس فيها كالبهائم .

وفيه : باسناده عن عصمة بن قيس صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أعوذ بالله من فتنة المشرق ثم من فتنة المغرب في قالاته .

وفيه : باسناده عن عبدالله بن سعيد بن طاوس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا أقبلت فتنة من المشرق ، و فتنة من المغرب و التقوا ببطن الارض يومئذ خير من ظهرها .

وفيه باسناده عن رسول الله ﷺ قال : ان بين يدى الساعة الهرج قالوا: وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل ، قالوا : يارسول الله أكثر مما يقتل الآن؟ قال : انه ليس يقتلكم الكفار ، و لكن يقتل الرجل جاره و يقتل أخاه و يقتل إبن عمه ، قالوا : يا رسول الله ، ومعنى عقولنا قال :تنزع عقول أهل ذلك الزمان ، ويخلف لهم من الناس قوم يحسب أكثر هم انهم كل شيء .



﴿بحث قرآني في الفتنة﴾

وقد كثر إطلاق الفتنة في القرآن الكريم على ما يختبر به الانسان في الحياة الدنيا : من إرسال الرسل وبعثة الانبياء و معجزاتهم ، و الفترات بينهم ، من الاموال و الاولاد و العلم والجاه و المقام والاشتهار ، و من النعمة و النقمة ومن الايذاء والعذاب ...

قال الله عزوجل : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون » الفرقان : ٢٠)

وقال : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» العنكبوت : ٢-٣)

و قال : « لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل و أرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذّبوا وفريقاً يقتلون وحسبوا ألاّ تكون فتنة فعموا وصمّوا » المائدة : ٧٠ - ٧١)

وقال : « ولقد فتنّا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدّوا إليّ عباد الله إني لكم رسول أمين وأن لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين » الدخان : ١٧ - ١٩)

وقال : « قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري - ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به » طه : ٨٥ - ٩٠)

وقال : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال

رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بمافعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدى من تشاء » الاعراف : ١٥٥)

وقال : « إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر » القمر : ٢٧)

وقال : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا » المدثر : ٣١)

و قال : « و أن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه » الجن : ١٦ ـ ١٧)

وقال : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم » التغابن : ١٥ ـ ١٦)

وقال : « ولاتمدّنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه » طه : ١٣١)

وقال : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم » الانفال : ٢٨)

وقال : « و كذلك فتنّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » الانعام : ٥٣)

وقال : « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة » الانبياء :٣٥)

وقال: « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولنّ إنا معكم أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » العنكبوت: ١٠-١١)

وقال : « فاذا مسّ الانسان ضرّ دعانا ثم إذا خوّلناه نعمة منا قال إنما اوتيته على علم بل هى فتنة ولكن أكثر الناس لايعلمون » الزمر : ٤٩)

فتنة المؤمنين

والمؤمنات الاولين ومحنتهم

وقد ذكرت فتنة المؤمنين والمؤمنات ومحنتهم في العهد المكي والمدني بمواضع عديدة من القرآن الكريم، وذكرها في هذه السورة المبكرة في النزول يدل على أنها قد بدأت منذ عهد مبكر من الدعوة. ويستفاد من الآيات النازلة و الروايات الواردة في المقام: ان الأرقاء و المستضعفين من المسلمين الاولين هم الذين تعرضوا لها في الدرجة الاولى، وأنها كانت مع ذلك تشمل المؤمنين من الاسر القرشية البارزة وانه كان من صورها أن يعرى المسلمون، ويطرحون فوق الرمال والصخور الشديدة الوهج من حرارة الشمس، وتوضع على أجسادهم الصخور الثقيلة وقصة بلال الحبشي معروفة، ويمنع عنهم الماء والطعام ساعات طويلة... أو أياماً عديدة، و كانت تقيد أيديهم وأرجلهم بقيود الحديد، ويجلدون شديد الجلد، وانه قد زهقت بسبب العذاب أرواح، فضرب أصحابها الشهداء مثلاً خالداً على التمسك بالعقيدة وتحمل أنواع الأذى والتضحية بالنفس في سبيلها، ومن المحتمل ان آيات هذه السورة تشير إلى هذه المرحلة.

و قد تدل آيتا سورة النحل على أن بعض المؤمنين أرغموا على الافتتان و التبرؤ من الاسلام، فمنهم من ظل كافراً، ومنهم من عاد إلى الاسلام حينما سنحت له الفرصة وفر من مكة:

قال الله عز وجل : « من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من اكره و قلبه مطمئن بالايمان ـ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » النحل: ١٠٦-١١٠)

وقد أكثر القول بأن الاستثناء في الآية الاولى كان لعمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه الذى اكره على الكفر ، وقلبه مطمئن بالايمان ، وانه قدجاء يبكي للنبي الكريم ﷺ ويقول له: اني نلتك بالشر ، فقال له مشجعاً مطمئناً : « إن عادوا لك فعد لهم »

وقد كان بعض أغنياء المسلمين يشترون بعض الأرقاء المضطهدين من مالكيهم وينقذونهم من المحنة، وقد إستمرت المحنة طيلة العهد المكي ثم إلى الفتح المكي في السنة الهجرية الثامنة بالنسبة لمن اضطر إلى البقاء في مكة ، ومنع الهجرة إلى المدينة ، و كانت من أهم الحركات التي سببت للنبي ﷺ والمسلمين هماً عظيماً ، و كان من نتائجها أن هاجر معظم المسلمين رجالاً ونساء إلى الحبشة .

وقال تعالى : « والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » النحل : ٤١ ـ ٤٢)

ولقد كاد النبي الكريم ﷺ نفسه يهاجر نتيجة لذلك على مايفيده قوله تعالى : « وإن كانوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها و إذاً لايلبثون خلافك إلا قليلاً » الاسراء : ٧٦)

وقد أشار تعالى إلى بعض أسباب هجرة رسوله ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة بقوله : « و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك و يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » الانفال: ٣٠)

و قوله : « الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » الحج : ٤٠)

و قوله : « فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى » آل عمران : ١٩٥)

وفى كل ذلك ينطوى ما كان لهذه المحنة من أثر عظيم وشديد فى أحداث وسير السيرة النبوية، ثم ما كان من تحمل النبى الكريم ﷺ والرعيل الاول من المؤمنين شدة هذه المحنة بقلوب عـامرة بالايمان ، و صدور شارحة للاسلام ، مستغرقة فى الله عزوجل و دينه، وعظم كفاحهم وثباتهم فى سبيل إعلاء دين الله تعالى أمام تألب السواد الاعظم من أهل مكة وقبائلها بقيادة الزعماء والاقوياء والاغنياء إلى حق الحق و زهق الباطل و انتصر دين الله جل و علا و صارت كلمته هى العليا وقد كان الرعيل الاول من المؤمنين من الرجال والنساء على السواء، فكما تعرض الرجال للمحنة وصبروا عليها و كافحوا وثبتوا فقد تعرض النساء لها ، و صبرت و كافحن على ما تفيده آيات سورة البروج التى نحن فى صددها أولاً ، و آية: ١٩٥ من سورة آل عمران التى سبق ذكرها .

وقد وردت روايات عديدة : ان ام عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليهما ما تت تحت العذاب مع أبيه ، وفضّلا الموت على النطق بكلمة الكفر كما وردت ان المهاجرين إلى الحبشة ثم إلى المدينة كانوا من الرجال والنساء على السواء ،و من اللاتى هاجرن إلى الحبشة بناء زعماء كبار من قريش أسلمن مع أزواجهن ، و هاجرن معهم إلى الحبشة تمسكاً بدينهن رغم قوة آبائهن ، مثل ام حبيبة رملة بنت أبى سفيان و سهلة بنت سهيل بن عمر و ، وام سلمة بنت أبى امية بن المغيرة المخزومى و فاطمة بنت صفوان بن امية.و كان عدد النساء المهاجرات إلى الحبشة سبع عشرة

ولقد سجل القرآن الكريم حادثاً عظيماً من هذا الباب حيث كان من نساء الرعيل الاول من أجبر على التخلف عن الهجرة إلى المدينة ،فما إن سنحت لهن الفرصة حتى غامرن وخرجن و التحقن برسول الله ﷺ تاركات أزواجهن و

أهلهن الكفار مماانطوى خبره في قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا إذاجاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم و لاهم يحلون لهن وآتوهم ماأنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن اجورهن و لاتمسكوا بعصم الكوافر و سئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ماأنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم » الممتحنة : ١٠)



﴿ الفتنة والمضلة ﴾

وقد كثر أيضاً إطلاق الفتنة فى القرآن الكريم على ما يضل به الناس من الدنيا وزخارفها ... يعبّر عنه بفتنة الضلالة والاضلال :

قال الله تعالى : « يابنى آدم لايفتننكم الشيطان ـ انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون » الاعراف : ٢٧)

وقال : « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ـ و الذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلاّ تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » الانفال : ٢٥ـ٧٣)

و قال : « فما آمن لموسى إلاّ ذرية من قومه على خوف من فرعون و ملائهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين ـ فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين » يونس : ٨٣ ـ ٨٥)

وقال : « قد كانت لكم اسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا براؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ـ ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا » الممتحنة : ٤ ـ ٥)

وقال : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة» آل عمران : ٧) وقال : « لوخرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله و هم كارهون » التوبة :

٣٧ ـ ٤٨)

وقال : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » النور : ٦٣)

ولايخفى على المؤمن الكيّس الخبير: ان من دأب شياطين الجن والانس من الكفار والمستكبرين ، والفجار والمجرمين ، والفسّاق و الظالمين ، و من الحكام المستبدين ، والسلاطين الباغين ، والامراء الطاغين ، والرؤساء المتهتكين ، ومن إليهم من أذناب الشياطين ، وخاصة مجمع الفتن : اليهود العنيد : أن يفتنوا المؤمنين والمؤمنات فى كل وقت ومكان بأنواع الفتن :

من فتنة صنع الاديان وإختراع المذاهب وجعل الأكاذيب ، من فتنة تحزيب الاحزاب وتفرقة الاحباب ، والعداوة بين الاقوام والملل ... من فتنة إشاعة الفحشاء وأسباب الضلالة وصدّ الناس عن سبيل الله جل وعلا وعن رقى العلم و الكمال الانسانى ، ومن فتنة الايذاء والعذاب والتخريب و القتل ... وما إليها من الفتن ... وقد وصف الله تعالى بعضها أشد من القتل إذ قال: « والفتنة أشد من القتل » البقرة: ١٩١)

فعلينا معاشر المسلمين أن ندعوا الله القادر المتعال : « ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا » الممتحنة : ٥) و « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » يونس : ٨٥)

فى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ فى خطبة ـ : « إن الشيطان يسنّى لكم طرقه ، و يريد أن يحلّ دينكم عقدة عقدة ، ويعطيكم بالجماعة الفرقة ، وبالفرقة الفتنة ، فاصدفوا عن نزعاته ونفثاته ، وأقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم ، واعقلوها على أنفسكم » .

قوله عليه السلام : « يسنّى » : يسهّل و « فاصدفوا » : إنصرفوا عن نزعات الشيطان ، والنزعات : ما يغرى به الانسان ، و « اعقلوها » : اربطوها وألزموها.

وذلك ان شياطين الجن والانس ليريدون أن يولجوا بين المسلمين فرقة

وإختلافاً ، وبالفرقة و تشتت الآراء ليسهل لهم إنفاذ الفحشاء و سبيل المحارم و بذلك توجد الفتن فتحرق نارها كلهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بني إسرائيل كانت من قبل النساء »

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : « إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة »

وقال الامام على عليه السلام « العين رائد الفتن والفتنة تجلب الحزن »

وفي حديث آخر قال على عليه السلام : « يظهر في آخر الزمان وإقتراب الساعة وهو شر الأزمنة نسوة كاشفات عاريات متبرجات من الدين خارجات داخلات في الفتن مائلات إلى الشهوات مسرعات إلى اللذات مستحلات للمحرمات في جهنم داخلات » .

و في احقاق الحق : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : من أعظم فتنة تكون على الامة قوم يفتون في الامور برأيهم ، فيحرّمون ما أحل الله ويحلّون ما حرّم الله .

وفي الملاحم والفتن للسيد بن طاوس قدس سره باسناده عن أبي مروان عن على بن أبيطالب عليه السلام قال : إذا رأيتم الرايات السود فالزموا الارض ولا تحرّكوا أيديكم ولا أرجلكم ثم يظهر قوم صغار لايؤبه لهم قلوبهم كزبر الحديد أصحاب الدولة لايفون بعهد ولا ميثاق ، ويدعوا إلى الحق وليسوا من أهله ، أسمائهم الكنى ، و نسبهم القرى ، شعورهم مرخاة كشعور النساء حتى يختلفوا فيها بينهم ثم يؤتى الله الحق من يشاء .

وفيه : باسناده عن إبراهيم التميمي عن أبيه عن على عليه السلام قال : تنقض الفتن حتى لايقول أحد : لا إله إلاّ الله و قال بعضهم : لايقال : الله الله ثم يضرب يعسوب الدين بذنبه ثم يبعث الله قوماً قزعاً كقزع الخريف و إني لأعرف إسم

أمير هم ومناخ ركابهم .

وفيه : باسناده عن الحرث بن سويد عن على بن أبيطالب عليه السلام قال: ينقص الاسلام حتى لايقال : لاإله إلاّ الله فاذا فعل ضرب يعسوب الدين بذنبه ، فاذافعل ذلك بعث الله قوماً يجتمعون كما تجتمع قزع الخريف ، و الله إنى لأعرف إسم أميرهم ومناخ ركابهم .

اقول : قوله عليه السلام : « ثم يضرب ـ ضرب يعسوب الدين بذنبه » : ان كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ذنب عند أصحاب الفتن فى ذلك الزمان ، فيضرب به .

وهذا إذا كان المراد بذنبه : الجرم بان تكون كلمة التوحيد و توحيد الكلمة جرماً عند أصحاب الفتن وأما إذا كان المراد بذنبه ـ بفتح الذال والنون ـ : ما هو المعروف من الحيوان فكان كناية عن حركة يعسوب الدين عندئذ والقيام على أصحاب الفتن والثبات على أمره فسار فى الارض ذاهباً بأتباعه الذين يرون رأيه ولم يعرّج على الفتنة كمافى النهاية والقاموس ولسان العرب وغيرها

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فـى سبيل الله فتبينوا » النساء : ٩٤) أى إذا سرتم

وفى نهج البلاغة :قال الامام على عليه السلام: « فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه ، فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف »

وفى رواية : قال الامام الباقر عليه السلام :« كأنى بجرائد شتى ،تدعى بأسماء شتى لاأرى لهم رشداً ولا لدينهم صيانة، كلمامالوا إلى جانب انهدم منهم آخر ،يعارضهم رجل طبرىّ » قوله عليه السلام : « بجرائد » : مفاوز الجيوش و تنظيمات الاحزاب المسلحة على إختلافها .

وفى الخصال: باسناده عن موسى بن بكر عن أبى الحسن الاول عن أبيه عليه السلام قال : قال أمير المومنين عليه السلام : عشرة يفتنون أنفسهم و غير هم : ذو العلم

القليل يتكلّف أن يعلم الناس كثيراً ، والرجل الحليم ذو العلم الكثير ليس بذي فطنة ، والذي يطلب مالايدرك ولا ينبغي له، والكادّ عند المتئّد : الذي ليس له مع تؤدته علم، وعالم غير مريد للصلاح، ومريد للصلاح ليس بعالم ، والعالم يحبّ الثنايا (الدنياخ)، والرحيم بالناس يبخل بما عنده، وطالب العلم يجادل فيه من هو أعلم، فاذا علّمه لم يقبل منه .

قوله عليه السلام : « المتئّد » من أتأد في الامر: تمهل وتأنى ، والتؤدة ـ كلمزة ـ : الرزانة وتأني .

وفي الملاحم والفتن : باسناده عن عبدالله بن عبدالعزيز قال: قال لي علي بن أبي طالب عليه السلام وخطب بالكوفة فقال : أيها الناس ! ألزموا الارض من بعدي وإياكم والشذّاذ من آل محمد فانه يخرج شذاذ آل محمد فلا يرون ما يحبون لعصيانهم أمري و نبذهم عهدي ، و تخرج راية من ولد الحسين تظهر بالكوفة بدعامة امية ويشمل الناس البلاء ، ويبتلي الله خير الخلق حتى يميز الخبيث من الطيب ويتبرّأ الناس بعضهم من بعض ، ويطول ذلك حتى يفرج الله عنهم برجل من آل محمد صلى الله عليه وآله و من خرج من ولدي فعمل بغير عملي وسار بغير سيرتي فأنا منه بريء و كل من خرج من ولدي قبل المهدي ،فانما هو جزور وأيام والدجالين من ولد فاطمة ، فان من ولد فاطمة دجالين ، ويخرج دجال من دجلة البصرة، وليس مني وهو مقدمة الدجالين كلهم .

قال سيد بن طاووس ـ بعد ذكر الحديث ـ : أقول: هذا حديث صريح بنهي مولانا علي عليه السلام ولده أن يخرج أحد منهم قبل المهدي عليه السلام

وفيه : باسناده عن علي ابن أبيطالب عليه السلام قال : قلت : يارسول الله صلى الله عليه وآله منا أئمة الهدى أم من غيرنا ؟ قال :بل منا بنا يختم الدين كمافتح، وبنا يستنقذون من ضلالة الفتن كما استنقذوا من ضلالة الشرك ، وبنا يؤلّف الله بين قلوبهم في الدين بعد عداوة الفتنة كما ألف بين قلوبهم و دينهم بعد عداوة الشرك .

وفيه : باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ: أبشر كم بالمهدى يبعث فى امتى على اختلاف من الناس وزلازل .

وفيه : باسناده عن سعيد بن المسيب قال: يكون بالشام فتنة كلما سكنت من جانب ضجت من جانب ، فلاتتناهى حتى ينادى منادمن السماء : ان أمير كم فلان .

وفى رواية : قال رسول الله ﷺ : ثلاث اخافهن على امتى من بعدى: الضلالة بعد المعرفة ، ومضلات الفتن و شهوة البطن والفرج .

و فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : ألزم الارض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات اذكرها لك،وما أراك تدركها : إختلاف بنى فلان ،ومنادينادى من السماء ، ويجيئكم الموت من ناحية دمشق. الحديث وفيه علامات كثيرة لخروج المهدى عليه السلام .

وفيه : بالاسناد عن زر بن حبيش قال : خطب على عليه السلام بالنهروان ـ إلى أن قال ـ : فقام رجل فقال : ياأمير المؤمنين حدثنا عن الفتن . فقال : ان الفتنة إذا أقبلت شبهت ـ ثم ذكر الفتن بعده إلى أن قال ـ فقام رجل،فقال: يا أمير المؤمنين! ما يصنع فى ذلك الزمان؟ قال :انظروا أهل بيت نبيكم ، فان لبدوا فالبدوا ، وإن استصر خوكم فانصروهم توجروا ولاتستبقوهم ، فتصرعكم البلية . ثم ذكر حصول الفرج بخروج صاحب الامر عليه السلام .

وفيه : بالاسناد عن عمر بن على عن جده ان النبى ﷺ قال له : يا على ان الله تعالى قد كتب على المؤمنين الجهاد فى الفتنة من بعدى كما كتب عليهم الجهاد مع المشركين معى ، فقلت : يارسول الله وما الفتنة التى كتب علينا فيها الجهاد ؟ قال : فتنة قوم يشهدون أن لاإله إلا الله وأنى رسول الله وهم مخالفون لسنتى وطاعنون فى دينى ، فقلت : فعلام نقاتلهم يا رسول الله وهم يشهدون أن لاإله إلا الله وانك رسول الله ﷺ ؟فقال :على أحداثهم فى دينهم وفراغهم لأمرى واستحلالهم دماء عترتى...الحديث .

وفى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « من أيقظ فتنة فهو آكلها » !

وفى الملاحم والفتن : باسناده عن حفصة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا سمعتم بناس يأتون من قبل المشرق أولى دهاء يعجب الناس من زيهم فقد أظلتكم الساعة. أى ساعة ظهور المهدى عليه السلام .

وفيه : باسناده عن حذيفة بن اليمان قال : يخرج رجل من قبل المشرق يدعو إلى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم و هو أبعد الناس منهم ، ينصب علامات سوداء أولها نصر و آخرها كفر يتبعه خشالة العرب وسفلة الموالى والعبيد الآباق رقوا من الآفاق سيماهم السود ودينهم الشرك وأكثر هم الخدع ،قلت : وما الخدع ؟ قال : القلف ثم قال حذيفة لابن عمر : لست تدركه يا أباعبدالرحمن ، فقال عبدالله: ولكن احدث به من بعدى فتنة تدعى الحالقة تحلق الدين يهلك فيها صريح العرب وصالح الموالى وأصحاب الكفر والفقهاء وتنجلى عن أقل من القليل .

وفيه : عن على عليه السلام قال : ينجو من ذلك الزمان كل مؤمن نومه و فى حديث : وسئل عن النومة ؟ فقال : الساكت فى الفتنة فلايبدو منه شىء .

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا وقع السيف فى امتى لايرفع عنها الى يوم القيامة ! يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل »

و قد وقع بين الامة المسلمة ـ الايران و العراق ـ فى أيامنا هذه قتال لاغراض واهية و قد قتل واعتل مئات ألف من شبانهم ، و كان ضرره المالى والاقتصادى والتخريب على الفريقين مالايستطيع أحد حصره ، مضافاً إلى ماأثار بين المسلمين و الممالك الاسلامية و اسرهم من الفتن و الخلاف . . . أصلح الله جل وعلا بينهم وأطفأ هذه النار المسعرة بحق محمد وآله الطاهرين

﴿ ظهور الفتن في آخر الزمان ﴾

وقد وردت روايات كثيرة في المقام نشير إلى نبذة منها لأنا على جناح الا ختصار :

١ـ قال رسول الله ﷺ : يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد كحواصل الطيور لا يريحون ريحة الجنة .

اقول : خضب السواد هو قتل أكثر الناس بالقتال وغيره، و بقر بطون الشبان والنساء والصبيان كما تبقر حواصل الطيور . . . ونحن نرى ذلك في أيامنا هذا لما وقع القتال بين المسلمين من جهة والخلاف بين المواطنين من جهة اخرى ، و بين المسلمين وبين أعدائهم و خاصة اليهود من جهة ثالثة ، و يكون كل عملهم هذا لغير وجه الله جل وعلا ، ولذلك لا يشمّون رائحة الجنة .

٢ـ قال رسول الله ﷺ : تكثر الفتن في العرب ، فلا يجد الرجل ملجأ منها ، ثم لا يزداد الامر إلا شدة ،ولا الدنيا إلا إدباراً، ولا الناس إلا شحّاً ... إياكم والفتن فان اللسان فيها مثل وقع السيف .

اقول : ولعمري نرى ذلك كله في زماننا هذا قد كثرت الفتن في العرب لا تجد لها منها ملجأ ، قد تلتجيء إلى الغرب تارة وإلى الشرق تارة اخرى ،وتشتد الفتن يوماً فيوماً ، وتأخذ الدنيا بالادبار ، وأخذ الناس بالشح ، وأما اللسان فمن تحدث بشيء لا يرضاه غيره حتى أبوه وامه ، اخوه وابنه ... قد يوقعه لسانه في التهلكة لما وقعت بين الاسر والاحبة من الجساسة والعدواة، فلا يثق أحد من أحد لا الأب

بابنه والعكس، ولا الزوج بزوجته والعكس، ولا الاخ بأخيه ولا الام بولدها والعكس ولا صديق بصديقه . . .

٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موته لبضعته فاطمة الزهراء سلام الله عليها: إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن، وتقطّعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً، ولا صغير يوقّر كبيراً، فيبعث الله عزوجل منّا من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، يملأ الارض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً.

٤- وقال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: تكون فتنة بعدها فتنة: الاولى في الآخرة كثمرة السوط يتبعها ذباب السيف، ثم يكون بعد ذلك فتنة تستحلّ فيها المحارم كلها، ثم تأتي الخلافة خير أهل الارض وهو قاعد في بيته ويكون إختلاف كثير في الارض وفتن، ويصبح الزمان مكلحاً مفصحاً يشتدّ فيه البلاء وينقطع فيه الرجاء، ثم تخلع العرب أعنّتها، وتتملك البلاد، وتخرج عن سلطان العجم.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير أهل الارض» إنما هو المهدي من عترة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و «في بيته»: في بيت الله هو الكعبة المكرمة، و «أعنّتها» جمع العنان بمعنى اللجام.

٥- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ويح هذه الامة من ملوك جبابرة كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلاّ من أظهر طاعتهم، فالمؤمن التقيّ يصانعهم بلسانه ويفرّ منهم بقلبه، فاذا أراد الله عزوجل أن يعيد الاسلام عزيزاً قصم كل جبار عنيد، وهو القادر على ما يشاء ليصلح الامة بعد فسادها.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «المطيعين» أي الذين يطيعون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم و يتخذون سيرة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وهم صامتون ساكتون في الفتن، ونحن نرى قتل بعض هؤلاء الجبابرة المعترضين عليهم وإخافته المؤمنين والعلماء العالمين ونهب أموال المسلمين وهتك أعراضهم بغير حق

كل ذلك باسم الاسلام ، والاسلام منه ومن أعماله وعمّاله برئ .

٦ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «يكون في امتي أربع فتن : فالاولى يصيبهم فيها بلاء حتى يقول المؤمن : هذه مهلكتي ، والثانية حتى يقول المؤمن : هذه مهلكتي ، و الثالثة كلما قيل : إنقطعت تمادت الفتنة ، والرابعة تصيبهم إذا كانت الامة مع هذا مرة ومع هذا مرة بلا إمام ولاجامع » .

قوله : « مع هذا مرة » أي مع الشرق تارة « ومع هذا مرة » أي مع الغرب تارة اخرى . و « بلا إمام » أي إمام معصوم عليه السلام ، و « لاجامع » أي مصلح بين المسلمين .

٧ـ وقال رسول صلى الله عليه وآله وسلم : ستكون فتنة تستنطف العرب قتلاها في النار ، اللسان فيها أشد من قتل السيف .

قوله : « تستنطف » أي تقذف العرب بالفجور وتفسدهم وتلطّخهم بالعيوب وترميهم بالعار ، وتزجّهم في أتون نارها الملتهب ، وهل قتلاهم فيما بينهم شهداء قضيّة ووطنية !

٨ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شغف الجبال ، ومواقع القطر ، يفرّ بدينه من الفتن . . .

قوله : « شغف الجبال » : أعلاها ، و « مواقع القطر » : مساقط المطر.

٩ـ وقال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « إعتزل الفتن كلها ، ولوأن تعضّ بأصل شجرة حين يدركك الموت وأنت على ذلك .

أقول: و ذلك حفظاً لديننا، ولئلا نخسر آخرتنا، فلانلوّث أيدينا بجرائم تلك الفتن . . .

١٠ـ وقال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المومنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « ليأتينّ فتن كقطع الليل المظلم ، لاينجو منها إلاّ من أخذ الله ميثاقه ، اولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم ، وينجيهم الله من كل فتنة مظلمة »

١١- وقال الامام على عليه السلام يكثر سفك الدماء ويقتل من كل تسعة سبعة أو من كل سبعة خمسة ، فيقول الجاهل : مالنا فى آل محمد حاجة .

اقول : وذلك حين إشتداد الفتن والحروب وسفك الدماء . . .

١٢- وقال الامام على عليه السلام : « فاتخذوا يوم الفتن صوامعكم بيوتكم ، و عضّوا على مثل جمر الغضا ، و اذكروا الله كثيراً ، فذكر الله أكبر لو كنتم تعلمون .

١٣- وقال الامام على عليه السلام - فى خطبة البيان الحافلة بالتلميح والتصريح متكلماً عن الفتن - : فعند ذلك تخرج العجم على العرب ، ويملكون البصرة ، ألاياويل لفلسطين وما يحلّ بها من الفتن التى لاتطاق ! ألايا ويل لأهل الدنيا ، وما يحلّ بها من الفتن فى ذلك الزمان وجميع البلدان: الغرب والشرق والجنوب و الشمال ! ألا وانه تركيب الناس بعضهم على بعض . و تتواثب عليهم الحروب الدائمة ، وذلك بما قدّمت أيديهم وماربك بظلام للعبيد .

١٤- وقال الامام الباقر محمد بن على عليه السلام : لايقوم القائم إلاّ على خوف شديد و زلازل وفتنة بلاء يصيب الناس ، وطاعون قبل ذلك ، ثم سيف قاطع بين العرب ، وإختلاف بين الناس وتشتّت فى دينهم وتغيّر فى حالهم ، حتى يتمنّى المتمنّى الموت صباحاً و مساءاً من عظيم مايرى من كلب الناس و أكل بعضهم بعضاً ...

١٥- وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : تظلكم فتنة كقطع الليل المظلم ، لايبقى بيت من بيوت المسلمين بين المشرق و المغرب إلاّ دخلته ، لا يخلص منها إلاّ من استظلّ بظلّ أفنان فيما بينه و بين البحر ، فالأسلم للناس من تلك الفتنة موطىء التلال والسيف ، و الأنجى الساحل والحجاز .

قوله : « بظل أفنان» أغصان الأشجار ،«وموطىء التلال والسيف »: ساحل البحر .

١٦ـ وقال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ فى فتنة أهل الشرق ـ : وأين المفرّ عندظهور العلج شلعين الميل الكالح ، و معهم الكر كدن والفيل ، ويشبّطون الظهور ، و يفزعون الثغور ، و سيحيط ببلاد الارم فى احد الاشهر الحرم أشد العذاب من بنى حام ، ثم يأمل العلج أن يخرب بيت المقدس ، فاذا اذ عن للأوامره وساد بعكسره وأهال بهم الزمان فى الرملة وشملهم الشمال بالذلة ، فيهلكون عن آخر هم هلعاً .

قوله عليه السلام : « العلج شلعين » إسم رمزى لرجل منهم متغطرس و « الكالح » كالح الوجه : من تبرز أسنانه الثنائية ، ولعل الكر كدن و الفيل يرمزان إلى مدرّعاتهم من الدبابات و غيرها أو كانا رمزاً لجيشهم بمعنى الكلمة الصحيح . وقيل : بلاد الارم هى بلادالشام .

١٧ـ وقال الامام على عليه السلام ـ فى موعد ظهور المهدى عليه السلام ـ : يخرج ـ المهدى عليه السلام ـ إذا تلاحمت الشديد ، ووبل الرذاذ و عجّت الفلاة ، و ظهرت الأفاطس و فحم الملابس ، فيكدحون الجزائر ، و يملكون السرائر ، و يهتكون الحرائر ، ويجيئون كيسان ، ويخربون خراسان، فيهد مون الحصون ، ويخرجون المصون ، ويفتحون العراق ويثيرون النفاق بدم يراق .

ثم قال : سيحيط بالزوراء ـ بغداد ـ علج من بنى قنطوراء بأشرار قدسلبت الرحمة من قلوبهم ، فيذبحون الأبناء ويستحلّون النساء . . . ويل للزوراء من بنى قنطوراء ! لكأنى اشاهد دماء الفروج بدماء أصحاب الفروج ! وتحرق نارهم الشام ، فواها لحلب من حصارهم ،ويهدمون حصون الشامات ،ولايبقى إلاّ دمشق و نواحيها ، و تراق الدماء بمشارفها و أعاليها . . . ثم يدخلون بعلبك بالأمان وتحل البلايا فى أنحاء لبنان ، فكم من قتيل فى القفر! وكم من أسير ذليل بجانب النهر ! فهناك تسمع الاعوال وتصحب الأهوال . . .

فاذا هزمهم الجنين الأوجر ، وثب عليهم العدوّ الاقطر وهو دابع العلوج المنقّر،

فيسوقهم سوق الهجان ، وينكص شياطينهم في أرض كنعان - فلسطين - ويقتل جيوشهم العصف ، ويحلّ بجمعهم التلف ، ثم ينظر الجرى الهالك من البصرة بشرذمة عرب من بني عمرة - عميرة - يقدمهم إلى الشام ، فيبايعه على الخديعة الأرغش وسيصحبه في المسير إلى غوطة - أي إلى الشام - فما أسرع ما يسلمه بعد ورطة ، ثم يأمر الجرىء أن يروم العراق ، فيدركه الهلاك بالأنبار ، ويحلّ بأهله التلف .

ثم قال عليه السلام :

فكأني أنظر إلى الأرغش قد هلك و ولده الحدث الأبرص و قد ملك ، فلا تطول مدته أكثر من ساعة ، ويقتل مدرّب الجميل الأحمر ، بعد أن يسجن الأسمر عند وصول رسل المغاربة إليه ومثولهم بين يديه ، فعندها يخرج من المغرب اناس على شهب الخيول بالمزامير والاعلام والطبول ، فيملكون البلاد ، ويقتلون العباد ثم يخرج من السجن غلام يفني عددهم ويأسر جددهم ويهزمهم - يردّهم إلى البيت المقدس ، و يرجع منصوراً مؤيداً محبوراً ، ثم يعود المغربي إلى مصر وقد نقص نيلها ، ويبست أشجارها وعدمت ثمارها ، فيظهر عند ذلك صاحب الراية المحمدية والدولة الأحمدية القائم بالسيف الجالّ ، الصادق في المقال ، يمهّد الارض ويحيي السنة ، يقيم الفرض سيكون ذلك بعد ألف ومأة وأربع و ثمانين سنة من سني الفترة بعدة الهجرة .

قوله عليه السلام : « تلاحمت الشداد » : تشابكت وتخالطت ، تلاحم الشيء : تلاءم بعد أن كان متباينا ، وتلاحم القوم : تقاتلوا ، « وبل الرذاذ » « و بل » : أمطر ، « والرذاذ » : المطر الضعيف لعله يشير إلى ما تنطلق قذائف البطاريات الأرضية ، تشاركها رماية الخزانات المتفجرة ، و القذائف المدمّرة من أسراب الأساطيل الجوية ، فتتساقط كالمطر الرذاذ ولا تعجّ الفلاة إلاّ بهدير تلك المدرعات ، وهذه القذائف يوم يظهر أفاطيس الشرق بلباسهم الفاحم .

وقوله عليه السلام: «ويجيئون كيسان» أي أهل غدر، و«الجنين الأوجر»: الشاب الطمان المخيف، و«العدو الاقطر»: الجاف الغضوب كالمنقر، و«العصف»: الذي يحل بجيوشهم هو الحرب التي تعصف بهم فتاخذهم كالريح العاصفة، و«الار غش»: المرقش الثياب، و«صاحب الراية المحمدية» إنما هو المهدى الامام الثاني عشر القائم بالقسط الحجة بن الحسن العسكرى عليه السلام، و«بالسيف الجالّ»: هو الذي يغادر غمده ليجول في رقاب الجبابرة وأتباعهم . . .

وأما السنة التي ذكرهاهنا فلايسهل تعيينها بصورة جازمة، لانه إن كانت الفترة بعد الهجرة هي مدة الغيبة الكبرى، فكان معنى ذلك ان الغيبة وقعت سنة: ٢٦٠/ والفترة: ١١٨٤/ سنة، فيكون المجموع ١٤٤٤/ سنة ويكون موعد الظهور سنة: ١٤٤٤/ هجرية والله تبارك وتعالى هو أعلم.

١٨- وقال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم - وعداً بالفتح المبارك بعد الفتن وشمول البلايا - يستخدم المشركون المسلمين ويبيعونهم في الأمصار، ولايتحاشى لذلك برّ ولافاجر، و لايزال ذلك البلاء على أهل ذلك الزمان حتى إذا يئسوا وقنطوا وأساؤوا الظن ألاّ يفرّج عنهم، إذ بعث الله رجلاً من أطايب عترتي وأبرار ذريتي عدلاً مباركاً زكياً، لايغادر مثقال ذرة يعزّ الله به الدين و القرآن و الاسلام و أهله، ويذلّ به الشرك وأهله، يكون من الله على حذر، لايغترّ بقرابة ولايضع حجراً على حجر، ولايقرع أحداً في ولايته بسوط إلاّ في حدّ، يمحوالله به البدع كلها، ويميت الفتن كلها، يفتح الله به باب حق، ويغلق به باب كل باطل، يردّ به سبى المسلمين حيث كانوا.

جعلنا الله تعالى من أعوان الحجة بن الحسن العسكرى وأنصاره بحق جدته فاطمة الزهراء سلام الله عليهما.

١٩- في رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ويل للذين يجتلبون الدنيا بالدين، يلبسون الناس من لين ألسنتهم، وكلامهم أحلى من العسل، و قلوبهم قلوب

الذئاب يقول الله تعالى : أبي يغترون أم عليّ يجترؤن ، فوعزتي وجلالي لأبعثن عليهم فتنة تذر الحليم منهم حيراناً » .

فعلى المؤمنين بمناجات المطيعين لله وعلا ففيها فوائد كثيرة و طمأنينة قلبية و هي السابعة من مناجات خمس عشر على ما في مفاتيح الجنان للشيخ الجليل المحدث عباس قمي عليه الرحمة والرضوان :

« اللهم ألهمنا طاعتك ، وجنّبنا معصيتك ، و يسّرلنا بلوغ ما نتمنّى من إبتغاء رضوانك ، و أحللنا بحبوحة جنانك ، واقشع عن بصائرنا سحاب الارتياب ، واكشف عن قلوبنا أغشية المرية والحجاب وأزهق الباطل عن ضمائرنا ، وأثبت الحق في سرائرنا ، فان الشكوك والظنون لواقح الفتن ومكدّرة لصفو المنايح و المنن اللهم احملنا في سفن نجاتك ، ومتّعنا بلذيذ مناجاتك ، وأورد ناحياض حبك وأذقنا حلاوة ودّك وقربك ، واجعل جهاد نافيك ، وهمّنا في طاعتك ، وأخلص نياتنا في معاملتك فانابك ولك ولاوسيلة لنا إليك إلاّ أنت إلهي اجعلني من المصطفين الاخيار ، وألحقني بالصالحين الابرار ، السابقين إلى المكرمات ، ، المسارعين إلى الخيرات ، العاملين للباقيات الصالحات ، الساعين إلى رفيع الدرجات ، وانك على كل شيء قدير ، وبالاجابة جدير برحمتك يا أرحم الراحمين.

المؤمنون وطريق نجاتهم من فتن آخر الزمان

واعلم أن الفتنة عامة مستمر المدى، و هي إختبار للمؤمنين تارة، و عذاب للآخرين تارة اخرى في كل وقت و مكان، فطوبى لمن أحسن إمتحانه و ثبت على ايمانه، فللمؤمنين اللاحقين اسوة حسنة في المؤمنين الأولين، فاذاً كانوا هم أفضل أهل الايمان لاشتداد الفتنة وتنوعها في زمانهم، و لهم طريق نجاة منها:

في الدر المنثور: عن عمر بن الخطاب قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أنبؤني بأفضل أهل الايمان؟ قالوا: يارسول الله الملائكة قال: هم كذلك، ويحق لهم و مايمنعهم، و قد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها، قالوا: يارسول الله الانبياء الذين أكرمهم الله برسالاته، والنبوة قال: هم كذلك، ويحق لهم و مايمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها قالوا: يارسول الله الشهداء الذين إستشهد وامع الانبياء قال: هم كذلك، ويحق لهم و مايمنعهم، وقد أكرمهم الله بالشهادة مع الانبياء بل غيرهم، قالوا: فمن يارسول الله؟

قال: أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقوني ولم يروني يجدون الورق المعلق، فيعملون بما فيه فهؤلاء أفضل أهل الايمان ايماناً.

وفيه: عن إبن عباس قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فقال: مامن ماء؟ مامن ماء؟ قالوا: لا، قال: فهل من شن فجاؤا بالشن، فوضع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله ووضع يده عليه ثم فرق أصابعه، فنبع الماء مثل عصا موسى من بين أصابعه صلى الله عليه وآله فقال: يابلال اهتف بالناس بالوضوء فاقبلوا يتوضؤن من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله و كانت همة إبن مسعود الشرب، فلما توضؤا صلّى بهم الصبح ثم قعد للناس، فقال: يا أيها الناس من أعجب الخلق ايماناً؟ قالوا: الملائكة قال: و كيف لاتؤمن الملائكة وهم يعاينون الامر؟

قالوا: فالنبيّون يارسول الله قال: و كيف لايؤمن النبيون والوحي ينزل عليهم من السماء؟ قالوا: فأصحابك يارسول الله فقال: و كيف لاتؤمن أصحابى وهم يرون مايرون؟ ولكن أعجب الناس ايماناً قوم يجيئون بعدى يؤمنون بى، ولم يرونى و يصدقونى، ولم يرونى اولئك إخوانى.

و فى فتح القدير: عن إبن جمعة الانصارى قال: قلت: يارسول الله صلى الله عليه وآله هل من قوم أعظم منا أجراً آمنابك واتبعناك؟ قال: مايمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهر كم يأتيكم بالوحى من السماء؟ بل قوم يأتون من بعد كم يأتيهم كتاب الله بين لوحين، فيؤمنون بى ويعملون بمافيه اولئك أعظم منكم أجراً.

وفيه: عن أبى سعيد الخدرى: ان رجلاً قال: يارسول الله صلى الله عليه وآله طوبى لمن رآك وآمن بك قال صلى الله عليه وآله: طوبى لمن رآنى وآمن بى، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى.

و فى تفسير القمى: عن إبن عباس قال: حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع، فأخذ بحلقة باب الكعبة ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: ألا اخبر كم باشراط الساعة؟ و كان أدنى الناس يومئذ منه سلمان رحمه الله فقال: بلى يارسول الله فقال: ان من أشراط القيامة إضاعة الصلوات و إتباع الشهوات، والميل مع الأهواء و تعظيم أصحاب المال وبيع الدين، بالدنيا فعندها يذاب قلب المؤمن فى جوفه كما

يذاب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغير قال سلمان:

وان هذا لكائن يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: اي والذي نفسي بيده ياسلمان ان عندها يليهم امراء جورة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وامناء خونة، فقال سلمان:

وان هذا الكائن يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: أي والذي نفسي بيده ياسلمان ان عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين! ويصدّق الكاذب، ويكذّب الصادق، قال:

و ان هذا لكائن يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أي والذي نفسي بيده ياسلمان، فعندها أمارة النساء ومشاورة الأماء وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب طرفاً والزكاة مغرماً، و الفيء مغنماً ويجفو الرجل و الديه، ويبرء صديقه، و يطلع الكوكب المذنب قال سلمان:

وان هذا لكائن يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: أي والذي نفسي بيده و عندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، و يكون المطر قيظاً ويغيظ الكرام غيظاً، و يحتقر الرجل المعسر فعندها تقارب الاسواق إذقال هذا: لم أبع يقيناً قال هذا: لم أربع شيئاً، فلاترى إلاّ ذاماً لله قال سلمان:

وان هذا لكائن يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: اي والذي نفسي بيده ياسلمان، فعندها يليهم أقوام أن تكلموا قتلوهم وإن سكتوا إستباحوهم ليستأثرن بفيئهم و ليطون حرمتهم وليسفكنّ دمائهم ولتملأنّ قلوبهم دغلاء ورعباً، فلاتراهم إلاّ وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين قال سلمان:

وان هذا لكائن يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: اي والذي نفسي بيده ياسلمان ان عندها يؤتى بشيء من المشرق، وبشيء من المغرب يلوّن امتي، فالويل لضعفاء امتي منهم فالويل لهم من الله لا يرحمون صغيراً ولا يوقّرون كبيراً، ولا يتجافون عن شيء جثثهم جثث الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين قال سلمان:

وان هذا لكائن يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: أي والذي نفسي بيده ياسلمان و

عندها يكتفى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية فى بيت أهلها ، ويشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ويركبن ذوات الفروج السروج ، فعليهن من امتى لعنة الله قال سلمان :

وان هذا لكائن يارسول الله ﷺ ؟ قال: اى والذى نفسى بيده ياسلمان ان عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، وتحلّى المصاحف وتطول المنارات وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة ، والسن مختلفة قال سلمان :

وان هذا لكائن يارسول الله ﷺ ؟ قال: أى والذى نفسى بيده ياسلمان و عندها تحلّى ذكور امتى بالذهب ، ويلبسون الحرير والديباج ، ويتخذون جلود النمر صفافاً قال سلمان :

وان هذا لكائن يارسول الله ﷺ ؟ قال: أى والذى نفسى بيده ياسلمان فعندها يظهر الربا ويتعاملون بالعينة والرشى، ويوضع الدين، ويرفع الدنيا ،قال سلمان:

وإن هذا لكائن يارسول الله ﷺ ؟ قال: أى والذى نفسى بيده ياسلمان وعندهايكثر الطلاق ، فلايقام لله حدّ ، ولن يضرّ الله شيئاً قال سلمان :

وان هذا لكائن يارسول الله ﷺ ؟ قال: اى والذى نفسى بيده وعندها تظهر القينات والمعازف ، ويليهم أشرار امتى قال سلمان :

وان هذا لكائن يارسول الله ﷺ ؟ قال: أى والذى نفسى بيده يا سلمان، و عندها يحج أغنياء امتى للنزهة ، ويحج أوساطها للتجارة ويحج فقراءهم للرياء و السمعة، ويكون أقواماً يتعلمون القرآن ويتخذونه مزامير ويكون أقوام يتفقهون لغير الله ، وتكثر أولاد الزنا يتغنّون بالقرآن، ويتهافتون بالدنيا قال سلمان :

وان هذا لكائن يارسول الله ﷺ ؟ قال: اى والذى نفسى بيده ياسلمان ذلك إذا انتهكت المحارم و اكتسبت المآثم ، و تسلط الأشرار على الاخيار ، ويفشوا الكذب وتظهر اللجاجة ، ويفشى العاقل (الفاقة خ) ويتباهون فى اللباس ويمطرون فى غير أوان المطر ، ويستحسنون الكوبة والمعازف، وينكرون الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر ، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذل من الامة، و يظهر قراءهم وعبادهم فيما بينهم التلاوم ، فاولئك يدعون في ملكوت السموات الارجاس الانجاس قال سلمان :

وان هذا لكائن يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال: أي والذي نفسي بيده ياسلمان ، فعندها لايخشى الغني إلا الفقير حتى ان السائل يسئل فيمابين الجمعتين لايصيب أحداً يضع في كفه شيئاً قال سلمان :

وان هذا لكائن يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : أي والذي نفسي بيده ياسلمان و عندها يتكلم الرويبضة قال سلمان: وما الرويبضة يارسول الله ؟ فداك أبي وامي قال : يتكلم في أمر العامة من لم يكن يتكلم، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى تخور الارض خورة فلا يظن كل قوم إلا انها خارت في ناحيتهم ، فيمكثون ماشاء الله ثم يمكثون في مكثهم فتلقى لهم الارض أفلاذ كبدها ، قال: ذهب وفضة ثم أومى بيده إلى الأساطين وقال: مثل هذا، فيومئذ لاينفع ذهب ولافضة، فهذا معنى قوله :« فقد جاء أشراطها».

اقول: رواه السيوطي في الدر المنثور بالاختصار .

و في قرب الاسناد : باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام ان الله تبارك تعالى ضنابن من خلقه يغذوهم بنعمته ويحبوهم بعافيته، و يدخلهم الجنة برحمته تمر بهم البلايا والفتن مثل الرياح ماتضرهم شيئاً .

قوله عليه السلام : « ضنابن » أي خواص ...

وفي تفسير العياشي : باسناده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيها الناس انكم في زمان هدنة ، وأنتم على ظهر السفر ، والسير بكم سريع ، فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود ، فاعدوا الجهاز لبعد المفاز ، فقام المقداد ، فقال :

يارسول الله مادار الهدنة ؟ قال: دار بلاء وإنقطاع ،فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن ، فانه شافع مشفع ، وماحل مصدق ،من

جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل ، وهو كتاب تفصيل وبيان وتحصيل ، وهو الفصل ليس بالهزل .

وله ظهر و بطن ، فظاهره حكمة وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق ، له نجوم و على نجومه نجوم لاتحصى عجائبه و لاتبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى و منازل (منارخ) الحكمة ودليل على المعروف لمن عرفه .

اقول: وفي بعض النسخ «له تخوم وعلى تخومه تخوم» بدل «له نجوم و على نجومه نجوم» و«مصباح» بدل «مصابيح» .

و في رواية : عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام قال: قيل: يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! ان امتك ستفتن من بعدك ما المخرج من ذلك ؟ فقال: بكتاب الله العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه و لامن خلفه تنزيل من حكيم حميد ، من ابتغى العلم فى غيره أضلّه الله ومن ولى هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله، وهو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، فيه خبر من قبلكم وتبيان من بعدكم، وهو فصل ليس بالهزل، وهو الذى سمعته الجن،فقالوا: انا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد، فآمنا به لايخلق على طول الرد، ولاتنقضى عبره ولاتفنى عجائبه .

و في رواية : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيّ الأعمال أفضل ؟ فقال : الحالّ المرتحل ، فقيل : من الحال المرتحل ؟ فقال : من يسير في القرآن من أوّله إلى آخره، وتفكّره في كل آية ثم دخل فى آية اخرى ، وحلّ كل آية من الآيات له.

و فـي نهـج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « كن فى الفتنة كابن اللبون لاظهر فيركب ولاضرع فيحلب »

قولـه عليه السلام : «إبن اللبون» وهو ولد الناقة الذكر إذا استكمل السنة الثانية، و دخل فى الثالثة ولايقال للانثى: إبنة اللبون وذلك لان امهما فى الاغلب ترضع غيرهما، فتكون ذات لبن و اللبون من الابل و الشاة : ذات اللبن غريزة كانت أو

قليلة، فاذاأرادواالغريزة قالوا : لبنة ، وإبن اللبون لايكون قد كمل وقوىظهره على أن يركب ، وليس بانثى ذاتضرع ، فيحلب وهو مطرح لاينتفع به .

ولايخفى ان أيام الفتنة هى أيام الخصومة و الحرب و المنازعة بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما إلى ضلالة كفتنة عبدالملك وإبن الزبير ، وفتنة مروان و الضحاك وفتنة الحجاج وإبن الأشعث وأضرابهم ...

وأما إذاكان أحدهما صاحب حق ، فليست أيام فتنة كالجمل وصفين ونحو هما ، بل يجب الجهاد مع صاحب الحق و سلّ السيف والنهى عن المنكر وبذل النفس فىإعزاز الدين و إظهار الحق ،اللهم إلاّ أن يدّعى أحدأنه على حق ويدعوا الناس إلى ضلالة وباطل ويبتدع فى الدين الاسلامى بدعاً فافتتن بهاالناس كمانرى فى زماننا هذا، إذيقول كلمة حق ويعمل بخلافها .

و علينا معاشر المسلمين ان ندعو الله عز و جل ـ : « اللهم إنانشكو إليك فقدنبينا صلواتك عليه وآله ، وغيبة ولينا ، و كثرة عدوّنا ، و قلّة عددنا ، وشدّةالفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا ؟ فصلّ على محمد و آله ، وأعنّا على ذلك بفتح منك تعجّله وبضرّ تكشفه ، ونصر تعزّه ، وسلطان حق تظهره ، ورحمةمنك تجلّلناها وعافية منك تلبسناها برحمتك ياأرحم الراحمين »

وفى زيارة الامام سيدالشهداء سبط المصطفى الحسين بن على عليه السلام ـ : « أجرنا من سوء الفتن ياولى الدنيا والآخرة »

وفى مناجات خمس عشرة ـ : « ولاتصيّرنى للفتن غرضاً » الدعاء .

وفى آداب زيارة الامام الحسين بن على عليهما السلام ـ : « واجعلنى من عبادك الذين صرفت عنهم البلايا والامراض والفتن والاعراض من الذين تحييهم فى عافية وتميتهم فى عافية وتدخلهم الجنة فى عافية وتجيرهم من النار فى عافية ... » الدعاء.

و فى دعاء الرزق : ـ : « وأعوذبك ياإلهى من شر الدنيا وشر مافيها ،ولا تجعل علىّ الدنيا سجناً ، ولافراقها علىّ حزناً ، أخرجنى من فتنتها مرضياً عنى

مقبولاً فيها عملى إلى دار الحيوان ومساكن الاخيار ... » الدعاء

و فى دعاء حوائج الدنيا و الآخرة ـ : « أسئلك باسمك العظيم: رضاك عند السخطة ، و الفرجة عند الكربة ، والنور عند الظلمة ، والبصيرة عند تشبّه الفتنة ... » الدعاء .



﴿ فتن و بدع ﴾

وقد وردت روايات كثيرة لايسعها مقام الاختصار ، فنشير إلى نبذة منها :

في الاحتجاج : من خطب الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : كيف أنتم إذا ألبستم الفتنة ينشؤ فيها الوليد ويهرم فيها الكبير ، و يجرى الناس عليها حتى يتخذوها سنة ، فاذا غيّر منها شيء قيل : أتى الناس بمنكر غيرت السنة ، ثم تشتد البلية و تنشوء فيها الذرية ، و تدقهم الفتن كما تدق النار الحطب ، و كما تدق الرحا بثقالها يتفقه الناس لغير الدين ويتعلّمون لغير العمل ، و يطلبون الدنيا بعمل الآخرة»

وفي البحار : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ستكون فتن لايستطيع المؤمن أن يغيّر فيها بيد و لالسان ،فقال على بن أبي طالب عليه السلام : و فيهم يومئذ مؤمنون ؟ قال : نعم قال : فينقص ذلك من ايمانهم شيء ؟ قال : لا إلاّ كما ينقص القطر من الصفا انهم يكرهونه بقلوبهم »

وفي قرب الاسناد: عن مسعدة بن زياد قال : حدثني جعفرعن أبيه عليهما السلام : ان الله تعالى أنزل كتاباً من كتبه على نبي من أنبيائه ، وفيه انه سيكون خلق من خلقي يلحسون الدنيا بالدين ، و يلبسون مسوك الضأن على قلوب كقلوب الذئاب أشد مرارة من الصبر ، ألسنتهم أحلى من العسل ، و أعمالهم الباطنة أنتن من الجيف أبي يغترّون أم إيّاي يخدعون أم عليّ يجرؤن ؟ فبعزتي حلفت

لابعثن إليهم الفتنة تطأفى خطامها حتى تبلغ أطراف الارض يترك الحكيم فيها حيراناً .

وفى ارشاد الديلمى :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليظهر النفاق ، وترفع الامانة ، وتقبض الرحمة ، ويتهم الأمين ، ويؤتمن الخائن ، أتتكم الفتن كأمثال الليل المظلم .

وفى رواية : روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : سيأتى فى آخر الزمان علماء يزهدون فى الدنيا ولايزهدون ، ويرغبون فى الآخرة ولايرغبون ،وينهون عن الدخول على الولاة و لا ينتهون ، و يباعدون الفقراء و يقربون الاغنياء اولئك الجبارون أعداء الله .

وفى مستدركات الوسائل:عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال :سيأتى على الناس زمان بطونهم آلهتهم ، ونسائهم قبلتهم ، ودنانير هم دينهم ، وشرفهم متاعهم،ولا يبقى من الايمان إلا إسمه ، و من الاسلام إلا رسمه ، و من القرآن إلا درسه ، مساجد هم معمورة من البناء ، وقلوبهم خراب من الهدى ، علمائهم أشرخلق الله على وجه الارض حينئذ ،إبتلاهم بأربع خصال: جورمن السلطان ،وقحط من الزمان ، وظلم من الولاة والحكام ، فتعجب الصحابة وقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيعبدون الاصنام؟ قال : نعم كل درهم عند هم صنم .

و فى حديقة الشيعة : عن الامام الحسن العسكرى عليه السلام قال لأبى هاشم الجعفرى : يا أبا هاشم سياتى زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة ،وقلو بهم مظلمة متكدرة ، السنّة فيهم بدعة ، والبدعة فيهم سنة،المؤمن بينهم محقر ، والفاسق بينهم موقر ، امرائهم جاهلون جائرون ، وعلمائهم فى أبواب الظلمة سائرون ، أغنيائهم يسرقون زاد الفقراء ، وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء . و كل جاهل عند هم خبير ،و كل محيل عند هم فقير ، لايميزون بين المخلص و

المرتاب، ولايعرفون الضأن من الذئاب وعلمائهم شرارخلق الله على وجه الارض ، لانهم يميلون إلى الفسلفة والتصوف .

و أيم الله انهم من أهل العدول والتحرف يبالغون في حب مخالفينا ، ويضلون شيعتنا و موالينا : ان نالوا منصباً لم يشبعوا عن الرشا ، و إن خذلوا عبدوا الله على الرياء إلا أنهم قطاع طريق المؤمنين ، والدعاة إلى نحلة الملحدين ، فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وايمانه منهم ، ثم قال : يا أباهاشم هذاما جائنى من أبى عن آبائه جعفر بن محمد عليهما السلام وهو من أسرارنا فاكتمه إلا عن أهله.

وفي ارشاد الديلمي : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر الزمان اناس يأتون المساجد فيقعدون فيهاحلقاً ذكر هم الدنيا ، وحب الدينا ،فلاتجالسوهم فليس لله بهم حاجة .

وفي الكافي : عن أبى عبدالله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :سيأتى على الناس زمان لاينال الملك فيه إلا بالقتل والتجبر ولاالغنى إلا بالغصب (بالغصب خ) والبخل، ولاالمحبة إلا باستخراج الدين واتباع الهوى، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة،وصبر على الذل وهو يقدر على العز آتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدق بى .

وفي رواية : عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليأتين زمان لايبالى الرجل بم يأخذ مال أخيه بحلال أو حرام .

وفي مستدركات الوسائل : عن إبن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليأتين على الناس زمان لايسلم لذى دين دينه إلا من يفر من شاهق إلى شاهق و من جحر إلى جحر كالثعلب باشباله قالوا: ومتى ذلك الزمان؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصى الله فعند ذلك حلت العزوبة قالوا : يا رسول الله أمرتنا بالتزويج ؟ قال : بلى و لكن إذا كان ذلك الزمان فهلاك الرجل على يدى

أبويه ، فان لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده ، فان لم تكن له زوجة و لاولد فعلى يدى قرابته وجيرانه قالوا : و كيف ذلك يا رسول الله ﷺ؟ قال : يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه مالا يطيق حتى يوردونه موارد الهلكة .

وفى أمالى الشيخ الطوسى قدس سره قال رسول الله ﷺ : يأتى على الناس زمان يذوب فيه قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الانك فى النار يعنى الرصاص ، وما ذاك إلاّ لما يرى من البلاء و الاحداث فى دينهم لايستطيع له غيراً .

وفى مستدركات الوسائل : قال رسول الله ﷺ :سيأتى زمان على امتى لايعرفون العلماء إلاّ بثوب حسن ، ولايعرفون القرآن إلاّ بصوت حسن ، و لا يعبدون الله إلاّ فى شهر رمضان إذا كان كذلك سلط الله عليهم سلطاناً لاعلم له ولاحكم له ولارحم له .

وفى روضة الواعظين : قال رسول الله ﷺ : يأتى على الناس زمان يخير الرجل بين العجز والفجور فمن أدرك ذلك الزمان فليختر العجز على الفجور .

وفيه :قال رسول الله ﷺ: يأتى على الناس زمان يقتل فيه العلماء كما يقتل اللصوص فياليت العلماء تحامقوا فى ذلك الزمان

وفى الخصال : قال رسول الله ﷺ : إنما أتخوّف على امتى من بعدى ثلاث خصال :أن يتأوّلوا القرآن على غير تأويله ، أو يتبعوا زلة العالم ، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا و يبطروا ، و سأنبئكم المخرج من ذلك : أما القرآن فاعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه ، و أما العالم فانتظروا فيئه ولاتتبعوا زلّته ، وأما المال فان المخرج منه شكر النعمة وأداء حقه .

و فى روضة الكافى : باسناده عن الامام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام قال : والله لايخرج واحد منا قبل خروج القائم عليه السلام إلاّ كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوى جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به .

وفى الملاحم والفتن للسيد بن طاوس رضوان الله تعالى عليه باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله - فى حديث - ذكرهرجاً بين الناس يقتل الرجل جاره وأخاه وإبن عمه قالوا : ومعهم عقولهم ؟ قال : ينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان ، و يخلف لهم هباء من الناس يحسب أحدهم انه على شيء وليسوا على شيء.

وفى رواية : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : «من أشراط الساعة أن يقسو القلوب ويحرّف العلم و يرفع الا شرار ويوضع الاخيار».

وفى مستدرك نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام : «إن من ورائكم فتناً عمياء مظلمة لاينجو منها إلاّ النومة قيل : يا أمير المؤمنين وما النومة ؟ قال :الذى يعرف الناس ولايعرفونه»

وفى ارشاد الديلمى : عن إبن عباس : لايأتى على الناس زمان إلاّ أماتوا فيه سنة ، و أحيوا فيه بدعة حتى تموت السنن و تحيى البدع ، و بعد فوالله ما أهلك الناس ،أزالهم عن الحجة قديماً وحديثاً إلاّ علماء السوء قمدوا على طريق الآخرة فمنعوا الناس سلوكها والوصول إليها ، وشككوهم فيها ،مثال ذلك مثل رجل كان عطشاناً فرآى جرّة مملوة فيها ماء فاراد أن يشرب منها ، فقال له رجل : لاتدخل يدك فيها ، فان فيها أفعياً يلسعك، وقد ملأها سماً فامتنع الرجل من ذلك ثم ان المخبر عن ذلك أخذيدخل يده فيها ، فقال العطشان :

لو كان فيها سمّ لماأدخل يده، و كذلك حال الناس مع علماء السوء زهدوا الناس فى الدنيا ورغبواهم فيها ، ومنعوا الناس من الدخول إلى الولاة والتعظيم لهم و دخلواهم إليه و عظموهم و مدحوهم و حسّنوا إليهم أفعالهم ، و وعدوهم بالسلامة لابل قالواهم : قدرأينالكم النمامات بعظيم المنازل والقبول ، ففتنوهم وغروهم ونسوا قول الله تعالى : «ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم»

وقوله تعالى : « وما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع » و قوله تعالى : « و يوم يعض الظالم على يديه » وقوله تعالى :«يوم لايغني مولى عن مولى شيئاً »

اقول : ولقدرأينا أكثر ما جاء في تلك الروايات في زماننا و قد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين عصمنا الله القادر المتعال من شر الفتن وأصحابها بحق محمد و آله الطاهرين .



﴿ أصحاب الفتن وعذاب الحريق ﴾

قال الله تعالى : « ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق » البروج : ١٠)

ومن البديهي ان الفتنة باطلاقها وتبعاتها شاملة لأصحابها سواء كانوا من عتاة الكفر والضلالة ؟ أم من طغاة الفسق والفساد ؟ أو من بغاة الفجور والاستبداد ؟ فهم في العذاب مشتركون ، ويليهم في العذاب أتباعهم ومردتهم سواء كانوا من منتحلي الاسلام أم لا ؟

قال الله عزوجل : « ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً » النساء : ١٤٠)

وقال : « وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني و بينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون » الزخرف : ٣٧ ـ ٣٩)

و قال : « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ـ فأغوينا كم إنا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين » الصافات : ٢٧ ـ ٣٤)

و ان كثيراً من الآيات القرآنية تذكر عذابهم في الآخرة : انهم تحيط بهم ظلمات ذات شعب ، وتظل عليهم نار ذات لهب يسمعون لها زفيراً و جرجرة

تفصح عن شدة الغيظ و الغضب والعذاب ...

وينادى مناد يوم القيامة !أين فلان بن فلان المفتن فى دين الله جل وعلا ؟ وأين أتباعه وأحزابه ؟ وأين مردته وأذنابه ؟؟؟ فيبا درون كل واحد من أصحاب الفتن وأحزابهم بمقامع حديد ، ويستقبلونهم بعظائم التهديد و يسوقونهم إلى عذاب الحريق ، وينكسونهم فى قعر الجحيم ، فيسكونهم داراً ضيقة الأ رجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك شرابهم فيها الحميم ومستقرهم فيها الجحيم .

الزبانية تقمعهم ، والهاوية تجمعهم ،أمانيهم فيها الهلاك ، ومالهم منها فكاك قد شدّت أقدامهم إلى النواصى ،واستودّت وجوههم من ظلمة المعاصى ، ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة لشؤم الفساد ، والفتنة اولئك هم الكفرة الفجرة المندمجة فيهم الفسقة المنتحلة إلى الاسلام وأحزابهم .

قال الله تعالى : « و إذ يتحاجّون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها » غافر : ٤٧ ـ ٤٨)

انهم ينادون من اكناف جهنم ، ويصيحون فى نواحيها وأطرافها : يا مالك قد حق علينا الوعيد ، يا مالك قد أثقلنا الحديد ، يا مالك قد نضجت منا الجلود ، يا مالك أخرجنا منها ، فانا لانعود :

« قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » المؤمنون : ١٠٦ ـ ١٠٧)

« وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنّا نعمل » فاطر : ٣٧)

« ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك » الزخرف : ٧٧)

فيقول مالك : هيهات لات حين أمان ، و لا خروج لكم من دار الهوان و

العذاب ، فأنتم فيها ما كثون : « قال انكم ما كثون لقد جئناكم بالحق و لكن أكثركم للحق كارهون » الزخرف : ٧٧ ـ ٧٨) فاخسئوا فيها ، و لا تكلموا ، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون :« اخسئوا فيهاولا تكلمون» المؤمنون : ١٠٨) « فادعوا ومادعاؤا الكافرين إلاّ فى ضلال » غافر : ٥٠)

فعند ذلك يقنطون، وعلى مافرطوا فى جنب الله تعالى يتأسفون ولاينجيهم الندم ، ولايغنيهم الأسف بل يكبّون على وجوههم مغلولين النار تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم وعن أيمانهم وشمائلهم ، طعامهم وشرابهم نارولباسهم ومهادهم نار ، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران ،وضرب المقامع وثقل السلاسل ، ويهتفون بالويل والعويل ، و مهما دعوا بالثبور صبّ من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم ، والجلود و لهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم ، فيتفجر الصديد من أفواههم ، وتنقطع من العطش اكبادهم ،ولهيب النار سارفى بواطنهم ، وحيات جهنم وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم . . .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ان فى جهنم سبعين ألف واد ، كـل واد سبعين ألف شعب ، فى كل شعب سبعون ألف ثعبان ، وسبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر و المنافق حتى يوقع ذلك كله »

هذه سعة جهنم ، وإنشعاب أو ديتها ، وهى بحسب عدد أودية الفتن وفسادها: فتنة الكفر و الضلالة ، وفتنة إشاعة الفحشاء والفجور ، و فتنة الطغيان و صدّ الناس عن سبيل الله تعالى ، وفتنة المحنة والاستكبار،وفتنة القتل و الحبس والايذاء والعذاب ، وفتنة الاستثمار والاستبداد ، و فتنة الفرقة و الاختلاف بين المسلمين ، وفتنة الجساسة والنمامة ، وفتنة البدع فـى الدين الاسلامى . . .

و فى بعض التفاسير : رؤى الحجاج بن يوسف الثقفى لعنه الله و أحزابه فى المنام بعد وفاته ،فقيل :مافعل الله بك؟فقال:قتلنى بكل قتيل قتلته،و بسعيد بن جبير سبعين قتلة .

و فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الصادق جعفر بن محمدعن أبيه عن آبائه عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه ماة عام ، وانه لينظر إلى أزواجه واخوانه فى الجنة .



﴿ كلمات قصار حول الفتن ﴾

غرر حكم و درر كلم عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في الفتن نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ قال الامام علي عليه السلام : « حب الدنيا رأس الفتن وأصل المحن »

٢ـ وقال عليه السلام : « حبّ الدنيا سبب الفتن »

٣ـ وقال عليه السلام : « سبب الفتن الحقد »

٤ـ وقال عليه السلام : « شرّ الفتن محبة الدنيا »

٥ـ وقال عليه السلام : « طلب الدنيا رأس الفتنة »

٦ـ وقال عليه السلام : « ألمال للفتن سبب وللحوادث سلب »

٧ـ وقال عليه السلام : « المال فتنة النفس ونهب الرّزايا »

٨ـ وقال عليه السلام : « إن إعطاء هذا المال فتنة وإن إمساكه فتنة »

٩ـ وقال عليه السلام : « كل جاهل مفتون »

١٠ـ وقال عليه السلام : « إحفظ بطنك وفرجك ففيهما فتنتك »

١١ـ وقال عليه السلام : « ذهاب النظر خير من النظر إلى مايوجب الفتنة »

١٢ـ وقال عليه السلام : « ألحظ رائد الفتن » أي النظر إلى الأجنبية والمحرمات يوجب إلى الفتنة .

١٣ـ وقال عليه السلام : « النساء أعظم الفتنتين »

١٤ـ و قال عليه السلام : « من نظر بعين هواه إفتتن و جار و عن نهج السبيل

زاغ وحار »

١٥- وقال : « سلوا الله سبحانه العافية من تسويل الهوى وفتن الدنيا »

١٦- وقال عليه السلام: «الهوى مطية الفتن »

١٧- وقال عليه السلام: « الشرّ مركب الحرص والهوى مركب الفتنة »

١٨- و قال : « إياكم و تمكّن الهوى منكم فان أوّله فتنة و آخره محنة »

١٩- وقال عليه السلام: « خلوّ القلب من التقوى يملأه من فتن الدنيا »

٢٠- وقال عليه السلام: « الوله بالدنيا أعظم الفتنة »

٢١- و قال عليه السلام : « ان الدنيا دار عناء و فناء و غير وعبر و محلّ فتنة ومحنة »

٢٢- وقال عليه السلام : « إن الدنيا دار محن ومحلّ فتن ، من ساعاها فاتته ، ومن قعد عنها واتته ، ومن أبصر إليها أعمته ومن أبصر بها بصّرته »

٢٣- وقال عليه السلام : « ان الدنيا دار أولها عناء و آخرها فناء في حلالها حساب و في حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن »

٢٤- و قال عليه السلام : « ان الدنيا لا يسلم منها إلاّ بالزهد فيها ابتلى الناس بها فتنة، فما أخذوا منها لها اخرجوا منه و حوسبوا عليه ، وما أخذوا منها لغيرها قد موا عليه وأقاموا فيه ، وانها عند ذوي العقول كالظلّ بينا تراه سائغاً حتى قلص و زائداً حتى نقص وقد أعذر الله سبحانه إليكم في النهي عنها و أنذركم و حذّركم منها فأبلغ »

٢٥- قال عليه السلام: « ان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام و لا محلّ قرار و إنما جعلت لكم مجازاً لتزوّدوا منها الاعمال الصالحة لدار القرار فكونوا منها على أوفاز ولا تخدعنكم العاجلة ولا تغرنكم فيها الفتنة »

٢٦- وقال عليه السلام - في حق من ذمّه - : « إن سقم فهو نادم على ترك العمل ، و

إن صحّ أمن مغترّاً فأخّر العمل ، إن دعى إلى حرث الدنيا عمل ، وإن دعى إلى حرث الآخرة كسل ، إن استغنى بطر وفتن ، إن افتقر قنط ووهن ، إن احسن إليه جحد ، وإن أحسن تطاول وامتنّ ، إن عرضت له معصية واقعها بالاتكال على التوبة ، إن عزم على التوبة سوّفها وأصرّ على الحوبة ، إن عوض ظنّ أن قد تاب ، إن ابتلى ظنّ وارتاب ، إن مرض أخلص وأناب ، إن صحّ نسى وعاد واجترى على مظالم العباد ، إن أمن افتتن لاهياً بالعاجلة فنسى الآخرة وغفل عن المعاد »

٢٧ـ وقال عليه السلام : « من شبّ نار الفتنة كان وقوداً لها »

٢٨ـ وقال عليه السلام : « من أعظم المحن دوام الفتن »

٢٩ـ وقال عليه السلام في حق من ذمه : « منهم تخرج الفتنة وإليهم تأوى الخطيئة ، يردّون من شذّ عنها فيها ، ويسوقون من تأخر عنها إليها »

٣٠ـ وسئل عليه السلام عن الجماع فقال : « حياء يرتفع وعورات تجتمع أشبه شيء بالجنون الاصرار عليه هرم ، والافاقة منه ندم ، ثمرة حلاله الولد ، إن عاش فتن ، وإن مات حزن »

٣١ـ وقال عليه السلام : « وال ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم »

٣٢ـ وقال عليه السلام : « لا تفتننك دنياك بحسن العوارى ، فعوارى الدنيا ترتجع ويبقى عليك ما احتقبته من المحارم »

٣٣ـ وقال عليه السلام : « لا تقتحموا ما استقبلتم من فور الفتنة وأميطوا عن سنتها وخلّوا قصد السبيل لها »

٣٤ـ وقال عليه السلام : « المكانة من الملوك مفتاح المحنة وبذر الفتنة »

٣٥ـ وقال عليه السلام : « إياك ومقاعد الأسواق فانها معارض الفتن ومحاضر الشيطان »

٣٦ـ وقال عليه السلام : « رب فتنة أثارها قول »

٣٨ـ وقال عليه السلام : « كم من مفتون بالثناء عليه »

٣٨- وقال عليه السلام: « كم من مفتون بحسن القول فيه »

٣٩- وقال عليه السلام: « إياك وطول الأمل فكم من مغرور إفتتن بطول أمله، وأفسد عمله وقطع أجله فلا أمله أدرك ولا مافاته استدرك »

٤٠- وقال عليه السلام: « لا فتنة أعظم من الشهوة »

٤١- وقال عليه السلام: « كثرة المعارف محنة وخلطة الناس فتنة »

٤٢- وقال عليه السلام: « كثرة الدنيا قلة وعزّ ها ذلة وزخارفها مضلّة ومواهبها فتنة»

٤٣- وقال عليه السلام: « لا يكمل ايمان المؤمن حتى يعدّ الرخاء فتنة والبلاء نعمة»

٤٤- وقال عليه السلام: « ألفتنة تجلب الحزن »

٤٥- وقال عليه السلام: « بقدر الفتنة يتضاعف الحزن والغموم »

٤٦- وقال عليه السلام: « على قدر الفتنة تكون الغموم »

٤٧- وقال عليه السلام: « ألفتنة مقرونة بالعنا»

٤٨- وقال عليه السلام: « عبد الدنيا مؤبّد الفتنة والبلاء »

٤٩- وقال عليه السلام: « قد لعمري يهلك في لهب الفتنة المؤمن و يسلم فيها غير المسلم »

٥٠- وقال عليه السلام في العلماء من أهل الدنيا: « قد خاضوا بحار الفتن وأخذوا بالبدع دون السنن و توغّلوا الجهل وأطرحوا العلم »

٥١- وقال عليه السلام: « أشد الناس عمى من عمى عن حبّنا و فضلنا و ناصبنا العداوة بلا ذنب سبق منا إليه إلا إنا دعوناه إلى الحق ودعاه سوانا إلى الفتنة والدنيا فآثرها ونصب العداوة لنا»

٥٢- وقال عليه السلام: « شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة» سفينة النجاة هم أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين على ما ورد عن الطريقين .

٥٣- وقال عليه السلام: « كن في الفتنة كابن اللبون لا ضرع فيحلب ولا ظهر فيركب»

٥٤- وقال عليه السلام: « يا أيها الناس انه لم يكن لله سبحانه حجة في أرضه أو كد

من نبينا محمد صلوات الله عليه وآله ، ولا حكمة أبلغ من كتابه القرآن العظيم ، ولا مدح الله تعالى إلا من اعتصم بحبله واقتدى بنبيه ، وإنما هلك من هلك عندما عصاه وخالفه واتبع هواه فلذلك يقول: « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .



﴿ كلام في العرش ﴾

قال الله عزوجل : « ذوالعرش المجيد » البروج : ١٥)

وقد جاءت كلمة العرش لثاني مرّة في هذه السورة وقدتكررت هذه الكلمة المنسوبة إلى الله تعالى / ٢٣ مرة في عشرين سورة من السور القرآنية ...

ولايحتوي القرآن الكريم شيئاً عن ماهية العرش ، ومن هنا كثرت أقوال الحكماء والمفسرين ، والفلاسفة والمتكلمين في مفهوم العرش ، وفي بعضها إغراب وتزيّد ، ويفيد بعضها : ان العرش مادة ، فنشير إلى أهمها ، ثم نذكر الروايات الواردة في المقام عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين ثم البحث حول العرش مستعيناً بالله جل وعلا ، ومستضيئاً عن مهبط الوحي .

فمنهم : من قال : ان العرش هو الكرسي المذكور في قوله تعالى : « وسع كرسيه السموات والارض » البقرة : ٢٥٥) وقال : ان الكرسي جسم عظيم يسع السموات والارض ، وهو نفس العرش لأن السرير قد يوصف بأنه عرش ، و بأنه كرسي لان كل واحدمنهما يصح التمكن عليه . وان العرب تسمي أصل كل شيء الكرسي وهو العرش أو لانه تسمية للشيء باسم مكانه ، فان الملك مكانه الكرسي والعرش

اقول : وهذا مردود بما ورد صحيحاً من الفرق بين العرش والكرسي ، و انهما شيئان ، فأحدهما غير الآخر ، سيأتيك إن شاء الله تعالى .

ومن الحكماء : من قال : ان العرش ما يجلس عليه الملك ، وربما كنّي

به عن مقام السلطنة ، وسمى مجلس السلطان عرشاً إعتباراً بعلوه ، والمراد من العرش ان السلطان و القدرة والملك لله عزوجل لأن الالوهية لاتحصل إلا بهذه الصفات .

اقول : واختاره الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه فى تصحيح الاعتقاد.

ومن المفسرين : من قال : لما كان من عادة الملوك أن يكون لهم عروش عظيمة فخمة و كان فى التعابير الاسلوبية ما يفهم منه أن عروش الملوك كانت ، وما زالت ترمز إلى سعة الملك وعظمته و فخامته أيضاً ، وردت كلمة العرش فى صدد بيان عظمته جل وعلا وعلو شأنه وشمول ربوبيته، ونفوذ أمره فى جميع الكائنات خلقاً وتدبيراً وتسخيراً .

فكلمة العرش المنسوبة إلى الله جل وعلا قد استعملت للتقريب والتشبيه، ولاسيما ان الله عزوجل ليس مادة يمكن أن يحد بمكان أو صورة أوتحتاج إلى عرش مادى ، فنسبة العرش إلى الله سبحانه كنسبة اليد واللسان والعين والروح والنزول والمجيء والقبضة. . . مما هومنزه عن مفهوماتها المادية وإنما ذلك كله على سبيل التقريب والتشبيه .

ومنهم: من قال : عرش الله تعالى ما لايعلمه البشر على الحقيقة إلا بالاسم ، فالواجب أن يقف المرء فيماورد فى صدد ماهيته موقف التحفظ .

ومن المتكلمين : من قال : ان المراد بالعرش هو العلم لان موضع العلم هو العرش والكرسى، وان العلم هو الامر المعتمد عليه ، ومنه يقال للعلماء كراسى الارض كما يقال : هم أوتاد الارض ، فالعرش هو مقام العلم كما انه مقام التدبير العام الذى يسع كل شىء ، و كل شىء فى جوفه .

وان العرش هو مركز التدابير الالهية و مصورها وهو المقام الذى يرجع إليه جميع التدابير الالهية، والاحكام الربوبية الجارية فى العالم ، وإلى ذلك أشار بقوله

تعالى : « هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها » الحديد : ٤) .

فالعرش حقيقة من الحقائق العينية وأمر من الامور الخارجية ، و انه مقام فى الو جود يجتمع فيه أزمّة الحوادث والامور على كثرتها وإختلافها كما ان لله عزوجل قلماً و كتاباً ولوحاً . . .

و ذلك لان العادة قد استقرت منذالقديم أن يختصّ العظماء من ولاة الناس وحكّامهم ، ومصادر امور هم من المجلس بما يختصّ بهم ، ويتميّزون به عن غيرهم كالبساط و المتكأ حتى آل الامر إلى ايجاد السرر و التخوت ، فاتخذ للملك مايسمى عرشاً وهو أعظم وأرفع وأخص بالملك والكرسى يعمّه وغيره ، و استدعى التدوال و التلازم أن يعرف الملك بالعرش كما كان العرش يعرف بالملك فى أول الامر فصار العرش حاملاً لمعنى الملك ممثلاً لمقام السلطنة إليه يرجع وينتهى ، وفيه تتوحّد أزمّة المملكة فى تدبير امورها وإدارة شئونها

واعتبر لاستيضاح ذلك مملكة من الممالك قطنت فيها امة من الامم لعوامل طبيعية أو إقتصادية أو سياسيّة إستقلّوا بذلك فى أمرهم ، وتميزوا من غير هم ، فأوجدوا مجتمعاً من المجتمعات الانسانية ، واختلطوا وامتزجوا بالأعمال وتتا ئجهائم اقتسموا فى التمتع بالنتائج ، فاختص كل بشيء منها على قدد زنته الا جتماعية .

وقد كان من الواجب أن تحفظ هذه الوحدة والاتصال المتكوّن بالاجتماع بمن يقوم عليها ، فان التجربة القطعية أو ضحت للانسان ان العوامل المختلفة والاعمال والارادات المتشتتة والآراء المتضادة إذاوجّهت نحو غرض واحد وسيرت فى مسير واحد لم تدم على نعت الاتحاد و الملائمة إلاّ أن تجمع أزمّة الامور

المختلفة فى زمام واحد ، وتوضع فى يد من يحفظه ، ويديم حياته بالتدبير الحسن فتحيى به الجميع ، وإلاّ فسرعان ما تتلاشى وتتشتت .

و لذلك نرى ان المجتمع المترقى ينوّع الاعمال الجزئية نوعاً فنوعاً ثم يقدّم زمام كل نوع إلى كرسىّ من الكراسى كالدوائر و المصالح الجزئية المحلية ثم ينوّع أزمة الكراسى . ، فيعطى كل نوع كرسياً فوق ذلك ، وعلى هذا القياس حتى ينتهى الامر إلى زمام واحد يقدّم إلى العرش ، ويهدى لصاحب العرش ، ومن عجيب أمر هذا الزمام وإنبساطه وسعته فى عين وحدته ان الامر الواحد الصادر من هذا المقام يسير فى منازل الكراسى التابعة له على كثرتها ، وإختلاف مراتبها فيتشكل فى كل منزل بشكل يلائمه ويعرف فيه ، ويتصوّر لصاحبه بصورة ينتفع بها ويأخذها ملاكاً لعمله .

يقـول مصدر الامـر : « ليجر الأمر » فتأخذه المصالح المالية تكليفاً مالياً ، ومصالح السياسة تكليفاً سياسياً ، و مصالح الجيش تكليفاً دفاعياً ، و على هذا القياس كلما صعد أو نزل ، فجميع تفاصيل الاعمال و الارادات و الا حكام المجراة فيها المنسبطة فى المملكة وهى لا تحصى كثرة أو لاتتناهى لا تزال تتوحّد وتجتمع فى الكراسى حتى تنتهى إلى العرش ، فتتراكم عنده بعضها على بعض ، و تندمج وتتداخل ، و تتوحد حتى تصير واحداً هو فى وحدته كل التفاصيل فيما دون العرش ، وإذا سار هذا الواحد إلى ما دونه لم يزل يتكثّر و يتفصّل حتى ينتهى إلى أعمال أشخاص المجتمع وإرادتهم . . .

هذا فى النظام الوضعى الاعتبارى الذى عندنا :

وهو لامحالة مأخوذ من نظام التكوين ، والباحث عن النظام الكونى يجدان الامر فيه على هذه الشاكلة ، فالحوادث الجزئية إلى علل و أسباب جزئية ، و تنتهى هى إلـى أسباب اخرى كلية حتى تنتهى الجميع إلى الله عزوجل غيران

الله جل وعلا مع كل شيء ،وهو محيط بكل شيء . وليس كذلك الملك الموقت لحقيقيّة ملك الله تعالى وإعتبارية ملك غيره .

ففي عالم الكون على إختلاف مراحله . . . مرحلة تنهى إليها جميع أزمّة الحوادث الملقاة على كواهل الاسباب ، و أزمة الأسباب على إختلاف أشخاصها و أنواعها ،و ترتب مراتبها هو المسمى عرشاً كما سيجيء ، و فيه صور الامور الكونية المدبرة بتدبير الله جل وعلا كيفما شاء وعنده مفاتيح الغيب . . .

إذ قال: «الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش-يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون » السجدة : ٤ - ٥)

ومنهم : من قال : ان العرش تصوير عظمة الله جل وعلا و كبريائه ، فلا كرسي ولا عرش ولا هناك قعود ولا قاعد . وتقريره انه جل وعلا يخاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوا من ملوكهم .

ومنهم : من قال : ان لله جل و علا عروشاً :عرش الخلق والتدبير ، وعرش العلم والتربية : جسدانية و نفسانية وروحانية ، يعني به أعلى المقامات فى أعلى الملأ ، يحمله من خلق الله عزوجل الملأ الاعلى ملائكية و بشرية ، فهو على أية حال ليس عرشاً كعروشنا يتكأ عليه ، ثم خلقه يحملونه على عرشه ، فيصبح فـى إزدواجية الحمل : محمولاً لأمرتين ! وإنما العرش خلق من خلق الله عزوجل يحيط بسائر الخلائق من مصادر الأمر العليا بشأن الكون فى تدبيره جسدانياً ،وروحانياً ،فيوم الدنيا لعرش العلم الالهى حملة بين الخلق هم النبيون وأهلوهم المعصومون ، ولعرش التدبير حملة منهم ومن الملائكة المدبرات أمراً باذن الله جل وعلا ، والله تعالى خالقهم وخالق العرش ، وهو من ورائهم محيط .

و قد ذكر العرش فى واحد و عشرين (ثالث و عشرين ص) موضعاً من القرآن والكرسى فى واحد منها آيات إستوائه تعالى على العرش حينما كانت المادة الأولية دون أرض ولاسماء : « هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام و كان عرشه على الماء » هود : ٧)

ومنها ما فى إستوائه عليه بعد ما خلق الارض و السماء : « الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات و فى ما فى الارض وما بينهماوما تحت الثرى» طه : ٥ ـ ٦) عرش الالوهية و الملك المطلق ، و منها ما يعنى به عرش التدبير : « ثم استوى على العرش تدبر الامر » يونس : ٣)ومنها عرش العلم :« ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهومعكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » الحديد : ٤)

وما إلى ذلك من عروش تناسب و ساحة الالوهية و الربوبية ، و الحامل الاول والأخير لهذه العروش هو الله جل وعلا ، وقد يحملها من خلقه من يشاء ، يحملونه باذنه و كمايريد من مصالح الخلق و كما فى الحملة الثمانية، فهنا عرش قبل خلق السماوات والارض ،وعرش بعدهما يوم الدنيا ،وعرش يوم الدين ، كل حسب مايتطلبه الخلق من حاجاتهم إلى الله جل وعلا فيما يصدر من لدنه تعالى ، و لعل لكل عرش حملة .

و قال الصدوق رضوان الله تعالى عليه فى العقائد : إعتقادنا فى العرش انه جملة جميع الخلق . و ذهب الحشوية و بعض الظاهرية إلى أن العرش هو سرير كبير يجلس الله عليه جلوس الملك إغتراراً منهم بما يفهمه العوام من كلمة « العرش » أو من لفظة « استوى »

اقول:وهذا مردود بالعقل و الدين فانهمامتفقان على تنزيه الخالق عزشأنه من صفات الأجسام ، وتقديس العالم الروحانى من شوائب المواد . . .

ومن الفلاسفة : من قال : لامصداق للعرش خارجاً ، و إنما قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » كناية عن إستيلائه جل وعلا على عالم الخلق

و عن المير داماد : ـــــــ انه قال :ان العرش هو الأفلاك، وهو الفلك الاقصى والكرسى هو فلك الثوابت . . .



﴿ العرش و علماء الهيئة ﴾

وقد ذهب علماء الهيئة القديمة إلى أن العرش هو : الفلك التاسع المحيط بالعالم الجسمانى ، والمحدّد للجهات و الأطلس الخالى من الكواكب و الراسم بحركته اليومية للزمان ، و فى جوفه مماساً به الكرسى ، و هو الفلك الثامن الذى فيه الثوابت ، و فى جوفه الأفلاك السبعة الكلية التى هى أفلاك السيارات السبع : زحل والمشترى والمريخ والشمس و الزهرة و عطارد و القمر بالترتيب محيطاً بعضها ببعض .

وهذه هى التى يفرضها علم الهيئة على مسلك بطلميوس لتنظيم الحركات العلوية الظاهرة للحسّ طبقوا عليها مايذكره القرآن الكريم من السموات السبع، والكرسى والعرش، فماوجدوا من أحكامها المذكورة فى الهيئة والطبيعيات لايخالف الظواهر قبلوه، وماوجدوه يخالف الظواهر الموجودة فى الكتاب ردّوه كقولهم :

ليس للفلك المحدّد وراء لاخلأ ولاملأ ، وقولهم بدوام الحركات الفلكية، إستحالة الخرق والالتيام عليها ، وكون كل فلك يماسّ بسطحه سطح غيره من غير وجود بعدبينها و لاسكنة فيها ، و كون أجسامها بسيطة متشابهة لاثقب فيها و لاباب .

وأماظواهر الايات القرآنية والروايات الشريفة عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين فستجيىء إن شاء الله تعالى ، فتثبت ان وراء العرش مالا

يعلمه إلا الله تعالى، وان للعرش قوائم، وان له حملة وان وراءه حجباً وسرادقات، وغيرها مماينافي بظاهره ماافترضه علماء الهيئة والطبيعيات سابقاً، وقدسبق بحث الحجب والسرادقات تفصيلا في سورة «النجم» فراجع.

ومن المعلوم: ان العرب كانوا و لايزالون يسمّون البيت المصنوع سقفه و قوائمه من اصول الأشجار عريشاً، ويستعملون الصيغ المشتقة من هذا الاسم لمعان قريبة منه كقوله جل وعلا: «ودمّرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون» الاعراف: ١٣٧)

وقوله عزوجل: «واوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً و من الشجر ومما يعرشون» النحل: ٦٨)

و قوله تعالى: «وهو الذي أنشأ جنات معروشات و غير معروشات» الانعام: ١٤١)

يعني بذلك السقوف وقوائمها المصنوعة من اصول الشجر وفروعها للكرم ولغيره.

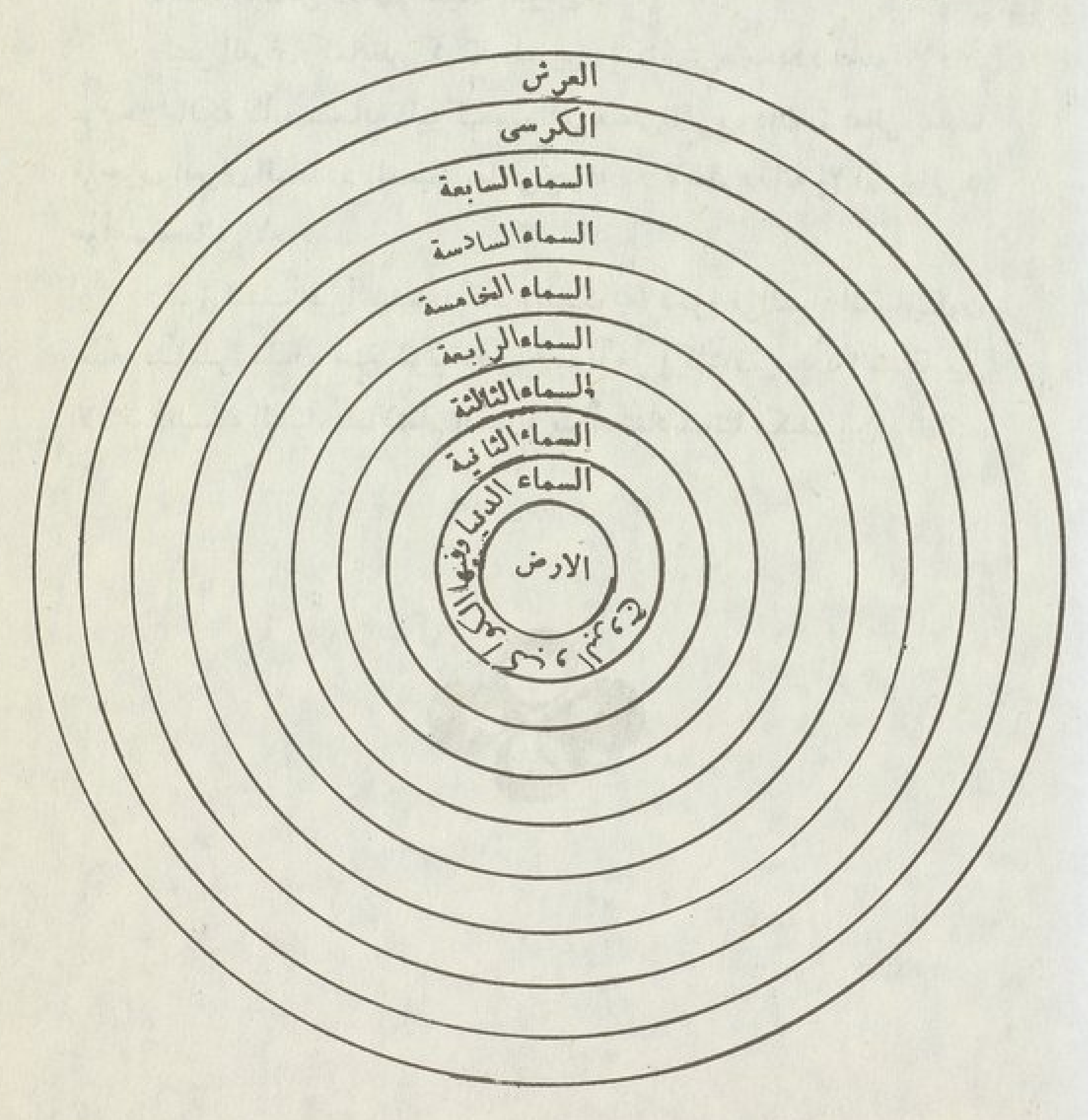
والمستفاد من الآيات القرآنية و الروايات الواردة الآتية: ان العرش هو الفلك الاعلى المحيط على الكرسي المحيط على جميع السماوات السبع، و كل سماء عالية تحيط بسماء جوفها إلى السماء الدنيا، و هي تحيط على الارض، و ان البروج والكواكب السيارة في السماء الدنيا إذقال الله عز و جل: «إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان ماردلا يسمّعون إلى الملأ الاعلى» الصافات: ٦-٨)

وقال: «فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم» فصلت: ١٢)

وقال: «ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين» الحجر: ١٦-١٨)

وان بين سماء إلى سماء اخرى فواصل كثيرة كما ان بين أرضنا هذه و بين سمائنا الدنيا وبه و بين الكواكب فواصل ... كل في فلك يسبحون .

وان العرش ومافي جوفه محدود والله جل وعلا من ورائهم محيط لا يعلمه إلا الله تعالى .



قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما السموات السبع والارضون السبع في جنب الكرسي إلّا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي عند العرش كذلك.

قال الله تعالى: «وسع كرسيّه السموات والارض» البقرة: ٢٥٥)

وقال: «والله من ورائهم محيط» البروج: ٢٠)

وليس العرش كما يظن كهيئة السرير ولكنه شيء محدود مخلوق، والله عزوجل مالكه لأنه سبحانه عليه ككون الشيء على الشيء، وان الله تعالى يعلم ما في جوف العرش المحدود المحيط بما في جوفه، ولا يعلم ورائه إلّا الله تعالى وهو أعلم بحقائق الامور...

وقد اكتشف أخيراً بمنظار كبير (تلسكوب) نجوم في السماء الدنيا، يكون بعدها عنا عشرة مليارد سنة ضوئية، وليس هذا آخر إكتشاف يحدّد المسافة بين الارض والسماء الدنيا، فاذا لا نعلم المسافة بين أرضنا وسمائنا فكيف بين ورائها...



﴿بحث روائي في العرش﴾

واعلم أن الروايات الواردة عن طريق أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين حول العرش كثيرة جداً لا يسعها المقام و نحن على جناح الاختصار فنشير إلى نبذة منها :

١- في الاحتجاج : عن هشام بن الحكم قال : سئل الزنديق أباعبدالله عليه السلام عن الكرسي أهو أعظم أم العرش (فالكرسي أكبر أم العرش خ) ؟ فقال عليه السلام : كل شيء خلقه الله في جوف الكرسي ما خلا عرشه ، فانه أعظم من أن يحيط به الكرسي .

٢- في تفسير القمي باسناده عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : « وسع كرسيه السموات والارض » قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى : « وسع كرسيه السموات والارض» السماوات والارض وسعن الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والارض ؟

قال : بل الكرسي وسع السماوات والارض ، والعرش ، و كل شيء خلق الله في الكرسي .

اقول رواه الكليني في الكافي ، والصدوق في التوحيد ، و العياشي في تفسيره ، والمجلسي في البحار وغيرهم . . .

ولايخفى على القارىء الخبير : ان « العرش » عطف على « الكرسي » أي و العرش أيضاً وسع السموات والارض ، و المعني : ان الكرسي وسع السموات و

الارض ، والعرش وسع الجميع ، والمراد بكل شيء خلق الله : كل ما خلق في السموات والارض في جوف الكرسي والعرش محيط بالجميع .

٣- في الخصال : عن أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا باذر ! ما السموات السبع في الكرسي إلاّ كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، و فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة .

اقول : رواه الصدوق في معاني الاخبار ، والعياشي في تفسيره ، والمجلسي في البحار ، والسيوطي في الدر المنثور .

٤- في التوحيد باسناده عن عاصم بن حميد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي ، و الكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر . الخبر ...

٥- في روضة الواعظين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام انه قال : في العرش تمثال ما خلق الله في البر و البحر قال : و هذا تأويل قوله : « وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه » وان بين القائمة من قوائم العرش ، و القائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسيرة ألف عام ، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله ، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة .

وان لله تعالى ملكاً يقال له : خرقائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمأة عام ، فخطر له خاطر : هل فوق العرش شيء ؟ فزاده الله تعالى مثلها أجنحة اخرى فكان له ست وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمأة عام ، ثم أوحى الله إليه : أيها الملك طر ، فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأسه (رأس خ) قائمة من قوائم العرش ، ثم ضاعف الله له في الجناح و القوة ، وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضاً ، فأوحى

الله إليه : أيها الملك لوطرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوّتك لم تبلغ إلى ساق العرش ، فقال الملك : « سبحان ربـى الاعلى » فأنزل الله عزوجل : « سبح اسم ربك الاعلى » فقال النبي ﷺ : إجعلوها في سجودكم .

اقول : وهذا ليس ببعيد إذ تقول علماء الهيئة جديداً : ان في هذا الفضاء كواكب تسع أن تجعل في جوف كل واحد منها خمسمأة مليون شمساً ، وفي وراء تلك الكواكب كواكب اخرى لم يعلم بعد سعتها وقطرها ، وهم يقولون : ان في هذا الجو الشاسع نجوماً لم يصل إلينا نورها ، ولايصل إلاّ بعد ملايين عام مع سرعة نورها ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية الواحدة .

هذه في السماء الدنيا التي هي وما فيها بالنسبة إلى السماء الثانية كحلقة ملقاة في فلاة ، وهكذا الثانية بالنسبة إلى الثالثة . . . إلى العرش .

وقوله عليه السلام : « في العرش تمثال ما خلق الله في البر والبحر » أي وجود صور الاشياء و تماثيلها في العرش ، هو الحقيقة التي يبتني عليها بيان الآية .

٦- في معاني الاخبار باسناده عن المفضل بن عمر قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما ؟ فقال : العرش في وجه هو جملة الخلق ، و الكرسي وعاؤه . الخبر . . .

٧- في الدر المنثور : عن إبن عباس انه قال : سيدالسموات : السماء التي فيها العرش ، وسيد الارضين : الارض التي أنتم عليها .

٨- في تفسير القمي : باسناده عن جميل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا وتكلموا فيما دون العرش ، ولاتكلموا فيما فوق العرش ، فان قوماً تكلموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم حتى كان الرجل ينادى من بين يديه ، فيجيب من خلفه وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه .

٩- في التهذيب - في خطبة الاستسقاء - : الذي جعل السموات لكرسيه عماداً ، والجبال للارض أوتاداً ، والارض للعباد مهاداً ، وملائكته على أرجائها ،

وحملة عرشه على أمطائها ، وأقام بعزته أركان العرش ، وأشرق بضوئه شعاع الشمس ، وأطفأ بشعاعه ظلمة الغطش ، وفجر الارض عيوناً ، والقمر نوراً ، والنجوم بهوراً .

١٠- فى الدر المنثور عن إبن عباس وإبن مسعود قالا : السماوات والارض فى جوف الكرسى بين يدى العرش . وقال إبن عباس : إنما سمى العرش لارتفاعه وقال : ما يقدّر قدر العرش إلاّ الذى خلقه ، وان السماوات فى خلق العرش مثل قبّة فى صحراء .

١١- فى التوحيد : باسناده عن الفضيل قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : «وسع كرسيّها لسموات والارض» ؟ قال : يا فضيل ! السماوات والارض و كل شيء فى الكرسى .

اقول : رواه الكلينى قدس سرّه فى الكافى .

١٢- وفيه : باسناده عن إبن أبى عمير عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : « وسع كرسيه السماوات والارض » فقال : السماوات والارض وما بينهما فى الكرسى والعرش هو العلم الذى لايقدر أحد قدره .

١٣- فى دعاء ليلة الجمعة : اللهم رب النور العظيم ، ورب الكرسى الواسع ، ورب العرش العظيم ، ورب البحر المسجور . الدعاء .

١٤- فى تعقيب صلاة مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام : و أسئلك باسمك الذى خلقت به عرشك الذى لايعلم ماهو إلاّ أنت - إلى قوله - : وأسئلك باسمك الذى أقمت به عرشك و كرسيك فى الهواء . الدعاء

١٥- فى التوحيد : باسناده عن سلمان الفارسى - فيما أجاب به الامام على عليه السلام الجاثليق - فقال على عليه السلام : ان الملائكة تحمل العرش ، وليس العرش كما تظن كهيئة السرير ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر ، وربك مالكه لا أنه عليه ككون الشيء على الشيء . . الخبر .

١٦- في الاحتجاج : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال - في حديث - : ثم خلق الكرسي فحشاه السموات والارض ، والكرسي أكبر من كل شيء خلقه الله ، ثم خلق العرش فجعله أكبر من الكرسي .

١٧- في الدرالمنثور: في رواية : ان السماوات في العرش كالقنديل معلق بين السماء والارض .

١٨- وفيه : في رواية اخرى : خلق الله العرش وللعرش سبعون ألف ساق، كل ساق كاستدارة السماء والارض .

اقول : فما يستفاد من الروايات الواردة : ان العرش مخلوق عظيم جداً ، يشتمل لما دونه من الموجودات من الكرسي والسماوات والارض و ما فيها ، ولايعلم أحد بماوراء العرش إلا الله جل وعلا



﴿العرش والكرسي﴾

وقد اختلفت كلمات العلماء فى الكرسى أهو العرش أم لا إختلافاً كثيراً:

فمنهم : من قال : ان الكرسى هو العلماء العاملون كما يقال لهم : أوتاد الارض لان بهم قوام الدين والدنيا وانهم يدعون الناس إلى الحق و السعادة، و يبينون لهم طريق الهدى والضلالة، طريق العزة والذلة، وطريق الفلاح والخيبة ... بعلمهم وعملهم ...

ومنهم : من قال : ان الكرسى ههنا هو العرش نفسه، و إنما سمي كرسياً لتركب بعضه على بعض.

ومنهم : من قال : ان الكرسى هنا هو الملك والسلطان والقدرة، و معنى قوله عزوجل : «وسع كرسيه السموات والارض» أحاطت قدرته بالسموات و الارض وما فيهما.

ومنهم : من قال : ان الكرسى سرير دون العرش كما ان العرش سرير فوق الكرسى، وأعظم منه، فيعلوه الله سبحانه، ويدبر أمر الخلق كالملك فى تدبير أمر مملكته.

ومنهم : من قال : ان السموات السبع والارض كلها فى جوف الكرسى، والكرسى في جوف العرش. مستدلاً بماروى الأصبغ بن نباته ان علياً عليه السلام قال : السموات والارض، وما فيهما من مخلوق فى جوف الكرسى.

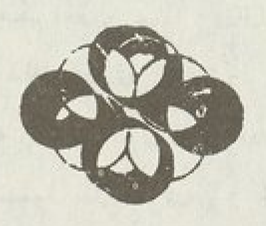
اقول : ومايستفادمن الايات القرآنية والروايات الواردة فى خلق السموات

والارض والكرسى ، والعرش: ان بين سماءوسماء فواصل لايعلمهاالانسان ، وان السماء الدنيا زينت بكواكب ونجوم بينها فواصل كثيرةلم يحدّ ها العلم البشرى بعد ، ويتحرك كل فى مدار مخصوص به ، ويرتسم من حركة فلك أى دائرة لاينفك سيرها عنها حتى جائت الساعة ، فكل فى فلك يسبحون.

وان العرش والكرسى جسمان ، وان الكرسى هو المحيط بعالم الاجسام كلها : من السموات و الارض و الكواكب و الافلاك و الشموس و الأقمار و ما فيها . . . وان هذه العوالم الجسمانية لها فضاء يحويها ويحيط بها ، والكرسى هو المحيط بعوالم الاجسام وبفضائها كلها : « وسع كرسيه السموات والارض »

ثم يحيط العرش ما دونه من الكرسى والسموات و الارض وما فيهن ، و تحمل هذا العرش المحيط حملته من الملائكة ويحمل علم ما فيه الانبياء والاوصياء صلوات الله عليهم أجمعين والله من ورائهم محيط ، ومهما كان الواقع فان كل تلك العوالم أشعة من الذات المقدسة الأحدية الالهية ومضافة إليها إضافة إشراقية لامقولية وسارية تلك الحقيقة سريان العلة فى المعلول :

جمالك فى كل الحقائق سائر   و ليس له إلاّ جلالك ساتر



« العرش و كونه على الماء »

قال الله عزوجل : « وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام و كان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » هود : ٧)

ان البحث وإن لم يكن هنا موضعه ، ولكن للايضاح والاتمام لابدمنه ، و لا نرد فيه تفصيلاً بل نكتفي بما ورد عن طريق أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين :

فى تفسير العياشى : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال : كان الله تبارك وتعالى كما وصف نفسه « و كان عرشه على الماء » والماء على الهواء ، والهواء لايجرى .

وفى الاحتجاج : عن أبى الصلت الهروى قال : سئل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عزوجل : « وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام و كان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » فقال عليه السلام : ان الله تبارك و تعالى خلق العرش والماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة ، فتعلم انه على كل شىء قدير ثم رفع العرش بقدرته و نقله ، فجعله فوق السموات السبع ثم خلق السموات و الارض فى ستة أيام ، وهو مستول على عرشه ، و كان قادراً على أن يخلقها فى طرفة عين ، ولكنه عزوجل خلقها فى ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شىء .

فنستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرة بعد مرة ، ولم يخلق العرش لحاجة به

إليه لانه غنيّ عن العرش ، وعن جميع ما خلق ، لا يوصف بالكون على العرش لانه ليس بجسم ، تعالى الله عن صفة خلقه علواً كبيراً ، و أما قوله : « ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » فانه عزوجل خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته لاعلى سبيل الامتحان والتجربة لانه لم يزل عليماً بكل شيء ، فقال المأمون : فرجت عني يا أبا الحسن فرج الله عنك .

وفي الكافي : باسناده عن داود الرقي قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « و كان عرشه على الماء » فقال : ما يقولون ؟ قلت : يقولون : ان العرش كان على الماء والرب فوقه ، فقال : كذبوا من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوق ، و لزمه ان الشيء الذي يحمله أقوى منه ، قلت : بيّن لي جعلت فداك ؟ فقال : ان الله حمّل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون أرض أوسماء أو جن أو إنس أوشمس أوقمر .

فلما أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه ، فقال لهم : من ربكم ؟ فأوّل من نطق : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم ، فقالوا : أنت ربنا ، فحمّلهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وامنائي في خلقي، وهم المسئولون ثم قال لبني آدم :اقرّوا بالربوبية ولهؤلاء النفر بالولاية و الطاعة ، فقالوا : نعم ربنا أقررنا ،فقال الله للملائكة : أشهدوا فقالت الملائكة : شهدنا على أن لا يقولوا غداً : « انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انا اشرك آباؤنا من قبل و كنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون» يا داود ! ولايتنا مؤكّدة عليهم في الميثاق .

اقول : رواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه في التوحيد .

وفي رواية : في قوله تعالى : « و كان عرشه على الماء » أي قبل أن يخلق شيئاً ، و كان الماء على متن الريح .

وفي الدر المنثور: بالاسناد عن أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: كان في عماء ماتحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء.

أقول: العماء: الغيم الذي يمنع نفوذ البصر فيه، و«ما» في قوله: «ماتحته هواء وما فوقه هواء» موصولة، والمراد بالهواء هو الخالي من كل شيء كما في قوله تعالى: «وأفئدتهم هواء» أي انهما نافيتان، والمراد بالهواء معناه المعروف، والمراد به انه كان عماء لا يحيط به الهواء على خلاف سائر العماءات.

وان الرواية على ماقيل: من اخبار التجسم، ولذا وجّه بأن قوله: «في عماء ...» كناية عن غيب الذات الذي تكلّ عنه الابصار، وتتحيّر فيه الألباب ...

وفي تفسير القمي: باسناده عن أبي الطفيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى أبي علي بن الحسين عليه السلام فقال له: ان إبن عباس يزعم انه يعلم كل آية نزلت في القرآن في أيّ يوم نزلت، وفيمن نزلت، فقال أبي عليه السلام: سله فيمن نزلت: «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً»؟ وفيمن نزلت: «ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم»؟ وفيمن نزلت: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا»؟

فأتاه الرجل فسئله فقال: وددت ان الذي أمرك بهذا واجهني به، فأسئله عن العرش مم خلقه، وكم هو؟ وكيف هو؟ فانصرف الرجل إلى أبي عليه السلام فقال أبي عليه السلام: فهل أجابك بالآيات؟ قال: لا قال أبي: لكن اجيبك فيها بعلم ونور غير المدّعي ولا المنتحل:

أما قوله: «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً» ففيه نزلت وفي أبيه، وأما قوله: «ولا ينفعكم نصحي إن أردت ان أنصح لكم» ففي أبيه نزلت، وأما الاخرى ففي أبيه نزلت - وفي بعض النسخ ففي إبنه نزلت - وفينا ولم يكن الرباط الذي أمرنا به، وسيكون ذلك من نسلنا المرابط ومن نسله المرابط،

وأما ماسئل عنه من العرش مم خلقه الله فان الله خلقه أرباعاً ، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء :

الهواء و القلم و النور ثم خلقه من ألوان أنوار مختلفة من ذلك النور : نور أخضر منه إخضرّت الخضرة ، ونور أصفر منه إصفرّت الصفرة ، و نور أحمر منه إحمرّت الحمرة ، ونور أبيض وهو نور الانوار ، ومنه ضوء النهار ثم جعله سبعين ألف طبق غلظ كل طبق كأوّل العرش إلى أسفل السافلين ليس من ذلك طبق الا يسبّح بحمد ربه ، و يقدّسه بأصوات مختلفة ، و ألسنة غير مشتبهة لو أذن للسان واحد ، فاسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن و الحصون ، و كشف البحار ولهلك مادونه .

له ثمانية أركان يحمل كل ركن منها من الملائكة ما لايحصى عددهم إلا الله يسبّحون بالليل والنهار لايفترون ، ولو أحسّ حسّ شيء مما فوقه ما قام لذلك طرفة عين بينه وبين الاحساس حجب الجبروت والكبرياء والعظمة و القدس والرحمة والعلم (القلم خ) وليس وراء هذا مقال لقد طمع الحائر في غير مطمع .

أما إن في صلبه وديعة قد ذرئت لنار جهنم ، فيخرجون أقواماً من دين الله وستصبغ الارض بدماء أفراخ من أفراخ آل محمد ﷺ تنهض تلك الفراخ في غير وقت ، وتطلب غير مدرك ويرابط الذين آمنوا ويصبرون ، و يصابرون حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

اقول : رواه الصدوق في التوحيد ـ إلى قوله ـ وليس بعد هذا مقال ، و الكشي في الرجال بسند آخر ، والشيخ المفيد في الاختصاص عن حماد تمام الخبر.

قوله عليه السلام : « غير المدعي » أي إدّعاء بلا حقيقة، والانتحال : أن يدّعي شعر غيره أو قول غير لنفسه . وفي رواية الكشي بعد ذلك : أما الاوّلتان فنزلتا في أبيه ، وأما الأخيرة فنزلت في أبي وفينا . وان العمي المذكور في الآية الكريمة

ليس عمى العين ، بل المراد عمى القلب ، فان العباس لم ينقل عماه بل صار إبنه عبدالله أعمى .

وقوله : « ففى إبنه نزلت » أى فى بنيه على إرادة الجنس أو المراد أول من خرج منهم ، أى نزلت فى المرابطة والانتظار الذى امرنابه فى دولة ذريته الملعونة، فقوله عليه السلام : « من نسله المرابط » على التهكم أوبزعمهم ، فانهم كانوا يترقّبون الدولة فى زمن بنى امية عليهم الهاوية أو المراد بالمرابط : الخارج بالسيف ، و المرابط من الأئمة القائم عليه السلام ومنهم أولهم أو كلهم .

وقوله عليه السلام : « ولوأحس حس شیء » أى حاس ، و« بينه وبين الاحساس» أى بين الملك أو الحاس وبين إحساس ما فوقه ،و «حجب الجبروت و الكبرياء» أى الصورية أو المعنوية ، و « وليس وراء هذا مقال » أى لايمكن وصف ماوراء هذه الحجب ، و « لقد طمع الحائر » أى إبن عباس ، و « فى غير مطمع » أى فى أمر لاينفع طمعه فيه ، وهو فوق مرتبته .

وقوله عليه السلام : « بدماء أفراخ » الافراخ : السادات الذين خرجوا فقتلوا لانهم خرجوا فى غير وقت الخروج ، و عند إستقرار دولة المخالفين ، و« تطلب غير مدرك » أى ما لايمكن إدراكه .

كلام في استواء الله
جل وعلا على العرش

قال الله عزوجل : « هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » الحديد : ٤)

وقد اختلفت كلمات المفسرين وغير هم فى المراد من إستواء الله تعالى على العرش إختلافاً كثيراً .

وأكثر المتقدمين من العامة على أنها ، وما يشاكلها من الآيات القرآنية من المتشابهات التى يجب الوقوف عندها ، وإرجاع علمها إلى الله جل وعلا ، و منهم من يرون البحث عن الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية والحقائق الدينية والتطلع إلى ماوراء ظواهر الكتاب والسنة بدعة و تبعهم فى ذلك بعض الخاصة من أصحاب الجمود والكسالة .

ولكن العقل يخطئهم فى ذلك والكتاب والسنة لايصدقانهم ، فان الايات القرآنية تحرض الانسان كل التحريض على ألتدبر والتفكر فى آيات الله تعالى وبذل الجهد فى تكميل معرفة الله عزوجل ومعرفة آياته بالتذكر والتعقل والنظر فيها والاحتجاج بالحجج العقلية :

إذ تقول :« كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب»

ص : ۲۹)

وتقول : « أفلايتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » محمد صلى الله عليه وآله :۲٤)

وتقول : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون» النحل :٤٤)

وتقول : « كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » يونس :٢٤)

وتقول : « كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون » البقرة : ٢٦٦)

وتقول : « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » الزخرف : ٣)

وتقول : « كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون « النور : ٦١)

وغيرها من الايات الكريمة ، ومتفرقات السنة المتواترة معنى توافقها منها :

فى الكافى :باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ألا لاخير فى قراءة ليس فيها تدبر » ولامعنى للامر بالمقدمة ،والنهى عن النتيجة وهؤلاء هم الذين كانوا يحرّمون البحث عن حقائق الكتاب والسنة- حتى البحث الكلامى الذى بناؤه على تسليم الظواهر الدينية ووضعها على ما تفيده بحسب الفهم العامى ثم الدفاع عنها بما تيسّر من المقدمات المشهورة و المسلمة عند أهل الدين - ويعدّونها بدعة .

وأما الصحابة فمنهم من كان يمنع من ذلك كأبى بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وكانوا يغضبون على من يسئلهم عن حقيقة من الحقائق الدينية والمعارف الاسلامية والحكم القرآنية ، وكتب العامة مشحونة بذلك أوردناها فى محلها المناسب فى هذا التفسير ، ولم ينقل عن غيرهم الصحابة بحث حقيقى عن مثل العرش والكرسى ، وسائر الحقائق والمعارف القرآنية . . .

وحتى اصول المعارف كمسائل التوحيد ،وما يلحق بها بل كانوا لايتعدّون الظواهر الدينية ، ويقفون عليها وعلى ذلك جرى التابعون ، و قدماء المفسرين

حتى نقل عن سفيان ابن عيينة انه قال: كلما وصف الله من نفسه في كتابه ، فتفسيره تلاوته والسكوت عليه .

وعن مالك بن أنس رئيس مذهب المالكية : ان رجلاً قال له : يا أباعبدالله « إستوى على العرش » كيف إستوى ؟ قال الراوي : فما رأيت مالكاً وجد من شيء كموجدته من مقالته ، وعلاه الرحضاء يعني العرق ، وأطرق القوم قال : فسرى عن مالك ، فقال : الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، واني أخاف أن تكون ضالاً وأمر به فأخرج .

فهذا نحو سلوكهم في ذلك ، فلنترككهم وشأنهم . . .

وأما طبقات الباحثين فنشير إلى أهم أقوالهم في معنى إستواء الله عزوجل على العرش صحة وفساداً ، ثم نورد بعض ما وجدناه من كلام أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين :

١- في تلخيص البيان قال السيد الرضي رضوان الله تعالى عليه في قوله جل وعلا : « ثم استوى على العرش » : وهذه إستعارة لان حقيقة الاستواء إنما توصف بها الاجسام التي تعلو وتهبط و تميل وتعتدل ، والمراد بالاستواء ههنا الاستيلاء بالقدرة و السلطان لا بحلول القرار والمكان كما يقال : إستوى فلان الملك على سرير ملكه بمعنى إستولى على تدبير الملك ، وملك معقد الأمر والنهي ، ويحسن صفته بذلك وإن لم يكن له في الحقيقة سرير يعقد عليه ، ولا مكان عال يشار إليه ، و إنما المراد نفاذ أمره في مملكته ، و استيلاء سلطانه على رعيته .

فان قيل: فالله سبحانه مستول على كل شيء بقهره وغلبته ونفاذ أمره وقدرته ، فما معنى إختصاص العرش بالذكر ههنا ؟

قيل كما ثبت انه تعالى رب لكل شيء وقد قال في صفة نفسه: « رب العرش العظيم » وقال : « رب العرش الكريم » .

فان قيل: فما معنى قولنا ؛ عرش الله ان لم يرد ذلك كونه عليه ؟

قيل: كما يقال: بيت الله، وإن لم يرد كونه فيه، والعرش تطوف به الملائكة تعبداً كما أن البيت في الارض تطوف به الخلائق تعبداً.

٢- في نظرية التكليف: ورد في القرآن لفظ الاستواء منسوباً إلى الله تعالى في قوله: «ثم استوى إلى السماء» و «ثم استوى على العرش» وكان الصحابة يقبلون معنى الاستواء دون أن يبحثوا في كيفيته، أما الأشعري فقال: ان الله مستوعلى العرش كما يفهم من هذا اللفظ في اللغة، وليس هو في كل مكان كما يقول المعتزلة والعرش فوق السموات - وأنكر الأشعري أن يكون الاستواء بمعنى الاستيلاء والملك والقهر والقدرة.

٣- في البحار قال المجلسي قدس سره: إعلم أن الاستواء يطلق على معان:

الاول: الاستقرار والتمكن على الشيء.

الثاني: قصد الشيء والاقبال إليه.

الثالث: الاستيلاء على الشيء قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

الرابع: الاعتدال يقال: سوّيت الشى فاستوى.

الخامس المساواة في النسبة.

فأما المعنى الاول فيستحيل على الله تعالى لما ثبت بالبراهين العقلية والنقلية من إستحالة كونه تعالى مكانياً، فمن المفسرين من حمل الاستواء في هذه الاية على الثاني أى أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك.

وقد رووا انه سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن هذه الاية، فقال: الاستواء: الاقبال على الشيء ونحو هذا. قال الفراء والزجاج في قوله عزوجل: «ثم استوى إلى السماء»

والاكثرون منهم حملوها على الثالث أى إستولى عليه وملكه ودبّره.

قال الزمخشري: لما كان الاستواء على العرش، وهو سرير الملك لا يحصل

إلا مع الملك جعلوه كناية عن الملك، فقالوا : إستوى فلان على السرير يريدون ملكه ، و إن لم يقعد على السرير ألبتة ، وإنما عبّروا عن حصول الملك بذلك لانه أصرح وأقوى في الدلالة من أن يقال :فلان ملك ونحوه قولك : يد خلان مبسوطة ، ويد خلان مغلولة بمعنى انه جواد أو بخيل .

لافرق بين العبارتين إلاّ فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قطّ بالنوال أو لم يكن له يد رأساً وهو جواد قيل فيه: يده مبسوطة لانه لافرق عندهم بينه وبين قولهم : جواد . إنتهى كلامه .

و من المحتمل : أن يكون المراد : المعنى الرابع بأن يكون كناية عن نفى النقص عنه تعالى من جميع الوجوه ، فيكون قوله تعالى : « على العرش » حاليّة و لكنه بعيد ، و أما المعنى الخامس فهو الظاهر مما مرّ من الاخبار . . .

ولا يخفى ان العرش قد يطلق على الجسم العظيم الذى أحاط بسائر الجسمانيات ، وقد يطلق على جميع المخلوقات ، وقد يطلق على العلم أيضاً كما وردت به الأخبار الكثيرة ...

فاذا عرفت هذا فاما أن يكون الامام عليه السلام فسّر العرش بمجموع الاشياء، وضمّن الاستواء ما يتعدّى بـ« على » كالاستيلاء والاستعلاء والاشراف ، فالمعنى: إستوت نسبته إلى كل شيء ، حال كونه مستولياً عليها أو فسّره بالعلم ، و يكون متعلق الاستواء مقدّراً أى تساوت نسبته من كل شيء ، حال كونه متمكناً على عرش العلم ، فيكون إشارة إلى بيان نسبته تعالى و انها بالعلم و الاحاطة .

أو المراد بالعرش عرش العظمة والجلال والقدرة كما فسّر بها أيضاً في بعض الاخبار أى استوى من كل شيء مع كونه فى غاية العظمة ، ومتمكناً على عرش

التقدس والجلالة والحاصل ان علو قدره ليس مانعاً من دنوه بالحفظ والتربية والاحاطة وكذا العكس وعلى التقادير : فقوله : إستوى خبر ، وقوله : على العرش حال . ويحتمل أن يكونا خبرين على بعض التقادير ، ولايبعد على الاحتمال الاول جعل قوله : عرش متعلقاً بالاستواء بأن تكون كلمة « على » بمعنى « إلى » ، و يحتمل على تقدير حمل العرش على العلم أن يكون قوله على العرش خبراً ، و قوله : إستوى حالاً على العرش لكنه بعيد.

و على التقادير يمكن أن يقال : ان النكتة في ايراد الرحمن بيان ان رحمانيته توجب إستواء نسبته ايجاداً وحفظاً وتربية وعلماً إلى الجميع بخلاف الرحيمية ، فانها تقتضي إفاضة الهدايات الخاصة على المؤمنين فقط، و كذا كثير من أسمائه الحسنى تخص جماعة ، ويؤيد بعض الوجوه التي ذكرنا ما ذكره الصدوق رحمة الله تعالى عليه في كتاب العقائد حيث قال : إعتقادنا في العرش انه جملة جميع الخلق ، والعرش في وجه آخر هو العلم .

وقد سئل الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل : « الرحمن على العرش استوى » فقال : إستوى من كل شيء ، فليس شيء أقرب إليه من شيء.

٤- قال بعض الاعلام من المفسرين : ان الاستواء على العرش معناه : الشروع في تدبير الامور كما أن الملوك إذا أرادوا الشروع في إدارة امور مملكتهم إستووا على عروشهم ، وجلسوا عليه والشروع والأخذ في أمر ، وجميع ما ينبىء عن تغيّر الاحوال وتبدلها ، وإن كانت ممتنعة في حقه جل وعلا لتنزهه تعالى عن التغير والتبدل لكن شأنه عزوجل يسمى شروعاً ، وأخذاً بالنظر إلى حدوث الاشياء بذواتها وأعيانها يومئذ ، فيسمى شأنه تعالى ، وهو الشمول بالرحمة إذا تعلق بها شروعاً وأخذاً بالتدبير .

نظير سائر الأفعال الحادثة المقيدة بالزمان المنسوبة إليه عز و جل كقولنا : خلق الله فلاناً ، و أحيى فلاناً و أمات فلاناً ، و رزق فلاناً و نحو ذلك .

وردّه بعضهم بأن كون قوله جل وعلا : « ثم استوى على العرش » جارياً مجرى الكناية بحسب اللفظ ، وإن كان حقاً لكنه لاينافي أن يكون هناك حقيقة موجودة تعتمد عليها هذه العناية اللفظية ، والسلطة والاستيلاء والملك والأمارة والسلطنة والرئاسة والولاية والسيادة ، وجميع مايجرى هذا المجرى فينا امور وضعية إعتبارية ليس في الخارج منها إلاّ آثارها على ما سمعته منا كراراً فى الأبحاث الاعتبارية السابقة والظواهر الدينية تشابه من حيث البيان ما عندنا من بيانات امورنا وشؤوننا الاعتبارية ، لكن الله سبحانه يبيّن لنا ان هذه البيانات ورائها حقائق واقعية وجهات خارجية ليست بوهمية إعتبارية .

فمعنى الملك والسلطنة والاحاطة والولاية وغيرها فيه سبحانه هو المعنى الذى نفهمه من كل من هذه الالفاظ عندنا لكن المصاديق ، فلها هناك مصاديق حقيقية خارجية على ما يليق بساحة قدسه تعالى ، وأما ماعندنا من مصاديق هذه المفاهيم فهى أوصاف ذهنية إدعائية و جهات و ضعية إعتبارية لا تتعدى الوهم .

وإنما وضعناها و أخذنابها للحصول على آثار حقيقية هى آثارها بحسب الدعوى فلايسمى الرئيس رئيساً إلاّ لان يتّبع الذين نسمّيهم مرؤوسين إرادته وعزائمه لا لان الجماعة بدن حقيقة ، وهو رأسهم حقيقة ، ولانسمى جزء الهيئة المؤتلفة عضواً لانه يدأورجل أو كبد أورئة حقيقة بل لان يتصدى من الامور المقصودة فى هذا التشكيل والاجتماع مايتصداه عضو من الاعضاء الموجودة فى بدن الانسان مثلاً . وهذا هو الذى يسمّيه الله تعالى لعباً ولهواً إذ يقول : « و ما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهو ولعب » العنكبوت : ٦٤) .

فالمقاصد الدنيوية من زينة ومال وأولاد وتقدم ورئاسة وحكومة وأمثالها ليست إلا عناوين وهمية لاتحقق لها إلا في الاوهام، وليس الاشتغال بها لغير المقاصد الاخروية إلا إشتغالاً بامور وهمية، وصور خيالية، ولاالمسابقة في تحصيلها إلا كمسابقة الاطفال في تحصيل التقدم في الملاعب التي يشتغلون بها، وليس إلا تحصيل حالة خيالية ليس منها في خارجه عين ولاأثر، وحاشالله سبحانه أن يذم هذه الحياة الفانية الغادة، ويسميها لعباً ولهواً لما تشتمل عليه من الشئون الوهمية ثم يكون جل وعلا وتقدس أول اللاعبين.

وبالجملة قوله عزوجل: «ثم استوى على العرش» في عين انه تمثيل يبين به ان له إحاطة تدبيرية لملكه يدل على أن هناك مرحلة حقيقية هي المقام الذي يجتمع فيه أزمة الامور على كثرتها وإختلافها، و يدل عليه آيات اخر تذكر العرش وحده وينسبه إلى الله عزوجل كقوله تعالى: «وهو رب العرش العظيم» التوبة: ١٢٩) وقوله: «الذين يحملون العرش ومن حوله» غافر: ٧) وقوله: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» الحاقة: ١٧) وقوله: «حافين من حول العرش» الزمر: ٧٥)

فالايات الكريمة - كماترى - تدل بظاهرها على أن العرش حقيقة من الحقائق العينية، و أمر من الامور الخارجية، و لذلك نقول: ان للعرش في قوله: «ثم استوى على العرش» مصداقاً خارجياً، ولم يوضع في الكلام لمجرد تتميم المثل كما نقول في أمثال كثيرة مضروبة في القرآن الكريم.

فلا نقول في مثل آية النور مثلاً: ان في الوجود زجاجة إلهية أوشجرة زيتونة إلهية أوزيتاً إلهياً، ونقول: ان في الوجود عرشاً إلهياً أولوحاً وقلماً إلهيين وكتاباً مكتوباً فافهم ذلك، وهذا العرش الذي يستفاد من مثل قوله: «ثم استوى على العرش» انه مقام في الوجود يجتمع فيه أزمة الحوادث والامور كما يجتمع أزمة المملكة

في عرش الملك .

اقول : والاقوال في إستواء الله جل وعلا على العرش كثيرة جداً تركنا ها وشأنهم ، وأوردنا تلك الاقوال الأربعة بتفصيلها و إجمالها لصعوبة فهم إجمال بعضها على أكثر الافهام . . . و أما الروايات الواردة في المقام فستأتيك فتدبر و اغتنم جداً .



بحث روائي في استواء الله تعالى على العرش

واعلم أنّ في الروايات الواردة عن طريق أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين ايضاحاً وبياناً للمقام فنشير إلى نبذة منها :

في الكافي : باسناده عن عبدالرحمن بن الحجاج قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » فقال: إستوى في كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء لم يبعد عنه بعيد، ولم يقرب منه قريب إستوى في كل شيء .

و في التوحيد: باسناده عن هشام بن الحكم ـ في حديث الزنديق الذى أتى أباعبدالله عليه السلام ـ قال: سئله عن قوله : « الرحمن على العرش استوى » قال أبو عبدالله عليه السلام : بذلك وصف نفسه و كذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له ، ولا أن يكون العرش حاوياً له ، ولا أن العرش محتاز له و لكنا نقول : هو حامل العرش ، و ممسك العرش ونقول من ذلك : ماقال « وسع كرسيه السموات والارض »

فثبّتنا من العرش و الكرسي ما ثبّته و نفينا أن يكون العرش أو الكرسي حاوياً له ، وأن يكون عز و جل محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء مما خلق بل خلقه محتاجون إليه ـ إلى أن ـ قال السائل : فتقول: انه ينزل إلى السماء الدنيا ؟

قال أبو عبدالله عليه السلام : نقول: ذلك لان الروايات قد صحّت به، والاخبار قال

السائل: وإذا نزل أليس قد حال عن العرش، وحوّله عن العرش إنتقال؟ قال أبو عبدالله عليه السلام: ليس ذلك على ما يوجد من المخلوق الذي ينتقل باختلاف الحال عليه، و الملائكة والسأمة وناقل ينقله ويحوّله من حال إلى حال، بل هو تبارك و تعالى لايحدث عليه الحال، ولايجرى عليه الحدوث، فلايكون نزوله كنزول المخلوق الذي متى تنحّى عن مكان خلا منه المكان الاول، و لكنه ينزل إلى سماء الدنيا بغير معاناة ولاحركة، فيكون هو كما هو في السماء السابعة على العرش كذلك هو في سماء الدنيا، إنما يكشف عن عظمته، ويرى أوليائه نفسه حيث شاء ويكشف ماشاء من قدرته ومنظره في القرب والبعد سواد.

وفيه: باسناده عن المفضّل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زعم ان الله عز و جل من شيء أو في شيء فقد أشرك ثم قال: من زعم ان الله من شيء فقد جعله محدثاً، ومن زعم انه في شيء فقد زعم انه محصور، و من زعم انه على شيء فقد جعله محمولاً.

وفيه: باسناده عن حنان بن سدير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» يقول: على الملك احتوى. الخبر.

وفي محاسن البرقي: عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن عن أبي الحسن موسى عليه السلام - وسئل عن معنى قول الله: «على العرش استوى» فقال: إستولى على مادقّ وجلّ.

وفي تفسير محاسن التاويل: عن فاطمة سلام الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله تعالى بذاته على العرش علمه محيط بكل مكان.

قال اميّة بن ابي الصلت في قوله تعالى: «ثم استولى على العرش»:

فسبحان من لايقدر الخلق قدره	ومن هو فوق العرش فرد موحّد
مليك على عرش السماء مهيمن	لعزّته تعنو الوجوه وتسجد

وقال في وصف الملائكة :

وساجدهم لايرفع الدهر رأسه	يعظّم ربا فوقه و يمجّد .

فليس إستواء الله سبحانه كاستواء العبد على الفلك والانعام ، ولاعلى السرير كما أن كل صفات الله تعالى المشاركة فيها الناس بأسمائها الافي حقيقتها كذلك ، فلاتقاس صفاته بصفات المخلوق ولايمثل بهم ولاتضرب به الامثال إذ وجود الله جل و علاوذاته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره و كلامه ورحمته وغضبه وإستوائه على العرش ومحبته ونزوله ولطفه على عباده لايماثل بوجود خلقه وذاته وعلمه ...

فاذا قلنا: ان الله تعالى عالم وقادر ... لايمكن تصور علمه و قدرته ... بعلمنا وقدرتنا ... كما ان الله جل وعلا أخبر بنعم الآخرة من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمساكن فيها لبناً وعسلاً وخمراً ولحماً وحريراً وذهباً وفضة وحوراً وقصوراً وغير ذلك ... فليس أحدمنها في الحياة الدنيا إلاّ باشتراكهما في الاسم ، وشتان بينهما في المسمى ...

فكيف يمكن أن يماثل من صفاته تعالى بصفات المخلوق ، فاذا قلنا : سمع الله سبحانه لايمكن أن يدخل في ذلك شيء من خصائص سمع المخلوق، و كذلك الاستواء.

ومن ثم إختلفت الكلمات في ذلك من غير تدبر في الأصل ، فتوهم بعضهم بمماثلة صفات الخالق بصفات المخلوق ...

«ثم استوى على العرش » إستواء منزّهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن و الحلول والانتقال لايحمله العرش ، بل العرش و حملته محمولون بلطف قدرته و مقهورون في قبضته قال :« والارض جميعاً قبضته ـ والسموات مطويات بيمينه » الزمر:٦٧)

وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لاتزيده قرباً إلى العرش والسماء كمالاتزيده بعداً عن الارض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما انه رفيع الدرجات عن الارض والثرى ، وهو تعالى مع ذلك

قريب من كل موجود وهوأقرب إلى العبد من حبل الوريد. « وهو على كل شيء شهيد» إذلا يماثل قربه قرب الاجسام كمالا تماثل ذاته ذات الاجسام ، وانه لايحل في شيء، ولايحل فيه شيء ، تعالى عن ذلك أن يحويه مكان كما تقدّس عن أن يحدّه زمان بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما كان وانه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته .

وانه مقدّس عن التغيّر والانتقال لاتحله الحوادث ، ولاتعتريه العوارض بل لايزال في نعوت جلاله منزّهاً عن الزوال ، و في صفاته كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال، وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئي الذات بالبصائر نعمة منه، ولطفاً بالابرار في دار القرار كمافي دار المجاز ، فليس إستوائه على العرش إلاّ بطريق القهر والاستيلاء والتعالى عليه بالقدرة يقال: فلان على خير و إستعانة على عمل كذاو كذا ، فليس معناه التمكن فيه والاستقرار عليه بل بمعنى التمكن منه و القدرة عليه .

فاستوائه على العرش هو إستعلائه على مافيه من عالم الأجسام والارواح بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ يعني ان من فوق العرش إلى ماتحت الثرى في حفظه و تدبيره وفي الاحتياج إليه .

نعم: لو ترك الاستواء على ظاهره للزم منه المحال إذلو ترك على الاستقرار و التمكن كمازعم الأشعري وأتباعه لزم منه كون المتمكن جسماً مماساً للعرش إمامثله أوأكبر منه أو أصغر ، وذلك محال ومايؤدّي إلى المحال فهو محال ، إذ لواريد بالاستواء إستواء على المكان للزم الامور التالية :

١ـ لو كان هذا المعنى هو المراد لوجب أن تكون السماء مخلوقة من قبل ليصحح أن يستوى عليها ، وينتقل بينما تدل الاية على خلافه :« ثم استوى إلى السماء فسوّاهن »

٢- ولو كان هذا معنى الاستواء لما كان هنالك حاجة إلى الامتنان على العباد لأن الانتقال من مكان إلى آخر لا وجه للامتنان فيه.

٣- ان هذا القول يؤدى إلى القول بقدم السماء والعالم ، فما دام الله جل وعلا مستوياً عليها فيما لم يزل فيجب كون المكان كذلك.



﴿ كلام فى حملة العرش ﴾

قال الله عزوجل: «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم و يؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا و اتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا و أدخلهم جنات عدن التي وعدتهم و من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات و من تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم» غافر: ٧-٩)

وقد اختلفت كلمات المفسرين وغيرهم فى حملة العرش إختلافاً كثيراً لا يسع المقام بذكر جميعها فنشير إلى ماهو أهم منها:

فمنهم من يقول: ان العرش هو المقام الذى يصدر منه الفرامين والأوامر الالهية التى يدبر بها العالم، وان الملائكة هم المجرون لها. فمعنى قوله عزوجل: «يحملون العرش»: يجرون الأوامر الصادرة من العرش.

اقول: وهذا مردود بماسيجيئك من الروايات الواردة فى المقام عن طريق أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين.

ومنهم من يقول: ان العرش الذى تحمله الملائكة، فهو بعض الملك، وهو عرش خلقه الله تعالى فى السماء السابعة، وتعبد الملائكة بحمله وتعظيمه كما خلق الله عزوجل بيتاً فى الارض وأمر الانسان بقصده وزيارته و الحج إليه و تعظيمه، و العرش المحمول هو جزء من الملك تعبد الله تعالى بحمله الملائكة.

اقول: ان الله عزوجل خلق الارض والسماوات والكرسى والعرش، وجعل

فيهن أصنافاً من خلقه ، و استعبدهم بأنواع الطاعات ... ومن الخلق الملائكة ، و منهم كاتبو الاعمال قال الله تعالى : « وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون » الانفطار : ١٠-١٢)

ومنهم ملك الموت قال الله عزوجل :« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم» السجدة : ١١)

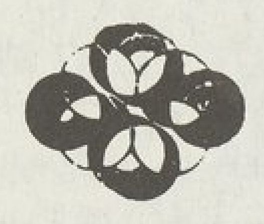
ومنهم حفظة الانسان قال الله تعالى :« له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله » الرعد : ١١)

ومنهم حملة العرش :« الذين يحملون العرش » غافر: ٧)

ومايستفاد من الروايات الآتية في حملة العرش : انهم على طائفتين :

طائفة الملائكة: وهم يحملون العرش .

وطائفة الانسان: وهم يحملون مافي جوف العرش إلى الثرى أطلق عليه العلم ،وهم اولوا العزم من الرسل والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، و من هنا يعلم فضلهم عليهم فتدبر واغتنم جداً :



﴿ بحث روائي في حملة العرش ﴾

واعلم أن الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين كثيرة لايسعها المقام فنشير إلى نبذة منها:

١- في التوحيد : باسناده عن سلمان الفارسي قال : سئل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام : أخبرني عن ربك أيحمل أو يحمل ؟ فقال : ان ربنا جلّ جلاله يحمل ولا يحمل ، قال النصراني : فكيف ذاك ونحن نجد في الانجيل : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ؟

فقال علي عليه السلام : ان الملائكة تحمل العرش وليس العرش كماتظن كهيئة السرير ، ولكنه شيء محدود مخلوق مدبّر ، و ربك عزوجل مالكه لا أنه عليه ككون الشيء على الشيء وأمر الملائكة بحمله، فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه ، قال النصراني : صدقت رحمك الله .

٢- في تفسير القمي : باسناده عن شهاب بن عبدربه قال : سمعت الصادق عليه السلام يقول : ياشهاب نحن شجرة النبوة ومعدن الرسالة و مختلف الملائكة ، و نحن عهد الله و ذمّته ، ونحن ودّ الله و حجته ، كنّا أنواراً صفوفاً حول العرش نسبّح فيسبّح أهل السماء بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الارض فسبحنا فسبّح أهل الارض بتسبيحنا ، و انا لنحن الصافّون و إنا لنحن المسبحون ، فمن وفى بذمّتنا فقد وفى بعهدالله عزوجل وذمته، ومن خفر ذمتنا فقد خفر ذمة الله عزوجل

و عهده

٣- فى كنز الفوائد : باسناده عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول فى قوله عزوجل : « الذين يحملون العرش ومن حوله » يعنى محمداً وعلياً والحسن والحسين ونوح وإبراهيم وموسى و عيسى صلوات الله عليهم أجمعين.

٤- فى الكافى : باسناده عن أبى حمزة عن أبى عبدالله عليه السلام قال : حملة العرش - والعرش : العلم - ثمانية : أربعة منا وأربعة ممن شاء الله .

٥- فى الوافى : عن الامام موسى الكاظم عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة كان حملة العرش ثمانية : أربعة من الاولين :نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، و أربعة من الآخرين : محمد وعلى والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين.

اقول : ان ذكر الملائكة فى الآية الكريمة لاينا فى شمولها لهم عليهم السلام فان مثل ذلك كثير فى القرآن الكريم مع كونهم عليهم السلام من المقدسين الروحانيين وإختلاطهم بالملائكة فى عالم الظلال لايبعد إطلاق الملائكة عليهم مجازاً .

و إنما صار هؤلاء حملة العرش الذى هو العلم بما فى جوف العرش لأن الانبياء الذين كانوا قبل نبينا محمد على شرائع الاربعة من الاولين: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ومن قبل هؤلاء الاربعة صارت العلوم إليهم، و كذلك صار العلم بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى والحسن والحسين إلى من بعد الحسين من أئمة أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين .

وفى عقائد الصدوق : قال : إعتقادنا فى العرش انه جملة جميع الخلق والعرش فى وجه آخر هو العلم . وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل : « الرحمن على العرش إستوى » ؟ فقال : إستوى من كل شىء فليس شىء أقرب منه من شىء ، وأما العرش الذى هو جملة جميع الخلق فحملته ثمانية من الملائكة لكل واحد ثمانى أعين كل عين طباق الدنيا واحد منهم على صورة بنى آدم يسترزق الله تعالى لبنى آدم، وواحد منهم على صورة الثور يسترزق الله تعالى للبهائم كلها، وواحد منهم على صورة الاسد يسترزق الله تعالى للسباع ، و واحد منهم على صورة الديك

يسترزق الله تعالى للطيور . . . فهم اليوم هؤلاء الاربعة ، فاذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية .

وأما العرش الذى هو العلم فحملته أربعة من الاولين وأربعة من الآخرين ، فأما الاربعة من الاولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأما الاربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين . ثم قال: هكذا روى بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته .

٦- فى الدر المنثور : عن جابر ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : اذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة اذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمأة سنة .

٧- وفيه : ان حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة آخرين :ملك منهم فى صورة إنسان يشفع لبنى آدم فى أرزاقهم ، وملك منهم فى صورة نسر يشفع للطيور فى أرزاقهم ، وملك منهم فى صورة ثور يشفع للبهائم فى أرزاقها ، و ملك فى صورة أسد يشفع للسباع فى أرزاقها ، فلما حملوا العرش و قعوا على ركبهم من عظمة الله ، فلقنوا « لاحول ولاقوة إلا بالله» فاستووا قياماً على أرجلهم .

٨- وفيه : عن ميسرة قال : حملة العرش أرجلهم فى الارض السفلى و رؤ وسهم قد خرقت العرش ، وهم خشوع لايرفعون طرفهم وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة ، وأهل السماء السابعة أشدخوفاً من أهل السماء التى تليها والتى تليهاأشدخوفاً من التى تليها.

٩- وفيه : عن إبن عباس : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على أصحابه ، فقال : ما جمعكم ؟ فقالوا : إجتمعنانذكر ربنا ،ونتفكر في عظمته، فقال :لن تدركوا التفكر فى عظمته ! ألا اخبركم ببعض عظمة ربكم؟قيل : بلى يا رسول الله قال : ان ملكاً من حملة العرش يقال له : « إسرافيل » زاوية من زوايا العرش على

كاهله قدمرقت قدماه فى الارض السابعة السفلى ومرق رأسه فى السماء السابعة العليا فى مثله من خليقة ربكم تبارك وتعالى .

١٠ـ فى مهج الدعوات ـ فى دعاء مروى عن الامامموسى بن جعفر عليه السلام: يا من خافت الملائكة من نوره المتوقد حول كرسيه وعرشه صافون مسبحون طائفون خاضعون مذعنون .

١١ـ فى الكافى : باسناده عن صفوان بن يحيى قال : سئلنى أبو قرة المحدث أن ادخله على أبى الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن لى ، فدخل فسئله عن الحلال والحرام ثم قال له: أفتقر ان الله محمول ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام كل محمول مفعول به ، مضاف إلى غيره محتاج ، و المحمول إسم نقص فى اللفظ والحامل فاعل وهو فى اللفظ مدحة .

و كذلك قول القائل : فوق وتحت وأعلا وأسفل، وقد قال الله : « وله الاسماء الحسنى فادعوه بها » ولم يقل فى كتبه : انه المحمول بل قال : انه الحامل فى البر والبحر والممسك السموات والارض أن تزولا والمحمول ماسوى الله ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قط قال فى دعائه : يامحمول قال أبو قرة فانه قال : « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وقال : «الذين يحملون العرش » فقال أبو الحسن عليه السلام : العرش ليس هو الله والعرش إسم علم وقدرة و عرش فيه كل شيء ثم أضاف الحمل إلى غيره خلق من خلقه لانه إستعبد خلقه بحمل عرشه ، و هم حملة علمه وخلقا يسبحون حول عرشه ،وهم يعملون بعلمه ، وملائكة يكتبون أعمال عباده ، واستعبد أهل الارض بالطواف حول بيته والله على العرش إستوى كما قال .

و العرش و من يحمله ومن حول العرش ، و الله الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كل نفس ، وفوق كل شيء وعلى كل شيء ، ولايقال : محمول ولاأسفل قولاً مفرداً لايوصل بشيء ،فيفسد اللفظ والمعنى قال أبو قرة : فتكذب

بالرواية التي جاءت : ان الله إذا غضب إنما غضبه ان الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم ، فيخرّون سجّداً فاذا ذهب الغضب خفّ و رجعوا إلى مواقفهم ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذلعن إبليس إلى يومك هذا هو غضبان عليه ، فمتى رضي ؟ وهو في صفتك لم يزل غضبان عليه وعلى أوليائه ، وعلى أتباعه كيف تجترىء أن تصف ربك بالتغير من حال إلى حال ، وانه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟ سبحانه وتعالى لم يزل مع الزائلين ، ولم يتغير مع المتغيرين ولم يتبدّل مع المتبدّلين ، ومن دونه في يده وتدبيره وكلهم إليه محتاج ، وهو غني عمن سواه .

أقول : قوله عليه السلام : « والمحمول إسم نقص » أي كل إسم مفعول دلّ على تأثر وتغيّر من غيره وفاقة إليه ، فهو إسم نقص كالمحفوظ والمربوب والمضروب والمحمول ونحوها لا كل ماهو على هذه الصيغة كاطلاق المعبود والمحمود على الله تعالى . وقوله عليه السلام : « و كذلك قول القائل فوق وتحت وأعلى و أسفل » أي أحد كل الاثنين إسم مدح وهما فوق وأعلى و الآخران إسم نقص و هما تحت ، وأسفل ، وقوله عليه السلام : « إلى غيره خلق من خلقه » « خلق » مجرور بدلاً من « غيره » والمراد انه تعالى لايحتاج في حمل العرش إلى غيره بل إستعبد أصناف خلقه بأنواع الطاعات ، فمنهم يحملون العرش ، ومنهم يحملون علم ما في جوف العرش و الاولون هم الملائكة ، و الآخرون هم الانبياء و الاوصياء صلوات الله عليهم أجمعين .

وقوله عليه السلام : « ولايقال محمول ولا أسفل قولاً مفرداً لايوصل بشيء فيفسد اللفظ والمعنى » أي لايقرن بقرينة صارفة عن ظاهره أو ينسب إلى شيء آخر على طريقة الوصف بحال المتعلق بأن يقال : عرشه محمول أو أرضه تحت كذا أو جحيمه أسفل ونحو ذلك ، وإلاّ فيفسد اللفظ لعدم الاذن الشرعي،فان أسماءه

توقيفية مع كونه إسم نقص ، ويفسد المعنى لانه يوجب نقصه وعجزه تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وقوله عليه السلام « وهو فى صفتك » أى فى وصفك إياه جلّ وعلا انه لم يزل غضباناً على الشيطان وعلى أوليائه .

والحاصل انه لما فهم من كلامه ان الملائكة الحاملين للعرش قد يكونون قائمين، وقد يكونون ساجدين بطريان الغضب وضده وحمل الحديث على ظاهره نبّه الامام عليه السلام على خطأه إلزاماً عليه بقدر فهمه بأنه لا يصح ما ذكرت إذ من غضبه تعالى ما علم انه لم يزل كغضبه على إبليس ، فيلزم أن يكون حملة العرش منذ غضب على إبليس إلى الآن سجداً غير واقفين إلى مواقفهم .

فعلم أن ما ذكرته وفهمته خطأ والحديث على تقدير صحته محمول على أن المراد بغضبه تعالى إنزال العذاب وبوجدان الحملة ثقل العرش إطلاعهم عليه بظهور مقدماته وأسبابه وبسجودهم وخضوعهم وخشوعهم له تعالى خشية و خوفاً من عذابه وطرده ولعنه ، فاذا انتهى ذلك و ظهرت مقدمات رحمته إطمأنّوا و رغبوا فى طلب رحمته ، ثم بعد إلزامه عليه السلام بذلك شرع بالاستدلال على تنزيهه جل و علا مما فهمه ، فقال « كيف تجترىء أن تصف ربك الخ . . . » و هو من صفات المخلوق والممكن .

﴿الأئمة اهل البيت و العرش﴾

فى الكافى باسناده عن المفضّل قال: قال لى أبوعبدالله عليه السلام ذات يوم و كان لايكنّينى قبل ذلك: ياأبا عبدالله قال: قلت: لبيك قال: إن لنا فى كل ليلة جمعة سروراً، قلت: زادك الله وماذاك؟ قال: إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العرش، و وافى الأئمة عليهم السلام معه، و وافينا معهم فلا تردّ أرواحنا إلى أبداننا إلاّ بعلم مستفاد و لولا ذلك لأنفدنا.

وفيه باسناده عن أبى يحيى الصنعانى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال لى:

ياأبا يحيى إن لنا فى ليالى الجمعة لشأنا من الشأن، قال: قلت: جعلت فداك و ماذاك الشأن؟ قال: يؤذن الأرواح الأنبياء الموتى عليهم السلام و أرواح الأوصياء الموتى وروح الوصى الذى بين ظهرانيكم يعرج بها إلى السماء حتى توافى عرش ربها، فتطوف به اسبوعاً و تصلّى عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين ثم تردّ إلى الأبدان التى كانت فيها، فتصبح الانبياء و الاوصياء قدملؤا سروراً و يصبح الوصى الذى بين ظهرانيكم وقدزيد فى علمه مثل جمّ الغفير.

و فيه باسناده عن يونس أوالمفضل عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ما من ليلة جمعة إلاّ و لأولياء الله فيها سرور قلت: كيف ذلك جعلت فداك؟

قال : إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ، و وافى الأئمة عليهم السلام و وافيت معهم ، فما أرجع إلا بعلم مستفاد و لولا ذلك لنفد ما عندى

وفيه :باسناده عن زرارة قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : لولا أنانزداد لأ نفدنا قال: قلت:

تزدادون شيئاً لايعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال: أما انه إذا كان ذلك عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم على الأئمة ثم إنتهى الامر إلينا .

و فيه : عن الصادق عليه السلام قال: ليس يخرج شيء من عندالله عزو جل حتى يبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله ثم بأمير المؤمنين عليه السلام ثم بواحد بعد واحد لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا .

و فيه :باسناده عن جماعة بن سعد الخثعمي انه قال : كان المفضل عند أبي عبدالله عليه السلام فقال له المفضل : جعلت فداك يفرض الله طاعة عبد على العباد و يحجب عنه خبر السماء ؟ قال : لا الله أكرم و أرحم و أرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحاً و مساءاً .

و فيه : باسناده عن عبدالأعلى و أبوعبيدة و عبدالله إبن بشر الخثعمي سمعوا أباعبدالله عليه السلام يقول : إنى لأعلم مافى السموات و مافى الارض ، و أعلم مافي الجنة ، و أعلم ما فى النار و أعلم ما كان و مايكون قال : ثم مكث هنيئة فرأى ان ذلك كبر على من سمعه منه ، فقال : علمت ذلك من كتاب الله عز و جل ان الله عزوجل يقول : فيه تبيان كل شيء

وغيرها من الروايات الواردة عن طريق الشيعة الامامية في علم الأئمة عليهم السلام وأما الروايات الواردة فى ذلك عن طريق العامة فكثيرة جداً أوردناها فى محلها

المناسب في هذا الكتاب

و في المقام نكتفى بروايتين رواهما إبن الصباغ و هو من أعلام العامة في كتابه (الفصول المهمة ص ٢٠٠ ط الغرى) و الشبلنجى فى (نور الابصار ص ١٣٣ ط مصر)

احدهما : عن جعفر الصادق عليه السلام قال : كان أبى فى مجلس عام ذات يوم من الايام إذ أطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعه ، فقال : ياقوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متوالية فيقتل مقاتلتكم و تلقون منه بلاء لاتقدرون عليه و لاعلى دفعه و ذلك من قابل

فخذوا حذركم واعلموا أن الذى قلت لكم هو كائن لابد به منه، فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه وقالوا : لايكون هذا أبداً فلما كان من قابل تحمل أبو جعفر من المدينة بعياله هو وجماعة من بنى هاشم وخرجوا منها فجاءها نافع بن الأزرق فدخلها فى أربعة آلاف و استباحها ثلاثة أيام و قتل فيها خلقاً كثيراً لا يحصون و كان الأمر على ماقاله عليه السلام

ثانيهما - في الفصول المهمة ص ١٩٩ ط الغرى) وفى (نور الابصار ص١٩٤ ط العثمانية بمصر)

قال أبو بصير : قلت يوماً للباقر عليه السلام : أنتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : نعم قلت : رسول الله وارث الانبياء جميعهم و وارث جميع علومهم ؟ قال : نعم قلت : فأنتم ورثة جميع علوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : نعم قلت : فأنتم تقدرون ان تحيوا الموتى و تبرؤا الاكمه والابرص وتخبرون الناس بمايأكلون فى بيوتهم ؟

قال : نعم نفعل ذلك كله باذن الله تعالى ثم قال : أدن منى ياأبابصير وكان أبوبصير مكفوف النظر قال : فدنوت منه فمسح يده على وجهى

فأبصرت السهل و الجبل و السماء و الارض فقال : أتحب ان تكون هكذا تبصر و حسابك على الله ؟ أو تكون كما كنت و لك الجنة ! قلت : الجنة أحب إلي قال : فمسح بيده على وجهي فعدت كما كنت .



﴿ العرش و انتهاء العمل اليه ﴾

وإعلم أن المستفاد من الآيات القرآنية والروايات الواردة حول العرش ان العرش هو المحيط على الكرسي المحيط على السموات والارض كلها .

ولا يتطرق وراءه ولا يعلمه أحد من الخلق و بما دونه يتعلق علم الانبياء والاوصياء صلوات الله عليهم اجمعين والله من ورائهم محيط . ومن العرش رزق الخلق وإليه تنتهى أعمال العباد .

في الاحتجاج مما سئل إبن الكوا علياً أمير المؤمنين عليه السلام عنه انه قال : يا أمير المؤمنين كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك ؟

قال: ثكلتك امك يابن الكوا سل متعلماً ولاتسئل متعنتاً من موضع قدمي إلى عرش ربي أن يقول قائل ـ مخلصاً ـ : « لا إله إلا الله»

قال: ياأمير المؤمنين فماثواب من قال :« لا إله إلا الله » ؟

قال: من قال : لا إله إلا الله مخلصاً طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض فان قال ثانية : لا إله إلا الله ـ مخلصاً ـ خرقت أبواب السماوات وصفوف الملائكة حتى يقول الملائكة بعضها لبعض اخشعوا لعظمة الله .

فاذاقال ثالثة : لا إله إلا الله ـ مخلصاً ـ تنته دون العرش فيقول الجليل : « اسكني فوعزتي وجلالي لأغفرن لقائلك بما كان فيه ثم تلاهذه الاية : « إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه » يعني إذا كان عمله صالحا إرتفع قوله و كلامه .

وفي التوحيد باسناده عن هشام بن الحكم - في حديث الزنديق الذي أتى أباعبد الله عليه السلام فسئله مسائل منها قال: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء و بين أن تخفضوها نحو الارض؟ قال أبو عبدالله عليه السلام. ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء.

ولكنه عزوجل أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لانه جعله معدن الرزق فثبّتنا ماثبّته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: إرفعوا أيديكم إلى الله عزوجل وهذا يجمع عليه فرق الأمة كلها.

و في رواية: ان العرش هو المكان الذي ينتهى إليه بأعمال العباد من السدرة المنتهى إليه، وقد جعل الله عزوجل السماء الدنيا في الثلث الاخير من الليل وفي ليالي الجمعة مسافة الاعمال في إرتفاعها أقرب منها في سائر الاوقات إلى العرش.

و في تحف العقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا مدح الفاجر إهتزّ العرش وغضب الرب.



﴿ كلام في اللوح ﴾

قال الله عزوجل : « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ» البروج:٢١ـ٢٢)
وقد جائت كلمة اللوح بافرادها فى القرآن الكريم مرة واحدة ، وهى كما قرأت آنفاً ، ولايحتوى القرآن شيئاً عن ماهية اللوح كما كان ذلك شأن العرش تقريباً ، ومن هنا تنوّعت كلمات الحكماء والمفسرين ، والفلاسفة والمتكلمين فى مفهوم اللوح وحقيقته :

فمنهم من قال: ان اللوح المحفوظ هو الكتاب المبين فى قوله تعالى : « ولارطب ولايابس إلاّ فى كتاب مبين » الانعام : ٥٩) وقوله : « كل فى كتاب مبين » هود : ٦) فانه إخبار من الله عزوجل : ان جميع ذلك مكتوب فى كتاب ظاهر ، وإنما أثبت ذلك فى اللوح المحفوظ مع أنه عالم لذاته لايعزب عن علمه شيء من مخلوقاته لما فيه من اللطف للملائكة أو لمن يخبر بذلك ، ويعبّر عن هذا الكتاب المبين المسمى باللوح المحفوظ بام الكتاب في قوله جل و علا : « يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » الرعد : ٣٩) .

وذلك انه أصل الكتب السماوية،ولا شيء إلاّ وهو مثبت فى اللوح المحفوظ قبل أن يخلق وان العرب تسمّى كل ما يجرى مجرى الاصل للشيء امّاً له ، و منه : « امّ الرأس » للدماغ و « ام القرى » لمكة ، فكذلك : « ام الكتاب » فانه الذى يكون أصلاً لجميع الكتب ، و هو اللوح المحفوظ إذ فيه جميع حوادث العالم : علويها وسفليها ، صغير و كبيرها ، وما كان وما يكون . . . كل ذلك

مثبت فى ام الكتاب .

وقيل :انام الكتاب هو علم الله تعالى فانه جل وعلا عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات والمعلومات وإن تغيّرت إلاّ ان علم الله عزوجل بها باق منزّه عن التغير فالمراد بام الكتاب هو ذاك وهو اللوح المحفوظ الذى لايغيّر ولايبدّل لان الكتب المنزلة انتسخت منه ، فالمحو والاثبات إنما يقع فى الكتب المنتسخة لافى أصل الكتاب .

وقيل : سمي اللوح المحفوظ بام الكتاب لانه الاصل الذى كتب فيه أوّلاً سيكون كذا وكذا لكل ما يكون ، فاذا وقع كتب انه قد كان ما قيل : انه سيكون ، والوجه فى ذلك مافيه من المصلحة والاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكة الذين يشاهدونه إذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه ، وعلموا أنما يحدث على كثرته قد أحصاه الله جل وعلا وعلمه قبل أن يكون مع أن ذلك أهول فى الصدور وأعظم فى القلوب ، وأوقع فى النفوس حتى كأن من تصوّره وتفكر فيه مشاهد له .

وعن إبن عباس انه قال : ان اللوح من درة بيضاء ...ته ما بين الارض و السماء مكتوب عليه كل ما كان ، وما يكون إلى يوم القيامة ومو كول حفظه إلى ملك الله إسرافيل .

ومنهم من قال: ان هذا على سبيل التقريب والتشبيه ، فليس هناك لوح أو يجب الوقوف عند ذلك ، وذلك لان الله عزوجل منزّه عن الحاجة إلى تثبيت كلامه وعلمه وأمره ومقدراته ونقشها على ألواح مادية ، ولما كان الناس قد اعتادوا أن يكتبوا وينقشوا ما يريدون حفظه وتثبيته من الاحداث والافكار على الألواح ، فالمتبادر لنا ان استعمال الكلمة فى صدد القرآن الكريم هو للتقريب والتشبيه ، و بيان كون القرآن محفوظاً حفظاً تاماً لايمكن أن يطرأ عليه تبديل ولاتحريف .

ومن المتكلمين : من قال : ان اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤنه ، و أمثال هذه الحقائق لما كانت الاخبار والآثار واردة بذلك وجب التصديق به سمعاً.

وقال الصدوق رضوان الله تعالى عليه : « إعتقادنا فـي اللوح و القلم انهما ملكان »

وقال الشيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه : « اللوح كتاب الله تعالى كتب فيه ما يكون إلى يوم القيامة ، و هو قوله تعالى : « و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون» الانبياء: ١٠٥) فاللوح هو الذكر والقلم هو الشيء الذي أحدث الله به الكتابة في اللوح ، وجعل اللوح أصلاً ليعرف الملائكة عليهم السلام منه ما يكون « من غيب أووحي » فاذا أراد الله تعالى أن يطلع الملائكة على غيب له أويرسلهم إلى الانبياء عليهم السلام بذلك أمرهم بالاطلاع فى اللوح ، فحفظوا منه ما يؤدونه إلى من ارسلوا إليه وعرفوا منه ما يعملون، وقد جائت بذلك آثار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و عن الائمة عليهم السلام ، وأما من ذهب إلى أن اللوح و القلم ملكان ، فقد أبعد بذلك و نأى به عن الحق إذ الملائكة عليهم السلام لاتسمى ألواحاً ولاأقلاماً ، ولايعرف فى اللغة إسم ملك ولابشر لوح ولاقلم.

ومن المحدثين مـن قال : و ماورد فى بعض الاخبار : ان اللوح و القلم ملكان لاينا فى ظاهره كما لايخفى . وقال : ويظهر من الاخبار: ان لله عزوجل لوحين: اللوح المحفوظ وهو لايتغير ، ولوح المحو والاثبات ، وفيه يكون البداء كمامر تحقيقه فى بابه ، و يؤمي إليه قوله تعالى : « يمحوا الله ما يشاء و يثبت وعنده ام الكتاب » فعند الله جل و علا كتابان : أحدهما الكتاب الذى تكتبه الملائكة على الخلق ، وذلك الكتاب محل المحو والاثبات . و ثانيهما ـ اللوح المحفوظ وهو الكتاب المشتمل على تعيين نفس جميع الاحوال العلوية والسفلية وهو الباقى .

ومنهم من قال: ان اللوح المحفوظ هو لوح من نور وهو « ن » فى قوله تعالى : « ن والقلم »

اقول ان اللوح فى الأصل: الشى الممهد المنسبط الذى يصح عليه النقش والكتابة من خشب أو غيره جمعه : ألواح ...

قال الله عزوجل : « و كتبناله فى الالواح من كل شىء موعظة و تفصيلاً لكل شىء فخذها بقوة وامر قومك ـ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتمو نى من بعدى أعجلتم أمر ربكم والقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ـ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح و فى نسختها هدى و رحمة للذين هم لربهم يرهبون » الاعراف : ١٤٥ ـ ١٥٤)

واللائحة : هى الورقة المفتوحة التى تدرج فيها الأعمال الحسابية وغيرها ، و اللوح عندنا هو الشىء الذى كتب الله تعالى فيه ما كان و ما يكون و ما فيه بداء .

وجعل اللوح أصلاً ليعرف الملائكة منه ما يكون من غيب أو وحى ، فاذا أراد الله عزوجل أن يطلع الملائكة على غيب له أو يرسلهم إلى نبى و رسول بذلك بالاطلاع فى اللوح ، وأخذه فحفظوا منه ما يؤدونه أو يؤتونه إلى من ارسلوا إليه .

فى المناقب: لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه : كتب ملك الروم إلى عبدالملك : أكلت لحم الجمل الذى هرب عليه أبوك من المدينة لأغزونك بجنود مأة ألف ومأة ألف ومأة ألف ،فكتب عبدالملك إلى الحجاج أن يبعث إلى زين العابدين عليه السلام ويتوعده ويكتب إليهما يقول،ففعل فقال على بن الحسين عليهما السلام إن الله لوحاً محفوظاً يلحظه فى كل يوم ثلاثمأة لحظة ليس منها لحظة واحدة إلاّ يحيى فيها ويميت ويعزّ ويذلّ ويفعل ما يشاء وانى لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة ، فكتب بها الحجاج إلى عبدالملك فكتب عبدالملك بذلك إلى ملك الروم ، فلما

قرأه قال : ما خرج هذا إلاّ من كلام النبوة

وفي البحار : قال المجلسي قدس سره : واعلم أن للحكماء في تلك الابواب خرافات تنتهي الى المحالات ، ثم إلى الزندقة والخروج عن مذاهب أرباب الد يانات ، وردّوا في لباس التأويل أكثر الايات والروايات ، و إن زعموا تطبيقها عليها بأنواع التمحلات ، فبعضهم يقول : القلم هو العقل الاول ، و جميع صور الاشياء حاصلة فيه على وجه بسيط عقليّ مقدّس عن شائبة كثرة وتفصيل ، وهو صورة القضاء الالهي ، وهو بهذا الاعتبار يسمى بام الكتاب،ومنه ينتقش في ألواح النفوس الكلية كما ينتسخ بالقلم في اللوح صورة معلومة مضبوطة بعللها وأسبابها على وجه كلي وهو قدره تعالى .

ومن هذه النفوس الكلية ينتقش في قواها المنطبعة الخيالية نقوش جزئية متشكلة بأشكال وهيئات معينة على طبق ما يظهر في الخارج ، وهذا العالم هو لوح القدر كما أن عالم النفوس الكلية هو لوح القضاء و كل منهما بهذا الاعتبار كتاب مبين إلاّ أن الاول محفوظ من المحو و الاثبات . و الثاني كتاب المحو والاثبات وفيه يكون البداء لان القوى المطبعة الفلكية لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الامور دفعة واحدة لعدم تناهيها ، بل إنّما ينتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً ، وجملة جملة مع أسبابها وعللها على نهج مستمرّ ونظام مستقرّ ، فان ما يحدث في عالم الكون والفساد إنما هو من لوازم حركات الافلاك ونتائج بركاتها .

فمتى يعلم أن كلما كان كذا كان كذا،ومهما حصل العلم بأسباب حدوث أمر مّا في هذا العا لم حكمت بوقوعه فيه ،فينتقش فيها ذلك الحكم ، و ربما تأخّر بعض الاسباب الموجب لو قوع الحادث على خلاف ما يوجبه بقيّة الاسباب لو لاذلك السبب ، ولم يحصل لها العلم بذلك السبب بعد لعدم إطلاعها على سبب ذلك السبب ، ثم لما جاء أوانه واطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الاول يمحو عنها

نقش الحكم السابق ،ويثبت الحكم الاخر ، ولما كان أسباب هذا التخيل ينتهى إليه سبحانه نسب البداء إليه مع إحاطة علمه سبحانه بالكليات والجزئيات جميعاً أزلاً وأبداً . إنتهى كلامه ورفع مقامه .

وفى المبدأ و المعاد و الرسائل : قال ملاصدرا : فصل فى مراتب علمه بالاشياء وهى العناية والقضاء والقدر والقلم واللوح ودفتر الوجود ، فالعناية على مايراه المشاؤن و من يحذو حذو هم كالمعلم الثانى و الشيخ الرئيس و تلميذه بهمنيار نقش زايد عليه ذاته ، لها محل هو ذاته ، وهى عبارة عن علمه تعالى بما عليه الوجود من الأشياء الكلية والجزئية الواقعة فى النظام الكلى على الوجه الكلى المقتضى للخير والكمال على وجه الرضا المؤدى لوجود النظام على أفضل ما فى الامكان أتم تأدية و مرضياً بها عنده تعالى ، و على رأى من لايثبت صوراً فى ذاته تعالى زايدة عليه كالرواقيين وأصحابهم سيما الشيخ الالهى فى حكمة الاشراق كون ذاته تعالى بحيث يفيض عنه صور الاشياء معقولة له ، مشاهدة عنده مرضياً لديه ، فليس لها محل ، بل هو علم بسيط قائم بذاته ، ومقدّس عن شائبة كثرة وتفصيل ، محيط بجميع الاشياء ، خلاّق للمعلوم التفصيلية التى بعده ، و هى ذوات الأشياء الصادرة عنه تعالى بطبائعها و شخصياتها على أنها عنه لا على أنها فيه .

والقضاء: عبارة عن وجود الصور العقلية لجميع الموجودات بابداع البارى إياها فى العالم العقلى على الوجه الكلى بلا زمان .

والقدر: عبارة عن ثبوت صور جميع الموجودات فى العالم النفسى على الوجه الجزئى مطابقة لما فى موادها الخارجية الشخصية مستندة إلى أسبابها و عللها واجبة بها ، لازمة لأوقاتها المعينة و يشملها العناية الاولى الالهية شمول القضاء للقدر ، والقدر لما فى الخارج إلاّ أن العناية لامحل لها على ما هو التحقيق ، ولكل من القضاء والقدر محل ، ومحلها القلم واللوح وبيان ذلك ان عناية البارى

إقتضت أوّل ما اقتضت جوهراً قدسياً يسمى بالقلم الاعلى والعقل الاول و الروح الاعظم والملك المقرّب والممكن الاشرف كما به الأحاديث النبوية و نطقت به الحكمة الالهية ، و بتوسطه جواهر قدسية وأجراماً سماوية مع نفوسها ، و عناصر جسمية مع قواها الطبيعية على ما اشير إليه في الكتب الحكمية ، وسيجيىء في هذا الكتاب أيضاً .

وتلك العقول قدسية أنوار قاهرة مؤثرة فيما تحتها من النفوس والاجرام بتأثير الله تعالى فقاهريتها التي هي تأثيرها في غيرها ظلّ لقاهريته تعالى ، و أثر من آثار جلاله وقدرته كما أن نوريتها التي لايزيد على ذواتها لمعة من لمعات وجهه وجماله ، بهذا الاعتبار يسمى الملائكة المقربين ، وعالمها عالم القدرة ، و كما يفيض منها صور الاشياء وحقائقها بافاضة الحق سبحانه فكذلك يفيض منها صفاتها وكما لاتها الثانوية التي بها تجبر نقصاناتها ، فبهذا الاعتبار أو باعتبارانها تجبرها على كمالاتها ، التوجه إليها عند فقدانها و حفظها عند حصولها ما أمكن يسمى عالم الجبروت ، وهي صورة صفة جبارية الله تعالى .

ومعلوم من أن صور جميع ماأوجده الله تعالى من إبتداء العالم إلى آخره حاصلة فيها على وجه بسيط مقدس عن شائبة الكثرة التفصيلية ، وهي صورة القضاء الالهي ، فمحله عالم الجبروت وهو المسمى بام الكتاب بهذا الاعتبار كما قال الله تعالى : « و انه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم » و بالقلم باعتبار إفاضة الصور منه على النفوس الكلية الفلكية قال الله تعالى : « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم »

و كلما يفيض علينا من العلوم الحقة إنما يفيض عن ذلك العالم ، ولا شك ان تلك الجواهر التي هي خزائن علمه مفاتيح غيبه كما قال الله تعالى : «وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه » وقال الله تعالى : «وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلاّ هو» متعالية عن تعلق الزمان مقدّسة عن التغير والنقصان ، فالقضاء كذلك ، و كما ان

العالم العقلى المعبر عنه بالقلم محل القضاء فالعالم النفسانى السماوى محل قدره تعالى ولوح قضائه إذ كل ماجرى فى العالم أو سيجرى مكتوب مثبت فى النفوس الفلكية ، فانها عالمة بلوازم حركاتها كمابيّن فى موضعه فكما ينتسخ بالقلم فى اللوح نقوش حسّية كذلك إرتسمت من عالم العقل فى عالم النفوس صور معلومة مضبوطة بعللها وأسبابها على وجه كلى ، فتلك الصورة هى قدرته تعالى ومحلها و هوعالم النفوس الكلية التى هى قلب العالم الكلى عند الصوفية محل القدر وللوح القضاء .

ثم ينتقش منه فى القوى المنطبعة الفلكية نقوش جزئية مشخصة بأشكال و هيئات معينة مقارنة لأوقات وأوضاع معينة من لواحق المادة على مايظهر فى الخارج كمافى قوله تعالى :«ومانتزّله إلاّ بقدر معلوم» وهذا العالم هوعالم الخيال الكلى وعالم المثال ، وهولوح القدر كماأن ذلك العالم الذى هو عالم النفوس الناطقة الكلية لوح القضاء و كل منهما لاشتماله على صورة الوجود كله كتاب مبين على ماقال سبحانه :« ولاحبة فى ظلمات الارض ولارطب ولايابس إلاّ فى كتاب مبين »

إلاّ ان الاول لوح محفوظ هوام الكتاب ، و الثانى كتاب المحو و الاثبات على ماقال سبحانه: «يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » وحضور تلك الصور المعينة المقيدة بوقتها المعين هوقدر الشىء المعين الخارجى الضرورى الوجود عندتحقق وقته كماقال : « وما ننزّله إلاّ بقدر معلوم » وهذا العالم أى عالم لوح القدر هوعالم الملكوت العمالة باذن الله تعالى المسخر بأمره المدبّر لامور العالم باعداد المواد وتهيئة الاسباب، ثم ان وجود تلك الصور الجزئية فى موادها الخارجية التى هى أخيرة مراتب علمه تعالى كلمات الله التى لاتنفد و لاتبيد مع أعراضها اللازمة و المفارقة التى هى بمنزلة الحركات الاعرابية والبنائية و المادة الكلية المشتملة عليهاهى دفتر الوجود و البحر المسجور المملوّ بالصور كما اشير فى الصحيفة القرآنية بقوله تعالى:«لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحرقبل

أن تنفد كلمات ربى و لو جئنا بمثله مدداً »

فهذه العوالم كليتهاوجزئيتها كلها كتب إلهية ودفاتر سبحانية لاحاطتها بكلمات الله التامات ، فعالم العقول المقدسة والنفوس الكلية كلاهما كتابان إلهيّان ، وقديقال للعقل الاول: ام الكتاب لاحاطته بالاشياء إجمالاً وللنفس الكلية الفلكية : الكتاب المبين لظهورها فيها تفصيلاً ، وللنفس المنطبعة فى الجسم الكلى : كتاب المحو و الاثبات و قدلو حنا إليك ان الانسان الكامل كتاب جامع لهذه الكتب المذكورة لانه نسخة العالم الكبير كماقال العالم الربانى السبحانى حكيم العرب والعجم :

دوائك فيك و لاتشعر	و دائك منك و لاتبصر
وأنت الكتاب المبين الذى	بآياته يظهر المضمر
و تزعم انك جرم صغير	وفيك انطوى العالم الاكبر

فمن حيث عقله كتاب عقلى بام الكتاب ، و من حيث نفسه الناطقة كتاب اللوح المحفوظ ، ومن حيث روحه النفسانية التى فى فلك دماغه كتاب المحو و الاثبات فهى الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التى لايمسّها ولايدرك أسرارها ومعانيها إلاّ المطهرون من الحجب الظمانية .

وماذكر من الكتب أوّلاً إنماهى اصول الكتب الالهية ، وأما فروعها فكل مافى الوجود من العقل والنفس والقوى الروحانية والجسمانية و غيرها لانها مما ينتقش فيها أحكام الوجودات إما كلها أوبعضها ، سواء كان مجملاً أومفصلاً، وأقل ذلك إنتقاش الاحكام عينها .

ثم قال فى المبدأ والمعاد: تنبيه وتمثيل إياك أن تفهم من قلم الله ولوحه ما تفهم من قلم الانسان ولوحه الذين هما اللتان جماديتان بل هما لايشبهان لهذين كما ان ذات الله تعالى وصفاته لايشبهان ذات الخلق وصفاته وان صدق عليها مفهوم القلمية الغير المأخوذة فى تحديده كونه من خشب أوقصب أو حديد بل الناقش مطلقاً ، و

مفهوم اللوحيةالغير المعتبر فى تحديده كونه من خشب أوقرطاس بلمجرد كونه منقوشاً فيهسواء كان النقش محسوساً أومعقولاً فالقلم الاعلى ملك إلهى قدسى، و اللوح المحفوظ ملكنفسانى مجرد والكتابة تصوير الحقائق وإفاضتها، والمناسب لمراتب علمه تعالى الايق للتفهيم إنما يتحقق، ويعلم من النشأة الانسانية والفطرة الآدمية التى هى كهيئة العالم .

فكما انأفعال الانسان من لدن صدورها منهو بروزها من مكان من غيبها إلى مظاهر شهادتها أربعة مراتب لكونها أولاً فى مكمن عقله الذى هوغيب غيوبه فى غاية الخفاء كأنها غير مشعور بهائم ينزل إلى جنب عين قلبه أىمرتبه كونه نقشاً عند إستحضارها بالفكر و اخطارها بالبال كلية ، و فى هذه المرتبة يحصل للانسان التصورات الكليةو كبريات القياس عندالطلب للأمر الجزئى المنبعثعنه العزم على الفعل، والتعبير عن هذه المرتبةمن الانسان بالقلب لأجل تقلبه و إنتقاله من معلوم إلى معلوم كماهو شأن العلم النفسانى أولاعتبار توجهه تارة إلى العقل الصرف وتارة إلى الحس ثم ينزل إلى مخزن خياله متشخصة جزئية ، و هو موطن التصورات الجزئية ، و صغريات القياس ليحصل بانضمامها إلى تلك الكبرياتراى جزئى ينبعث عنهالقصد الجازم للفصل .

ثم يتحرك أعضائه عندإرادة إظهارها، فيظهر فى الخارج كذلك الحال فيما يحدث فى العالم من الصور والاعراض ، فالاولى بمثابة القضاء ومحله بمثابة القلم ، والثانية بمثابة نقش اللوح المحفوظ ، والثالثة بمثابة الصور فى السماء ، والرابعة بمثابة الصور الحادثة فى المواد المنصرية ، ولاشك ان نزول الاول لايكون إلا بارادة كلية،والنزول الثانى بارادة جزئية ينضم إلى الارادة الاولى، فينبعث بحسب ملايمتها ومنافرتهارأى جزئى يستلزم عزماً واجباً داعياً لاظهار الفعل ، فيتحرك الاعضاء والجوارح،ويظهر الفعل، وحركة الاعضاء بمنزلة حركة السماءوسلطان

العقل الانسانى فى الدماغ كسلطان الروح الكلى فى العرش وظهور قابه الحقيقى الذى هو النفس الناطقة فى القلب الصنوبرى من الانسان كظهور النفس الكلية فى فلك الشمس، فهو من العالم بمنزلة القلب الصنوبرى من الانسان كما ان العرش منه بمنزلة الدماغ منا والله بكل شىء محيط . إنتهى كلامه فتأمل جيداً .



﴿ بحث روائي في اللوح ﴾

وقدوردت روايات كثيرة فياللوح نشير إلىمايسعه المقام :

في معاني الاخبار: باسناده عن سفيان الثوري قال: سئلت جعفربن محمد عليه السلام عن(ن) فقال: هو نهر في الجنة ، قال الله عزوجل : أجمد فجمد فصار مداداً ثم قال عزوجل للقلم : اكتب فسطر القلم في اللوح المحفوظ ما كان و ماهو كائن إلى يوم القيامة ، فالمداد مداد من نور ، والقلم قلم من نور، واللوح لوح من نور ، قال سفيان : فقلت له : يابن رسول الله بيّن لي أمر اللوح والقلم والمداد فضل بيان ، و علّمني مما علّمك الله ، فقال: يابن سعيد ! لولا أنك أهل للجواب ماأجبتك فنون ملك يؤدّي إلى القلم وهو ملك ، والقلم يؤدي إلى اللوح وهو ملك، واللوح يؤدّي إلى إسرافيل ، وإسرافيل يؤدّي إلى ميكائيل ، وميكائيل يؤدّي إلى جبرئيل ، و جبرئيل يؤدّي إلى الانبياء والرسل ، قال: ثم قال لي : قم ياسفيان فلا آمن عليك .

وفيه: باسناده عن إبراهيم الكرخي قال : سئلت جعفربن محمد عليه السلام عن اللوح والقلم ، فقال : هماملكان .

وفي الاختصاص: سئل إبن سلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن «ن والقلم» قال : النون اللوح المحفوظ والقلم نور ساطع ، و ذلك قوله : «ن والقلم ومايسطرون» قال : صدقت يامحمد فأخبرني ماطوله ؟ وماعرضه ؟ ومامداده ؟ وأين مجراه ؟ قال: طول القلم خمسمأة سنة ، وعرضه مسيرة ثمانين سنة ، له ثمانون سناً يخرج المداد

من بين أسنانه ، يجرى فى اللوح المحفوظ بأمر الله وسلطانه ،قال: صدقت يامحمد ،فأخبرنى عن اللوح المحفوظ مما هو ؟ قال : من زمرّدة خضراء أجوافه اللؤلؤ ، بطانته الرحمة قال : صدقت يامحمد ، قال: فأخبرنى كم لحظة لرب العالمين فى اللوح المحفوظ فى كل يوم وليلة ؟ قال: ثلاثمأة وستون لحظة .

وفى العلل: باسناده عن الحسن بن مقاتل عمن سمع زرارة يقول : سئل أبو عبدالله عليه السلام عن بدء النسل من آدم : فقال فيما قال: لم يختلف فقهاء أهل الحجاز ولافقهاء أهل العراق أن الله عزوجل أمر القلم ، فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بألفى عام ، وأنّ كتب الله كلها فيما جرى فيه القلم ، هذه الكتب المشهودة فى هذا العالم : التوراة والانجيل والزبور والفرقان أنزلها الله عن اللوح المحفوظ على رسله ... الخبر .

وفى الدر المنثور: عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن بين يدى الرحمن تبارك وتعالى للوحاً فيه ثلاثمأة وخمس عشرة شريعة ، يقول الرحمن : و عزتى و جلالى لايجيئنى عبد من عبادى لايشرك بى شيئاً فيه واحدة منكنّ إلاّ أدخلته الجنة .

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كان الله و لاشيء معه ثم خلق اللوح وأثبت فيه جميع أحوال جميع الخلق إلى يوم القيامة .

و فى رواية : عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم « انه كان يأخذ الوحى عن جبرئيل وجبرئيل عن ميكائيل، وميكائيل عن إسرافيل، وإسرافيل عن اللوح المحفوظ واللوح عن القلم » قيل : وفيه إشارة إلى معنى إلهىّ .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : «بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » قال : اللوح المحفوظ له طرفان: طرف على يمين العرش ، و طرف على جبهة إسرافيل ، فاذا تكلم الرب جلّ ذكره بالوحى ضرب اللوح جبين إسرافيل

،فنظر فی اللوح، فیوحی بمافی اللوح إلی جبرئیل .

و فی الدر المنثور : عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خلق الله لوحاً من درّة بيضاء دفتاه من زبر جدة خضراء ، كتابه من نور ، يلحظ إليه فی كل يوم ثلاثمأة وستين لحظة ، يحيي ويميت ، ويخلق ويرزق ، ويعزّ و يذلّ ، و يفعل مايشاء »

وفيه: عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن لله لوحاً من زبرجدة خضراء جعله تحت العرش ، و كتب فيه أنی أنا الله لا إله إلاّ أنا ، خلقت ثلاثمأة وبضعة عشر خلقاً من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلاّ الله دخل الجنة .

و فيه: عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : النون اللوح المحفوظ ، و القلم من نور ساطع .

أقول: ولعلّ السرّ فی التعبير عن اللوح والقلم بالنور فی الروايات هو تنزهما عن ظلمات المادة و غواشی الطبيعة كمافی نورالنبی الكريم وأهل بيت الوحی صلوات الله عليهم أجمعين وعلى هذا فلعل سبب عدم التصريح بالتجرد عن المادة ، والاقتصار على الرمز والاشارة فی أمثال هذه الروايات هی الشفقة على عامة الناس لقصور فهم الاكثر عن درك حقيقته بل عن تصوره أيضاً والله جل و علا هو العالم ، و كيف كان فالتصديق الاجمالی بما ورد عن النبی الكريم و أهل بيته المعصومين عليهم السلام فی أمثال هذه المقامات أقرب إلى السلامة وأبعد عن الخطأ والزلة والله تعالى هو الهادی وعالم الغيبة .

وفيه: عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والارض وهو عنده فوق العرش ، الخلق منتهون إلى مافی ذلك الكتاب ، وتصديق ذلك فی كتاب الله: « وانه فی ام الكتاب لدينا لعلی حكيم »

وفيه: عن إبن عباس انه سئل عن هذه الاية: « انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون »

فقال: إن أول ماخلق الله القلم، ثم خلق النون و هي الدواة، ثم خلق الالواح فكتب الدنيا ومايكون فيهاحتى تفنى، من خلق مخلوق وعمل معمول، من بر أوفاجر، وما كان من رزق حلال أوحرام، وما كان من رطب ويابس، ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه، دخوله في الدنيا متى؟ وبقاؤه فيها كم؟ وإلى كم يفنى؟ ثم وكل بذلك الكتاب الملائكة، ووكل بالخلق ملائكة، فتأتي ملائكة الخلق إلى ملائكة ذلك الكتاب، فيستنسخون مايكون في كل يوم وليلة مقسوم على ماوكلوابه، ثم يأتون إلى الناس فيحفظونهم بامر الله، فيسوقونهم إلى مافي أيديهم من تلك النسخ، فقام رجل فقال: يابن عباس ماكنا نرى هذا! أتكتب الملائكة في كل يوم وليلة؟ فقال إبن عباس ألستم قوماً عرباً؟! «إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون» هل يستنسخ الشيء إلا من كتاب.

وفيه: عن إبن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون» قال: هي أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات، تنزل من السماء كل غداة وعشية مايصيب الانسان في ذلك اليوم أوالليلة الذي يقتل، والذي يغرق و الذي يقع من فوق بيت والذي يتردّى من فوق جبل، والذي يقع في بئر والذي يحرق بالنار، فيحفظون عليه ذلك كله، فاذا كان العشيّ صعدوا به إلى السماء فيجدونه كمافي السماء مكتوباً في الذكر الحكيم.

وفيه: وعن إبن عباس قال: أول ماخلق الله القلم، فتصوّر قلماً من نور فقيل له: اجر في اللوح المحفوظ، قال: يارب بماذا؟ قال: بما يكون إلى يوم القيامة. فلماخلق الله الخلق و كل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم، فلماقامت القيامة عرضت عليهم أعمالهم، وقيل: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون» عرض بالكتابين فكانا سواء.

وفيه: عن إبن عباس في قوله تعالى: «كل يوم هو في شأن» قال: ان مما خلق

الله لوحاً محفوظاً من درّة بيضاء دفّتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور و كتابه نور و عرضه ما بين السماء والارض ، ينظر فيه كل يوم ثلاثمأة و ستين نظرة ، يخلق في كل نظرة ، و يرزق ويحيي ويميت ، ويعزّ ويذلّ ، ويغلّ ويفك ، و يفعل مايشاء فذلك قوله : « كل يوم هو في شأن » .



اللوح وأسماء أئمتنا المعصومين اهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين

فى الكافى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال أبى لجابر بن عبدالله الانصارى : ان لى إليك حاجة ،فمتى يخفّ عليك أن أخلو بك، فأسئلك عنها فقال له جابر : أىّ الأوقات أحببته فخلا به فى بعض الأيام ، فقال له : يا جابر أخبرنى عن اللوح الذى رأيته فى يد امى فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أخبرتك به امى أنه فى ذلك اللوح مكتوب ؟ فقال جابر : أشهد بالله أنى دخلت على امك فاطمه عليها السلام فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهنّيتها بولادة الحسين ، ورأيت فى يديها لوحاً أخضر ظننت انه من زمرّد و رأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس فقلت لها :

بأبى وامى يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماهذا اللوح ؟فقالت: هذا لوح أهداه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه إسم أبى وإسم بعلى وإسم إبنىّ وإسم الأوصياء من ولدى و أعطانيه أبى ليبشّرنى بذلك ، قال جابر : فأعطتنيه امك فاطمة عليها السلام فقرأته و استنسخته فقال له أبى : فهل لك ياجابر ان تعرضه علىّ ؟ قال : نعم ، فمشى معه أبى إلى منزل جابر فاخرج صحيفة من رقّ (ورق خ) فقال : ياجابر أنظر فى كتابك لأقرأ أنا عليك ، فنظر جابر فى نسخته ، فقرأه أبى فما خالف حرفاً ، فقال جابر : فاشهد بالله أنى هكذا رأيته فى اللوح مكتوباً :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين : عظّم يا محمد أسمائي و اشكر نعمائي ، ولا تجحد آلائي اني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين ، ومديل المظلومين ، وديّان الدين ، اني أنا الله لا إله إلا أنا ،فمن رجى غير فضلي أوخاف غير عدلي عذّبته عذاباً لا اعذّب به أحداً من العالمين فاياي فاعبد ، وعليّ فتوكّل ، إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه ،وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً ،واني فضّلتك على الانبياء ، و فضّلت وصيك على الاوصياء وأكرمتك بشبليك وسبطيك : حسن وحسين ، فجعلت حسناً معدن علمي بعد إنقضاء مدة أبيه ، وجعلت حسيناً خازن وحيي ، وأكرمته بالشهادة وختمت بالسعادة ،فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة ، جعلت كلمتي التامة معه ، وحجتي البالغة عنده ، بعترته أثيب واعاقب: أولهم عليّ سيد العابدين وزين أوليائي الماضين و إبنه شبه جدّه المحمود :محمد الباقر علمي ، والمعدن لحكمتي سيهلك المرتابون في جعفر ، الرادّ عليه كالرادّ عليّ حق القول مني لأكرمنّ مثوى جعفر ،ولأسرّنّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه اتيحت بعده موسى فتنة عمياء حندس لان خيط ، فرضي لا ينقطع و حجتي لا تخفى ، وان أوليائي يسقون بالكأس الأوفى .

من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ، ومن غيّر آية من كتابي فقد افترى

على ويل للمفترين الجاحدين عند إنقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في علي ّ وليي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوة ، و أمتحنه بالاضطلاع بها يقتله عفريت مستكبر يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي حق القول مني لأسر ّنه بمحمد إبنه وخليفته من بعده ووارث علمه، فهو معدن علمي و موضع سر ّي و حجتي على خلقي ،لايؤمن عبد به إلا ّ جعلت الجنة مثواه ، وشفّعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لابنه علي ّ وليي ّ وناصري والشاهد في خلقي واميني على وحيي .

اخرج منه الداعي إلى سبيلي ، والخازن لعلمي الحسن ، و أكمل ذلك بابنه « م ح م د » رحمة للعالمين عليه كمال موسى وبهاء عيسى ، و صبر أيوب، فيذل ّ أوليائي في زمانه و تتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك و الديلم ، فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين ، وتصبغ الارض بدمائهم، ويفشو الويل والزنافي نسائهم اولئك أوليائي حقاًبهم أدفع كل فتنة عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل ، وادفع الآصار والاغلال اولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة واولئك هم المهتدون .

قال عبدالرحمن بن سالم : قال أبو بصير : لولم تسمع في دهرك إلا ّ هذا الحديث لكفاك فصنه إلا ّ عن أهله .

اقول : رواه الطبرسي قدس سره في الاحتجاج .

قوله تعالى : « حندس » : ليل مظلم ، و ظلمة شديدة ، و « من أضع عليه أعباء النبوة وامتحنه بالا ضطلاع بها » و ذلك لان كل وصيي من أوصياء النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلقى على عاتقه اعباء النبوة ، و يمتحن بالاضطلاع بها ، ولكن لا بعنوان النبوة والتلقي المباشر من قبل الله تعالى ،وإنما بعنوان الوصاية والاشراف على سير رسالة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والعمل على ايضاحها و إبقائها وتربية المؤمنين بها.

وقوله تعالى : « في المدينة التي بناها العبد الصالح » هوذوالقرنين لان

طوس من بناءه « إلى جنب شر خلقي » وهو هارون الرشيد ، و « فيذل أوليائي في زمانه » هذا إشارة إلى زمان غيبة الامام الثاني عشر الحجة بن الحسن العسكري أرواحنا وأرواح العالمين له الفداء حيث تختفي القيادة الاسلامية السماوية ،فيفسح للقيادات الأرضية أن تلعب دورها كيفما تملي عليها الأهواء فتضطهد أولياء الله الابرار .



«الله تعالى واحاطته بكل شىء»

قال الله عزوجل: «والله من ورائهم محيط» البروج : ٢٠)

ان الآية الكريمة تشير باطلاقها إلى أنه جل وعلا يحيط بكل شىء وجوداً وعلماً، وقيدورائهم لايقيد الاطلاق بهم فقط علماً أووجوداً فقط كما زعم بعض، بل إطلاق عقيب عام، إذ «وراء» يعمّ الجميع سوى الله جل وعلا، ومن الجميع الناس، ومنهم هؤلاء الكافرون.

قال الله عزوجل: «وكان الله بكل شىء محيطاً» النساء : ١٢٦)

و من الضرورة ان الله سبحانه لايكون فى محل، ولافى جهة، فان المحل عبارة عن المتحيّز الذى تحلّ فيه الاعراض، والجهة هى متعلق الاشاره الحسيّة و مقصد المتحرك الأينى السائر فى مكان، والانتقال من مكان إلى مكان كالسهم المرمى به، وذلك لان الله سبحانه لوحلّ فى محلّ أوجهة لكان مفتقراً إليهما فكان محدوداً بهما، فلايكون واجب الوجود لذاته، وقدثبت انه واجب الوجود لذاته و غير مفتقر إلى ماسواه فلايكون فى محل ولاجهة، وهو يقول: «والله من ورائهم محيط».

وذلك ان الكون ومافيه من السموات ومافيهن و الارض، و مافيها كلها محدودة، وفى وراء الكون عرش غير محدود والله جل وعلا محيط بالكون المحدود، وماوراءه غير المحدود الذى لايعلمه ملائكة، ولانبى ولاولى لانهم كلهم فى حدود الكون، فلايعلم ماوراءه كماانه لايقدر أحد أن يخرج من حدود الكون، فليس لوجوده سبحانه حدّ حتى يكون فى حدّ فهو محيط بكل شىء يكون له حدّ و فى

حدّ ، قال الله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » .

ولا يخفى على القارىء الخبير ما بين العالم بالشيء والمحيط به من الفرق : ان أصل المحيط : المطيف بالشيء من حوله بما هو كالسور الدائر عليه يمنع أن يخرج عنه ما هو منه، ويدخل فيه ما ليس فيه، ويكون من قبيل العلم وقبيل القدرة مجازاً ، فقوله عز وجل : « وكان الله بكل شيء محيطاً » يصلح أن يكون معناه : أن كل شيء في مقدوره فهو بمنزلة ما قبض القابض عليه في إمكان تصريفه ، ويصلح أن يكون معناه أنه يعلم بالاشياء من جميع وجوهها... وقال عز وجل : « قد أحاط بكل شيء علماً » الطلاق: ١٢) أي علمه من جميع وجوهه، وقوله سبحانه : « وأحاط بما لديهم » الجن : ٢٧) يجوز في العلم والقدرة .

وقال جل وعلا : « قد أحاط الله بها » الفتح: ٢١) أي قد أحاط بها لكم بتمليككم إياه.

وقال : « والله محيط بالكافرين » البقرة : ١٩) أي لا يفوتونه، وهو تخويف شديد بالغلبة فالمعلوم الذي علم من كل وجه بمنزلة ما قد احيط به بضرب سور حوله ، وكذلك المقدور عليه من كل وجه، فاذا اطلق اللفظ فالاولى أن يكون من جهة المقدور كقوله تعالى : « والله محيط بالكافرين » وقوله : « وكان الله بكل شيء محيطاً » ، ويجوز أن يكون من الجهتين ، فاذا قيد بالعلم ، فهو من جهة المعلوم لاغير ، ويقال للعالم بالشيء عالم، وان عرف من جهة واحدة ، فالفرق بينهما بيّن، وقد احتطت في الأمر إذا أحكمته كأنك منعت الخلل أن يدخله، وإذا احيط بالشيء علماً فقد علم من كل وجه يصح أن يعلم منه، وإذا لم يعلم الشيء مشاهدة لم يكن علمه إحاطة .

في التبيان: قال الشيخ قدس سره في قوله تعالى : « والله محيط بالكافرين »: أي انه عالم بهم أو انه المقتدر عليهم إذ الاحاطة بمعنى كون الشيء حول الشيء مما يحيط به لا يجوز على الله تعالى لانه من صفات الاجسام ، والذي يجوز الاحاطة بمعنى الاقدار والملك . إنتهى كلامه ورفع مقامه

وعن ابن سينا : انه قال: ان ذا العقل الكبير يكلّم رجلاً، ويكتب بيده، ويسمع باذنه رجلاً آخر، ولا يلهيه واحد من هذه الشئون عن الآخر .

قال بعض المفسرين ـ بعد ذكر هذا الكلام ـ : فهذا فتح باب أن نعرف أن العقول الكبيرة كالملائكة تسع خلائق كثيرة في آن واحد، فالله إذن أوسع وأعلم وهو الحكيم العليم .

ومن البهديهي: ان كل ما كان وجوده في نفسه أتم فمعقوله في الذهن أتم إذ الحقائق إنما تحصل في العقل بأنفسها ـ سواء كان المعقول عينه كما في العلم الحضوري أو غيره مماثلاً له كمافي العلم الحصولي ـ لا باطلاقها و أشباحها ، فعلى حسب وجودها خارج عقولنا يكون معقولها مطابقاً لموجودها ، فان كانت كاملة الوجود كالدائرة و المربع والعدد وأشباهها كان المعقول هي أيضاً معقولاً تاماً لانها في أنفسها كاملة الوجود ، وإن كانت ناقصة الوجود كالحركة و الزمان و الهيولى وأشباهها كان المعقول منها معقولاً ناقصاً إذ هي في أنفسها ناقصة الوجود .

وهذا المعنى في العلم الذي لا يكون بالارتسام والتمثيل بل بمجرّد الاضافة الاشراقية أوضح ، فان المعقول هناك بعينه الموجود الخارجي ، فاذا كان الواجب القيوم من فضيلة الوجود في أعلى أنحائه ، و من كمال الفعلية في أرفع المراتب فحينئذ يجب أن يكون المعقول منه على نهاية الكمال أيضاً، وحيث نجد الامر على خلاف ذلك ، فينبغي لنا أن نعلم أن هذا ليس من جهته إذ هو في ذاته على الكمال الاقصى ، ولكن لضعف عقولنا وإنغماسها في المادة وملابستها القوى و الاعدام يعتاص إدراكه وتعسر لعقله على ماهو عليه في ذاته، فان إفراط كماله وشدة نوريته تبهرها ،فلا تقوى على إدراكه على التمام وإن كنا نعقل سائر الاشياء بافاضته وإشراقه .

أولا ترى ان الضوء المحسوس الذي هو أول المبصرات وأكملها وأظهرها، و به تصير المبصرات التي هي مبصرة بالقوة مبصرة بالفعل ينبغي أن يكون ما هو أشد منه و أتمّ كان إدراك البصر له أكثر ، ولما وجدنا الامر على خلاف ذلك ، فعلمنا

أن هذا ليس لخفائه ونقصه بل لشدة كماله فى النورية المحسوسة تبهر الابصار وتكل الحاسة عن إدراكه ويضعف ، فكذلك قياس كمال الحق الاول وقوة لمعانه ونقص عقولنا وضعفها وكلالها عن إدراكه .

وبذلك ثبت ان الاشياء التى يكون المعقول منها لنفوسنا ضعيفاً ولاندركها حق إدراكها على ماهى عليه فى أنفسها على قسمين :

أحدهما ـ ممتنع ذلك فى حقه من قبل ذاته لضعف وجوده وخسة جوهره كالهيولى.

ثانيهما ـ مبذول من جهته لكونه على التمام والكمال كالبارى جل وعلا فانه تعالى على الدرجة العليا من التمام والغاية القصوى من الكمال لكنه يغلب إشراقه العقلى على بصائر القلوب ، و يقهرها و يعجزها عن إدراك نوره النافذ ، و لمعانه الشديدة ، فيرجع عنه كليلة حسيرة .

وهذان القسمان كل منهما فى غاية البعد عن الاخر بحسب الذات ، وفى الطرف الاقصى من سلسلة الوجود المترتبة فى الكمال والنقص المتدرجة فى الشرف والخسة ، فيكون أحدهما فى غاية البهاء والكمال كالله جل وعلا ، والآخر فى نهاية الخسة والنقص كالهيولى ، ومايتلو كل منهما قوة و ضعفاً يتلوه ظهوراً و خفاء و مايكون متوسطاً بين الامرين ذاقسط من الجانبين ، فهو الذى يقوى القوى البشرية على إدراكه والاحاطة به كالاجسام والالوان وسائر الكيفيات والكميات ، ولذلك كان معرفة الاجرام والابعاد عليها أسهل من معرفة ساير الاشياء .

فتبين من ذلك انا حيث كنا متلبسين بالمادة ، وكانت هى السبب فى أن صارت جواهرنا بحسب التعلق بها بعيدة عن الحق الاول ، فيكون أذهاننا وعقولنا ممنوعة عن إدراكه عز وجل لبعدها عن منبع الوجود من قبل سنخ ذاتها ومقارناتها للمادة لا من قبله جل وعلا فانه لعظمته وسعة رحمته وشدة نوره النافذ وعدم تناهيه أقرب إلينا من كل الاشياء لتناهيها ، وعدم تناهيه كما أشار إليه فى قرآنه المجيد : « و

نحن أقرب إليه من حبل الوريد » ق: ١٦) وفي قوله تعالى : « وإذا سألك عبادي عني فاني قريب » البقرة : ١٨٦) فهو عزوجل في العلو الاعلى من جهة كماله الاقصى، والدنو الادنى من جهة سعة رحمته وإحاطة علمه بالاشياء ، فهو تعالى العالي في دنوه والداني في علو .

وإليه اشير في الحديث : « لو دليتم بأرض السفلى لهبطتم على الله »

وكلما بعدت جواهرنا عن المدة كان إدراكنا له عزوجل أتم و تعقلنا له أتقن، وإذا فارقناها على التمام فحينئذ معقولنا منه أكمل مايكون قبل ذلك، ومع ذلك لاندركه حق إداركه ومانعرفه حق معرفته لتناهي قوة عقولنا ، و عدم تناهيه في الكمال بل هو وراء مالايتناهى، ومن شرائط الظرف أن يكون أكبر من المظروف ،فكيف يمكن أن تجعل عقولنا المحدودة ظرفاً لمن هو غير محدود،فيجب الاعتراف بالعجز عن معرفته ، وهذا غاية معرفته .

فاذا كانت العلة الاولى متصلة بنا الفيضه علينا، و كنا غير متصلين به إلا من جهته فقد يمكن فينا ملاحظته على قدر مايمكن المفاض عليه أن يلاحظ المفيض، فيجب أن لاينسب قدر إحاطته بنا إلى قدر ملاحظتنا له لأنها أعز وأوفر وأشد إستغراقاً .

وإذا كان الامر كذلك فقد بعد عن الحق بعداً كثيراً من ظن ان العلة الاولى لايعلم بالجزئيات ... فالواجب لذاته أجمل الأشياء وأكملها لان كل جمال و كمال في الوجود فانه رشح و فيض وظل من جماله و كماله ، فله الجمال الالهي والكمال الاقصى والجلال الارفع والنور الاقهر تعالى و تقدس عما يقول الجاهلون علواً كبيراً ، فهو محتجب بكمال نوريته وشدة ظهوره والحكماء المتألهون المتقون و العلماء المفسرون العاملون يعرفونه عزوجل و يشاهدونه لا بالكنه لان شدة ظهوره وقوة لمعانه ، وضعف ذواتنا المجردة النورية يمنعنا عن مشاهدته بالكنه كما منع شدة ظهور الشمس وقوة نورها أبصارنا عن إكتنائها لان شدة نوريتها حجابها .

فنحن نعرف الحق الاول ونشاهده لكن لانحيط به علماً كما ورد في الوحي

السماوي : « ولايحيطون به علماً » طه: ١١٠) وقوله عزوجل : « لاتدركه الابصار وهويدرك الابصار وهواللطيف الخبير » الانعام : ١٠٣)

فاذالم يكن للنفس إكتناه نورالشمس الذي ليس له رتبة أضعف الانوار العقلية بالمشاهدة الحضورية والاضافة الاشراقية على ماهومناط الرؤية، فيمتنع إكتناهه جل وعلا الذي هو أقوى الانوار العقلية كلها وأقهرها وأشدها بما لايتناهى على الطريق الاولى .

فكماأن الله جل و علا محيط بما سواه وجوداً ، محيط بجميع الكليات و الجزئيات علماً فلايعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولافي السماوات علمه الذي هو نفس ذاته علة لوجود مفطوراته ، فأظهر كل شيء بحكمته ، وأعطى كل شيء خلقه بقدرته ، وأوجد أعيان العالمين برحمته علم الاشياء في قضائه السابق جملة وتفصيلاً ،ثم نزلها بقدره المعلوم تنزيلاً رتبها بمقتضى مشيته أحسن الترتيب ، و خصّصها على وفق عنايته بالتبعيد و التقريب أبدع المبدعات بقدرته ، فأبدى ازالها و أنشأ الكائنات بحكمة قسمي آجالها نظمها في سلك الزمان تقديماً وتأخيراً ، و خلق كل شيء ، فقدّره تقديراً ولم يحتج في ذلك إلى زمان ولامكان.

بل قال : كن فكان لانه إذا بدأ بابداع الانواع كان حصول الزّمان والمكان في حيز الامتناع ، فكل ماتقدم ايجاد الزمان والمكان ، فحيطتها له ليس في حدّ الا مكان لايحدّه المقدار لايحويه الاقطار، ولاتحيط به الجهات، ولايكتنفه السموات ،وانه مستوعلى العرش على الوجه المقدس عن المماسة والاستقرار والحلول والا فتقار، فلايحمله العرش لانه و حملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون تحت سلطنة في قبضته وهوفوق الجميع وفوق العرش الرفيع ، فوقية لايزيده قرباً إلى السماء وبعداً عن الثرى بل رفيع الدرجات على العرش والسماء كما انه رفيع الد- رجات عن الثرى وهومع ذلك قريب من كل موجود ، وأقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهوعلى كل شيء شهيد تعالى أن يحويه مكان كماتقدس أن يحدّه زمان.

بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان، لا يزال في نعوت جماله وجلاله منزّهاً عن الزوال، مقدّساً عن التجدد والانتقال، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال العقول الصافية في ذلك معتمدة في تلك الحكومة لخلوّها عن الأزمنة والأمكنة المحققة والموهومة، والامور التدريجية بالقياس إلى العوالي الشوامخ كالدفعية، فلا تغيّر فوق سدرة المنتهى بل هو عالم الثبات والبقاء، فما ظنك بالله كل عقل ونفس، فهو من أن يقع في التغيّر و التجسم أسمخ و أقدس ليس عند ربك صباح ولا مساء، ولا حدوث ولا فناء.

فاذا لم يكن شيء في وقت موجوداً فلانه كان إستعداده لقبول الفيض مفقود أو الفاعل متى لم يكن على هذا المثال لم يستحق عند الحكماء رتبة الكمال، فان لم يتناول لاسم الفاعل بهذا المعنى وضع و فرض فهو لدى العاقل الفاعل المحض، و كل ما كان من الأفعال بالأجسام لايقاً فهو عند العقل بعيد أن يصير للبارى لاحقاً، وفعل لا يحويه ظن ووهم لاضير ان لم يكن له عندنا إسم، فلو عرف بالاسم كل مسمى لساوى كتاب الجاحظ كتاب الشفاء، فسبحان خالق الزمان ومكوّن المكان له الاسماء الحسنى والامثال العليا.

بحث روائي

في احاطة الله تعالى بكل شيء وجوداً

قال الله تعالى : « ألا انه بكل شيء محيط » فصلت : ٥٤)

وقال : « و كان الله بكل شيء محيطاً » النساء : ١٢٦)

في الكافي: باسناده عن محمد بن عيسى قال : كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه‌السلام : جعلني الله فداك يا سيدي قدروي لنا : ان الله في موضع على العرش إستوى ، و انه ينزل كل ليلة في النصف الأخير من الليل إلى السماء الدنيا ، وروي : انه ينزل عشيّة عرفة ثم يرجع إلى موضعه ، فقال بعض مواليك في ذلك :إذاكان في موضع دون موضع ،فقديلاقيه الهواء ويتكنّف عليه ، والهواء جسم رقيق يتكنّف على كل شيء بقدره فكيف يتكنف عليه جل ثناؤه على هذا المثال ؟

فوقّع عليه‌السلام :«علم ذلك عنده وهو المقدّر له بما هو أحسن تقديراً ، واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيافهو كما هو على العرش والاشياء كلها له سواءعلماً وقدرة وملكاً وإحاطة».

قوله عليه‌السلام : « علم ذلك عنده » أي علم كيفية نزوله عنده جل و علا ، فليس عليكم معرفة ذلك ثم أشار إشارة خفيّة إلى أن المراد بنزوله نزول رحمته ، وإنزالها بتقديره بقوله : « وهو المقدر له بما هو أحسن تقديراً » ثم أفاد ان ما

عليكم علمه انه لايجرى عليه أحكام الاجسام والمتحيزات من المجاورة والقرب المكانى والتمكن فى الامكنة بل حضوره سبحانه حضور و شهود علمى ، وإحاطة بالعلم والقدرة والملك بقوله : « و اعلم انه . . . الخ » .

وفى الاحتجاج : ان بعض الأحبار جاء إلى أبى بكر فقال له : أنت خليفة نبى هذه الامة ؟ فقال : نعم قال : فانا نجد فى التوراة ان خلفاء الانبياء أعلم اممهم فخبرنى عن الله أين هو ؟ أفى السماء ؟ أم فى الارض ؟ فقال له أبو بكر : فى السماء على العرش ، قال اليهودى : فأرى الارض خالية منه ، وأراه ـ على هذا القول ـ فى مكان دون مكان .

فقال أبو بكر : هذا كلام الزنادقة اعزب عنى ، وإلا قتلتك ، فولى الرجل متعجباً يستهزىء بالاسلام فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : يا يهودى قد عرفت ما سئلت عنه ، و ما أجبت به ، و انا نقول : ان الله عزوجل أين الأين فلا أين له ، وجل عن أن يحويه مكان و هو فى كل مكان بغير مماسة ولا مجاورة يحيط علماً بها (بما فيها خ) ولا يخلق شىء من تدبيره تعالى ، وانى مخبرك بما جاء فى كتاب من كتبكم يصدق ما ذكرته لك ، فان عرفته أتؤمن به ؟ قال اليهودى : نعم قال : ألستم تجدون فى بعض كتبكم : ان موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق ، فقال له : من أين جئت ؟ قال :

من عند الله وجاءه ملك آخر من المغرب ، فقال له : من أين جئت ؟ فقال : من عند الله ثم جاء ملك ، فقال : من أين جئت ؟ فقال : قد جئتك من السماء السابعة من عند الله عزوجل ، وجاءه ملك آخر قال جئتك من الارض السابعة السفلى من عند الله عزوجل ، فقال موسى عليه السلام : سبحان من لا يخلو منه مكان ، ولا يكون إلى مكان أقرب إلى مكان فقال اليهودى : اشهد ان هذا هو الحق المبين ، و انك أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه .

وفي الكافي : باسناده عن عيسى بن يونس قال : قال إبن أبي العوجاء لأبي عبدالله عليه السلام في بعض ما كان يحاوره: ذكرت الله ، فأحلت على غائب ، فقال أبو عبدالله ويلك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد ، وإليهم أقرب من حبل الوريد ، يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ، ويعلم أسرارهم؟ فقال إبن أبي العوجاء : أهو في كل مكان ؟ أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الارض ؟ و إذا كان في الارض كيف يكون في السماء ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام :

إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل عن مكان إشتغل به مكان ؟ وخلا منه مكان ، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما يحدث في المكان الذي كان فيه ، فأما الله العظيم الشأن الملك الديان ، فلا يخلو منه مكان ، و لا يشغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان .

قوله عليه السلام : « وإليهم أقرب من حبل الوريد » ليس بصدد تقرير القرب و البعد ، و إنما المراد إحاطته تعالى بهم ، وان قربه سبحانه قرب العلية والتأثير والتدبير إذ عرق العنق سبب للحياة وبانقطاعه يكون الموت والفناء أي هو تعالى ادخل في حياة الشخص من عرق العنق .

وقال بعض المحققين: من دخل بيتاً ،فالبيت محيط به من جميع نواحيه من غير أن يقال : ان البيت قريب منه ، وان الانسان الحي مركب من جسم و روح ، و بالروح حركة الجسم وحياته ، من غير أن يقال : ان الروح في هذا العضو أو في ذلك . . . وهي تحيط بالجسم ،ومن ورائه محيطة .

وحكي : جاء حكيم لعيادة صديقه ، فلما جلس أتاه صبيّ الصديق برمّان ، فأراد الحكيم باختباره فقال له : لو قلت : أين الله تعالى لجعلت هذه الرمانة لك ؟ فقال الصبيّ : لو قلت : أينما لا يكون الله جل و علا لجعلت تلك الرمان كلها لك !

وقيل لبعض الظرفاء : كيف ترى الدنيا ؟ قال : وما الدنيا ؟ لاأعرف لها وجوداً قيل له : فأين قلبك ؟ قال : عند ربي قيل : فأين ربك ؟ قال: وأين ليس هو؟

وفي البحار: في إحتجاج الامام جعفر بن محمد على الزنادقة ـ قال السائل: وإذا نزل أليس قد حال عن العرش وحؤوله عن العرش إنتقال ؟ قال أبو عبدالله عليه السلام : ليس ذلك على ما يوجد من المخلوق الذي ينتقل باختلاف الحال عليه ، والملامة والسأمة ، وناقل ينقله ويحوّ له من حال إلى حال ، بل هو تبارك لايحدث عليه الحال .

ولايجرى عليه الحدوث فلايكون نزوله كنزول المخلوق الذي متى تنحّى عن مكان خلامنه المكان الاولى، ولكنه ينزل الى سماء الدنيا بغير معاناة ولاحركة، فيكون هو كما في السماء السابعة على العرش كذلك هو في سماء الدنيا إنما يكشف عن عظمته ، ويرى أوليائه نفسه حيث شاء ويكشف ما شاء من قدرته ، و منظره في القرب والبعد سواء .

و في تفسير البرهان : سئل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام و كان فيما سئله : أن قال له : أخبرني عن الله عزوجل : أين هو ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام هو هنا وهنا وفوق و تحت و محيط بنا ومعنا وهو قوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم ولاأدنى من ذلك ولاأكثر إلا هو معهم أينما كانوا » فالكرسي محيط بالسموات والارض ومابينهما وماتحت الثرى « وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى » وذلك قوله: « وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم »

فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه ، و ليس يخرج من هذه الاربعة شيء خلق في ملكوته وهو الملكوت الذي أراه أصفيائه وأراه خليله عليه السلام : « و كذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من

الموقنين ، وكيف يحمل حملة عرش الله وبحياته حياة قلوبهم ، وبنوره اهتدى إلى معرفته .

وفيه : بالاسناد عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولامكان ، وهو الآن كما كان لايخلو منه مكان ، ولا يشتغل به مكان ولايكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هومعهم أينما كانوا . ليس بينه وبين خلقه، حجاب غير خلقه احتجب بغير حجاب محجوب ، و استتر بغير ستر مستور ، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال .

وفي الكافي : باسناده عن هشام بن الحكم قال : قال أبو شاكر الديصاني إن في القرآن آية هي قولنا ، قلت : ماهي ؟ فقال : «وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله » فلم أدر بما أجيبه ، فحججت ، فخبّرت أباعبدالله عليه السلام فقال : هذا كلام زنديق خبيث ، إذا رجعت إليه ،فقل له : مااسمك بالكوفة ؟فانه يقول فلان ، فقل له : ما إسمك بالبصرة ؟ فانه يقول : فلان ، فقل : كذلك الله ربنا ، في السماء إله ، وفي الارض إله ،وفي البحار إله وفي القفار إله ، وفي كل مكان إله ، قال : فقدمت ، فأتيت أباشاكر فأخبرته ، فقال : هذه نقلت من الحجاز .

وفي البرهان : قال الأسقف النصراني لعمر بن الخطاب أخبرني يا عمر أين الله تعالى قال : فغضب عمر فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أنا اجيبك ، وسل عما شئت انا عند رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم إذ أتاه ملك ، فسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : من أين ارسلت ؟ قال : من سبع سماوات من عند ربي ثم أتاه ملك آخر ، فسلم فقال له رسول صلى الله عليه وآله : من أين أرسلت ؟ قال : من سبع أرضين من عند ربي ثم أتاه ملك آخر ، فسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : من أين أرسلت ؟

قال : من مشرق الشمس من عند ربي ثم أتاه ملك آخر فقال له رسول الله.

عليه السلام : من أين أرسلت ؟ قال : من مغرب الشمس من عند ربي ، فالله ههنا و ههنا في السماء إله ، وفي الارض إله ، وهو الحكيم العليم . قال أبو جعفر عليه السلام معناه من ملكوت ربي في كل مكان ، ولايعزب عن علمه شيء تبارك وتعالى .

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام -في خطبة له-: «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول لا شيء قبله ،و الآخر لاغاية له ، لاتقع الاوهام له على صفة ، ولاتعقد القلوب منه كيفية ،و لاتناله التجزئة والتبعيض ، ولاتحيط به الابصار والقلوب »

في شرح الحديد : قال : في هذا الفصل على قصره ثمانية مسائل من مسائل التوحيد :

الاولى : أنه لاثاني له سبحانه في الالهية .

والثانية : انه قديم لا أول له ، فان قلت : ليس يدل كلامه على القدم لانه قال : « الاول لاشيء قبله » فيوهم كونه غير قديم بأن يكون محدثاً ، و ليس قبله شيء لانه محدث عن عدم والعدم ليس بشيء ،قلت: إذا كان محدثاً كان له محدث ، فكان ذلك المحدث قبله ، فثبت أنه متى صدق أنه ليس شيء قبله صدق كونه قديماً .

والثالثة : أنه أبدي لا إنتهاء ولا إنقضاء لذاته .

والرابعة: نفي الصفات عنه - أعني المعاني .

والخامسة : نفي كونه مكيفاً لأن كيف إنما يسئل بهاعن ذوى الهيئات والاشكال وهو منزه عنها .

و السادسة : انه غير متبعض لانه ليس بجسم ولاعرض .

والسابعة: أنه لايرى ولايدرك .

والثامنة: أن ماهيته غير معلومة ،وهو مذهب الحكماء و كثير من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم .

ثم قال ابن أبي الحديد: وأدلة هذه المسائل مشروحة في كتبنا الكلامية واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الالهية ما عرفت إلاّ من كلام هذا الرجل ، و أن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً ، ولا كانوا يتصورونه ، و او تصوروه لذكروه ، و هذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام .



بحث روائي في احاطة

الله تعالى بكل شيء علماً

قال الله عز و جل : « و أن الله قد أحاط بكل شيء علماً » الطلاق: ۱۲)

وقال :« و كان الله بمايعملون محيطاً » النساء : ۱۰۸)

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام :« قدأحاط علم الله سبحانه بالبواطن وأحصى الظواهر» فيعلم الله تعالى حقائق الاشياء: مجملها ومفصلها ، ظواهرها وبواطنها صغيرها و كبيرها ...

وفي نهج البلاغة :قال الامام على عليه السلام - في خطبة -:« قدعلم السرائر، وخبر الضمائر ، له الاحاطة بكل شيء ،والغلبة لكل شيء ، والقوة على كل شيء فليعمل العامل منكم في أيام مهله قبل إرهاق أجله، وفي فراغه قبل أوان شغله،و في متنفّسه قبل أن يؤخذ بكظمه ، و ليمهّد لنفسه و قدمه ، و ليتزوّد من دار ظعنه لدار إقامته» .

قوله عليه السلام :« له الاحاطة بكل شيء » فيه مسائل ثلاث من التوحيد :

احدها- انه تعالى عالم بكل المعلومات .

ثانيها - انه لاشريك له ، وإذاثبت كونه جل وعلا عالماً بكل شيء كان في ضمن ذلك نفي الشريك لان الشريك لايكون مغلوباً .

ثالثها - انه سبحانه قادر على كل ما يصح تعلق قادريته تعالى به . و هذا إجمال الكلام فيها ، وأما تفصيله ففي محله .

وقوله ﷺ : « فليعمل العامل منكم - لدار إقامته » مأخوذ من قول رسول الله ﷺ في خطبته المشهورة وهي : « أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم ، وان لكم غاية فانتهوا إلى غايتكم ، ان المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى ، لا يدري ما الله صانع به ، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الهرم ، ومن الحياة قبل الموت ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، و ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار » .

و في بعض التفاسير : ان إبن مسعود خرج مع بعض الصحابة إلى الصحراء ، فطبخوا الطعام فلما تهيأوا للأكل رأوا هنالك راعياً يرعى أغناماً ، فدعوه إلى الطعام ، فقال الراعي : كلوا أنتم فاني صائم ، فقالوا له بطريق التجربة والامتحان : كيف تصوم في مثل هذا اليوم الشديد الحرارة ؟ فقال لهم : ان نار جهنم أشد حراً منه فأعجبهم كلامه ، فقالوا له : بع لنا غنماً من هذه الأغنام نعطك ثمنه مع حصة من لحمه فقال لهم :

هذه الأغنام ليست لي ، وإنما هي لسيدي و مالكي ، فكيف أبيع لكم مال الغير ؟ فقالوا له : قل لسيدك : انه أكله الذئب أو ضاع ، فقال الراعي : أين الله ؟ فأعجبهم كلامه زيادة الاعجاب ، ثم لما عادوا إلى المدينة إشتراه إبن مسعود من مالكه مع الأغنام ، فأعتقه و وهب الاغنام له ، فكان إبن مسعود يقول له في بعض الأحيان بطريق الملاطفة : أين الله ؟ .

وقال بعض المحققين : ان إحاطة الله تعالى على ماسواه علماً هو إدراكه الأشياء بكمالها أي هو عالم بجميع الاشياء : جملها و تفاصيلها ، ظواهرها

و بواطنها ، صغيرها و كبيرها، فلا يخفى عليه خافية منهمو لامن أعمالهم ولامما في صدورهم ...

وقال بعض الحكماء :ان كونه تعالى محيطاً بالموجودات علماً ووجوداً عبارة عن تجلّيه بصور الموجودات ، فهو سبحانه بأحدية جميع أسمائه سار فى الموجودات كلهاذاتاً وحياة وقدرة وعلماً إلى غيرذلك من الصفات ، وهذا معنى قول مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام :« مع كل شيء لابمداخلة» وقال عليه السلام :«داخل فى الاشياء لابممازجة » وقال عليه السلام :« لا كدخول شيء فى شيء وخارج عنه لا بمباينة »

فالمراد باحاطته جل وعلا هذه السراية،ولايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولافى الارض ، و كل مايعزب يلحق بالعدم، وليست هذه الاحاطة كاحاطة الظرف بالمظروف و لاكاحاطة الكل بأجزائه ، ولاكاحاطة الكلى بجزئياته ، بل كاحاطة الملزوم بلازمه ، فان التعينات اللاحقة لذاته المطلقة إنماهى لوازم له بواسطة أو بغير واسطة ، وبشرط أوبغير شرط ، ولاتقدح كثرة اللوازم فى وحدة الملزوم و لاتنافيها .

وبذلك يندفع قول بعض الفلاسفة والمتصوفة: ان الله سبحانه فى عين وحدته كثرة وفى كثرته وحدة . وتندفع أيضاً النظرية الفلسفية المتافيزية إلى القول : ان الواحد لايصدر منه إلاّ واحد، وان الصادر الاول من الله تعالى ليس إلاّ العقل الاول، ثم هذا العقل خلق العقل الثانى ، وهكذا إلى عالم المادة والصورة فى القوس النزولى .هذالو أرادوا بذلك الواحد الالهى : المجرد .

فان الواحد الالهى الذى له العلم و الحكمة ، له التدبير والارادة ، و له الاختيار و المشيّة . . . غير متناهية ، فهذا هو الذى يصدر منه الكثير حسب

علمه وحكمته، وإرادته و إختياره: « إذا أراد الله شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢)

وأما إذا أرادوا بقولهم: الواحد لا يصدر منه إلاّ واحد: الواحد المادى، غير العالم المختار، فالبحث فيه في محله.

وان بين الواحدين بوناً شاسعاً، بين المجرد والمادة، بين العلم و الجهل، بين الحكمة والسفاهة، بين الارادة والاختيار وأضدادهما ...

فالله عزوجل واحد أحد صمد محيط بكل شيء وجوداً وعلماً: « ألا انه بكل شيء محيط » فصلت: ٥٤)

«وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً » الطلاق: ١٢) والله جل وعلا واحد في ذاته وصفاته، وتستحيل فيه الكثرة، و إحاطته بكل شيء وجوداً و علماً لا تلازم الكثرة كما توهموا.

و قال بعض العلماء: ان إحاطة روحنا على أبداننا وحياة كل عضو منها بها لا يلزم أن تكون الروح في عين وحدته على الكثرة، ثم قال: إن أمواج الصوت بسبب طاقة الكهرباء تنتشر في الارض في آن واحد، وهي تنفذ داخل البيت سدّ بابه أم فتح، ولا يمنع شيء عن نفوذها في مدار الارض، فهي محيطة بمدارها مع عدم كونها في مكان معين، وان القرب والبعد بالنسبة إلى جسم بجسم، وما لم يكن له جسم فليس بينه وبين جسم أوغيره بعد وقرب.

وهذا بالنسبة إلينا وما يتعلق بنا ويكون من أفعالنا من الروح وأمواج الصوت، وما إليها فكيف الله جل وعلا ؟

قال الله عزوجل: « هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم» المجادلة: ٧)

و فيه دلالة على إحاطة وجود الله جل و علا و علمه بجميع الاشياء . . .

قال الله تعالى : « فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم » البقرة : ١١٥)
فلامكان خالياً عن وجود الله عزوجل، ولافعل ولا حركة ولاخطر بال إلا وهو يعلمه

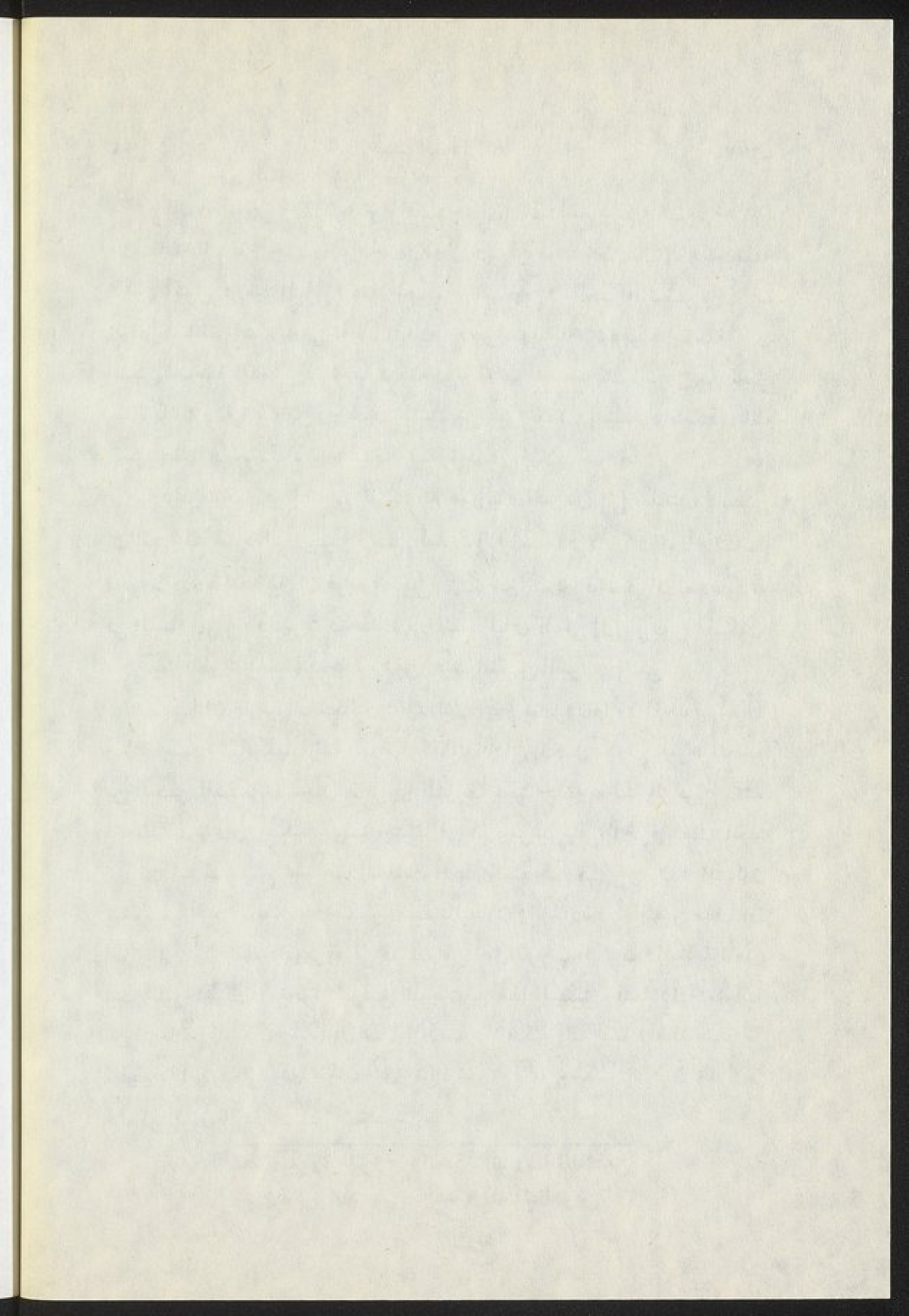
اقول : ومن المعلوم عند الحكماء المتألهين و الخبراء المفسرين : ان النفس الناطقة السارية فى أقطار البدن ، وحواسها الظاهرة وقواها الباطنة ، بل النفس الناطقة الكاملة إذا تحققت بمظهرية الاسم الجامع كان التروح من بعض حقائقها اللازمة ، فيظهر فى صور كثيرة من غير تقيد وإنحصار ، فتصدق تلك الصور عليها ويتصادق لاتحاد عينها كما يتعدد لاختلاف صورها . . .

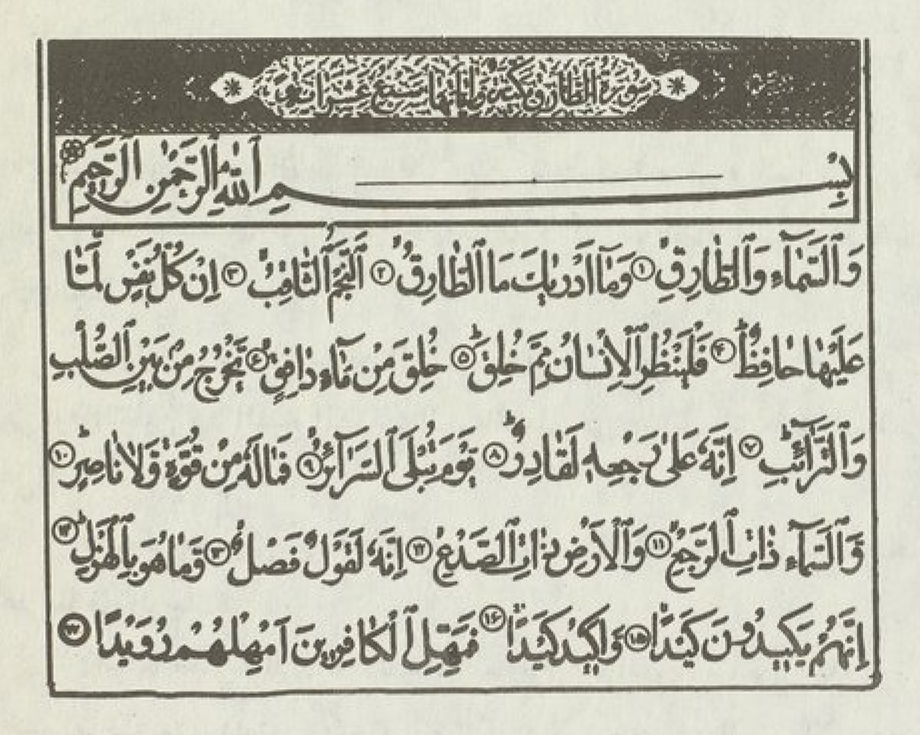
ولذلك قيل فى إدريس عليه السلام: انه هو إلياس المرسل إلى بعلبك ، لابمعنى ان العين خلع الصورة الادريسية ولبس الصورة الالياسية، وإلا كان قولاً بالتناسخ وهو مردود قطعاً ، بل ان قوية إدريس عليه السلام مع كونها قائمة فى انيته وصورته فى السماء الرابعة وظهرت وتعينت فى انية إلياس الباقى إلى الآن ، فيكون من حيث العين والحقيقة واحدة ، ومن حيث التعين الصورى إثنين . .

كما ان جبرئيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام يظهرون فى آن واحد فى آلاف مكان بصورشتى كلها قائمة بهم ، و كذلك أرواح الكمل كولى أمرنا الحجة بن الحسن العسكرى عجل الله فرجه الشريف بحق جدته فاطمة الزهراء عليها السلام فانه عليه السلام يرى فى أمكنة عديدة ،مشتغل فى كل بأمر غيرما فى الآخر فى زمان واحد.

واما لم يسمع نحو هذا الحديث أوهام المتوغلين فى الزمان و المكان تلقوه فى الرد والعناد ، وحكموا عليه بالبطلان والفساد ، و أما الذين قذف الله الله تعالى نور العلم والمعرفة فى قلوبهم من أهل القرآن الكريم والولاية لأهل بيت النبوة عليهم السلام و منحوا التوفيق للنجاة من هذا المضيق ، فلما رأوه متعالياً عن الزمان والمكان علموا أن نسبة الأزمنة والأمكنة إليه نسبة واحدة متساوية ، فجوز واظهوره فى كل مكان بأى شيء شاء ، وبأى صورة أراد و لله تبارك و وتعالى المثل الاعلى وليس كمثله شيء .

تمت سورة البروج والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين





سورة الطارق مكية وآياتها سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق ١ وما أدراك ما الطارق ٢ النجم الثاقب ٣ إن كل نفس لما
عليها حافظ ٤ فلينظر الإنسان مم خلق ٥ خلق من ماء دافق ٦ يخرج من بين الصلب
والترائب ٧ إنه على رجعه لقادر ٨ يوم تبلى السرائر ٩ فما له من قوة ولا ناصر ١٠
والسماء ذات الرجع ١١ والأرض ذات الصدع ١٢ إنه لقول فصل ١٣ وما هو بالهزل ١٤
إنهم يكيدون كيدا ١٥ وأكيد كيدا ١٦ فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ١٧

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق: رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن المعلّى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من كانت قرائته في فرائضه بالسماء و الطارق كانت له عند الله يوم القيامة جاه ومنزلة، و كان من رفقاء النبيين وأصحابهم في الجنة .

اقول: رواه الطبرسي في المجمع ، والبحراني في البرهان ، والحويزي في نور الثقلين ، و الشيخ المحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة و المجلسي في البحار.

والمعلى هو مولى أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وروايته صحيحة على ما في الرجال .

وأما ما تحتويه الرواية فذلك انه : من قرأ هذه السورة متدبراً فيها وعرف نفسه وماخلق منه، واعتبر ، وتحذر عن الكفر والاستكبار ،عن البغي والاستبداد، عن الظلم والضلال وعن الفساد و الطغيان . . . وعلم أن عليه حافظاً يحفظ نفسه ، ويحفظ ما في قلبه و أقواله ، وحركاته وسكناته وأعماله : صغيرها و كبيرها ، صالحها وفاسدها ، وهو يحاسب بها يوم تبلى السرائر ، يوم لاقوة له و لا ناصر ، فآمن بالله جل وعلا وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبكتابه وعمل صالحاً ،ولم يتخذ القرآن الكريم بقول الهزل ، ولم يكن من زمرة الكفار الممهلين و لا من أهل الكيد الخادعين ، فلاجرم كان يوم القيامة من رفقاء الانبياء والمرسلين وأصحابهم في

جنات النعيم .

إذ قال الله عزوجل : « و من يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » النساء : ٦٩)

وفي البرهان : روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : انه قال : من قرأ هذه السورة كتب الله له عشر حسنات بعدد كل نجم في السماء و من كتبها و غسلها بالماء وغسل الجراح لم يورم ، وإن قرأت على شيء حرسته وأمن صاحبه عليه .

وفيه : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كتبها في إناء و غسلها بالماء و غسل بها الجراح لم يورم ، وإن قرأت على شيء حرسته وأمن عليه صاحبه .

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : من غسل بما ئها الجراح سكنت ولم تهج ، و من قرأها على شيء يشرب دواء يكون فيه الشفاء .

أقول : و لايخفى مافي الرواية على من له الدراية ، و لكن من غير بعيد أن يكون من خواصّها ما فيها مع إجتماع الشرائط للتأثير و الخاصية .

﴿الغرض﴾

غرض السورة إلفات نظر الانسان إلى نفسه، ومراقبتها بأن عليها حافظاً يحفظه، ويحفظ فعالها وحركاتها وتصرفاتها في الحياة الدنيا، فستحاسب عليها يوم تبلى السرائر ... فجدير للانسان أن يراقبها، ولا يطلق عنانها، ثم استدلّ على صدق البعث والحساب والجزاء بنفس الانسان بأنه من كان قادراً على خلق الانسان من ماء دافق، فهو قادر على رجعه للحساب والجزاء لما عمل به في الحياة الدنيا من قبيل الاستشهاد من أمر المشاهد على أمر غير المشاهد.

مع الاشارة إلى بعض خصائص يوم البعث من إنكشاف الاسرار فيه، وإلى بعض أحوال المبعوثين من أنه لا قوة تدفع عنهم ولا ناصر ينصرهم إنذاراً لهم، وأكّد الانذار بقسم ربانى بأنه ليس من قول الهزل.

ثم اشير في ختام السورة إلى مواقف الكيد والمناوأة التي يقفها الكفار من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالتعطيل والأذى والاعراض، وتوعيدهم على ذلك بأن الله جل وعلا سيقابلهم على كيدهم بكيد أيضاً مع تطمين النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتثبيته على ماهو عليه، فلن يلبث أن يرى صلى الله عليه وآله وسلم صدق الوعد، وانهم يرون مصداق الانذار.

النزول

سورة الطارق مكية نزلت بعد سورة البلد، وقبل سورة القمر، وهي السورة السادسة والثلاثون نزولاً، والسادسة والثمانون مصحفاً.

وهي تشتمل على سبع عشرة آية، سبقت عليها ٦٦٨ آية نزولاً، و٥٩٣١ آية مصحفاً على التحقيق.

وهي مشتملة على / ٦١ كلمة، وقيل: / ٨٢ كلمة، وعلى / ٢٣٩ حرفاً، وقيل: / ٢٤٥ حرفاً، وقيل: / ٢٧١ حرفاً، وقيل: / ٢٩١ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في أسباب النزول للواحدي النيسابوري: قوله تعالى: «والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب» نزلت في أبي‌طالب وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخبز ولبن، فبينما هو جالس إذ انحطّ نجم، فامتلأ مائمّ ناراً، ففزع أبوطالب وقال: أيّ شيء هذا؟ فقال: هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله، فعجب أبوطالب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

اقول: رواه الزمخشري في «الكشاف» وفيه «فامتلأمائم نوراً» بدل «فامتلأ ما ثم ناراً» ورواه الخازن البغدادي في لباب التأويل والنظام في غرائب القرآن وغيرهم...

و في الجامع لاحكام القرآن: وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعداً مع أبي طالب، فانحطّ نجم فامتلأت الارض نوراً

، ففزع أبو طالب وقال : أى شيء هذا ! فقال : هذا نجم رمى به و هو آية من آيات الله ، فعجب أبو طالب ونزل : « والسماء والطارق » .

و فى أسباب النزول: للسيوطى: أخرج إبن أبى حاتم عن عكرمة فى قوله: «فلينظر الانسان مم خلق » قال: نزلت فى أبى الأشد كان يقوم على الأديم، فيقول : يامعشر قريش من أزالنى عنه فله كذا ، ويقول : إن محمداً يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر فأنا أكفيكم وحدى عشرة، واكفونى أنتم تسعة .



﴿القراءة﴾

قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة «لما عليها» بتشديد الميم، بناء على أن «إن» للنافية عندهم كالتي في قوله تعالى: «فيما إن مكنا كم فيه» الاحقاف: ٢٦) و«لما» بمعنى «إلا» وهي متلقية للقسم كما يتلقاه «ما» والمعنى: ما كل نفس إلا عليها حافظ.

وقرأ الباقون بتخفيف الميم لان «إن» عندهم مخففه من الثقيلة، و اللام معها هي اللام التي تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من «إن» النافية و«ما» زائدة مؤكدة كالتي في قوله جل وعلا: «فبما رحمة من الله لنت لهم» آل عمران: ١٥٩) و قوله تعالى: «عما قليل ليصبحن نادمين» المؤمنون: ٤٠) و تكون «ان» متلقية للقسم كما تتلقاه مثقلة. والمعنى: ان كل نفس لعليها حافظ.

وقرأ إبن عباس: «مهلهم رويداً» من باب التفعيل، وقرأ جميع القراء: «أمهلهم» من باب الافعال.

﴿ الوقف و الوصل ﴾

«والطارق لا» للجواب والعطف ، و«ما الطارق لا » للبدل أو البيان الآتي ، و« الثاقب لا» لجواب القسم التالي ، و «حافظ ط » لتمام الكلام القسمي ، و «خلق ط» للفصل بين الاستخبار والاخبار ، و «دافق لا» لمكان النعت التالي ، و «الترائب ط» لتمام الكلام وإستئناف التالي ، و«لقادر ط» لتمام الجملة .

«السرائر لا» للتفريع والجواب التالي، و «ناصر ط» لاستيناف التالي بالقسم ، و «الرجع لا» للعطف و الجواب ، و «الصدع لا » للجواب ، و «فصل لا» للعطف ، و «بالهزل ط» لتمام الكلام وإستيناف التالي، و« كيداً لا» للمقابلة على طريق العطف ،و « كيداً ج » لتمام الكلام والتفريع .



﴿ اللغة ﴾

٧- الطارق والطريق - ٩٢٤

طرق فلان القوم يطرقهم طرقاً - من باب نصر - : جاءهم ليلاً فهو طارق وكل ما هو آت ليلا فهو طارق.

يقال: رجل طرقة كهمزة: أى يسرى حتى يطرق أهله ليلاً وفى الحديث «أعوذبك من طوارق الليل إلاّ طارق يطرق بخير»

قال الله تعالى: «و السماء والطارق و ما أدراك ما الطارق النجم الثاقب» الطارق: ١-٣)

فكل نجم طارق لان طلوعه بالليل أو ان بعضه فوق بعض كل فى مداره على طباق المدارات بعضها فوق بعض أو لان بعضه يتلو بعضه فى الطلوع. أصل الطرق: الضرب إلاّ انه أخص إذ هو ضرب توقيع كضرب مطرقة الحداد و سمى الآتى بالليل طارقا لأنه يأتى فى وقت يحتاج فيه إلى الدق أو ما يقوم مقامه تنبيهاً على طروقه والايذان بوروده والطريق: السبيل الذى تطرقه أرجل السالكين يذكر ويؤنث واطلق على المسلك الذى يسلكه الانسان محموداً أومذموماً لايسير عليه وأكثرما يكون فى المسلك: الطريقة.

قال الله تعالى: «وأن لواستقاموا على الطريقة» الجن: ١٦) و الطريقة كالطريق تكون فى الحسى: الخط فى الشىء والأخدود فى الارض و كل شىء ملزق بعضه ببعض أو بعضه فوق بعض.

قال الله تعالى : « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » المؤمنون: ١٧)

وفي المعنوى : الطريقة هي الحال والسيرة حسنة أوسيئة وجمعها طرائق قال تعالى : « و كنا طرائق قدداً » الجن : ١١) أي مذاهب وأحوالاً .

ومن معاني الطريقة : الرجال الاشراف وطريقة القوم : أماثلهم وخيارهم أي يجعلهم قدوة ويسلكون طريقتهم قال تعالى : « و يذهبا بطريقتكم المثلى » طه : ٦٣) وقد تفسر بجماعتهم الاشراف .

والطارق : السالك للطريق لكن خص في المتعارف بالآتي ليلا لحاجته إلى طرق الباب : دقه، ويقال :طرقه طرقاً:ضربه بالمطرقة ، وطرق الباب :قرعه ودقه .

الطروقة : الزوجة ومنه الحديث : « كان يصبح جنباً من غير طروقة » و كل إمرأة طروقة زوجها و كل ناقة طروقة فحلها .

في المفردات: الطريق : السبيل الذي يطرق بالأرجل أي يضرب قال : « طريقاً في البحر » و الطرق في الاصل كالضرب إلاّ أنه أخص لانه ضرب توقع كطرق الحديد بالمطرقة، ويتوسع فيه توسعهم في الضرب وعبّر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل .

وفي اللسان : طارق الرجل بين نعلين و ثوبين : لبس أحدهما على الاخر .

وطارق نعلين : خصف إحداهما فوق الاخرى ، و كل ما وضع بعضه على بعض فقد طورق ، وطراق بيضة الرأس : طبقات بعضها فوق بعض والمجانّ المطرقة : التي يطرق بعضها على بعض .

وفي الحديث : « كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة » أي التراس إلى البست العصب شيئاً فوق شيء أراد انهم عراض الوجوه غلاظها .

وقوله عزوجل : « و لقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » قال الزجاج : أراد السموات السبع وإنما سميت بذلك لتركبها والسموات السبع والارضون ان السبع

طرائق بعضها فوق بعض . وقال الفراء : سبع طرائق يعنى السموات السبع كل سماء طريقة .

ويقال : جائت الابل مطاريق يا هذا : إذا جاء بعضها فى إثر بعض ويقال : هذا مطراق هذا : تلوه .

و تطارق القوم : تبع بعضهم بعضاً ، و الطرق : آثار الابل إذا تبع بعضها بعضاً .

١٠-الثقب و الثاقب-٢٠٣

ثقب الشيء يثقبه ثقباً - من باب نصر -: خرقه بآلة الثقب فهو ثاقب ثقب: لازم ومتعدّ . أثقب النار : أوقدها .

قال الله تعالى : « النجم الثاقب » الطارق : ٣) وصف الله جل و علا النجم بانه ثاقب وذلك لنفاذه فى ظلماء الجو إلى أن يصل إلينا ضوء فكأنه يثقبها بضوءه .

رأى ثاقب : نافذ . عقل ثاقب : حاذق . الأثقوب : الدخّال فى الامو ويقال: رجل أثقوب . ويقال : يثقب الدم الكرسف : يخرقه .

فى المفردات: المثقب : الطريق فى الجبل الذى كأنه قد ثقب .

وفى النهاية : الثاقب : المضيء . يقال: فلان أثقب الناس إنسانا أى أوضحهم وأنورهم .

وفى اللسان : حسب ثاقب إذا وصف بشهرته وإرتفاعه .

٢٤-الدفق-٤٨٣

دفق الماء يدفق دفقاً ودفوقاً - من باب نصر وضرب - : إنصبّ مرّة واحدة بدفع وسرعة فهو دافق والماء مدفوق وعلى هذا الوجه يقال : ماء دافق أى ذودفق

إذ وقع عليه هذا الفعل كما يقال : سرّ كاتم .

و بكلاالوجهين فسّر قوله تعالى : « خلق من ماء دافق » الطارق : ٦) أى منصب أوذى إنصباب بدفع .

وفى المفردات: قال تعالى : « ماء دافق » : سائل بسرعة .

٣٨-الصلب-٨٦٧

صلب يصلب صلباً - من باب ضرب - : شدّ وقوى وتصلّب فلان : تشدّد ففى الصلب معنى الشدة والقوة .

الصلب :عظم الظهر ومخّه قال‌الله تعالى : « يخرج‌من بين الصلب والترائب» الطارق : ٧) و جمعه أصلاب قال : « و حلائل أبناء كم الذين من أصلابكم » النساء : ٢٣)

وصلب الشىء : أحرقه وصلب الدلو : جعل عليهاصليبين . و صلب اللصّ : جعله مصلوباً وصلب العظام : إستخرج ودكها وصلب اللحم : شوّاه .

فى‌المفردات: الصلب: الشديد وباعتبار الصلابةوالشدّة سمى الظهرصلباً، والصلب : الذى هو تعليق الانسان للقتل . قيل:هو شدّ صلبه على خشب و قيل : إنما هو من صلب الودك .

قال تعالى : « لا صلبنكم فى جذوع النخل »

والصليب : أصله‌الخشب‌الذى يصلب عليه والصليب‌الذى‌يتقرّب به النصارى هو لكونه على هيئة الخشب الذى زعموا انه صلبَ عليه عيسى عليه السلام .

وفى‌السان: الصلب : عظم من لدن الكاهل إلى العجب .

١٥-الصدع-٨٤٥

صدع يصدع صدعاً ـ من باب منع ـ : شقّ في الشيء الصلب كالزجاجة و الحائط ، ويقال في غير الصلب كالنهر والفلاة : صدعهما أى قطعهما بسيره قال الله تعالى : «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً » الحشر:٢١) أى متشققاً .

وقال : « والارض ذات الصدع » الطارق: ١٢) أى تنشق بمعنى الشق المادى لانها تشق لاسباب مختلفة من منافع الناس .

ومنه الصداع ـ بالضم ـ : وهو وجع الرأس كأنه شق في الرأس يقال صدع وصدع تصديعاً . وقال تعالى : « لا يصدعون عنها » الواقعة : ١٩) أى لا يصيبهم الصداع وفي المعنوى : الصدع : الفصل بين الحق و الباطل والجهر بالحق وبيانه قال تعالى : « فاصدع بما تؤمر » الحجر : ٩٤)أى أجهر بالحق و شقّ جماعتهم بالتوحيد . وفي نهج البلاغة قال الامام على عليه السلام : « و الامر الصادع » أى الظاهر الجلى

وفي الحديث : « أو ترى أحداً أصدع بالحق من زرارة » قيل : أراد كثرة إظهاره للحق وبيانه له .

التصدع : التفرق قال تعالى :«يومئذ يصدعون » الروم : ٤٣)أى يتفرقون يوم القيامة باختلاف حالهم ففريق في الجنة و فريق في السعير .

وفي الحديث : « أصلحوا ما فيكم من الصدعات » أى اجتمعوا واتحدوا ولا تفرّقوا .

في المجمع : الصديع : الصبح ومنه الحديث : « صلّ ركعتى الفجر حين يعترض الفجر وهو الذى تسميه العرب الصديع » وفي الحديث : « ان المصدق

يجعل الغنم صدعين - أى فرقتين - ثم يأخذمنها الصدقة »

٢١-الهزل- ١٦٠٥

هزل فلان فى كلامه يهزل هزلاً - من باب ضرب -: مزح فيه وجانب الجدّ أو هذى وهذر . ويقال : للكلام الذى يهزل فيه : هزل من باب إطلاق المصدر على المفعول .

قال الله تعالى : « انه لقول فصل وما هو بالهزل » الطارق : ١٤) الهزال- بضم الهاء - : نقيض السمن . و الهزّال - فعال للمبالغة - : كثير الهزل والضعف.

فى المفردات: : الهزل : كلام لاتحصيل له ولاريع تشبيهاً بالهزال .

وفى النهاية : والهزل واللعب من واد واحد والهزل : ضد الجسد .

وفى اللسان : الهزالة - بضم الهاء - : الفكاهة والهزل : إسترخاء الكلام وتفنينه . والهزيل : خلاف السمين .

٦٥ - المهل -- ١٤٦٣

مهل فى عمله يمهل مهلاً و مهلة - من باب منع - : بطئ وعمله با لسكينة والرفق ولم يعجل . مهله تمهيلاً : تأنى به ولم يعجّل عليه يقال: مهّل المجرم فسينال جزائه

قال الله تعالى : « فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً » الطارق :١٧) أى أجّلهم وانظر هم ، و الامهال : الابطاء والانظار ، والاسم : المهلة .

المهل : عكر الزيت المغلى وقيل : هو القيح والصديد الذى يذوب فيسيل من الجسد ، وقيل : هو المذاب من النحاس والحديد ،وغير هما من الفلزات و جواهر الارض .

قال الله تعالى : « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه » الكهف

: ٢٩) تمهّل في عمله : تمكّث ولم يعجل ، وإنمهل : اعتدى وإنتصب وعن الشيء : سكن وفتر ، وإستمله : إستنظره وسئله المهلة .

قال علي عليه السلام : « إذا سرتم إلى العدو فمهلاً مهلاً » أي فتأنّوا رفقاً رفقاً و قالت زينب كبرى لاخيها الامام الحسين بن علي عليهم السلام يوم عاشوراء : « مهلاً مهلاً يا بن الزهراء »



﴿النحو﴾

١- (والسماء والطارق)

الواو الاولى حرف قسم ، و«السماء» مجرور بحرف القسم ، على تقدير : اقسم بالسماء فحذف الفعل للاختصار. ولايخفى على القارى الأديب: ان القسم يحتاج إلى سبعة امور : حرف القسم ، والمقسم ، والمقسم به ، والمقسم عليه ، والمقسم عنده، وزمان ، ومكان فتدبر هنا جيداً .

«والطارق» الواو للعطف ، و«الطارق» مجرور بالعطف على «السماء» .

٢- (وماأدراك ماالطارق)

الواو حرف نسق ، و«ما» إستفهامية اريدبها التعجب ، في موضع رفع على الابتداء، و«أدرى» فعل ماض من باب الافعال ، وكاف الخطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في موضع نصب، مفعول به الاول ، والجملة خبر لـ«ما» .

و«ما» كالمتقدمة في موضع رفع على الابتداء، و«الطارق» خبر لـ «ما» والجملة في موضع نصب، مفعول ثان لـ«أدرى» والمعنى: وما أعلمك يامحمد أي شيء الطارق .

ولايخفى على الأديب الأريب : ان كلمة «ما» في القرآن الكريم وفي كلام العرب على خمسة وعشرين قسماً :

٣- (النجم الثاقب)

«النجم» بدل أو بيان من «الطارق» و «الثاقب» نعت من «النجم» .

٤- (ان كل نفس لما عليها حافظ)

«إن» حرف نفي بمعنى «ما» كقوله تعالى : « إن الكافرون إلا في غرور ،

الملك: ٢٠)

وقوله :« إن أنت إلاّ نذير» فاطر: ٢٣) و« كل» مرفوع على الابتداء، اضيف إلى«نفس» إبتدأ بالنكرة لمكان الاضافة كقولك : عمل برّ يزين . و«لما» بمعنى «إلاّ» و«عليها» متعلق بـ«حافظ» وهو خبر المبتداء. والتقدير: ما كل نفس إلاّ عليها حافظ ، وقدّم الجار لرعاية الفواصل والجملة جواب القسم .

ولايخفى ان أجوبة القسم أربعة : إن ، وما ، واللام ، ولا ، فحرفان منها يوجبان ، وهما: إن واللام ، وحرفان ينفيان ، وهما : ماولا كقولك : والله ماقام زيدولقد قام زيد ....

٥- (فلينظر الانسان مم خلق)

الفاء حرف نسق، تكون جواباً لكلام متقدم وتفريع عليه، واللام في«فلينظر» لام أمر، والفعل مجزوم بها كقوله تعالى :« لينفق ذوسعة من سعته »الطلاق: ٧)

وإنما اسكنت اللام لاتصالها بالفاء تخفيفاً، وقدجرّ الفعل لاتصاله بمابعده الساكن ، و«الانسان» فاعل الفعل .

وأصل «مم»من ما، فحذفت الألف بعدقلب النون ميماً ، والادغام فيها، و «ما» إستفهامية ، و«خلق» فعل ماض مبنيّ للمفعول، و فاعله النيابي ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الانسان والمعنى : من أيّ شيء خلق هذا الانسان. وحذف الفاعل لكونه معلوماً وهو الله جل وعلا ، ولأن الايات ليست بصدد تعريف الخالق ، بل بصدد بيان كيفية الخلق ومبدأه وضعفه .

وقدحذفت الالف من«ما» الاستفهامية مع من وعن واللام وفي كقوله تعالى: «عم يتساءلون » عم : ١) وقوله : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذّبهم عذاباً شديداً» الاعراف : ١٦٤) وقوله :« فيم أنت من ذكراها » النازعات : ٤٣)

والاصل في ذلك كله: لماوعماوفيماومما. و كذلك في بم، وإلى م، وعلى م، وحتى م

٦- (خلق من ماء دافق)

«خلق» فعل ماض مبنيّ للمفعول ،و «من ماء» متعلق بـ «خلق» والماء الدافق فاعل في اللفظ ، مفعول في المعنى ، وفي «دافق» وجوه: أحدها ـ على النسب اى ماء ذو إندفاق . ثانيها ـ بمعنى مدفوق أي من ماء مدفوق أى مصبوب في الرحم كما قالوا: سر كاتم أي مكتوم . ثالثها ـ هو على المعنى لان إندفق الماء بمعنى نزل . و على أى تقدير «دافق» صفة «ماء» والجملة جواب للاستفهام السابق على طريق البيان.

٧- (يخرج من بين الصلب والترائب)

«يخرج» فعل مضارع ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى الماء ، و«من بين» متعلق بـ «يخرج» واضيف «بين» ظرف إلى «الصلب» والكوفيون يسمّون «بين» حرف جر ، وهذا خطأ إذ لو كان حرف جر لما دخل عليه حرف جرّ يعربه، لان الحروف لا تدخل على الحروف فتعربها، و«الترائب» : جمع التريبة من منتهى الجموع ، عطف على «الصلب»

ان تسئل: لم لم يقل: يخرج من بين الاصلاب والترائب أو بين الصلب والتريبة ،ولم جاء أحدهما بالجمع ، والآخر بالافراد ؟

تجيب: ان عظم صدر المرأة هو تريبتها ، فيقال : للمرأة ترائب يعنى بها التريبة وما حواليها وأحاط بها، و كذلك تقول : رأيت خلاخيل المرأة وثديها ، و إنما لها ثديان وخلخالان ، ولك أن تقول: ان الله تعالى أراد من الصلب: الاصلاب ، فاكتفى بالواحد عن الجماعة كقوله جل وعلا: «أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقاً » الانبياء : ٣٠) ولم يقل : والارضين .

٨- (انه على رجعه لقادر)

«ان» حرف تأكيد، والضمير في موضع نصب إسمها ، راجع إلى الله تعالى،و «على رجعه» متعلق بـ «قادر» وهو خبر لحرف التأكيد ، واللام في «لقادر» للتأكيد أيضاً، وفي ضمير «رجعه» وجوه: أحدها ـ انه راجع إلى بعث الانسان بعد موته . فالمصدر مضاف إلى مفعوله أى الله تعالى قادر على بعث الانسان بعد موته. ثانيها ـ انه

راجع إلى الماء أي على رد الماء إلى الاحليل. ثالثها ـ انه راجع إلى الصلب والترائب.

٩ـ (يوم تبلى السرائر)

«يوم» منصوب على الظرفية، وبناؤه لاضافته إلى الفعل، وفي عامله وجوه:

أحدها ـ قوله تعالى: «لقادر» هو العامل، ولايعمل فيه «رجعه» لمافيه من التفرقة بين الصلة والموصول بخبر «ان» ثانيها ـ عامله فعل مضمر يدل عليه قوله: «على رجعه» والتقدير: يرجعه يوم تبلى السرائر، ولايجوز أن يعمل فيه المصدر: «رجعه» لانه يكون من صلته، وقد فرق بينه و بينه بقوله: «لقادر» ولا يعمل فيه «لقادر» لان المراد في الدنيا والله جل وعلا قادر في جميع الاوقات، فأي فائدة في تعيين هذا الوقت. ثالثها ـ ظرف لمحذوف أي اذكر، فيكون الكلام منقطعاً عما تقدم.

و «تبلى» فعل مضارع، مبني للمفعول، وتأنيثه باعتبار جماعة فاعله، و «السرائر»: جمع السريرة، فاعل نيابي، وإنما همزت الياء في الجمع، و ليس في الواحد همز لان في الجمع قبل الياء ألفا وهي ساكنة، فاجتمع ساكنان، فقلبوا الياء همزة، و كسروها لالتقاء الساكنين، ومثله: قبيلة وقبائل.

١٠ـ (فماله من قوة ولاناصر)

الفاء للتفريع، و «ما» نافية بمعنى ليس، و «له» متعلق بمحذوف، والضمير راجع إلى الانسان، و «من قوة» متعلق بمحذوف، و التقدير: فلايكون للانسان يومئذ شيء من قوة، و «ولاناصر» عطف على «من قوة»

١١ـ (والسماء ذات الرجع)

الواو للقسم، و «السماء» مجرور بها، والسماء مؤنث مجازي لان تصغيرها سمية وبها سميت المرأة لان العرب تسمى المرأة الجميلة سمية، و «ذات الرجع» صفة لـ «السماء»

١٢ـ (والارض ذات الصدع)

الواو للعطف، و «الارض» مجرور بالعطف على «السماء» و «ذات الصدع»

صفة من «الارض».

١٣- (انه لقول فصل)

«ان» حرف توكيد، والضمير في موضع نصب، إسمها، راجع إلى القرآن الكريم، و اللام في «لقول» للتاكيد، و مدخولها خبر لـ«ان»، و«فصل» نعت لـ«لقول» والجملة جواب للقسم.

١٤- (وما هو بالهزل)

الواو حرف عطف، و«ما» حرف نفي تشبه بليس، ترفع الاسم و تنصب الخبر إذا لم تكن في خبرها الباء كقولك: ما زيد بقائم، وليس زيد بقائم، فاذا أسقطت الباء نصبت، فقلت: ما زيد قائماً، وما هذا بشراً.

و«هو» مرفوع بـ«ما» و «بالهزل» خبره على زيادة الباء المؤكدة، ولو أسقطت الباء لقلت: وما هو هزلاً كقوله جل وعلا: «ما هن امهاتهم» المجادلة: ٢) بكسر التاء منصوب في موضع الخبر.

١٥- (انهم يكيدون كيداً)

«ان» حرف تأكيد، و ضمير الجمع في موضع نصب، إسمها، راجع إلى الكافرين من قبيل عود الضمير على المتأخر، و «يكيدون» فعل مضارع، في موضع رفع، خبر لحرف التأكيد، و«كيداً» منصوب على المصدر.

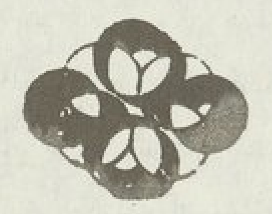
١٦- (واكيد كيداً)

الواو للعطف، و«أكيد» فعل مضارع للتكلم وحده، وضمير التكلم المستتر في الفعل راجع إلى الله جل وعلا، و«كيداً» منصوب على المصدر.

١٧- (فمهل الكافرين امهلهم رويداً)

الفاء للتفريع، و«مهّل» فعل أمر من باب التفعيل، خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و «الكافرين» مفعول بهم، و «أمهل» فعل أمر من باب الافعال، وهو تأكيد للأمر السابق، وضمير الجمع في موضع نصب، مفعول به راجع إلى «الكافرين» و في

«رويداً» وجوه: أحدها- انه إسم فعل كقولك : رويد عمراً أى أروده بمعنى أمهله . ثانيها- انه صفة كقولك : ساروا سيراً رويداً، ففى الاية الكريمة نعت لمصدر محذوف أى إمهالاً رويداً، وهو تصغير رود. ثالثها- انه حال كقولك: سار القوم رويداً لانه لما اتصل بالمعرفة صار حالاً لها، و معنى الاية الكريمة: أمهلهم غير مستعجل لهم العذاب ،ويقال: امش مشياً رويداً أى لا تستعجل . رابعها - انه مصدر كقولك : رويد زيد بالاضافة كقوله تعالى : « فضرب الرقاب » وأصل «رويداً» إرواداً ، فرويد تصغير إرواداً محذوف الزيادة بمعنى الامهال و التمكث .



﴿البيان﴾

١ - (والسماء والطارق)

فى الآية الكريمة قسمان : قسم بالسماء وهى العالم العلوى على وجه العموم وبلا إستثناء ، وقسم بما فيها من النجوم والكواكب النيرة .

وقد أكثر جل وعلا فى كتابه المجيد الاقسام بالسموات ، وما فيها من الشمس والقمر والنجوم . . . لأن فى أحوالها و أشكالها ، و سيرها و مطالعها و مغاربها من عجائب وغرائب...دلائل لمن يتدبر و يتفكر بأن لها خالقاً مدبراً يقوم بشئونها ، ويحصى أمرها لايشركه سواه فى هذا الابداع والصنع .

الطارق : النجم من الطرق وهو : الضرب بشدة يسمع له صوت، ومنه المطرقة والطريق لان السابلة تطرق بأقدامها ،ثم شاع إستعماله فى سلوك الطريق ثم اختص بالاتيان ليلاً لان الآتى بالليل يجد الابواب مغلقة غالباً ، فيطرقها ، ويدقها ، ثم شاع الطارق فى كل ما يظهر ليلاً ، والعرب تسمى كل قاصد فى الليل طارقاً ، فكل ما أتاك ليلاً فقد طرقك فسمى النجم طارقاً لطلوعه ليلاً .

ان تسئل: لم سمى النجم طارقاً ، و الطارق فى الحقيقة هو الانسان الذى يطرق أهله ليلاً ؟

تجيب: لما كان النجم لايظهر إلا ليلاً حسن أن يسمى طارقاً ، وإنما سمى الآتى بالليل طارقاً لانه يأتى فى وقت يحتاج فيه إلى طرق الباب ودقه أو ما يقوم مقامه للتنبيه على طرقه والايذان بوروده .

٢- (وماأدراك ماالطارق)

ان الاية الكريمة بصد دلفت النظر إلى خطورة ما فى السماء ، و التنويه بشأن المقسم به الثاني وهو الطارق ، وتفخيم أمره إثر تعظيمه بالاقسام به ، و التنبيه على أن رفعة قدره بحيث لاينالها إدراك الخلق،ولاتحيط به العقول ،فلابد من تلقيها من الخلاق العليم .

والمعنى : أيّ شيء جعلك دارياًما هو ؟وماشأنه وعظمته ؟ فوضع الظاهر : « الطارق » موضع الضمير مبالغة فى وصفه وعظمته ،وذلك لان العرب إذا أرادت المبالغة تقول : ما أدراك ما كذا . إستفهام يراد به الاشارة إلى أن المستفهم عنه شيء عظيم لايدرك كهنه ، ولايقدر قدره .

أقسم بالنجم مضافاً إلى ما تقدم لما فيه المنافع المعنوية والفوائد المادية للانسان ، و به يهتدى إلى مستقيم ويؤمن بالله جل و علا من تدبر وتفكرفيه ، آثار كثيرة فى الأشياء الارضية ، البحرية والبرية ، والحيوانوالنبات والانسان والمعادن . . .

ان تسئل : لم قال الله جل وعلا : « وما أدراك » بصيغة الماضى ، ولم يقل : « وما يدرك » كما فى قوله تعالى : « وما يدريك لعله يزكى » عبس : ٣) ؟

تجيب : انه يقال للمعلوم : بفعل الماضى ،ويقال ليس بمعلوم بفعل المضارع ، وإن الكلام فى المقام لمن يعلم النجم بالصفة ، ولا يعرفه بالعظمة .

٣- (النجم الثاقب)

مستأنف بيانى سبق جواباً عن الاستفهام الذى نشأمما قبله على سبيل تحرير الموصوف مع وصفه بوصف آخر إثر ذكره بوصفه إجمالاً كأنه قيل : ما هـذا الطارق ؟ فقيل : هو النجم المضيء فى الغاية بحيث يثقب بضوئه ظلمات الجو ، فينفذ فيها حتى يصل ضوئه إلى أبصارنا ، و يثقب بنوره ضلالات النفس ، فينفذ فيها حتى يصل نوره إلى بصائرنا ، فكأن الظلمات والضلالات جلد أسود والنجم

يثقبه .

٤- (ان كل نفس لما عليها حافظ)

جواب للقسم، وما بينهما إعتراض جيء به ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها ، أقسم الله جل وعلا بأن لكل نفس رقيباً يحفظها ، و لاتترك سدى ، لاترسل مهملة ، ولاتطلق عنانها ، بل لها حفيظ يحفظها ويحصى أعمالها : خيرها و شرها ، صغيرها و كبيرها ، و صالحها وفاسدها . . .

وفى الاية الكريمة وعيد للكافرين ، وإنذار للمستكبرين بأن أعمالهم و ما فى صدورهم و خطوراتهم وحركاتهم وسكناتهم . . . كلها محصاة عليهم ، و إدعواء عماهم عليه من الكفر والطغيان ، و البغى و العصيان . . . و دعوة لهم إلى صالح الاعمال والايمان ، والتوبة والغفران ، وتسلية للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتطمين للذين آمنوا ، فكأنه يقول لهم : لاتحزنوا الكفر الكافرين ، و ظلم الظالمين ، و إنتفاخ المستكبرين وإستبداد المستبدين . . . ولايضيق صدوركم لفساد المفسدين وبغى أصحاب الشهوة والشهرة ، وعبيد المقام والرئاسة . . . فانا لانهملهم ، و لا نتركهم سدى ، بل سنجازيهم على ذلك كله ، لانا نحصى عليهم أعمالهم ونحاسبهم عليها يوم يعرضون علينا ، « فلاتعجل عليهم إنا نعدّ لهم عدّاً » مريم : ٨٤)

٥- (فلينظر الانسان مم خلق)

تفريع على الآية السابقة ، وما تدلّ عليه بفحواها بحسب السياق ، وتنبيه للانسان على أن ما بيّن من أن كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل ، من حركة أو سكون ، من نية أو خطورة بال . . . مستوجب على الانسان أن يتفكر فى مبدأ خلق حتى يتضح له : ان من قدر على إنشائه من مواد لم تشمّ رائحة الحياة قطّ فهو قادر على إعادته ، بل أقدر على إعادته ، بل أقدر على قياس العقل ، وإن كان كل ذلك عند الله جل وعلا سواء ، فليعمل ليوم الاعادة

والجزاء ما ينفعه يومئذ، ويجديه ولايملى على حافظه ما يرديه .

ففى الآية الكريمة و تاليها تدليل على قدرة الله جل وعلا على بعث الانسان لمحاسبته على عمله ، و إرشاده إلى الاعتراف بالمعاد لان من قدر على البداءة فهو قادر على الاعادة بطريق الاولى من جهة ، وتنبيه له على المبدأ من جهة اخرى بأنه إذا نظر بعقله إلى قدرة الله تعالى فى نفسه ، وفى إبداع ذاته وتصويرها علم بحقائق وعرف طريق الهدى وذهب سبيل الرشاد فآمن بالله جل و علا ، و تنبيه له على ضعف أصله الذى خلق منه ثالثة

وفى ايثار الفعل : « خلق » مبنياً للمفعول ، وترك ذكر الفاعل ايماء إلى ظهور أمره.

٦-(خلق من ماء دافق)

مستأنف بيانى وقع جواباً عن إستفهام مقدر يدل عليه المذكور ، فكأنه قيل : مم خلق ؟ فقيل : خلق من ماء ذى دفق بسرعة ودفع أوماء مدفوق على سبيل الاستعارة كقولك : سر كاتم وليل نائم، وفى الاية تنبيه إلى حقارة أصل الانسان وضعفه .

و من المحتمل : ان هذا الماء لما كان فى العاقبة يؤول إلى أن يخرج منه الانسان المتصرف والقادر جاز أن يقوى أمره ، فيوصف بصفة الفاعل لا صفة المفعول تمييزاً له عن غيره من المياه المهراقة و المائعات المدفوقة ،وهذا واضح لمن تأمله .

٧- (يخرج من بين الصلب و الترائب)

وصف للماء الدافق ، إشارة إلى مورد هذا الماء ، و إلى أنه ماء قد خرج خروجاً طبيعياً بعد أن استوى ، ونضج فى صلب الرجل وتريبة المرأة ، وانه ليس ماء إنتزع إنتزاعاً من موضعه قبل أن ينضج ويستوى .

ومن المحتمل أن تكون الجملة مستأنفة بيانية ، فكأنه قيل : من أين

يخرج هذا الماء ؟ فقيل : يخرج من بين الصلب والترائب . .. وفي إفراد الصلب ، وجمع الترائب مالا يخفى على البياني الخبير فتدبر جيداً واغتنم جداً .

٨- (انه على رجعه لقادر)

تدليل على قدرة الله عز وجل على إعادة الانسان بعد موته للحساب والجزاء كما أنه كان قادراً على تكوين الانسان إبتداء من نطفة حقيرة ضئيلة ، فالذى خلق الانسان من ماء يندفق من بين صلب والده وترائب والدته ، فهو قادر على إعادته لمحاسبته على عمله .

وفى الاكتفاء بالاضمار لله تعالى : « انه » من غير ذكر المرجع دلالة على أن المقام مقام لاخفاء لظهوره فلاحاجة إلى الاظهار نظير قوله عز وجل: «خلق» مبنياً للمفعول .

٩- (يوم تبلى السرائر)

إشارة إلى الوقت الذى يبعث فيه هذا الانسان إلى مرة اخرى ، فذلك هو يوم تبلى السرائر أى يوم يخرج كل ما انطوى فى سريرة الانسان ، و كل ما احتفظ به فى صدره من أسرار فلايبقى سر إلاّ ظهر على الملأ يوم الحساب والجزاء.

ففى الاية الكريمة إخبار بأمر الناس يومئذ من ظهور عملهم ، وإنكشاف نياتهم ، فهم يواجهون يومئذ بما نووا فى الحياة الدنيا ، و بما عملوا فيها كلها محصاة إحصاءاً لاخطأ فيه فمن كان ما يتعلق به من السرائر والظواهر صالحة فهو من أهل السعادة وإلاّ فهو من أهل الشقاء .

وفيها إنذار أيضاً للسامعين ليتقوا أهوال ذلك اليوم بالاستجابة إلى دعوة الله جل وعلا والايمان به ، وصالح الاعمال والاجتناب عن الكفر والطغيان ، و التجنّب عن البغى والاستبداد ، والتحذّر عن الاستكبار وسيّء الاعمال . . .

١٠- (فماله من قوة ولاناصر)

إشارة إلى نفى القوة الذاتية النفسية ، و نفى القوة العرضية الخارجية عن

الانسان يوم القيامة ، فليس له من قوة فى نفسه تدفع عنه أهوال يومئذ وشدائده ، ولا ما يحلّ به من العذاب والنار ، ولامن ناصر يعينه على الخلاص من الاهوال والآلام . . .

١١ـ (والسماء ذات الرجع)

إقسام بعد إقسام بالسماء المتصفة بصفة الرجع على حقيّة القرآن الكريم الناطق ببعث الانسان بعد موته إيماءاً إلى أن هذه الصفة من شواهد البعث ، وفى ذلك تأكيد لأمر القيامة والرجوع إلى الله جل وعلا ، ولعلّ هذا هو السرّ فى التعبير عن المطر الذى ينزل من السماء بالرجع .

فى تلخيص البيان للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه قال فى قوله تعالى : « والسماء ذات الرجع » : وهذه إستعارة ، والمراد بها صفة السماء بأنها ترجع بدرور الأمطار وتعاقب الانواء مرة بعد مرة وتعطى الخير حالة بعد حالة . وقد قيل :ان الرجع : الماء نفسه .

١٢ـ (والارض ذات الصدع)

إقسام آخر لما تقدّم ، و لعلّ هذا هو السرّ فى التعبير بالصدع عنه ،و ذلك فى تشقق الارض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر فى مواضع من التنزيل لافى تشققها بالعيون ، فالمراد إنصداع الارض عن النبات و تشققها عن الاعشاب . . .

١٣ـ (انه لقول فصل)

جواب للقسمين السابقين على طريق إثبات الصفة الفاضلة للمقسم عليه، وتوكيد صحته ، والمعنى : ان هذا القول الذى تنطق به آيات الله جل وعلا من المبدأ و المعاد ، و ما يسمعه الناس من نذر قرآنية و جدّها هو قول حق فاصل واقع لاريب فيه جداً . و فى التعبير عن الفاصل بالفصل مبالغة فى فصله بين الحق و الباطل ، بين الكفر والايمان ، بين السعادة و الشقاء ، بين الصلاح و الفساد ، و

وبين الفلاح والخسران . . . نظير : زيد عدل .

١٤ (وما هو بالهزل)

جواب ثان على طريق نفى الصفة الذميمة عن المقسم عليه يبعده عن الهزل الذى لا تقصد به دلالاته ، واللعب الذى لا تعنى له معانيه و مبانيه ، و فيه تأكيد آخر لحقيّة القرآن الكريم لان البيان الفصل لا يذكر إلاّ على طريق الجد و الاهتمام بشأنه ، وقطع الجدل والمراء عنه .

١٥- (انهم يكيدون كيداً)

مستأنف بيانى سيق جواباً عن سؤال مقدر ، وإشارة إلى مواقف الكيد و المناوأة التى يقفها الكفار من النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالتعطيل والأذى والاعراض بوجه عام، فكأنه قيل :ما ذا كان موقف الكفار والمشركين، والفجار والمستكبرين ، والفسّاق والمستبدين . . . من هذا القول الفصل الجد؟

فاجيب : انهم يحتالون حيلة فى كفرهم وطغيانهم ، ويمكرون مكراً فى إطفاء نور الله جل وعلا و تكذيبهم بالوحى السماوى ، ويقيمون المعاثر فى طريقه ليصدّوا الناس عنه بالقاء الشبهات فيه والطعن فيه وفيمن جاء به ، و يستقبلون هذا القول الالهى بالمماحكة والجدل ، وينصبون الشراك له ، فهم فى حرب معه ، يكيدون له بكل ما يقدرون عليه مجتمعين أو فردى و إن الكيد من خصال الكافرين .

١٦- (واكيد كيدا)

إنذار للكافرين من قبيل مقابلة الشىء بمثله ، و تو كيد بأن الله جل وعلا سيقابلهم على كيدهم بكيد أيضاً، كيداً بكيد جزاء وفاقاً، ولكن أين كيد من كيد؟ فهم يكيدون عن جهل وسفه ، وعن غباوة وعجزة خونة ، يظنون ألاّ حراسة عليهم . ولاحول ولاقوة إلاّ بالله عزوجل يكيد بتسجيل أعمالهم وإملائهم ، و نصر رسوله

ﷺ او إعلاء دينه ، وجعل كلمته العليا وجعل كلمتهم السفلى ، و إنتقامهم بالذلة والهوان فى الحياة الدنيا و بالنار والعذاب من حيث لايشعرون .

و ان إستعمال الكلمة هو من قبيل مقابلة الشيء بمثله وهو إستعمال اسلوبي مألوف ، وسمي ذلك كيداً من حيث يخفى ذلك عليهم ، فانهم إذا كانوا للقرآن الكريم و رسول الاسلام ﷺ و دبّروا أمر هم خفاءاً ليلاً أم نهاراً ، فان الله عز و جل كيداً حيث يذلهم و يأخذهم بالعذاب و هم لايشعرون .

أو سمي جزاء الكيد بالاستدراج والامهال المؤدّي إلى زيادة الاثم الموجبة لشدة العذاب كيداً .

وفى الاية الكريمة ردّ على كيد الكافرين لابطال كيدهم فى كل وقت ، ولقتلهم بالسلاح الذى يحاربون به كلام الله عزوجل فى كل مكان ، و هذا نظير قوله تعالى : « و يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » الانفال : ٣٠)

وقوله : « و كذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلاّ بأنفسهم وما يشعرون » الانعام : ١٢٣)

وفيها تسلية للنبي الكريم ﷺ وتطمين وتثبيت له وحثه على الصبر الجميل .

١٧- (فمهل الكافرين امهلهم رويداً)

تفريع على ماتقدم ، فيترتب مابعد الفاء على ماقبلها ، فان الاخبار بتوليه جل و علا لكيد هم بالذات مما يوجب إمهالهم ، وترك التصدى لمكايدتهم قطعاً وفيه وعيد شديد ، و إنذار لهم على طريق الأمر للنبي الكريم ﷺ بأن يتوعد الكفار ، و ينذرهم ويتأنى عليهم ، وينظر قليلاً ليرى أخذه تعالى لهم ، ثم أكّد طلب الامهال وأقته بوقت قريب ، فلن يلبث أن يرى هو ويرواهم تحقيق الوعد ومصداق الانذار .

تهديد لأصحاب الحيل والكيد بأن سيصيبهم ماينتظرهم من وراء كيد هم من حيث لا يشعرون ، وانه ليس إلاّ أيام قليلة يقضونها فى دنيا هم حتى يلقاهم اليوم الذى يوعدون وحيث يأخذهم عذاب الله وليس لهم من دون الله من ولى و

لانصير .

وعد للنبى الكريم ﷺ و كل داع إلى الحق بأنهم سيبلغون من النجاح ما يستحقه عملهم ، و ان المناوئين لهم هم الخاسرون ، و عزاء للنبى ﷺ و تثبيت لقدمه على طريق دعوته التى تقوم على طريقها هذه الذئاب المتربصة بها .. انه فى حراسة الله جل وعلا ، فليمض فى طريقه وليدع لله تعالى ردّ هذا الذى يكاده .

وبعث لطمأنينة إلى قلوب المؤمنين الذين كانوا يخشون صولة الكفار والمستبدين وصيت الفجار والمستكبرين ، ويحذرون إعتداءاتهم التى لاحدّ لها ، و تخويف لهم من عاقبة إصرارهم على ما هم فيه من الكفر و المشاقة لله جل وعلا ورسوله ﷺ وللمؤمنين . وفى الاية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى على القارى الخبير فتأمل جيداً .

ان تسئل : ما فائدة الجمع بين « مهل » و « أمهل » ومعناهما واحد ؟

تجيب : فائدة الجمع هى التأكيد ، وانما خولف بين اللفظين طلباً للخفة ، غيران باب التفعيل يفيد التدريج ، و الافعال يفيد الدفعة . ففى التعبير أولاً بمهل الظاهر فى التدريج ، وثانياً مع التقييد برويداً بأمهل الظاهر فى الدفعة لطف ظاهر . وتأكيد حسنه مخالفة اللفظ أى أنظرهم .

﴿ الاعجاز ﴾

ومن البديهي انه ليس إعجاز القرآن الكريم منحصراً بما وقف به المتقدمون من جانبي الالفاظ والاسلوب، ولا مقصوداً فيما وقف به المتأخرون بمن ناحية بعض المعاني بل لهذا الوحي السماوي الخالد إعجاز وإعجاز في حثه على تعلم الانسان بعلوم، وتعرّفه بمعارف وحكم، لم يكن للعرب الجاهلية أيّ أثر لها، ولم يكن هناك أيّ مظهر من مظاهر الحياة العقلية . . .

ومنذ بزوغ فجر الاسلام لم يكن في قريش إلاّ (١٧) رجلاً يكتبون ويقرؤن، ولذلك كان يلقب من يجيد الكتابة والرمي بالكامل، وان هذا القرآن المجيد هو أوّل كتاب دعا الاعراب إلى التفكر في أحوال السماوات وما فيها : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيّنّاها » ق : ٦) ويقول : « و يتفكرون في خلق السموات والارض » آل عمران : ١٩١)

وهذا الكتاب السماوي يقسم بالسماء على طريق الاطلاق و بالطارق في إبتداء هذه السورة، وبالسماء المقيدة بصفة الرجع، وبالارض المقيدة بصفة الصدع في أواخرها لكي نتوغل في عوالم السماء وما خلق فيها من عوالم اخرى، وفي الارض وأحوالها فيقول : « والسماء و الطارق ـ والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع» الطارق : ١ ـ ١٢)

وذلك لان نتتبّع السماء، و أن ننظر إلى ما فيها من كواكب و شموس و مجرات وسدم، وأن ننظر كيف تتكون الأنجم و كيف تبيد، و كيف تتكوّن

نحن ؟ و كيف نفنى ؟ و كيف نحيى تارة أخرى للحساب والجزاء ؟ كل ذلك لكى نزداد بهذا الوحى يقيناً .

حقاً: ان علم الفلك اللاسلكى والمكانيك الرياضى فتحا على الانسان أبواب المعرفة بالنسبة إلى بعض ما لايتناهى من شموس ومجرات وسدم ونيازك إلى ما هنالك من عوالم تدهش الألباب ، فان التلسكوب اللاسلكى يلتقط إشارات عن مسافة قدرها ثمانية آلاف مليون و أخيراً عشرة مليارد سنة ضوئية ، و السنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء بسرعة ٣٠٠/٠٠٠ كيلومتر فى الثانية الواحدة خلال سنة كاملة أى هى المسافة التى طولها ٩٤٦٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠ كيلومتر أو ٥٨٧٩/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠ ميل .

حقاً ان فى مثل جزيرة العرب لاتربط حوافرها بعضها ببعض إلاّ أراض واسعة جرداء غير ذات زرع ما كان ليمكن أن ينمو العلم ، و أن يكون فيها حياة علمية ، فللاسلام فضل كبير فى ايجاد وسائل الحضارة فى البلاد العربية ، و من ثم وجود علماء فى شتّى العلوم و الفنون ، و مكتشفات جمّة كانت أساساً للمكتشفات الحديثة ، فالاسلام يناصر العقل والعلم، ويرحب بالأفكار والنظريات العلمية الصحيحة والمكتشفات العلمية التى تخدم البشرية فى مجالات تكميل النفوس البشرية ، ويحارب الجهل والخرافة، و كل ما يخالف العقل .

وان المسلمين بتمسكهم بدينهم أصبحوا مكتشفين، ومنقذين قسماً من العالم من الجهل و الخرافة بعكس اوروبا التى لم تظهر الحضارة الحاضرة فيها إلاّ بعد أن تغلب العلم الحديث على الكنيسة و رجال الدين فيها ، و قد كان للمسلمين الفضل الاكبر فى ايجاد الطريق التجريبى فى الاكتشافات العلمى ، ولذلك يقول « كوستا ولوبون » أحد فلاسفة اوروبا فى كتابه حضارة العرب :

« ان المسلمين العرب وحدهم كانوا أساتذة الامم المسيحية عدة قرون ، ونحن الغربيين لم يتح لنا الاطلاع على التراث اليونانى والرومانى إلاّ بفضل

العرب ولم يستغن التعليم فى جامعاتنا عما نقل إلى لغاتنا من كتب العرب إلاّ فى أزماننا متأخرة »

ان الله جل و علا يقول فى هذه السورة : « فلينظر الانسان مم خلق » الطارق : ٥)

وهو يحثنا على تعلّم علم الاحياء ، وعلم الحيوان ، وعلم وظائف الاعضاء...

وفى جسم الانسان أكثر من ٢٠٠/ عظم ولكل واحد منها شكل خاص ،و لولا هذا الشكل الخاص لما تمكن الانسان من الحركة ، وفى جسم الانسان ٥٠٠/ عضلة : كل منها تتغذى بمئات الأوردة والعروق تديرها أعصاب كثيرة ، والقلب ،وهو بين هذه العضلات ينبض فى السنة : ٣٠/ مليون مرة .

وأما طبقات العين فهى الطبقة القرنية و العدسية ثم طبقة مائية زجاجية تنتهى فى الشبكية ، وان الطبقة الشبكية لاتزيد ممن ثخن الورقة ، وهى تتألف من تسع طبقات أبعدها تتألف من ٣/ ملايين اسطوانة ، و٣/ ملامبين مخروط .

وقد حسب أحد علماء الفسلجة انه توجد فى المادة السنجابية التى هى فى تلافيف الدماغ : ستة ملايين خلية وان كل خلية تتألف من الوف الدقائق الظاهرة و ان كل دقيقة تتألف من ملايين الجواهر . . .

قال الله عز وجل : « خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب » الطارق : ٦ـ٧)

ثم يذكرنا الله جل وعلا بالآخرة لنستعد لها لانها هى الحياة الحقيقة التى تستحق أن تطلق عليها كلمة الحياة وذلك بقوله تعالى : « انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر » الطارق : ٨و٩)

لقد سبق القرآن الكريم العلم الحديث فى التكلم عن بداية الخلق وهى: : « الخلية الحية » فهى جوهر الحياة و ذلك لان كل مشكلة تتعلق بالحياة تبحث فى الخلية ،وان كل كائن حىّ ما هو إلاّ خلية .

نعم: كان للمسلمين منجزات هامة فى حقل الفكر ، وذلك لان تعاليم نبينا محمد ﷺ كانت تعاليم تدعو الناس إلى التفكر فى أسرار الكون ، و التدبر فى حقائق الوجود ، و منه هـذا الانسان ، كيف لاوان القرآن الكريم ينادى منذأربعة عشرقرناً : « فلينظر الانسان مم خلق » الطارق : ٥)

نعم: خلال قرون الجدب الأدبى والفكر فـى او روبا كان الاسلام يحمل مشعل المدنية ، ويتقدم إلى الامام ، فهل الاسلام إذن دين رجعى ؟ أم تقدمى ؟

ومنذ القرن الرابع حتى القرن السابع عشر الميلادى ظلت سحب الضباب تنعقدفى سماء اوروبا بعضها فوق بعض ، وقد سادت طوال هذه العصور العصبية الدينية المقيتة فى اوروبا ، و كان الاسلام بثقافته الحرة ينفذإلى مجاهيل العالم ليثير فيها حب الخالق والمخلوق ، وليدفع الانسانية إلى عتبة مرحلة جديدة فى مضمار التقدم والارتقاء وهكذا كانت تظهر معالم التقدم فى آكاديميات سالرنو وبغداد ودمشق وقرطبة وغرناطة :

كان الحكام يساعدون على نمو الكفرالحرفى الحقل العلمى ، ولم يتعرضوا إلى بقية الاديان بل كان التسامح شعارهم ، فازدهرت العلوم الطبيعية كنتيجة حتمية لحرية الفكر فى الاسلام ، ولكن الضغط على حرية الفكر فى اوروبا كان قد بلغ أقصاه وبعد أن كان المسلمون قدحولوا اسبانيا إلى حديقة غناء للعلوم والمعارف جاءت المسيحية المتحرفة فجعلتها صحراء مقفرة ، فخلت الحواضر من الكليات والمدارس ،وحولت إلى كنائس ، واحرقت الكنوزالأدبية والعلمية هناك .

وإذا كانت الرجعية معناها : كل عائق عن التقدم أو الرجوع إلى الاصول البالية المانعة عن الارتقاء والازدهار ، فأى أمر من أوامر الاسلام أو أى نهى من نواهيه ، وأى تعليم من تعاليم القرآن الكريم أو السنة النبوية يقف حجرعثرة دون التقدم فى تفهم الانسان الحياة والكون والوجود تفهماً يعوقه عن الا رتقاء

في حقول التكامل النفسي والاجتماعي أو حقول المكتشفات و المخترعات ؟؟؟

اذن : القضية ليست قضية الرجعية أو التقدمية بالمعنى الصحيح ،وإنما مرض في النفس يريد صاحبها من دساتير و آيات بينات أرسلها الله تعالى لتكميل البشر على ألسنة أنبياء ﷺ،وان الله عزوجل يصف هؤلاء بمرض في القلب،وأكنة في الصدور ، وشقاء في النفس . . .

قال الله تعالى : «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا » الحج : ٧٢)

وقال : « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون » الاعراف : ١٧٩)وقال : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً » الاسراء : ٤٦) وقال :«وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون» التوبة : ١٢٥)

وان المرض النفسي لابد من معالجته : معالجة روحية ، وليس هذا المرض الروحي من النوع الذي يعالجه علماء النفس أو الاطباء النفسانيون، وإما هو مرض روحي عقائدي جاء من جراء الذنوب والآثام ،من الانهماك في الشهوات واللذائذ الدنياوية الفانية ، من الغرور بالجاه والمقام والرئاسة والاشتهار، ومن تلبس الكبر و الاستبداد والبغي و هتك الاعراض . . . « كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لايؤمنون » يونس :٣٣)

«سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها و إن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً و إن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا و كانوا عنها غافلين » الاعراف : ١٤٦)

نعم : ان الاجرام والآثام ، والبغي والضلال ، وحب الدنيا و متاعها ، و الا

ستبداد والاستكبار ، وحبّ الجاه والرئاسة والملك العقيم . . . وهي التي تسدّ على الانسان أبواب الايمان والكمال والرقي النفسي ،وتجعله مريضاً في النواحي النفسية ، وان الفسق - على قسميه : الظاهري و الباطني - هو السبب الرئيسي الشوم للضلال قال الله تعالى : « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات و ما يكفر بها إلاّ الفاسقون » البقرة : ٩٩)

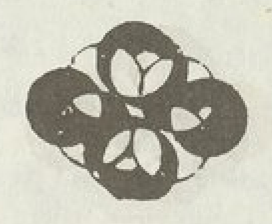
وان أطباء هذا المرض النفسي هم الانبياء عليهم السلام ، و خاتمهم نبينا محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فمالم يعالج هذا النوع من المرض بوصفات أو علاجات قدعيّنها نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يرجع المريض عن غيّه ، فيرى الحق حقاً والباطل باطلاً ، يرى السعادة سعادة و الشقاء شقاء ، يرى الصدق صدقاً والكذب كذباً ، يرى الفلاح فلاحاً و الخسران خسراناً و يرى العدل عدلاً والظلم ظلماً ، و يرى ما هو رجعي حقاً رجعياً ، و ما هو تقدمي حقاً تقدمياً . . .

فطوبى لاولئك الشبان الذين لم تخدعهم بهرجة الغرب بروائها و جمالها الخداع، ولاإلحاد الشرق منكر الشرف الانساني وسارق العقل . . . فميّزوا بين الحق والباطل ، بين نظام يدعو إلى الشهوات والانحطاط ،ونظام يدعو إلى تساند إجتماعي فيه الكمال الانساني والفوز بسعادة النشأتين : ألاوهو نظام الاسلام تحت راية القرآن الكريم الذي يكرم الفرد والمجتمع البشري في حياته الدنيوية و حياته الاخروية ، يكرم كل من استظلّ به كرامة تليق بالانسان الذي هو خليفة الله تعالى في الارض .

فتمسكوا به تمسكاً ملؤه الاخلاص ، وصاروا يضحون من نفوسهم ونفائسهم لاعلاء كلمة الله تعالى في الارض لاتأخذهم في ذلك لومة لائم محققين مصداق هذه الآية الكريمة: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» العنكبوت : ٦٩)

راجين في عملهم رحمة الله تعالى ومرضاته ، وجاعلين هذه الاية الكريمة هدفاً لهم : « و من الناس من يشرى نفسه إبتغاء مرضاة الله و الله رؤف بالعباد » البقرة : ٢٠٧)

و في بعض التفاسير : في قوله تعالى: «فمهل الكافرين أمهلهم رويداً» قال : ان التركيب يدل على الرفق والتأني ، ومنه قولهم في باب أسماء الافعال: رويد زيداً أي أروده إرواداً وارفق به ،فكأنه سبحانه قال : مهل مهل مهل ثلاث مرات بثلاث عبارات وهذه نهاية الاعجاز .



﴿التكرار﴾

سورتان إفتتحتا بالاقسام بالسماء على الترتيب المصحفي: سورة البروج ، وسورة الطارق .

و نشير في المقام إلى صيغ سبع لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ التي جاءت في هذه السورة، وفي غيرها من السور القرآنية :

١- جاءت كلمة (الطريق) على صيغها في القرآن الكريم نحو : ١١ مرة :

٢- « « (الثقب) « « « : مرتين :

أحدهما- سورة الصافات : ١٠) ثانيهما- سورة الطارق: ٣)

٣- « « (الدفق) على صيغة واحدة ، و هي في هذه السورة : ٦)

٤- « « (الصلب) « « « :ثمان مرات:

١- سورة الطارق: ٧) ٢و٣- سورة النساء: ٢٣ و ١٥٧) ٤- سورة يوسف : ٤١) ٥- سورة المائدة : ٣٣) ٦- سورة الاعراف : ١٢٤) ٧- سورة طه : ٧١) ٨- سورة الشعراء : ٤٩)

٥- « « (الصدع) « « « :خمس مرات:

١- سورة الطارق : ١٢) ٢- سورة الروم : ٣٤) ٣- سورة الواقعة : ١٩) ٤-سورة الحشر: ٢١) ٥- سورة الحجر : ٩٤)

٦- « « (الهزل) على صيغة واحدة وهى فى هذه السورة: ١٤)

٧- « « (المهل) « « « : ست مرات :

١- سورة المعارج : ٨) ٢- سورة الدخان : ٤٥) ٣- سورة الكهف : ٢٩)

٤- سورة الطارق : ١٧) ٥- سورة المزمل : ١١) ٦- سورة الطارق: ١٧)

فى قوله تعالى : « فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً » الطارق : ١٧)

أقوال : أحدها- قيل : ان معنى « فمهل الكافرين» : لاتدع بهلاكهم ، و لاتستعجل به ثم كرّر ذلك المعنى بقوله:« أمهلهم» للمبالغة .

ثانيها - عن إبن جنى انه قال : قوله تعالى : « فمهل الكافرين أمهلهم » غير اللفظ لانه آثر التاكيد ، و كره التكرير ، فلما تجشّم إعادة اللفظ إنحرف عنه بعض الانحراف بتغييره المثال ، و إنتقل عن لفظ فعّل إلى لفظ أمهل ، فقال : أمهلهم ، و لما تجشم التثليث جاء بالمعنى ، وترك اللفظ ألبتة فقال: رويداً .

ثالثها - ان التمهيل يختلف عن الامهال ، إذهنا تمهيل إلى يوم الدين ، و هناك إمهال رويداً رويداً إلى الحرب و إلى دولة المهدى الحجة بن الحسن العسكرى عليه السلام ، وإلى عذاب القبر ونار البرزخ،ثم إلى آخر المطاف فى التمهيل، فلا يكون ههنا تكرار ، و قد يشير إلى ذلك نفس صيغة التفعيل و هى للتكثير ،و هو يعنى هنا المهلة الكثيرة ، و صيغة الافعال و هى المدفعة ، و هى تعنى المهلة القليلة ، فقلّل الامهال لان ما هو كائن آت لامحالة فهو قليل ، و إنمالم يقل: مهلهم لانه آثر التأكيدو كره التكرار فلذلك غير المثال وإنتقل عن مهلهم إلى أمهلهم .

رابعها- قيل: هذا تكرار على تقدير : مهل مهل مهل لكنه عدل فى الثانى إلى أمهل لانه من أصله و بمعناه كراهة التكرار،وعدل فى الثالث إلى قوله :« رويداً »

لانه بمعناه أى إرواداً ثم إرواداً . ثم صغر إرواداً تصغير الترخيم ، فصار رويداً . و ذهب بعضهم إلى رويداً صفة مصدر محذوف أى إمهالاً رويداً ، فيكون للتكرار مرتين، وهذه اعجوبة ، و ذلك لتصرف القرآن الكريم فى الاسلوب بحيث يصلح بمقتضى التقدير موجزاً ومسهباً .



﴿ التناسب ﴾

واعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث :

احدها ـ التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بينها وماقبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين هذه السورة نفسها .

اما الاولى :فان هذه السورة نزلت بعد سورة «البلد » فلما اشير في سورة «البلد» إلى موقف الانسان على التعب والمشقة ، و زعمه انه منطلق العنان لارقيب لنفسه ، ولاحفيظ عليها، فيعتمد على ماله وثراه ، و يثق بقوته وصيته ، و بعدده و عدده، ظاناً ان الحفيظ لايراه ، وان الرقيب لايقدر عليه. . جاءت هذه السورة :« الطارق» لتوجيه الانسان إلى نفسه ، ومراقبتها في حركاتها و سكناتها ، وان عليها حافظاً يحفظ مافي كمونها وأفعالها وأقوالها ، وتصرفاتها في الحياة الدنيا، فستحاسب عليها يوم القيامة ، فجدير لكل إنسان أن يراقب نفسه في كل وقت ومكان ،و لايطلق عنانها قط.

واما الثانية :فمناسبة هذه السورة لماقبلها مصحفاً فبامور :

احدها ـ إفتتحت هذه السورة بالاقسام بالسماء على طريق الاطلاق كالسورة السابقة ولكنها على طريق الوصف ، وفي الاطلاق بعد القيد مالايخفى على القارىء الخبير ، فتدبر جيداً و اغتنم جداً .

ثانيها ـ لما ختمت السورة السابقة بالوعيد إفتتحت هذه السورة بمثله على

تأكيد ذلك بأن على كل نفس حافظاً يحفظها ، ويحصي أعمالها، فسيحاسب عليها ...

ثالثها - لما اشير في سورة «البروج» إلى عاقبة طلاقة العنان ، و تبعة عدم مراقبة النفس وإلى مصائر البغاة المستكبرين والحكام المستبدين والطغاة المجرمين كفرعون وثمود، وإلى الكفار الذين أطلقوا عنان أنفسهم، وماراقبوها، فأحاط بالاولين نقمة الله تعالى، وأنذربها الكفار والمشركين ، حثت هذه السورة الانسان على مراقبة النفس مع وعيده بما أحاط فرعون و ثمود من النقمة على أعمالها إذا سلك مسلك هؤلاء المجرمين .

رابعها - ان هذه السورة نسق متسق مع ماسبقها في عرض أحداث يوم القيامة وإرهاصاتها تقريراً وتوكيداً لهذا اليوم الموعود .

خامسها - ان الله تعالى لما ذكر في سورة «البروج» تكذيب الكفار للقرآن الكريم، وصفه في هذه السورة بأنه القول الفصل، وليس بهزل رداً على هؤلاء المكذبين

وأما الثالثة : فآيات السورة مع إتصالها تتقطع بخمس قطعات :

أحدها - ان الآيات الاربع الاولى إخبار على سبيل قسم رباني بالسماء والطارق : ان على كل نفس حافظاً يحفظها ويحصي أعمالها ، فستحاسب على مايتعلق بها من العقائد والاقوال والاعمال : حقها وباطلها ، خيرها و شرها ، صالحها و فاسدها ، صغيرها و كبيرها ...

ثانيها - ان الآيات الاربع الاخرى التالية : « فلينظر الانسان مم خلق - انه على رجعه لقادر » : ٥-٨) تدليل على قدرة الله جل وعلا على بعث الانسان للحساب و الجزاء .

فوجه إرتباط هذه الايات الاربع بما قبلها انه لما ذكر ان على أن كل نفس حافظاً أتبعه بوصية الانسان بالنظر في أول أمره و نشأته الاولى ليعلم أن من أنشأه قادر على إعادته ، ومجازاته ، فليعمل ليوم الاعادة والجزاء فلايملي على حافظه إلا مايسره في عاقبته .

ثالثها - ان في الآيتين التاليتين إنذاراً للسامعين ليتقوا أهوال يوم القيامة بالاستجابة إلى الدعوة الحقة والايمان بالله تعالى ورسوله وبكتابه وباليوم الاخر و بصالح الاعمال ...

رابعها - ان الايات الاربع التالية : ١١ - ١٦) تدليل على صحة البعث ، و تأكيد لأمر القيامة والرجوع إلى الله جل و علا للحساب والجزاء على طريق قسم رباني لصحة النذر القرآنية وبعدها عن الهزل والعبث ، فالمناسبة بين القسمين لما اقسم عليه من الرجوع بعد الموت والخروج من القبور ظاهرة .

خامسها - ان في الايات الثلاث الاخيرة إشارة إلى مواقف الكفار و طلاقة العنان والمكذبين بيوم البعث والحساب من الكيد ، وإنذارهم عليه بأن الله جل وعلا سيقابلهم على كيدهم وترك مراقبتهم على أنفسهم بكيد أيضاً بأن يأخذهم بالخزي و الذلة في الحياة الدنيا من حيث لا يشعرون ، وبالعذاب والنار في الآخرة وقد كانوا هم مكذبيهما وعيداً عليهم، مع التطمين للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من الايمان والتقوى وصالح الاعمال ...



﴿الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه﴾

فى الجامع لاحكام القرآن للقرطبى فى قوله تعالى: «فمهل الكافرين» الطارق: ١٧) قال: ثم نسخت بآية السيف: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» التوبة: ٥)

و فى تفسير الجلالين: فى الاية الكريمة: وقد أخذهم الله تعالى ببدر، و نسخ الإمهال بآية السيف أى الامر بالقتال والجهاد.

اقول: و هذا ليس بشىء لان الآية الكريمة بصدد التهديد و الوعيد الشديد على الكفار و المشركين بدليل الآية قبلها: «و أكيد كيداً»، و هذا لا يقبل النسخ. مع أن للنسخ شرائط عديدة كما أوردناها فى محله:

منها: أن لايكون الحكم السابق محدّداً بأمد، حيث ان الحكم المحدد يرتفع بنفسه عند إنتهاء أمده من غير حاجة إلى ناسخ. وفى الاية الكريمة نوع تحديد إذقال: «أمهلهم رويداً» أى قليلاً من الزمان.

و منها: أن لايطرأ الحكم عنوان ثانوى، فيختلف حكمه عن العنوان الأوّلى كالاضطرار والحرج والتقية و عدم القدرة، و العكس بالعكس، و ان رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يومئذ بظاهر الحال قادراً على قتال الكفار و المشركين فتدبر واغتنم. وغيرها من الشرائط...

واما التشابه: فلم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن فى هذه السورة آية متشابهة، فآياتها محكمات، والله جل وعلا هو أعلم.

﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١ـ(والسماء والطارق)

في « السماء » أقوال : ١ـ قيل : السماء : كل ما علاك فأظلك : ٢ ـ قيل : السماء هي العالم العلوى بكل ما فيه . ٣ ـ قيل : السماء : الاجواء الواسعة الحاملة لمواليد الكواكب . . ٤ـ قيل : على تقدير : برب السماء .

أقول وعلى الثالث جمهور المحققين .

و في « الطارق » أقوال : ١ـ عن إبن عباس و قتادة : الطارق : الكوكب البادى يجيىء ليلاً ، ومنه النجوم لطلوعها ليلاً ، وإنما سمى طارقاًلانه يرى ليلاً و يختفى نهاراً .

فالطارق : الكواكب النيرة في السماء على أن الطارق إسم جنس يعم جميع النجوم سمى بذلك لانه يطرق ليلاً .

٢ـ عن إبن زيد والفراء : الطارق : النجم وهو زحل وهو كوكب في السماء السابعة لايسكنها غيره من النجوم ، و هو طارق حين ينزل و طارق حين يصعد . ٣ ـ عن إبن زيد أيضاً : الطارق : هو الثريا . ٤ ـ عن إبن زيد أيضاً : الطارق : القمر . ٥ـ قيل : الطارق : هو كل ما يأتى ليلاً سواء كان نجماً أم غيره من الشهاب وغيره . فالطارق كل ما ينزل بالليل . و ذكر طروق الخيال في أشعار العرب كثير لان تلك الحالة تحصل في الأغلب ليلاً .

٦- عن إبن عباس أيضاً : الطارق كل ما يطرق في السماء من الكواكب أو الشهاب أو غيرهما . ٧- عن إبن عباس أيضاً : الطارق : هو الجدى . ٨- عن إبن عباس أيضاً : الطارق هو الذى ترمى بهالشياطين . ٩- قيل: الطارق : النجم الذى يقال له : كوكب الصبح . ومنه قول هند:

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

أى ان أبانا فى الشرف كالنجم المضيىء وقت الفجر.

١٠- قيل : الطارق: هو نجم خاص في السماء السابعة. ١١ -قيل : الطارق: هوما لايعرف على وجهمالايعرف علىوجه التحديد ، فانلفظ « الطارق » يحتمل معانى كثيرة . . . فكل ما طرق الانسان وجائه على غير إنتظار فهوطارقسواء أكان شخصاً أم حدثاً .١٢- قيل :الطارق :نجمخاص لم يعرفه الناس بعد ، يطرق نورهسماه إلى سبع سموات . . .

اقول : والاخير هو المروى .

٣- (النجم الثاقب)

فى « النجمالثاقب » أقوال : ١ - عن إبن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة عطاء والحسن : اريد بالنجم جنس النجم أى كل ما يظهر فى السماء من نجوم تثقب بضوئها أديم السماءالمعتم ويتوهّج . وعنالسدى : يثقبالشياطين إذا أرسل عليها . وعن عكرمة : هو مضيىء ومحرقللشياطين ، ومنهشهاب ثاقب . ٢- قيل :النجم الثاقب : هوالنجم القطبى الذى يثقب ظلمةالليل بضوئه المشعّ . فالمراد بالنجم الثاقب :هونجم واحد .وعن إبنعباسأيضاً : النجمالثاقبهوالنجمالمضيىء . ٣ - عنإبن زيد : النجم الثاقب : هو الثريا.

٤- قيل : اريد بالنجم الثاقب : الشهب الراصدة التى ترجم بها الشياطين ، وهى النيازك التى ترىساقطة من السماءإلى الارض فى الليل ، ثاقبةالظلام المنعقد بين السماء والارضوقيل : هذا هو الانسب لانه يتسق مع قوله تعالى بعد ذلك

: « ان كل نفس لما عليها حافظ » أى انه كما للسماء حفيظة تحفظها من أن تدخل الشياطين الجنية والانسية حماها كما يقول جل وعلا حكاية عن الجن : « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً » الجن ٨)

٥- عن الفراء : النجم الثاقب : هو القمر . ٦ - قيل : النجم الثاقب هو النجم المنير الذى يثقب الظلام ، ويهتدى به فى ظلمات البر والبحر ، ونقف به على أوقات الامطار وغيرها من أحوال يحتاج إليها الانسان فى معاشه ، و سمى ثاقباً لانه يخرق الظلمات بنوره و يثقب فى الظلام بضوئه كما سمى درّياً لانه يدرؤه أى يدفعه أو لانه يطلق من المشرق نافذاً فى الهواء كالشىء الذى يثقب الشىء .

٧- قيل : النجم الثاقب : هو زحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات .

٨- عن إبن زيد أيضاً : النجم الثاقب : هو النجم العالى على النجوم كلها ، فالنجم الثاقب هو النجم الذى قد ارتفع على النجوم كلها ، والعرب تقول للطائر إذا هو لحق ببطن السماء إرتفاعاً : قد ثقب . ثقب الطائر : إذا ارتفع وعلا .

أقول: والاخير هو المويد بالروايات الآتية من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

٢- (ان كل نفس لما عليها حافظ)

فى الايه الكريمة أقوال : ١ -- عن إبن عباس وقتادة: أى ان على كل نفس حفظة من الملائكة الذين يحفظون رزقه وعمله وأجله وقوله ، يحصون ما يكتسبه من خير وشر و من فلاح وخسران . . .

٢- عن قتادة أيضاً : أى قرين يحفظ على الانسان عمله : من خير أو شر .

٣- قيل : أى ان كل نفس إلاّ عليها حافظ يحفظها من السباع والآفات و الهوام والعذاب حتى يسلمها إلى القدر . و عن الكلبى والفراء : ان الحافظ من الله تعالى يحفظها حتى يسلمها إلى المقادير ... ٤- قيل : الحافظ هو كل زمان و

ومكان وعضو يحفظ على كل نفس أعمالها : خيرها وشرّها ، صالحها وفاسدها، صغيرها وكبيرها ... ٥ ـ قيل : الحافظ هو الله جل وعلا ، و هو الرقيب ، فلولا حفظة لها لم تبق .

٦ ـ قيل : الحافظ على الانسان عقله ، فانه يرشده إلى مصالحه ، ويكفّه عن مضارّه . و قيل : ان العقل وغيره وسائط، والحافظ في الحقيقة هو الله عزوجل ، فانه يقول : «فالله خير حافظاً» يوسف ٦٤) ويقول : « قل من يكلؤكم بالليل، والنهار من الرحمن » الانبياء : ٤٢)

فكل نفس يقوم عليها من كيانها ما يحفظ عليها وجودها ،وذلك بما أودع الخالق عزوجل فيها من قوى مادية و معنوية ، تجعل منها جميعاً أسلحة عاملة تحمي الانسان وتدفع عنه ما يعترض طريقه على مسيرة الحياة ، و ان أظهر حافظ يحفظ الانسان هو عقله الذي يميّز به الحق من الباطل ، الصدق من الكذب ، الخير من الشر ، السعيد من الشقي ، الصلاح من الفساد ، والخبيث من الطيب ...

٧ـ قيل : اريد بحفظ النفس حفظ ذاتها وأعمالها ، والمراد بالحافظ جنسه ، فتفيد ان النفوس محفوظة لاتبطل بالموت ولاتفسد حتى إذا أحيى الله جل وعلا الأبدان أرجع النفوس إليها ، فكان الانسان هو الانسان الدنيوي بعينه وشخصه ثم يجزيه بما يقتضيه أعماله المحفوظة عليه من خير أوشر ...

اقول : والاخير هو الأنسب بظاهر الاطلاق .

٥- (فلينظر الانسان مم خلق)

في « الانسان » قولان : أحدهما ـ عن مقاتل : اريد بالانسان : المكذب بالبعث .

ثانيهما ـ قيل اريد بالانسان : الجنس ، فيشمل لكل واحد من هذا النوع

اقول : و ما يظهر من سياق السورة و خاصة ختامها هو الانسب بالاول ، ولكن الثاني غير بعيد .

٦-(خلق من «ماء دافق)

في «ماء دافق» أقوال: ١- عن إبن عباس: أى من ماء مهراق في رحم المرأة يعني المني الذي يكون منه الولد. وعن الفراء والاخفش اتفاقا: اريد بالماء ماء الرجل فقط، و دافق بمعنى مدفوق كما يقال: سرّ كاتم أى مكتوم. والدفق: صبّ الماء دفقت الماء: صببته فهو ماء دافق أى مدفوق. فالمعنى: خلق الانسان من ماء مصبوب في رحم المرأة.

٢- عن الزجاج: أى من ماء ذى إندفاق فالدافق هو المندفق بشدة قوته والمنصب بدفع وسيلان وسرعة، وأراد ماءين: ماء الرجل وماء المرأة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما ماءً واحداً لامتزاجهما في الرحم وإتحادهما عند إبتداء تكوين الجنين، ومن ثم جعلهما ماء واحداً ولم يقل: من ماءين. ٣- عن إبن عباس أيضاً: دافق أى لزج.

اقول: والثاني هو المؤيد بظاهر السياق، وبالرواية الآتية.

٧- (يخرج من بين الصلب والترائب)

في «الصلب والترائب» أقوال: عن إبن عباس: الصلب من الرجل: ظهره، والترائب من المرأة موضع قلادتها. و عن إبن عباس أيضاً وقتادة وعطاء و سعيد بن جبير و إبن زيد ومجاهد: الصلب ظهر الرجل، والترائب: جمع التريبة، وهي صدر المرأة. ٢- عن إبن عباس أيضاً وعكرمة: الترائب ما بين ثدييها. و عن سفيان: الترائب، فوق الثديين. ٣ - عن إبن عباس أيضاً والضحاك: ترائب المرأة يداها ورجلاها عيناها. وقيل: الترائب: أطراف الرجلين و اليدين و العينين.

٤- عن سعيد بن جبير أيضاً: الترائب: الجيد. ٥- عن مجاهد: الترائب: هو ما بين المنكبين والصدر وهو أسفل من التراقي. وتقول العرب: الترائب: عظام

بين الصدر والنحر .

٦- عن إبن عباس و سعيد بن جبير أيضاً : الترائب أربع أضلاع من هذا الجانب ، والاضلاع هي أسفل الصلب . وعن الزجاج : ان الترائب أربع أضلاع من يمنة الصدر و أربع أضلاع من يسرة الصدر . ٧- عن عكرمة أيضاً : الترائب : عصارة القلب .

٨- قيل: الصلب : مخرج ماء في الرجل ، و الترائب : مخرج ماء المرأة . ٩- عن قتادة أيضاً : أي من بين صلبه ونحره . ١٠- قيل : الصلب : مافيه النخاع الشوكي الذي فيه مجمع الاعصاب ، فلو انكسر الصلب أو إصطدم لم يقدر الانسان على الجماع والتوليد ، فمنشأ النطفة الرجولية إنما هو الصلب ، وإن كان المني ينحدر منه دوماً إلى البيضتين : الخزانتين الاحتياطيتين ، و الماء الدافق يدفق من الصلب ، و الترائب ، و من خزينتي الاحتياط ، و علّها كمساعدة لنشوة الجنينين .

و الترائب : جمع تريبة وهي موضع القلادة من صدر المرأة ، فهي ضلوع صدرها أو مقاديم بدنها من الثديين إلى الوركين : استيحاء من جمع التريبة ، فالترائب إذاً هي مقاديمها كلها إبتداء من موضع القلادة وسوف نوافيكم في بحث فصل عن النطفة وتطوراتها في سورة العلق إن شاء الله تعالى.

١١- قيل: ان الصلب والترائب للرجل فقط ، وان الترائب هي التي أسفل الصلب. وهذا بناء على حكم التغليب، وإما بناء مذهب من لايرى للمرأة ماء ولاسيما دافقاً .

١٢- قيل: ماء الرجل مايخرج من بين الصلب ومادته من النخاع الآتي من الدماغ ، وماء المرأة مايخرج من عظام صدرها .

أقول : و على الاول جمهور المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

٨- (انه على رجعه لقادر)

في الاية الكريمة أقوال: ١- عن مجاهد والضحاك: ان الله تعالى على ردّ الماء في الاحليل لقادر. ٢- عن مجاهد والضحاك أيضاً وعكرمة: ان الله جل وعلا على ردّ الماء في الصلب والترائب لقادر.

٣- عن الضحاك أيضاً: ان الله تعالى على ردّ الانسان ماء كما كان لقادر. ٤- قيل: ان الله تعالى لقادر على رجع الانسان إلى ما كان قبل أن يكون ماء من طين أو تراب أو إلى مالم يك شيئاً.

٥- عن الضحاك أيضاً و مقاتل بن حيان: ان الله جل وعلا على ردّ الانسان مِن الكبر إلى الشباب، و من الشباب إلى الصبا، و من الصبا إلى النطفة لقادر.

٦- عن إبن زيد: انه على حبس ذلك الماء الدافق حتى لايخرج لقادر. ٧- عن عكرمة أيضاً وإبن عباس وقتادة والحسن والجبائي: ان الله على ردّ الانسان إلى الدنيا بعد بعثه يوم القيامة لقادر لان الكفار يسئلون الله تعالى يومئذ الرجعة إلى الدنيا.

٨- قيل: ان الله تعالى على إعادة الانسان بعد موته لقادر، و يعبّر عن هذه الاعادة بالرجعة إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

اقول: والسابع هو الانسب بظاهر السياق إذ يقول: «يوم تبلى السرائر» و إن كان الاخير غير بعيد.

٩- (يوم تبلى السرائر)

في الاية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي يوم القيامة تمتحن و تختبر تلك السرائر حتى يظهرها: خيرها من شرها، حسنها من قبيحها... إبلاء السرائر: إظهارها والسرائر: جمع السريرة وهي الطوية في النفس أو غيرها من أسرار و أفكار...

مما أسرّه الانسان أو أبداه، فتظهر الحقائق يومئذ بعد خفائها، و بالبلاء يظهر الخفاء، فلايبقى سرّ مما أسرّه الانسان أو أبداه يومئذ ، فتخرج السرائر المكنونة والمطوية عن ظلمات الاسرار بطوارق الأشهاد بارادة الله جل و علا ، فيبقى السر علانية والمكنون مشهوداً .

٢- عن قتادة : تختبر سرائر العباد ، فيظهر منها يوم القيامة ما كان في الحياة الدنيا مستخفياً عن أعين الناس من الفرائض التى كان الله تعالى ألزمه إياها و كلّفه العمل بها . و عن عطاء بن أبي رباح : السرائر هى الصوم والصلاة و غسل الجنابة .

٣- قيل: تخرج مخبآتها وتظهر ، و هو كل ما كان استسرّه الانسان من كفر أو ايمان ، من خلوص أو نفاق ، من خير أو شر ، و ما أضمره من صلاح أو إفساد . . .

٤- عن عبدالله بن عمر : يبدىء الله تعالى يوم القيامة كل سرّ ، ويكون زيناً في الوجوه ، وشيناً في الوجوه ، وذلك ان من أدى فرائض الله عزوجل كان وجهه مشرقا منوراً، ومن ضيّعها كان وجهه مغبراً. ٥- قيل: البلاء : التعرّف والتصفح، و السرائر : جمع السريرة وهي طوية الانسان ، فتنكشف يومئذ سرائره مما أخفاه في نفسه .

٦- قيل: تتضح الضمائر، ويتميّز الطيب من الخبيث، السعيد من الشقى ، المخلص من المنافق ، المصلح من المفسد ، والمفلح من الخاسر ، و المتواضع من المستكبر، والخاشع من المستبد ... فلايبقى لذوى الاعمال والعقائد ... إلاّ إنتظار الجزاء على ما قدموا ، فاما حلول في نعيم، وإما مصير إلى عذاب أليم .

اقول : ولكل وجه ، ولكن الاوجه هو التعميم .

١٠- (فماله من قوة ولاناصر)

فى الاية الكريمة أقوال ١ـ عن عكرمة : فمالهؤلاء الملوك الجبابرة ، و الحكام الطاغية والرؤساء الباغية والمستكبرين الظلمة و المستبدين الفجرة يوم القيامة من قوة تدفع عنهم أهواله ولاناصر ينصرهم من عذابه .

وعن سفيان : القوة: العشيرة والناصر: الحليف . ٢ـ عن قتادة : فليس لاحد من الانسان من قوة فى ذات نفسه يدفع بها العذاب عنه، ولاناصر من غيره يستنصره فى ذلك .

٣ـ قيل. فليس للانسان الكافر ، سواء كان سلطاناً جابراً أم حاكماطاغياً ؟ سواء كان عالماً فاسداً أم تابعاً خائناً ؟ سواء كان سفاكاً مفسداً أم هتاكاً باغياً ؟ وسواء كان رئيساً جانياً أومرؤساً مجرماً ؟؟؟ ليس له يوم القيامة من قوه يدفع بها عن نفسه أهواله وشدائده ، ولامن قدرة يمتنع بهاممايحل به من عذاب الله جل و علا، ولاناصر له ينصره من أليم النكال،ولا يعينه على الخلاص من الآلام... فيستنقذه مماناله بمكروه وقد كان فى الحياة الدنيا يرجع إلى قوة من عدده و عدده ، من نفسه و ماله و بنيه، ومن جاهه وإشتهاره ومتعلقاته ...

فلاتكون لأحد قوة على الافلات مماقدر له جزاء عمله إن كان مسيئاً ، و لا ناصر ينصره ، فيحميه مماحتم أن يقع عليه . وان القوة التى يدافع الانسان عن نفسه إمامن ذاته و قد نفاها بقوله :« فماله من قوة » وإمامن غيره وقد نفاها بقوله : « و لاناصر » .

اقول: وعلى الأخير جمهور المحققين .

١١ـ (والسماء ذات الرجع)

فى «ذات الرجع» أقوال: ١ـ عن إبن عباس و مجاهد و عكرمة و الضحاك و الخليل :أى ذات المطر، فان السماء ترجع كل سنة بمطر بعد مطر . و الرجع : المطر نفسه ، وقد يسمى المطر أيضاً أوباً كما يسمى رجعاً .

٢- قيل: الرجع: إعادة الشيء إلى حال أو مكان كان فيه أولاً . فسمي المطر بالرجع لكونه يعاد إلى الارض من السماء . و المعنى : اقسم بالسماء التي تفيض بمائها .

وقيل. سمي المطر رجعاً لانه خرج من الارض إلى السماء ثم يرجع إليها من السماء على أن السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعها إليها. وقيل : سمي المطر رجعاً لان الله تعالى يرجعه وقتاً فوقتاً أو على سبيل التفاؤل .

٢- قيل: أي ذات الماء الذي تردّده السماء بالرياح التي تمرّ عليه في السماء.

٣- قيل: الرجع : نبات الربيع . فاقسم جل و علا بالسماء التي تقيم معاش العباد بنبات الارض .

٤- قيل : أي ذات النفع لما في السماء من المنافع التي ينتظرها المخاطبون ، إذ تبدّل بمطرها جدبهم خصباً، وتعيد موات أرضهم حياً، ويصير بذلك لهب صحرائهم هواء عليلاً ، وتهدي بنور كواكبها أهل الارض في البر و البحر . . .

٥- عن عبدالرحمن بن زيد: ان الشمس والقمر و النجوم يرجعن في السماء تطلع من جانب ، وتغيب في جانب آخر. وقيل: أي رجع مايظهر للحس من سيرها بطلوع الكواكب بعد غروبها ، وغروبها بعد طلوعها . ٦- قيل: أي ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد ...

٧- عن إبن عباس أيضاً والحسن وقتادة : رجع السماء إعطاءها الخير الذي يكون من جهتها حالاً بعد حال على مرور الازمان ، فترجع بالغيوم و الغيث ، و أرزاق العباد كل عام، وترجع إعطاؤها الخير حالاً بعد حال ومرّة بعد مرة و وقتاً بعد وقت .

٨- عن إبن عباس أيضاً: أي ذات السحاب الممطر لعوده كل حين، و يرجع ويتكرر ٩- قيل: إن لون السماء يكون في الليل سوداء، فترجع في النهار زرقاء وهكذا . ١٠- قيل. أي ترجع السماء إلى ما كانت من دخان :« يوم تأتي السماء

بدخان مبين»

أقول: والاول هو المروى .

١٢- (والارض ذات الصدع)

فى «ذات الصدع» أقوال : ١- عن إبن عباس وقتادة والضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة والسدى والحسن وإبن زيد: أى ذات النبات بانشقاقها عن النبات فى كل عام. ٢- عن مجاهد: أى ذات الطرق التى تصدعها المشاة ٣- قيل: أى ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشور ، فتنشق الارض يوم القيامة .٤- عن إبن زيد أيضاً: أى ذات الحرث لانه يصدعها . ٥- قيل: الصدع: الجبلان بينهما شق وطريق .

أقول: والاول هو المروى .

١٣- (انه لقول فصل)

فى الآية الكريمة أقوال : ١- قيل: ان الضمير راجع إلى القرآن الكريم المستفاد من سياق الكلام . والمعنى : ان القرآن هو الفاصل بين الحق والباطل، و بين الخير والشر . ٢- قيل: ان الضمير راجع إلى ماتقدم من الوعيد :« انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر» بأن هذا الذى اخبرتكم به من قدرتى على الرجع كقدرتى على الابداء قول حق .

فالمعنى : ان الوعيد بالبعث والاحياء بعد الموت للحساب والجزاء قول فصل أى مقطوع به لاخلاف ولاجدال ، ولامراء ولاريب فيه .

٣- عن إبن عباس : أى ان هذا القرآن لقول حق. ٤- قيل: أى ان هذا القرآن ومن جملته ماتلى من الآيات الناطقة لمبدأ حال الانسان ومعاده لقول فصل. ٥-عن قتادة : أى ان القرآن لقول حكم .

أقول: والاول هو المروى .

١٤- (وأكيد كيداً)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- قيل : أى أجاز الكافرين و أذنابهم جزاء

كيدهم ، واقابلهم بكيدى فى إعلاء كلمة الحق وإنتشار نوره وأنصر رسولى وأجعل كلمتى هى العليا ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى ، وقد سمى مجازاتهم كيداً منه للتجانس فى اللفظ كما قال جل وعلا : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » فالله تعالى يكيد بتسجيل أعمالهم وإملائهم على كفرهم ومعصيتهم ، بالختم على قلوبهم وعدم تأييدهم للخير إذ تركوه عمداً ، وعدم الفصل بينهم وبين شرّهم إذ اقترفوه عمداً ، فأمهلهم ليزدادوا إثماً لا عن عجز أو قصور ، ولا عن جهل أو فتور ، فسمى جزاء الكيد بالاستدراج والامهال المؤدى إلى زيادة الاثم الموجبة لشدة العذاب كيداً.

٢- قيل: أى هو ما أوقع الله جل وعلا بهم يوم بدر من القتل والاسر ، فيقتلهم بالسلاح الذى يحاربون به كلام الله ، فانهم يدبرون بالليل ، فيأخذهم الله جل وعلا من حيث لا يشعرون. ٣- قيل: كيد الله إستدراجهم من حيث لا يعلمون . والمعنى: أحتال عليهم بعين أعمالهم بالاستدراج والاملاء والاضلال بالطبع على قلوبهم وجعل الغشاوة على سمعهم وأبصارهم إحتيالاً أسوقهم به إلى عذاب يوم القيامة .

٤- قيل: أى اريد أمراً آخر على ضدّ ما يريدون وأدبر ما ينقض تدابيرهم ، ومكايدهم فسمى ذلك كيداً من حيث يخفى ذلك عليهم ، فيبطل كيدهم ومكرهم ويردّ سهامهم إلى نحورهم .

اقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

١٧- (فمهل الكافرين امهلهم رويداً)

فى «رويداً» أقوال: ١- عن إبن عباس أى قريباً. ومعنى الاية: أخّرهم ولا تسئل الله تعجيل إهلاكهم وارض بما سيدبّره فى امورهم ، فأمهلهم غير مستعجل لهم العذاب. اريد به يوم بدر. فأجل الامهال يوم بدر . ٢- عن قتادة: أى قليلاً . والمعنى: أمهل الكافرين إمهالاً قليلاً ، فلا تعجل فى طلب هلاكهم بل اصبر عليهم قليلاً ، فان الله تعالى مجزيهم لامحالة إما بالقتل والاسر والذلة فى الحياة الدنيا ، وإما بالخزى والنار والعذاب فى الاخرة .

٣- قيل: أى اتركهم لأجل ما أولمهلة ما زمناً قليلاً. والمراد به يوم القيامة. والمعنى: إنتظر بهم يا محمد ولا تعاجلهم وارض بتدبير الله تعالى فيهم إذ ليس أيامهم إلا أياماً قليلة يقضونها فى دنيا حتى يلقاهم اليوم الذى يوعدون وحيث يأخذهم عذاب الله جل وعلا ، وليس لهم من دون الله من ولىٍّ و لا نصير ، فمهلهم مدى حياة التكليف دون جزاء وفاق، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل. ٤- قيل: أى سهلاً يسيراً. والمعنى: وانظرهم للموعد الذى هو وقت حلول النقمة بهم سهلاً يسيراً.

٥- قيل: أى أمهلهم آناً قليلاً . ٦- قيل: أى مهّلهم إلى دولة القائم عليه السلام و أمهلهم إلى نار البرزخ .

أقول: وعلى الثانى جمهور المفسرين وهو الانسب لانه يعم التحذير عن مثل سيرتهم ويتم الترغيب فى خلاف طريقهم .



«التفسير والتأويل»

١-(والسماءوالطارق)

اقسم بكل سماءمن السموات السبع، وبالنجم الذي يطرق نوره سماءأسماءاً حتى يصل إلينا .

وما يظهر من إطلاق السياق : ان السماء تشمل لكل سماء من سموات السبع ...

كقوله تعالى : « ان الله لايخفى عليه شيء في الارض و لا في السماء » آل عمران : ٥)

وقوله : « ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولافي السماء و لا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » يونس : ٦١)

وقوله : « يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب » الانبياء : ١٠٤)

وقوله : « يدبّر الامر من السماء إلى الارض » السجدة : ٥)

و قوله : « و هو الذي في السماء إله و في الارض إله » الزخرف : ٨٤)

وقد أقسم الله عزوجل بالنجم الذي يطرق نوره لتقرير الحقائق المشكوك فيها والمرتاب فيها ، وهو ان على كل نفس حافظاً.

كقوله تعالى : « فلااقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم » الواقعة : ٧٥ ـ ٧٧) وما ورد في المقام فمن باب التأويل فتأمل

جيداً .

٢- (وما أدراك ما الطارق)

وأىّ شىء أعلمك يا محمدما الطارق! ولم يبيّن بعد ، ما هو ؟

وفى الاية الكريمة كناية عن جلالة قدر الطارق ، وعظم منزلته وفخامة أمره ، و رفعة شأنه ، سواء كانت الجلالة .. له بذاته أم باعتبار ماله من النور و الكبر ، أو لما فيه من المنافع و الفوائد لأهل الارض : بحرها وبرّها ، سهلها و جبلها ، إنسانها وحيوانها ، جمادها و نباتها ومعادنها... ولمافيه من الآثار فى تكامل أهل الارض ونموّها ورشدها . . .

نظيرها فى الجلالة و الفخامة قوله تعالى : « و ما أدراك ما عليون » المطففين : ١٩)

وقوله : « وما أدراك ماليلة القدر » القدر : ٢)

وقوله : « وما أدراك ما يوم الفصل » المرسلات : ١٤)

٣- (النجم الثاقب)

الطارق هو النجم الذى يعلو على النجوم كلها ،ويطرق سماءاً سماءاً حتى يضيىء سماء الدنيا ، و يثقب بنوره الأجواء الواسعة و الظلمات إلى أن يصل إلينا نوره .

و يستفاد من سياق الاتصال و الترابط ، و من وصف النجم بالثقب : ان للسماء حفيظة تحفظها من تدخل شياطين الجن و الانس حماها ، حفيظة للملأ الا على أن يستّمع إليهم كما يقول جل وعلا : « إنازينا الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد لايسّمعون إلى الملأ الا على و يقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب إلاّ من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » الصافات : ٦- ١٠) فيثقب بوقعه كيان الشياطين مسترقى السمع .

ويقول : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين »

الملك : ٥)

كما أن على كل نفس حافظاً يحفظها من الآفات والحوادث و الاعداء ... مالم يوجد الانسان أسباب وقوعها على نفسه قبل مجيىء أجله بسوء إختياره : من البغى والفساد ، والظلم والاستبداد ومن هتك الاعراض وقطع الصلة . . .

٤-(ان كل نفس لما عليها حافظ)

ما من أحد من بنى آدم إلا وعليه رقيب أمين يحفظه من الآفات و العاهات والسباع والهوام ، والحوادث والوقائع والمكاره والاعداء . . . حتى يسلمه إلى القدر ، رقيب يراقبه فى أطوارها وجوده حتى ينتهى أجله ، فلم تترك سدى ولم ترسل مهملة ، وحافظ يضبط حركاته وسكناته و يكتب أقوال و أعماله :خيرها وشرها ، صالحها وفاسدها ، صغيرها و كبيرها . . . فسيحاسب عليها يوم القيامة إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً .

قال الله تعالى : « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفّته رسلنا وهم لايفرّطون » الانعام : ٦١)

و قال : « له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمرالله » الرعد: ١١)

وقال : « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد) ق : ١٧ - ١٨)

و قال : « و ان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » الانفطار : ١٠ - ١٢)

٥- (فلينظر الانسان مم خلق)

فعلى كل إنسان عامة ، و كل كافر بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الآخر خاصة ، أن ينظر بعقله نظر إعتبار ؛ من أىّ شيء خلق بعد أن علم أنه مخلوق ؟ هل خلق هو نفسه ؟ أم خلقه مثله ؟ أم خلق صدفة من غير خالق : « أم خلقوا من

غير شيء أم هم الخالقون » الطور : ٣٥)

أن ينظر نظر تفكر في مبدأ خلقه من أية مادة خلق ؟ « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً - أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً » مريم : ٩ - ٦٧)

أن ينظر نظر إستدلال كيف صار إنساناً كاملاً ، و أعضائه و شكله وقدرته و إرادته وعقله : « وصوركم فأحسن صوركم » التغابن : ٣) و« لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » التين : ٤) ليعرف خالقه ، و يتضح له قدرته وعظمته و علمه وحكمته وليعلم أن الله جل وعلا إذا كان قادراً على إنشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو على إعادته أقدر : « وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » الروم: ٢٧)

فينتهي ذلك لامحالة إلى الايمان بالله تعالى وبكتابه رسوله ﷺ وباليوم الآخر ، فليعمل بما به يسر حين الاعادة .

٦- (خلق من ماء دافق)

خلق هذا الانسان من ماء ذي إندفاق من الرجل والمرأة في رحمها ، فالماءان يختلطان ، فيصبحان ماء و احداً، فيستقر في رحم المرأة، فيتولد منهما الجنين باذن الله جل وعلا .

قال الله جل وعلا : « إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج » الانسان : ٢)

وقال : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » المؤمنون : ١٢ - ١٣)

و قال : « أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » يس : ٧٧)

٧- (يخرج من بين الصلب والترائب)

يخرج هذا الماء الدافق من بين صلب الرجل، وهو وعاء المني في ناحية

ظهر الرجل ، ومن ترائب المرأة ، وهي وعاء المني في صدرها،فيخرج الماءان منهما و يختلطان فيصبحان ماء و احداً ، فيستقرّ في رحم المرأة ، فالماء الذي يخلق منه الانسان هوماء الرجل و المرأة معاً حين يلتقيان في رحم المرأة إذ يتكوّن الجنين نتيجة لتلقيح نطفة الرجل لبيضة المرأة .

٨ـ (انه على رجعه لقادر)

ان الذي خلق هذا الانسان إبتداء من هذا الماء الدافق من بين الصلب و الترائب للسعي و العمل والتكامل في الحياة الدنيا ، فهو قادر أن يردّه حياً ـ كما خلقه أوّل مرة ـ بعد موته يوم القيامة للحساب والجزاء .

قال الله عزوجل : « فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أوّل مرة » الاسراء : ٥١)

و قال : « قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرة ـ أو ليس الذي خلق السموات و الارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى و هو الخلاّق العليم » يس : ٧٩ ـ ٨١)

وذلك لان القدرة على النشأة الاولى تشهد بالقدرة على الثانية لان القدرة على شيء قدرة على مثله إذحكم الامثال فيما يجوز و فيما لايجوز واحد : « ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة » لقمان : ٢٨)

فمن اعترف بالاولى وأنكر الثانية فقد أثبت الشيء ونفاه في آن واحد ومن جهة واحدة .

فان هذا الماء لايختلف ـ في تقدير الانسان ـ عن هذا التراب الذي يبعث منه الانسان بعد موته ، كلاهما شيء بعيد عن صورة الانسان ، فما أبعدما بين الانسان وبين الماء والتراب ، فلايعجز عنه جل وعلا

قال الله عزوجل : « كما بدأنا أوّل خلق نعيده » الانبياء : ١٠٤)

وقال : « كما بدأكم تعودون » الاعراف : ٢٩)

بل الاعادة أهون من الخلق إبتداء بلاسبق صورة و شكل ، و إن كان لا يتصور ذلك في الله جل وعلا .

قال الله تعالى : « و هو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه و له المثل الاعلى في السموات والارض » الروم : ٢٧)

٩- (يوم تبلى السرائر)

يوم الرجوع يوم يخرج كل ما انطوى في سريرة الانسان ينكشف ماأسر الانسان في القلوب : من العقائد الحقة أو الباطلة ، و ما أخفاه فيها : من النيات الحسنة أو السيئة ، وما أضمره في الصدور : من الخلوص أو النفاق و الرياء ، و وما احتفظ فيها من أسرار . . . فلايبقى سر إلا ظهر على الملأ ، و انقلب جهراً بلاجدال ولاحجاج يوم الحساب والجزاء ، كما يظهر يومئذ كل ما اخفى وأعلن من الاعمال : خيرها وشرها ، صالحها وفاسدها ، صغيرها و كبيرها ...

قال الله عز و جل : « هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله » يونس : ٣٠)

وقال : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » البقرة ٢٨٤)

و قال : « أفلايعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير » العاديات : ٩- ١١)

وقال : « ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور » هود : ٥)

وقال : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء » آل عمران : ٣٠)

١٠- (فماله من قوة ولاناصر)

فليس للانسان الكافر ومن إليه من أهل النفاق سواء كان تابعاً مستضعفاً أم متبوعاً مستكبراً ؟ رئيساً مستبداً أم مرؤساً مجرماً ؟ عالماً فاسداً أم جاهلاً عاصياً ؟

غنياً ظالماً أم فقيراً منحرفاً ؟ وسواء كان ذكراً فاسقاً أم انثى طلاقة العنان ؟؟؟

ليس لأحد منهم يوم القيامةمن قوة فى ذات نفسه يدفع بها عن نفسه أهوال القيامة وشدائدها ، وفزعهاوعذاب النار وأليمها، ولا ناصر من خارج نفسه ينصره فيستنقذه مما ناله من مكروه أو عذاب ، فياله من ضعف مضاعف حين تتكشف أسراره فى نهاية المطاف ، و عند إنقطاع الأعمال و الآمال . . . إذ كل إنسان مشغول بما هو فيه .

قال الله عزوجل : « ولويرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً أن الله شديد العذاب » البقرة : ١٦٥)

وقال : « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين» الصافات : ٢٧-٣٤)

وقال : « ألا ان الظالمين فى عذاب مقيموما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله » الشورى : ٤٥ - ٤٦)

وقال : « فانظر كيف كان عاقبة الظالمين و جعلنا هم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون » القصص : ٤٠- ٤١)

وقال : « ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم و لا أولادهم من الله شيئاً واولئك هم وقود النار - ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغيرحق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم اولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين » آل عمران : ١٠- ٢٢)

وقال : « وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار و مالكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً و غرتكم الحياة الدنيا فاليوم لايخرجون منها و لا هم يستعتبون » الجاثية : ٣٤-٣٥)

وقال : «و نادى أصحاب الاعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم و ما كنتم تستكبرون» الاعراف : ٤٨)

وقال : «وأما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه» الحاقة : ٢٥ـ ٢٩)

و قال : «ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار و لن تجد لهم نصيراً» النساء : ١٤٥)

وقال : «يوم يفرّ المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل إمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» عبس : ٣٤ـ٣٧)

١١ـ (والسماء ذات الرجع)

اقسم بالسماء ذات المطر، وترجع كل سنة بمطر بعد مطر، وبأرزاقها العباد فى كل عام، وباعطاءها الخير حالاً بعد حال ووقتاً بعد وقت .

قال الله عزوجل : «الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعملون» البقرة : ٢٢)

وقال : «ألم تران الله يزجى سحاباً ثم يؤلّف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزّل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه عن من يشاء» النور : ٤٣)

وقال : «وفى السماء رزقكم وما توعدون» الذاريات :٢٢)

١٢ـ (والارض ذات الصدع)

واقسم بالارض ذات النبات ، فان الصدع هو إنشقاق الارض بالنبات لانواع الزرع والاشجار والثمار التى تقيم بها امور معاش الناس وحياتهم وحياة أنعامهم،

، وفي ذلك آيات لقوم يؤمنون .

قال الله تعالى : « فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة و أباً متاعاً لكم ولانعامكم » عبس : ٢٤- ٣٢)

و قال : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة » الحج : ٦٣)

وقال : « فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير » الروم : ٥٠)

وقال : « وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » يس : ٣٣ - ٣٥)

١٣- (انه لقول فصل)

أقسم الله جل و علا بالسماء والارض ؛ ان هذا القرآن الكريم الذى جاء به محمد رسول الله الخاتم ﷺ لقول من عندالله عزو جل يفصل بين الحق و الباطل ، بين الايمان والكفر ، بين الخير و الشر ، بين الصدق و الكذب ، بين الصدق والكذب ، بين الصلاح و الفساد ، بين السعادة و الشقاء ، بين الاخلاص و النفاق ، بين الحسن و القبيح ، بين الطاعة والطغيان ، بين الهداية والضلالة بين الحلال والحرام ، بين العدل والجور ، و بين الفلاح والخسران . . . بالبيان عن كل واحد منها و مبالغ في ذلك كأنه نفس الفصل من قبيل زيد عدل .

قال الله تعالى : « أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتينا هم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين » الانعام : ١١٤)

و قال: « ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون»

الاعراف: ٥٢)

وقال: «وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى

بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين» يونس: ٣٧)

وقال: «ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء

و هدى ورحمة لقوم يؤمنون» يوسف: ١١١)

١٤- (وما هو بالهزل)

وليس هذا القرآن الكريم بالباطل و اللعب والعبث، ولامما لاتقصد به

دلالاته، ولا تعنى معانيه، و إنما هو الجد والحق.

وان الهزل هو: ضد الجدّ. والمراد بنفى الهزل: قول جد، فليس فى شىء

منه شائبة هزل بل كله جدّ محض لاهوادة فيه، فللغواة أن يهدى به، ولرقاب

العتاب أن تخضع لديه.

قال الله تعالى: «والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق» الفاطر: ٣١)

وقال: «تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين» السجدة: ٢)

وقال: «ان هذا لهو حق اليقين» الواقعة: ٩٥)

وقال: «وانه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل

من حكيم حميد» فصلت: ٤١ - ٤٢)

وقال: «ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون

قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون» الزمر: ٢٧ - ٢٨)

١٥- (انهم يكيدون كيداً)

ان الكفار الفجرة، والطغاة المستبدة، والفسّاق الظلمة، والبغاة المستكبرة

أعداء الله جل وعلا و أعداء البشرية هم يدبّرون فى الخفاء الدسائس والمؤامرات

ضدّ النبي الكريم ﷺ والدين الحق ، وضد الوحي السماوي وأهل التقوى و اليقين في كل وقت ومكان .

هؤلاء البغاه يمكرون بأنواع المكر في إطفاء نور الله عز وجل ، ويعملون بأنحاء الكيد في إبطال أمر رسوله ﷺ و الدعوة الالهية حسبما كانوا قادرين على ذلك وليسوا بقادرين ، ويحتالون بأنواع الحيل في دفع الحجج و إنكار الايات ، ويمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف هذا القرآن الكريم ، ويستقبلون هذا القول الفصل ، وهذا الوحي السماوي بالمماحكة و الجدال ، و ينصبون الشراك له ، ويقيمون المعاثر في طريقه ليصدّوا الناس عنه .

انهم في حرب مع الحق وأهله، يكيدون له بكل مايقدرون عليه مجتمعين أوفرادى ، وهم قد يتظاهرون بالمخالفة ، يطعنون تارة في القرآن الكريم بأنه من الهزل ، وانه من أساطير الاولين ، وتارة اخرى في رسول الله ﷺ بأنه مجنون ساحر كذّاب بما يخبرهم به ، و انه مجنون أو شاعر ، و ثالثة يلقون الشبهات على عوام الناس . . .

قال الله تعالى : « و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون و يمكر الله و الله خير الماكرين و إذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلاّ أساطير الاولين » الانفال: ٣٠-٣١)

وقال : « و كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلاّ بأنفسهم وما يشعرون» الانعام : ١٢٣)

وقال : « وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » يوسف :١٠٢)

وقال : « واصبر وما صبرك إلاّ بالله ولاتحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» النحل : ١٢٧ -١٢٨)

وقال : « و إن تصبروا وتتقوا لايضرّكم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط» آل عمران : ١٢٠)

١٦- (واكيد كيداً)

واوهن كيد أهل الكفر والطغيان كيداً لايشعرون إذ اجازيهم جزاء كيدهم خزياً وهواناً و ذلة فى الحياة الدنيا ، وخزياً فى الدار الآخرة ، و إن كنا نملى لهم ، و نستدرجهم من حيث لايعلمون عاقبة كفرهم وعصيانهم ، وجرمهم وطغيانهم ، و ضلالهم و إستبدادهم . . .

قال الله عزوجل : « وان الله موهن كيد الكافرين » الانفال : ١٨)

وقال : « والذين كذّبوا بآياتناسنستدرجهم من حيث لايعلمون واملى لهم ان كيدى متين » الاعراف : ١٨٢-١٨٣)

وقال : « أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون » الطور : ٤٢)

وقال : « وما كيد الكافرين إلاّ فى ضلال » غافر : ٢٥)

وقال : « يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم و من الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك - لهم فى الدنيا خزى و لهم فى الاخرة عذاب عظيم » المائدة : ٤١)

وقال : « إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم و أرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » المائدة : ٣٣)

١٧- (فمهل الكافرين أمهلهم رويداً) .

فمهّل يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم الكافرين الفجار ، والمستبدين الطغاة ، وأخّر أمرهم ، واستقم كما امرت وسر فى دعوتك واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ، فانانستمهلهم ليزدادوا إثماً ، أمهلهم إمهالاً قليلاً سيأتيهم ما أوعدهم الله جل و علا به ، سترى ما يحل بهم من الخزى والذلة والنكال فى الحياة الدنيا ، ومن الهوان و العذاب

والنار في الدار الآخرة ، فكل ما هو آت فهو قريب ، فما عذاب ربك من الظالمين ببعيد : « نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ » لقمان : ٢٤)

قال الله تعالى : « فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبسوا إلاّ ساعة من نهار » الاحقاف : ٣٥)

وقال : « فلذلك فادع واستقم كما امرت » الشورى : ١٥)

وقال : « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » الطور : ٤٨)

وقال : « فلا تعجل عليهم إنما نعدّ لهم عداً » مريم : ٨٤)

وقال : «واصبر على مايقولون و اهجرهم هجراً جميلاوذرني والمكذبين اولي النعمة و مهّلهم قيلاً » المزمل : ١٠ ـ ١١)

وقال : « فامليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب » الرعد :٣٢)

وقال : « ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين » آل عمران : ١٧٨)

ان الله جل وعلا يمهل من في صميمه الكفر و الطغيان ليزدادوا غياً و جهالة ، كأن النعم المتوافرة عليهم تواكبهم في مسيرهم إلى البغي والضلال و الجرم والاستبداد ، فيحسبوا انهم على هدى ، وانهم يحسبون صنعاً .

قال الله عزوجل : « انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله و يحسبون انهم مهتدون » الاعراف : ٣٠)

وقال : « الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً اولئك الذين كفروا بآيات ربهم و لقائه فحبطت أعمالهم » الكهف : ١٠٤ ـ ١٠٥)

وقال : « فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدّهم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون » المؤمنون : ٥٤ـ ٥٦)

وقال : «و انهم ليصدونهم عن السبيل و يحسبون أنهم مهتدون »الزخرف :٣٧)

ان الله تعالى يفعل بالكافرين المعاندين ما يستحقون من عقوبة عاجلة ، و كاد يشبه فعل المخادع الذى يحاول خداع غريمه ،و الكافرين هم الذين ينخدعون بوفرة النعمة عليهم لفرط حمقهم و شدة جهالتهم ، و ليس الله عزوجل بالذى حاول خدعه .



جملة المعانى

٥٩٣٢- (والسماء والطارق)

اقسم بكل سماء من السموات السبع ، و بالنجم الذى يطرق نوره سماءاً سماءاً حتى يصل إلينا .

٥٩٣٣- (وماادراك ماالطارق)

وأىّ شيء أعلمك أيها النبى الكريم ﷺ ماالطارق ؟

٥٩٣٤- (النجم الثاقب)

الطارق هوالنجم الذى يعلو على النجوم كلها ، نجم يثقب بنوره الأجواء الواسعة و الظلمات إلى أن يصل إلينا نوره .

٥٩٣٥- (ان كل نفس لما عليها حافظ)

مامن نفس آدمى إلاّ عليها حافظ من الله عز و جل يحفظها من الآفات حتى ينتهى أجله، و يحفظ أعمالها : خيرها وشرها، صالحها وفاسد، و صغيرها و كبيرها..

٥٩٣٦- (فلينظر الانسان مم خلق)

فعلى الانسان أن ينظر بعقله نظر إعتبار ! من أىّ شيء خلق بعد أن علم انه مخلوق ؟

٩٥٣٧- (خلق من ماء دافق)

خلق هذا الانسان من ماء ذى إندفاق .

٥٩٣٨- (يخرج من بين الصلب والترائب)

يخرج هذا الماء المندفق من بين صلب الرجل ، وترائب المرأة .

٥٩٣٩- (انه على رجعه لقادر)

ان الله جل وعلا الذى خلق هذا الانسان من هذا الماء الدافق لقادر على رجع هذا الانسان بعد موته للحساب و الجزاء .

٥٩٣٠- (يوم تبلى السرائر)

يوم الرجوع هو يوم يخرج كل ما انطوى الانسان فى سريرته وما عمل به فى الحياة الدنيا ...

٥٩٣١- (فماله من قوة ولا ناصر)

فليس للانسان الكافر يومئذ من قوة فى نفسه يدفع عنها أهوال القيامة، ولا ناصر من خارج نفسه، فيستنقذه من عذابها .

٥٩٣٢- (والسماء ذات الرجع)

اقسم بالسماء ذات المطر تمطر مرة بعد مرة .

٥٩٣٣- (والارض ذات الصدع)

واقسم بالارض ذات النبات متاعاً للانسان ولأنعامه ...

٥٩٣٤- (انه لقول فصل)

ان هذا القرآن الكريم الذى يتلى عليكم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقول من عند الله جل وعلا يفصل بين الحق و الباطل .

٥٩٣٥- (وماهو بالهزل)

و ليس هذا القرآن بما لا تقصد دلالاته و لا تعنى معانيه ، فانما هو الجدّ و الحق .

٥٩٣٦- (انهم يكيدون كيداً)

ان الكافرين يحتالون فى إطفاء نور الحق بأنواع الحيل .

٥٩٣٧- (واكيد كيداً)

واوهن كيد الكافرين كيداً لايشعرون .

٥٩٢٨- (فمهل الكافرين أمهلهم رويداً)

فمهّل أيها الرسول ﷺ الكافرين مرة بعد مرة، أمهلهم إمهالاً قليلاً حتى يحل بهم الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .



﴿ بحث روائي ﴾

في العلل: باسناده عن الضحاك بن مزاحم قال: سئل علي عليه السلام عن الطارق ؟ قال: هو أحسن نجم في السماء ، وليس يعرفه الناس، وإنما سمي الطارق لانه يطرق نوره سماءاً سماءاً إلى سبع سموات ثم يطرق راجعاً حتى يرجع إلى مكانه .

و في رواية : نهى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن يطرق الرجل أهله طروقاً أي يأتيهم فجأة بالليل وقال صلى الله عليه وآله وسلم « إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقنّ أهله ليلاً » . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يطرق أهله ليلاً ، وكان يأتيهم غدوة أو عشية .

و في رواية اخرى : وهي تشتمل على الدعاء : « أعوذ بك من شر طورق الليل والنهار إلاّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن »

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « والسماء والطارق » قال: الطارق : النجم الثاقب و هو نجم العذاب ، و نجم القيامة و هو زحل في أعلى المنزل .

وفيه: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : « والسماء والطارق » قال: السماء في هذا الموضع : أمير المؤمنين ، والطارق : الذي يطرق الائمة من عندالله مما يحدث بالليل و النهار ، و هو الروح الذي مع الأئمة يسدّدهم ، قلت : « والنجم الثاقب » ؟ قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي الخصال: باسناده عن أبان بن تغلب ، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام

إذدخل عليه رجل من أهل اليمن ، فسلّم فردّ عليه السلام فقال له : مرحباً بك ياسعد ، فقال له الرجل: بهذا الاسم سمّتني امي ، وماأقل مايعرفني به! فقال له أبوعبدالله عليه السلام: صدقت ياسعد المولى ، فقال له الرجل: جعلت فداك بهذا كنت القّب، فقال له أبو عبدالله عليه السلام :لاخير في اللقب ان الله تبارك و تعالى يقول في كتابه :« ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعدالايمان »

ماصنعك ياسعد ؟ فقال : جعلت فداك أنامن بيت ننظر في النجوم لانقول: إن باليمن أحداً أعلم بالنجوم منا ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام فمازحل عندكم في النجوم ؟ فقال اليماني نجم نحس ، فقال أبوعبدالله عليه السلام: مه لاتقولن هذا فانه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الاوصياء عليهم السلام ، وهو النجم الثاقب الذي قال الله عز و جل في كتابه، فقال له اليماني: فمايعني بالثاقب؟ قال: ان (لان خ) مطلعه في السماء السابعة ، وانه ثقب بضوئه حتى أضاء السماء الدنيا (في السماء السابعة الدنيا خ) فمن ثم سماه الله عزوجل النجم الثاقب .

و في تفسير القمي :في قوله تعالى :« ان كل نفس لما عليها حافظ» قال: الملائكة.

وفي الجامع لاحكام القرآن :وقال أبوامامة : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبّون عنه مالم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة أملاك يذبّون عنه كما يذبّ عن قصعة العسل الذباب، ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين »

و في تفسير القمي :في قوله تعالى :« خلق من ماء دافق » قال : النطفة التي تخرج بقوة .

وفيه: في قوله تعالى:« يخرج من بين الصلب والترائب » قال: الصلب للرجل ، والترائب للمرأة وهي عظام صدرها.

قيل: ان الرواية على إضمارها وإرسالها لاتخلو من شيء.

وفي الاحتجاج: قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام سئل عبدالله بن صوريا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أخبرني يامحمد! الولد يكون من الرجل أو المرأة؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل، وأما اللحم والدم والشعر فمن المرأة: قال: صدقت يامحمد، ثم قال: فمابال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء ويشبه أخواله، وليس فيه من شبه أعمامه شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له، فقال: صدقت يامحمد... الحديث.

و في البحار: سئل الامام الصادق عليه السلام عن الميت! يبلى جسده؟ قال: نعم حتى لايبقى لحم ولا عظم إلاّ طينته التي خلق منها، فانها لاتبلى، تبقى مستديرة في القبر حتى يخلق منها كما خلق أوّل مرة»

وفي المناقب: لابن شهر آشوب قدس سره بالاسناد عن محمد الصير في و عبدالرحمن بن سالم قال: دخل أبو حنيفة على الصادق عليه السلام فقال عليه السلام له: البول أقذر أم المنيّ؟ قال: البول، قال: يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المنيّ وقد أوجب الله الغسل من المني دون البول، ثم قال: لأن المني إختيار و يخرج من جميع الجسد، و يكون في الايام، و البول ضرورة و يكون في اليوم مرات (و هو مختار والاخر متولج خ) قال أبو حنيفة: كيف يخرج من جميع الجسد و الله يقول: «من بين الصلب و الترائب»؟ قال أبو عبدالله عليه السلام: فهل قال: لايخرج من غير هذين الموضعين؟ ثم قال عليه السلام: لم لاتحيض المرأة إذا حبلت؟ قال: لاأدري قال عليه السلام: حبس الله الدم فجعله غذاء للولد... الحديث.

أقول: سيأتيك البحث تفصيلا فيما خلق منه الانسان فانتظر.

و في تفسير القمي: في قوله تعالى: «انه على رجعه لقادر» قال: كما خلقه من نطفة يقدر أن يردّه إلى الدنيا، وإلى يوم القيامة، وقوله: «يوم تبلى السرائر

»قال: يكشف عنها .

و في المجمع: والسرائر : أعمال بنى آدم ، والفرائض التي أوجبت عليه و هي سرائر بين الله والعبد، وتبلى أي تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتى يظهر خيرها من شرها، ومؤديها من مضيعها روى ذلك مرفوعاً عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : ضمن الله خلقه أربع خصال : الصلاة والزكاة وصوم رمضان و الغسل من الجنابة وهي السرائر التي قال الله: «يوم تبلى السرائر»

و في الدر المنثور : أخرج البيهقي في شعب الايمان عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : ضمن الله خلقه أربعة : الصلاة والزكاة وصوم رمضان و الغسل من الجنابة، وهن السرائر التي قال الله :«يوم تبلى السرائر ». ولعله من قبيل ذكر بعض المصاديق ... كما تؤيده الرواية الآتية عن المجمع

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي: وقد ثبت في الصحيحين عن إبن عمر ان رسول الله ﷺ قال:« يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال: هذه غدرة فلان بن فلان»

وفي المجمع: عن معاذ بن جبل قال: سئلت رسول الله ﷺ : ما هذه السرائر التي تبلى بها العناد في الاخرة ؟ فقال: سرائر كم هي أعمالكم من الصلاة والصيام و الزكاة والوضوء والغسل من الجنابة، و كل مفروض لأن الاعمال كلها سرائر خفية ،فان شاء قال الرجل : صليت ولم يصل، وإن شاء قال: توضأت ولم يتوضأ فذلك قوله: «يوم تبلى السرائر »

و في مصباح الشيخ : الطوسي قدس سره في- خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام خطب بها يوم الغدير ، وفيها يقول - :« ان هذا يوم عظيم الشأن - إلى قوله - : ويوم كمال الدين ، هذا يوم ابلاء السرائر» .

و في تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير في قولة : « فماله من قوة ولا ناصر» قال: ماله من قوة يهوى بها على خالقه ، ولا ناصر من الله ينصره ان أراد به

سوءاً «والسماء ذات الرجع» قال: ذات المطر «و الارض ذات الصدع» أى ذات النبات.

وفى الجامع لاحكام القرآن: عن على رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كتاب فيه خبر ماقبلكم وحكم مابعدكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضلّه الله»

وفى المجمع: فى قوله تعالى: «انه لقول فصل» قال: هذا جواب القسم يعنى ان القرآن يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما. وروى ذلك عن الصادق عليه السلام.

وفى تفسير القمى: فى قوله تعالى: «انه لقول فصل» قال: يعنى ماض أى قاطع «وماهو بالهزل» أى ليس بالسخرية «انهم يكيدون كيداً» أى يحتالون الحيل «وأكيد كيداً» فهو من الله العذاب «فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً» قال: دعهم قليلاً.

وفى الدر المنثور: عن الحارث الأعور قال: دخلت المسجد فاذا الناس قد وقعوا فى الأحاديث، فأتيت علياً فأخبرته، فقال: أوقد فعلوها؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: انها ستكون فتنة قلت: فما المخرج منها يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم وحكم مابينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله من ابتغى الهوى فى غيره أضلّه الله و هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذى لاتزيغ به الاهواء، و لايشبع منه العلماء ولاتلتبس منه الألسن، ولايخلق من الردّ، ولاتنقضى عجائبه هو الذى لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به اجر ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم.

و فى تفسير القمى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله تعالى: « انهم يكيدون كيداً» قال: كادوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكادوا علياً وكادوا فاطمة عليهم السلام فقال الله : يامحمد« انهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين » يا محمد « أمهلهم رويداً» لوقد بعث القائم عليه السلام ، فينتقم لى من الجبارين والطواغيت من قريش وبنى امية وسائر الناس .



﴿ بحث فقهي ﴾

ويستدل بقوله تعالى: « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق » الطارق: ٥-٦) على وجوب النظر والتفكر على الانسان العاقل الذى يستطيع أن يتفكر فيما خلق منه ، على أن الامر للوجوب ، مع أن المعرفة بما خلق منه الانسان من المقدمات الموجبة للايمان بالله عز وجل وبكتابه ورسوله و باليوم الآخر ، و ان مقدمة الواجب واجبة ، وخاصة في الاصول الدينية ...

ومن المعلوم ان المراد من «ماء دافق » هو المني ، وهو من الانسان نجس لا يجزي فيه إلا الغسل عندنا خرج عن إختيار أم لا سواء كان من رجل أم من إمرأة ، بالأدلة الأربعة من الكتاب والسنة والاجماع والعقل :

اما الكتاب : فيدل عليه قوله تعالى : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان » الانفال: ١١) على أن المراد من رجز الشيطان هو المني، وعليه أكثر المحققين من المفسرين .

ودلالة الآية الكريمة على نجاسة المني من وجهين : أحدهما - ان الرجس والرجز والنجس بمعنى واحد لقوله تعالى : « والرجز فاهجر » وقوله : « واجتنبوا الرجس » . ثانيهما - ان الله عز و جل أطلق عليه إسم التطهير و هو في الشرع إزالة النجاسة .

و أما وجوب الغسل مطلقاً فلقوله تعالى : « و إن كنتم جنباً فاطهروا » المائدة : ٦) وقوله : « ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا » النساء: ٤٣) خرج

المنى من الرجل أم من المرأة لقوله عزوجل: « يخرج من بين الصلب والترائب » الطارق : ٧)

وأما الروايات الواردة فكثيرة :

منها: مافى الجعفريات باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن امرت المقداد يسئله وهو يقول ثلاثة أشياء: منى و مذى وودى - إلى أن قال - : وأما المنى فهو الماء الدافق الذى يكون منه الشهوة ففيه الغسل .

و منها: ما فى التهذيب باسناده عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال : سئلته عن المذى يصيب الثوب ، فقال : ينضحه بالماء إن شاء و قال : فى المنى يصيب الثوب قال: إن عرفت مكانه فاغسله وإن خفى عليك فاغسله كله .

ومنها : مافى فروع الكافى باسناده عن إبن أبى يعفور عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن المنى يصيب الثوب ، قال : إن عرفت مكانه فاغسله ، و إن خفى عليك مكانه فاغسله كله .

ومنها : مافى التهذيب باسناده عن على بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : سئلته عن الرجل يلعب مع المرأة ويقبلها ، فيخرج منه المنى فما عليه قال : إذا جائت الشهوة ودفع وفتر لخروجه (بخروجه خ) فعليه الغسل ، و إن كان إنما هو شىء لم يجد له فترة ولا شهوة فلا بأس .

ومنها: مافيه عن أبى عبدالله عليه السلام قال : يخرج من الاحليل المنى والمذى والودى والوذى ، فأما المنى فهو الذى تسترخى له العظام ويفتر منه الجسد و فيه الغسل ، وأما المذى فيخرج من الشهوة ولاشىء فيه وأما الودى فهو الذى يخرج بعد البول ، و أما الوذى فهو الذى يخرج من الادواء ولاشىء فيه. و غيرها من الروايات الوادة فى أبوابها . . .

وأما ماورد من الاخبار مما يدل بظاهره على طهارته إمامطلقاً أو إذا كان

جافاً فمأول أو مطروح أو محمول على التقية ، و هذا ممالاريب فيه .

واماالاجماع فعلى حدّ التحصيل فضلاً عن النقل إذ لم ينقل الخلاف عن أحد فى نجاسته عند أصحابنا الشيعةالامامية الاثنى عشرية .

وأما منى غير الانسان من كل حيوان له دمسائل مأكولاً أم غير مأكول ، برّياً كان أم بحرياً فالمشهور على نجاسته بل فى الحدائق انه لم يعرف فيه خلاف بين الأصحاب بل عن الذكرة الاجماع عليه ، و إن كان المنساق من إطلاق أدلة نجاسته المستفادة من الامر بغسل الثوب الذىأصابه كما فىالصحيح وغيره خصوص منى الانسان ، وكذا الظاهر من تشديده و جعله أشد من البول كما فى الصحيح الاخر ... إرادة الشدة بالنسبة للازالة من جهة لزجته وثخانته لانجاسته ليعم غير المأكول فضلاً عن المأكول .

لكن الذى يسهّل الخطب إطلاق معاقد الاجماعات بلالتصريح بهعن بعض مدعيه كالعلامة فى محكى التذكرة وغيره لكل حيوان لهنفس سائلة مع اعتراف جماعة بعدم إستفادته من إطلاق الاخبار ، فهذامما يوجب الوثوق والاطمئنانبانه ليس كبعض الاجماعات المستندة إلىالاخبار الواردة فىالمسئلة فيشكلالتمسك بهامع التوقف فىدلالتها ، فيخصّص بهعموم مادلعلى طهارة مايخرج مما يؤكل كالموثق وغيره مماورد فىلباس المصلى .

نعملا إطلاق لمعقده بالنسبة إلىمنى مالانفس له لعدم الخلاف صريحاً فى طهارته ولامتردد فيهاإلاّ المحقق فى المعتبر ، وإن استظهر بعده الطهارة ، وقد عرفت فقد العموم بالنسبة إلى غير الانسان فضلاً عنمطلق مالانفس لهفى الأدلة اللفظية و بالجملة ، فليس علىنجاسة المنى مماعدا الانسان من الحيوان الذى لهنفس سائلة سوىالاجماع دليل ، ولكنه لابأس بالقول بنجاسته للاجماع المذكور وعدمالخلاففى تجاسته منذى النفسالسائلة مطلقاً .

وأماالمذى والوذى والودى فطاهر من كل حيوان إلاّ نجسالعين، و كذا

رطوبات الفرج والدبر ماعداالبول والغائط .

ويستدل بقولهعزوجل :« انهم يكيدون كيداً » الطارق : ١٥) على حرمة الكيد علىجميع أنحائه ... منالخدعة والحيلة والجساسة ... للتهديد المطلقمن اللهجلو علابالكيدفي قوله سبحانه : « وأكيد كيداً » الطارق : ١٦)جزاءو فاقاً وأماالعقل فلافكاك بينهو بين الشرع فتأملجيداً واغتنم جداً .



﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد استدلّ بعض المفسرين بقوله جل وعلا: « انه على رجعه لقادر» الطارق: ٨) على صحة الرجعة بأن الانسان بعد موته يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة
اقول : وهذا إحدى الاقوال المحتملة فراجع، وقد سبق منا ان ما يستفاد من السياق ان الآية الكريمة بصدد الاعادة والبعث يوم القيامة .

وقد اتفقت الشيعة الامامية الاثنى عشرية على وجوب رجعة كثير من الاموات إلى الحياة الدنيا على صورهم التى كانوا عليها ، قبل يوم القيامة ، فيعزّ منهم فريقاً ويذلّ فريقاً، ويديل المحقين من المبطلين ، والمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند قيام المهدى الحجة بن الحسن العسكرى من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، مستدلين بكثير من الآيات القرآنية والروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحى المعصومين عليهم السلام أوردناها فى بحث الرجعة فراجع ، و اغتنم جداً .

﴿ الانسان وما خلق منه ﴾

قال الله جل وعلا : « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب » الطارق : ٥ ـ ٧)

وقد اشير في القرآن الكريم بمواضع عديدة إلى ما خلق منه الانسان بعد طيّ مرحلة الجمادية من التراب والطين، يلفت نظره إليه ، وقد يعبّر عنه بالماء تارة ، وبالنطفة تارة اخرى ، وبالمنيّ ثالثة ، و لعلّ النكتة في اختلاف التعابير: ان الاولى تشير إلى سيلان هذه المادة ، والثانية إلى قلتها، والثالثة إلى تقديرها.

قال الله عزوجل : « وهو الذى خلق من الماء بشراً » الفرقان :٥٤)

و قال : « الذى أحسن كل شيء خلقه و بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه » السجدة : ٧ ـ ٩)

وقال : « ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم» المرسلات : ٢٠ـ٢٢)

وقال : « أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » يس :٧٧)

وقال : « ألم يك نطفة من منيّ يمنى » القيامة : ٣٧)

وقال : « من أيّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره » عبس : ١٨ ـ ١٩)

وقال : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » المؤمنون : ١٢ ـ ١٣)

وقال : « وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تمنى » النجم : ٤٥ _ ٤٦)

وقال : « نحن خلقناكم فلولاتصدّقون أفرأيتم ما تمنون ء أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » الواقعة : ٥٧ _ ٥٩)

ولا يخفى على القارىء الخبير ما بين النطفة والمنى من الفرق :ان قولك : النطفة يفيد أنها ماء قليل، والماء القليل تسمّيه العرب نطفة ، ويقولون : هذه نطفة عذبة أى ماء عذب ، ثم كثر إستعمال النطفة فى المنى حتى صار لايعرف باطلاقه غيره، وقولنا : المنى يفيد أن الولد يقدر منه وهو من قولك : منى الله له كذا أى قدره ومنه المنا الذى يوزن به لأنه مقدر تقديراً معلوماً .

قال الله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق » ليعرف مادة خلقه وما ضيه ، و يعرف مصيره ومرجعه ، فلينظر من أيّة مادة خلق من ماء و يخرج بدفق من بين صلب والده وترائب والدته ، فاذا تزوّج الماء ان واختلطا : «إناخلقنا الانسان من نطفة أمشاج »الانسان : ٢) فأصبحاماءاًواحداً ، فعندئذ يتكوّن منه الجنين .

وما كانت البشرية _ طوال تاريخها_ لتعرف ان الجنين مخلوق من هذين المائين، وقد كانت تزعم انه من ماء أبيه أوالذكر من الذكر ،والانثى من الانثى حتى نزل القرآن الكريم فنطق بصراح ان الجنين ذكراً أو انثى يتكوّن من المائين إلى أن اكتشف علمياً فى منتصف القرن الأخير: ان فى عظام الظهر الفقارية يتكوّن ماء الرجل ، وفى عظام الصدر العلوية يتكوّن ماء المرأة ، فاذا إلتقى الماء ان فى قرار مكين يتكوّن الجنين .

وحقاً :انه اذافكّر الانسان فيما خلق منه ، وكيف صار إنساناً كاملاً بصورته وسيرته ، بشكله وإرادته ، وبقدرته وعقله ، إنتهى لامحالة إلى الايمان بالله جل وعلا وعلمه وحكمته وتدبيره وعظمته وجلاله وقدرته ، و إلى الاعتراف بعجز نفسه وضعفه وجهله . . .

فيجب على الانسان أن ينظر بعقله و يتدبر فيما خلق من ماء مندفق لا تصوير فيه، من منيّ يمنى من الرجل ، وفيه جرثومة حية دقيقة لا ترى إلاّ بالآلة المعظمة « الميكرسكوب » و لا تزال تجرى حتى تصل إلى جرثومة نظيرتها من جرائيم المرأة ، وهي البويضة ، و متى التقت الجرثومتان إتحدتا ، و كوّنتا جرثومة الجنين .

وعن بعض المتخصصين في معرفة الجنين والعلم بكيفية تكوين الحمل انه قال :

« ان في الايات المفرؤة وما شاكلها من الآيات القرآنية سراً من أسرار التنزيل ، ووجهاً من وجوه الاعجاز ، إذ فيها معرفة حقائق علمية تأخر العلم بها ، والكشف عن معرفتها و إثباتها أربعة عشر قرناً .

وذلك ان صلب الانسان هو عموده الفقرى (سلسلة ظهره) و ترائبه هي عظام صدره ، ويكاد معناها يقتصر على الجدار الصدرى السفلي . وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسّر لنا هذه الايات التي حيّرت الالباب ...

ذاك انه في الاسبوع السادس والسابع من حياة الجنين في الرحم ينشأ فيه ما يسمى (جسم وولف وقناتة) على كل جانب من جانبى العمود الفقرى ، ومن جزء من هذا تنشأ الكلى و بعض الجهاز البولي ، ومن جزء آخر تنشأ الخصية في الرجل والمبيض في المرأة ، فكل من الخصية و المبيض في بدء تكوينهما يجاور الكلى ، ويقع بين الصلب والترائب أي ما بين منتصف العمود الفقرى تقريباً ومقابل أسفل الضلوع .

ومما يفسّر لنا صحة هذه النظرية ان الخصية والمبيض يعتمدان في نموّهما على الشريان الذى يمدّهما بالدم ، وهو يتفرّع من الشريان الأورطى في مكان يقابل مستوى الكلى الذى يقع بين الصلب والترائب ، و يعتمدان على الاعصاب التي

تمدّ كلاً منهما ، وتتصل بالضفيرة الاورطية ثم بالعصب الصدرى العاشر ، وهو يخرج من النخاع من بين الضلع العاشر والحاديعشر ، و كل هذه الاشياء تأخذ موضعها فى الجسم فيما بين الصلب والترائب .

فاذا كانت الخصية والمبيض فى نشأتهما ، وفى إمدادهما بالدم الشريانى ، وفى ضبط شؤنهما بالاعصاب قد اعتمدتا فى ذلك كله على مكان فى الجسم يقع بين الصلب و الترائب ، فقد استبان صدق ما نطق به القرآن الكريم ، وجاء به رب العالمين ، ولم يكشفه العلم إلاّ حديثاً بعد أربعة عشر قرناً من نزول هذا الوحى السماوى .

هذا و كل من الخصية و المبيض بعد كمال نموّه يأخذ فى الهبوط إلى مكانه المعروف ، فتهبط الخصية حتى تأخذ مكانها فى الصفن ، و يهبط المبيض حتى يأخذ مكانه فى الحوض بجوار بوق الرحم ، وقد يحدث فى بعض الأحيان ألاتتم عملية الهبوط هذه فتقف الخصية فى طريقها ، ولاتزال إلى الصفن ، فتحتاج إلى عملية جراحية حتى تصل إلى وضعها فى الموضع الطبيعى .

هذا والانسان يبدأ حياته جنيناً ، والجنين يتكوّن من تلقيح بويضة تخرج من المبيض مندفقة نحو بوق الرحم بالحيوان المنوى الذى تفرزه خصية الرجل ، و يكون التلقيح فى الغالب فى داخل أحد البوقين أو فيهما معاًثم تسير البويضة فى طريقها إلى الرحم حتى تستقر فى قرار مكين إلى أجل مسمى .

قال الله عزوجل : « ونقرّ فى الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى » الحج : ٥)

هذا إذا صادفها أحد الحيوانات المنوية،وأماإذا أخطأها التلقيح ، فتكون ضمن الافرازات الرحمية التى تطردفى خارج الجسم ، و مما يلاحظ ان افراز البويضات عند المرأة هو عملية فسيو لوجية شهرية لاعلاقة لها بالاجتماع الجنسى ، غيرأن - هذا الاجتماع ضرورى لعملية التلقيح بالحيوان المنوى يسبح فى ماء الرجل .

ومماسبق تعلم أن الماء الدافق من كل من الرجل والمرأة ، أماماء الرجل فيتكون من الحيوانات المنوية ، وسواحل اخرى تفرزها الخصية والبروستاتة ، ، و الحويضات المنوية ، و هذه السوائل كلها جعلت مباءة و مستقراً للحيوان المنوى الذى بدونه لايتم التلقيح .

وهكذا الحال فى البويضات التى يفرزها مبيض المرأة، فانها بعدان تكون فى المبيض على شكل حويصلة صغيرة تسمى حويصلة(جراف) تنمو وتبلغ أشدها فى نحو شهر حتى تقترب من المبيض ، ثم تنفجر كما تنفجر الفقاعة ، وتندفع منها البويضات مع السائل الذى خرج من الفقاعة إلى البوق حيث يقابلها حيوان منوى يقوم بعملية التلقيح ، و كلاالمائين ماء الرجل ، و ماء المرأة دافق أى ينصب مندفعاً ، وهذا هو الحاصل فعلاً ، ومن هذا يتبين بوضوح ان الانسان خلق ونشأمن الماء الدافق - ماء الرجل و أهم ما فيه الحيوان المنوى ، و ماء المرأة وأهم ما فيه البويضة - الذى ينصب مندفعاً من عضوين : هما الخصية و المبيض . و منشوءهما وغذاؤهما وأعصابهما كلها بين الصلب والترائب .

وقد ثبت فى علم الأجنة ان البويضة ذات الخلية الواحدة تصير علقة ذات خلايا عدة ، ثم تصير العلقة مضغة ذات خلايا أكثر عدداً ثم تصير المضغة جنيناً صغيراً وزعت خلاياه إلى طبقات ثلاث يخرج من كل طبقة منها مجموعة من الانسجة المتشابهة في أول الامر ، فاذا تم نموها كونت جسم الانسان .

وإذا هدى الفكر الانسانى إلى كل هذافى مادة خلق منها سهل له أن يصدق بما جاء به الشرع و هو البعث فى اليوم الاخر للحساب و الجزاء بما عمل فى الحياة الدنيا لان خلق الانسان من أجزاء منتشرة متفرقة في الكون ، فالماء متولد من الأطعمة التى يتناولها الانسان ، فجمعها الله عز وجل ، ثم جمع الابوين ، ثم جمع مائيهما فى مكان واحدثم خلق منه هذا الانسان ، وليس فى إعادته مثل ذلك فهى أهون .

فقال : « انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر » الطارق : ٨ ـ ٩)
وقال : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » يس :٧٩)
وقال : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » الروم : ٢٧)
ومن البديهى: انا إذا قلنا : ان النطفة صارت إنساناً ، ليس معناه :ان النطفة باقية مع الصورة الانسانية حتى يكون الشيء الواحد نطفة و إنساناً ،ولاان النطفة بطلت كليتها و خلق الانسان بكليته فلاتكون النطفة قد خلق منها الانسان ، ، فليس إلاّ ان الجوهر الذى فيه الهيات التى بها صارت النطفة نطفة ، بطلت عنه صورة النطفة ، وحصلت فيه الصورة الانسانية ،و كذلك إذا صار الماء هواء وغيره .



كلام المتقدمين في المني

واعلم أن كلمات المتقدمين في المقام مختلفة طويلة لافائدة لذكر جميعها، فنشير إلى أهمها :

فمن محققيهم: من قال : مبدأ عقد الصورة في منيّ الذكر ، ومبدأ إنعقادها في منيّ الانثى ، وهما بالنسبة إلى الجنين كالانفحة واللبن بالقياس إلى الجبن .

و منهم : من قال : ان لكل من المنيّين قوة عاقدة وقابلة ، وإن كانت العاقدة في الذكوريّ أقوى، والمنعقدة في الانوثيّ أقوى ، و رجّح ذلك بأنه لولم يكن كذلك لم يمكن أن يتحدا شيئاً واحداً ، ولم ينعقد منيّ الذكر حتى يصير جزءاً من الولد .

و منهم : من قال : و لهذا إذا كان مزاج الانثى قوياً ذكورياً كما تكون أمزجة النساء الشريفة النفس ، القوية القوى ، و كان مزاج كبدها حاداً كان المنيّ المنفصل من الكلية اليمنى مقام منيّ الرجل في شدة قوة العقد ، والمنفصل من اليسرى مقام منيّ الانثى في قوّة الانعقاد ، فينخلق الولد باذن الله ، و خصوصاً إذا كانت النفس متأيّدة بروح القدس متقوّمة به بحيث يسرى إتصالها به إلى الطبيعة والبدن ، ويغيّر المزاج، ويمدّ جميع القوى في أفعالها بالمدد الروحاني، فتصير أقدر على أفعالها بما لا ينضبط بالقياس .

كما وقع للصديقة مريم بنت عمران عليها السلام حيث تمثّل لها روح القدس بشراً سويّ الخلق حسن الصورة، فتأثر نفسها به، فتحرّكت على مقتضى الجبلة، وسرى

الأثرمن الخيال في الطبيعة ، فتحركت شهوتها ، فأنزلت كما يقع في المنام من الاحتلام .

ومنهم : من قال : ان نفوذ إرادة الله سبحانه وقدرته في أمر لايتوقف على حصول تلك الاسباب العادية ، حتى يتكلف أمثال تلك التكلفات التي ربما إنتهى القول به إلى نسبة امور إلى النساء المقدسات المطهرات لايرضى الله بها، والكف عنها أحوط وأحرى .

و منهم :من قال : إن إبتداء خلقة الجنين هو حصول الماء في الرحم، وشبه بالعجين إذا الصق بالتنور ، ثم يتغير عن حاله قليلاً ، ويشبه بالبذر إذا طرح في الارض ، ويسمى نطفة ، ثم تحصل فيه نقط دموية من دم الحيض و يسمى علقة، ثم يظهر فيه حمرة ظاهرة منه ، فيصير شبيهاً بالدم الجامد، ويعظم قليلاً، و يهيج فيه ريح حارة ويسمى مضغة ،ثم يتم ويتميز فيه الاعضاء الرئيسة الثلاثة وهي: القلب والكبد و المخ ، و يظهر لسائر الاعضاء رسوم خفية و يسمى جنيناً ، ثم يظهر فيه رسوم سائر الاعضاء و يقوى ويصلب و يجرى فيه الروح ، و يتحرك و يسمى صبياً ، ثم تنفصل الرسوم وتظهر الصورة وينبت الشعر ثم ينفتح لسانه و تتم خلقته، وتكمل خلقة الذكر قبل خلقة الانثى، وإذا كمل لم يكتف بمايجيئه من الغذاء من دم الحيض ،فيتحرك حركات صعبة قوية، وانتهكت رباطات الرحم ، فكانت الولادة

و منهم: من قال : ان الرحم موضوعة فيما بين المثانة والمعى المستقيم ، و هي مربوطة برباطات على هيئة السلسلة، وجسمها عصبي ليمكن إمتدادها وإتساعها وقت الولادة والحاجة إلى ذلك ، وتنضم إذا استغنت ، ولها بطنان ينتهيان إلى فم واحد، وزائدتان تسميان قرني الرحم (فرطي الرحم خ) وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة وهما أصغر من بيضتي الرجل ، وأشد تفرطحاً (والمفرطح : العريض) ومنهما ينصب مني المرأة إلى تجويف الرحم ، و للرحم رقبة منتهية إلى فرج المرأة . وتلك الرقبة من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل، فاذامترج مني الرجل

بمنىّ المرأة من تجويف الرحم كان العلوق ، ثم ينمى من دم الطمث ، و يتصل بالجنين عروق تأتى إلى الرحم ، فتغذوه حتى يتمّ ويكمل، فاذا لم يكتف بما يجيئه من تلك العروق يتحرك حركات قوية طلباً للغذاء، فيهتك أربطة الرحم التى قلنا: انها على هيئة السلسلة ويكون منها الولادة .

واعلم أنهم اتفقوا على أن المنىّ يتولّد من فضلة الهضم الرابع فى الاعضاء قال بقراط فى كتابه فى المنىّ : إن جمهور مادة المنىّ هو من الدماغ ، فانه ينزل منه إلى العرقين اللذين خلف الاذنين، ثم منهما إلى النخاع لئلاّ يبعد من الدماغ، وما يشبهه مسافة طويلة ، فيغيّر مزاجه ، ثم منه إلى الكليتين بعد نفوذه فى العرقين الطالعين المتشمّين من الأجوف إلى العروق التى تأتى الانثيين . ولهذا قيل : إن قطعهما يقطع النسل .

وحكى عن بقراط: ان الصقالبة إذا أرادوا أن يربوا أولادهم للدعوة أو للناموس بتروا منهم هذين العرقين ، فينقطع هذا المقطوع العرق عن الجماع ، ويصير بصورة النساء، فيتبرّكون به ويتوسّلون به إلى الله تعالى، ويرون أن دعائه مستجاب ،وأن الله قد اصطفاه واختاره وطهّره من الخبائث ! وجالينوس أنكر ذلك و خطّأ قول بقراط .

و قال الشيخ : أنا أرى أن المنىّ ليس يجب أن يكون من الدماغ وحده، وإن كانت خميرته منه، و صحّ ما يقوله بقراط من أمر العرقين، بل يجب أن يكون لمن كل عضو رئيس عين ، ومن الاعضاء الاخرى ترشّح أيضاً إلى هذه الاصول .

وقال القرشى فى شرح القانون: إنما يكون تولّد المنىّ من الرطوبة المبثوثة على الاعضاء كالطل، ومعلوم أنه ليس فى كل عضو من الاعضاء مجرى يسيل فيه ما هناك من تلك الرطوبة إلى الانثيين ثم إلى القضيب، فلا يمكن أن يكون وصولها إلى هناك إلاّ بأن تتبخّر تلك الرطوبة من الاعضاء حتى تتصعّد إلى الدماغ تفارقها الحرارة المتبخّرة فتبرد وتتكاثف فتعود إلى قوامها قبل التبخّر، ثم من هناك ينزل

إلى العروق التي خلف الاذنين ، وينفذ إلى النجاع في عروق هناك لئلاّ يتغيّر عن التعدّل الذى أفاده الدماغ ، فلا يتبخّر بالحرارة كرّة اخرى ، فاذا نزلت من هناك حتى وصلت إلى قرب الانثيين صادف هناك عروقاً واصلة من الكليتين إلى الانثين، وتلك العروق مملوءة من الدم، فتتسخّن في الكليتين وتعدل، فيحيله ذلك النازل من الدماغ إلى مشابهه بعض الاستحالة،ثم بعد ذلك ينفذ إلى الانثيين ويكمل فيهما تعدّله وبياضه ونضجه، ومنهما يندفع إلى أوعيته .

وأيّد ذلك بما نقل من كتاب منسوب إلى هرمس في سرّ الخليقة قد فسّره بليناس ، وهو أن المنيّ إذا خرج من معادنه عند الجماع إئتلف بعضه إلى بعض ، و سماء إلى الدماغ ، وأخذ الصورة منه، ثم نزل في الذكر وخرج منه .

وقال شارح الاسباب :مادة المنيّ يأتي من الكبد إلى الكليتين في شعب من الأجوف النازل ، ويتصفّى فيهما من المائية، ثم منهما إلى المجرى الذى بينهما وبين الانثيين ، وهو عرق كثير المعاطف و الاستدادات ليطول المسافة بينهما ، فينضج فيه المنيّ ويبيضّ بعد إحمراره ثم منه إلى الانثيين ، فهما يعينان على تمام تكوّن المني باسخانها الدم النافذ في هذه العروق .

وقالوا: ونبت من الانثيين وعاءان مثل البربخين شبيهين بجوهر الانثيين يصعدان أولاً إلى العانة وإلى معلق البيضتين، ثم ينزلان متورّبين إلى عنق المثانة أسفل من مجرى البول ، ثم يتصلان إلى المجرى الذى في أصل القضيب ، و يسمّى هذان الوعاءان أوعية المني، وهذان في الرجال أطول و أوسع منهما في النساء، و في القضيب مجار ثلاثة : مجرى المني ، ومجرى البول ، و مجرى الودى ، كذا ذكر الشيخ في القانون .

وقال صاحب ترويح الارواح : في القضيب مجريان: إحداهما مجرى البول و الودى والآخر مجرى المني .

قولهم: « البربخين» البربخ : منفذ الماء ومجراه ، وهو الاردبة والبالوعة من

الخزف . والذى ثبت فى علم الفسيولوجيا : ان فى منى الرجل حيوانات صغيرة جداً
تسمى « إسبرماتوزوئيد » وان المرأة تبيض كل شهر فى الرحم ، وتخرج بيضاتها بدم
الحيض . فاذا وصل منى الرجل باحدى تلك البيضات ، إجتمع الاسبرماتوزوئيد
حولها، ودخل أقواها فيها، وربما دخل الاثنان أو أكثر معاً ، فيتعدد الجنين وعند
ئذ يحصل للبيضة حالة لايمكن معها دخول سائر الاسبرماتوزوئيدات ، و بعد ذلك
لايزال ينشأ وينمو ويتزايد بصيرورته بالانفصال إثنين ثم أربعة، وهكذا ، ثم يظهر
فيه نقطتان حمروان احديهما موضع القلب و الاخرى موضع المخ ، ثم يظهر
رسوم الاعضاء ثم صورها حتى يكتمل جميع الاعضاء وينفخ فيها الروح .



﴿المنى وتكون الاعضاء﴾

ان المنى رطوبة تخرج من وعاء المنى مع لذة ودفق ، ويكون سبباً لوجود حيوان ، و تكون رائحته شبيهة بالطلع.

وغزارة المنى من كثرة الدم و البرودة ، و قلة الدم والبرودة و رقته من غلبة الرطوبة وغلظته من غلبة البرودة، وحدّته من غلبة الحرارة وعدمها من عدمها ، و صفرته و حمرته من ضعف الانثيين ، و بردهما المفرط المانع من التغيير من كثرة الجماع ، وعدم فرصة الطبيعة لتغيير الدم ، فتدفعه على ما هو عليه وشدة دفقه من قوة الدافعة ، وضعفه من ضعفها ، وشدة الالتذاذ فى دفعه من جهة الحرارة ، وأما المذى فمن غلبة الحرارة و الرطوبة وقلته من قلتهما ، وهو رطوبة تجذبها الطبيعة إلى الاحليل عند توجه النفس ، والحرارة إلى آلات التناسل ، فتشايعها الرطوبة الموجودة فى تلك الحوالى ، و يخرج من الاحليل من غير إرادة كالدمعة من العين .

وإن العضل المحركة للذكر زوجان : زوج يمتدّ عضلتاه عن جانبى الاحليل ، فاذا تمدّد تاوسعتا مجراه و بسّطاه ، فاستقام المنفذ و جرى فيه المنى بسهولة ،وزوج ينبت من عظم العانة ، ويتصل بأصل الذكر على وراب فاذا اعتدل تمدّده إنتصبت الآلة مستقيمة ، وإن اشتدّ اما لها إلى خلف ، و ان عرض الامتداد إلى أحدهما مال إلى جهته .

وقد قال الاخصاء المحققون من القدماء : إن مبدأ حدوث الاعضاء المفردة

كالعظم والغضروف و الرباط والعصب والوتر و الغشاء واللحم والشحم والسمين و الاوردة و الشرايين . . . عن المنى لكنها تغتذى وتنمى بالدم الذى يفصل عن المرأة فى الاقراء بأن يستحيل إلى مشابهة جوهر المنى ويصير غذاء منمياً لها ، فان المنى لايفى بتكميلها لقلته و كثرتها وعظمها ، وحدوثها عنه قد يكون بلا واسطة كالعظم و الغضروف، وقد يكون بواسطة كالوتر و الغشاء ، فانهما يحدثان عن رباط وعصبهما يحدثان عن المنى بلاواسطة .

و المراد من المنى منىّ الذكر و الانثى ، فان تلك الاعضاء يتكوّن عن منى الذكر كما يتكوّن الجبن عن الانفحة ، و تتكوّن عن منى الانثى كما يتكوّن الجبن عن اللبن ، فكل واحد من المنيين جزء من جوهر تلك الاعضاء كماان كل واحد من الانفحة ، واللبن جزء من الجبن ، فللمرأة منى كالرجل. وقد أقاموا على ذلك خمس أدلة :

احدها - ان للمرأة رطوبة بصفة رطوبة الرجل ، و قد ثبت ان جالينوس شهد بأن رأى وعاء المنى فى النساء مملوءاً من رطوبة بيضاء لزجة .

ثانيها - ان المرأة تحتلم وتصبّ منياً وتلتذّ لذة عظيمة كالرجل وإن كان إحتلامها أقل من إحتلام الرجل .

ثالثها - ان منىّ المرأة يندفق من باطن رحمها كما صرّح به الشيخ أبو على سينا .

رابعها - ان منى المرأة سبب لتولد الجنين بما فيه من القوة المنعقدة .

خامسها - ان كثيراً من النساء يشهدن بأنانشمّ من منيتنا رائحة الطلع، ومن ينكر ان للمرأة منياً يعترف بوجود رطوبة لها تشبه المنى غير دم الطمث تلتذ بسيلانها إلى الرحم ، و يتكوّن منها الجنين ، و الدليل على أنها حادثة عن المنى انها إذا عدمت لايمكن أن تعود لفقدان المادة التى يمكن تكوّنها منها .

وأما اللحم فيتولد من متين الدم كما ان السمين والشحم يتولدان من مائية الدم و دسمه .

وقالوا : إن المنى إنما يكمل نضجه ويستعد لقبول صور الاعضاء في الا نثيين ولذلك ينقطع النوع بقطعهما ، ويخدمها مجرى المنى ، وهو في الرجال الاحليل وعروق بينه وبين الانثيين ، و في النساء عروق يندفع فيها المنى من انثييها إلى مستقره وهو الرحم بأن ذلك المجرى ينقل المنى منهما إلى الرحم ، و يخدمها الرحم أيضاً بأنه يحفظ المنى من التحلل والتفرق والتجمد ، ويحفظ عليه حرارته وإستعداده ، ويفيده حرارة اخرى من ذاته ، ولذلك خلق مستحصفاً في باطن البدن وعلى فمه ختام يطيف به ، فيحفظ المنى و الجنين من الخروج ، ويحفظ ما فيه من الحرارة ، و يمنع وصول البرد الخارجي إليه ، و إنما سميت هذه الاعضاء رئيسية لشرفها وقيامها لمصالح الشخص والنوع .

ومن القوى المودعة في الانسان : ما يتصرف في الغذاء أي في الا خلاط وفي الرطوبات الثانية وفي المنى لأجل بقاء النوع بايجاد شخص من أشخاص ذلك النوع وهو قوتان :

احداهما ـ تفصل من أمشاج البدن أي من مختلطاته جوهر المنى . و في هذا الكلام محتملان : أحد هما ـ أن يراد بهاالممتزجات التي في البدن من الاخلاط والرطوبات الثانية على أن الامشاج هي الأخلاط . ثانيهما ـ أن يرادبه الاعضاء المختلطة التي حصل من تركيبها البدن وهي القوة مبدئها الانثيان من الأب والام لاتفار قهما لا بمعنى ان أثرها لايصل إلى أمشاج البدن ، بل بمعنى انها لايفارقهما إلى الرحم فان الانثيين بالطبع يجذ بان مادةالمنى من أمشاج البدن لتغذ يتهما أكثر مما يستحقانه ، فيبقى منها فضلة فيهما ، و هي المنى كالحال في الثدى ثم انهما يتصرفان في تلك الفضيلة وينضجانها ، ويغيّرانها كما يغيّر الثدى فضلة غذائه إلى اللبن إلى أن يستعدلقبول قوة من واهب الصور إذا انضم

إليها سائر الشرائط صارت تلك القوة مبدأ لان يتكوّن منها حيوان مثل الذى إنفصلت تلك الفضيلة منه .

ثانيهما - تهيّىء كل جزء من جوهر المنى لعضو مخصوص بأن تحصل لجزء منه مزاجاً خاصاً يستعد به للعصبية مثلاً ، ولجزء آخر مزاجاً خاصاً يستعد به للعظمية ، و ذلك لان المنى إن كان متشابهة الاجزاء كماذهب إليه أرسطو فى الطبيعة والحقية تحصل هذه القوة فى كل جزء منه مزاجاً خاصاً يستعد به لعضوخاص ، ولولاهذه القوة تعد كل جزء لعضو مخصوص لكان فعل المصوّرة فى بعضه صورة العصب ، وفى بعضه صورة العظم مثلاً ترجيحاً بلا مرجح .

ولقائل أن يقول : ان هذا وارد فى هذه القوة أيضاً على هذا المذهب ؟

والجواب : ان الاختصاص بسبب إختلاف أمرجة أجزاء المنى فى القرب والبعد من جرم الرحم، فتمزّجها هذه القوة تمحزيجات بحسب عضو عضو، وإن كان متشابهة الامتزاج كما ذهب إليه بقراط ، تفصل هذه القوة تلك الكيفيات المزاجية المختلفة التى لاجزاء المنى وتمزجها تمزيجات بواسطة تمزيج محالها ، ويحصل لكل جزء مزاجاً خاصاً بحسب عضو عضو .

وهذه القوة تسمّى بالمغيّرة الاولى والقوة التي يشبه الغذاء بالمغتذى من جملة القوى التى مجموعها الغاذية تسمّى بالمغيرة الثانية لان فعل الاولى مقدم على الثانية فى بدن المولود ، و تفترقان أيضاً بان مادة الاولى المنى ، و مادة الثانية الدم ، وما معه من الاخلاط ، وبأن الاولى لايقصد فى فعلها التشبه لشىء ، و الثانية يقصد منها التشبه ، وهذه المغيّرة الاولى مغيّرة بالنوع للقوة التى تفصل المنى من أمشاج البدن ، وفعلها فى الرحم ليصادف فعل المصورة لانها تعدّ مواد الاعضاء والمصورة تلبس كل عضو صورته الخاصة به ، ولأن هذا الفعل لو كان فى الانثيين لكان إذا اختلط المنيان ، و تغيّرت كيفياتهما احتيج إلى مغيّرة اخرى .

ولايمكن أن يقال : ان مبدأ هذه القوة المغيرة هو للانثيان من الأب ، و تصحب المنى ويقوم به الرحم لان العضو الذى تعلق به النفس أكثر من تعلقها بالفضلات إذا إنفصل عن البدن إنقطع تعلق به النفس عند إنفصاله ، ففقد ،فكيف يبقى تعلق نفس الاب بالمنى المنفصل عنه إلى أن يتكوّن منه الاعضاء و تلك القوة العامة التى هى بمنزلة الجنس لهذين النوعين أعنى المفصلة أو المغيرة الاولى هى المولدة .

و ثانيهما ـ تشكل كل جزء من المنى بحسب إستعداده الحادث من فعل المغيرة الاولى بالشكل الذى يقتضيه نوع المنفصل عنه كما فى الانسان المتولد من الانسان مثلاً أو ما يقاربه كما فى الحيوان المتولد من نوعين مثل البغل و السمع من التخطيط و التجويف و غيرهما مثل الاصمات و الملاسة و الخشونة و العدد والمقدار والوضع بأن يكون فى الطرف مثلاً أو فى الوسط وهى المصودة أيضاً فى الرحم لان المنى فى الرحم يستعد بسبب فعل المغيرة فيه لفعل المصورة.

وهناك قوتان آخران وهما : الغاذية والنامية ،والاولى تخدم الثانية لان النامية تزيد فى الأقطار الثلاثة على التناسب الطبيعى، وهذه الزيادة لاتتأتى إلاّ من نفوذ جسم مشابه للمزيد فيه حتى يمكن للنامية تمديده فى الاقطار ، ولولا ذلك لكانت النامية إذا بسطت الجسم و مدّدته ، فانما يكون بسطها له فى قطر مع نقصان القطرين الآخرين أو فى قطرين مع نقصان القطر الثالث ، فلابد من حصول ذلك الجسم النافذ أولاً ثم تمدد الاعضاء فى الاقطار . . . و هاتان القوتان : الغاذية و النامية تخدمان المولدة ، أما الغاذية فلانها تورد على الاعضاء التى يتولد فيها المنى مادته التى هى الغذاء وتغيّره تغيّراً به يستعد لان يتولد منه المنى ، وأما النامية فلانها تعظم الاعضاء وتوسّع مجاريها حتى يصير إلى الهيئة الصالحة لتوليد المنى ، ولذلك لايتكوّن المنى إلاّ بعد عظم الاعضاء . . .

﴿ المنى و كلام الباحثين ﴾

جاء من الباحثين المتاخرين فى هذه المادة بحث طويل نشير ههنا إلى إجماله فى فصول لما فيها من مباحث علمية يتنبه القارى الخبير إلى ما فى الآيات الكريمة والروايات الواردة المقام من الأسرار و فى أمر الزواج و آداب المعاشرة و الجماع... و منع العزلة والاستمناء . . . : ان المنى الطبيعى السليم من الامراض إذا خرج من المجرى البولى كان سائلاً مركباً من افراز الخصيتين و القناة الناقلة للمنى و الحويصلات المنوية والبروستاتة ، وغدد كوبر و إفراز مخاطى من غشاء المجرى البولى وهو سائل لزج ، و يكون إما قلوياً أو متعادلاً لا قلوى ولا حامض، و شكله كشكل مطبوخ النشا و رائحته خاصة به تغنى عن و صفها ، على رأى (لاندو) : ان المنى الطبيعى يحتوى على (٧٢) فى المأة من ماء و زلال المصل و زلالات قلوية و تيوكائين وليستين و كولسترين و شحم فسفورى و قلويات و سلفات و كربونات و كلوريدرات .

وإذا برد المنى بعد خروجه يتحول إلى شكل هلامى ، وإذا لم يحرك فى أنبوبة اختبار ينفصل إلى طبقتين متساويتين فى المقدار السفلى منهما كثيفة سميكة ، وتحتوى على خليات ، والمرتفعة رقيقة ليست بالكثيفة ولا الشفافة ، و محتوياتها قليل من الخليات ، و من الصعب تقدير مقدار ما يخرج من الرجل فى المرة الواحدة ، ويدلنا على ذلك الاختلاف العظيم ، وهو إختلاف الحالات الفردية ، و إختلاف المقادير المنفرزة باختلاف الاحوال ، وتعدد الوقاع والانهماك التناسلى

والمدة بين الوقاعين ؛ هلم جراً .

وأقرب الآراء صحة : ان المقدر يختلف ما بين درهم ودرهمين ، فاذا تعدد الوقاع و كثر الانهماك قلّت هذه المقادير ، فتستحيل إلى نقط يسيرة أو انعدم الافراز مطلقاً ، وأهم عناصر المنى الحيوانات المنوية ، والواحد منها عبارة عن خلية صغيرة تتحرك بواسطة أهداب دقيقة وطول الواحد منها جزء من (٢٠) من المللميتر ، والحيوان منها له رأس ورقبة وجسم وذنب و مؤخرة ، فالرأس ذو شكل بيضى ، وله غطاء وعلى رأسه جزء محدد يشبه الرمح أو السكين، و يستعمله الحيوان فى قطع جزء من البويضة فـى حالة التلقيح والرأس هـى نواة الخلية وبقية الخلية نفسها .

و كما يرى القارىء فى شكله بالبحث الميكر و سكوبى ان الحيوانات المنوية كثيرة جداً، و كلها تجرى وتتحرك بواسطة ذيلها إذ تسير بسرعة ملليمتر فى الثانية ، وهى أسرع ماتكون عند خروج المنى مباشرة ،فيموج الرأس مدفوعاً بحركة الذيل الثعبانية ،ورأى الاستاذ (الترمان) ان المنى الصحيح إذا امتحن بعدسة العين الميكر وسكوبية نمرة (٣) والنظارة نمرة (٧) يرى الناظر منه حيوان على أقل تقدير ، ولكن فى العادة أكثر من ذلك بكثير.

وخلاف الحيوانات فان المنى يحتوى على خليات منوية اخرى مختلفة الاشكال و الانواع من مجرى البول و نوعين من البلورات الاول عديم الاون ذو أربعة جوانب ترى فى أكثر الاحيان فى المنى الطبيعى ، والحيوانات لاتزل حية ، و النوع الثانى متوازى الاضلاع يعرف ببلورات (بو نشر و شربنر) و يرى بعد مضى زمن كثير على خروج المنى فى مدة بين ثلاثة أوأيام أربعة إلى يومين ، وإذا كان المنى عديم الحيوانات المنوبة أو قليلها تكونت هذه البلورات فى مدة أقرب .

ومن رأى (شربنر) أنها أجسام فسفاتية مع مر كبات عضوية تعتبر كقاعدة

، والمعروف ان هذه الحيوانات لاتتكوّن قبل البلوغ ،ويستمرّ خروجها بعده بمدة كبيرة ، وقد وجدهابعض الاطباء المتخصصين عدة مرّات فى خصيات رجال أربوا على السبعين ، وفى رجل بعدالسابعة والثمانين ،وبعضهم وجدوابعدالسادسة والتسعين ، والذى يغلب على الظن أن هذه الحيوانات مع وجودها فى منى هؤلاء الشيوخ ، فهى قليلة الجدوى غير قادرة على التلقيح وهذا ما عارض به بعضهم ، وقال : ان الأخير غلط فى قوله :

ان الرجال قادرون على التلقيح فى أىّ سنة من سنى حياتهم ، ولو أنه يوافق على وجود الحيوانات بكثرة ، ولكنها تختلف تماماً عن الموجودة منها فى الشبان إذ ان طول الواحد منها يوازى نصف طول السليم، وهى أرفع وقليلة الحركة جداً إذ جمل سيرها أن تهتز وهى مكانها ، ولا تسبح سبحاً مستمراً مثل السليم منها فى الشبان والذى يجعل بعضهم يصمم على رأيه انه وجد أمثال هذه الحيوانات الضعاف فى صغار الشبان المتزوجين زوجات خاليات من الامراض ،ولم يعقبوا ، ومن نتيجة الانهماك الكثير و التكرار قد ينقطع موقتاً وجود الحيوانات . . .

وقد امتحن بعض المتخصصين مادة أحد الطلبة ،وكان جامع ثلاث أوأربع مرات يومياً مدة عشرة أيام متوالية، فلم يجد أثراً الحيوانات المنوية ،ثم ظهرت ثانية بعد ثلاثة أسابيع حيث انقطع الطالب عن كل عمل تناسلى .

ويوجد بعض التغير من الوجهة الفسيولوجية، ومن وجهتى العدد والحجم فى الحيوانات ، وتظهر تلك الوجهات من رجل قوى البنية فى الستين من عمره بجلاء ووضوح ، ففى إحدى المرات بعد ثلاثة أيام مضت على جماعه وقد وجد بعض المتخصصين عدداً كبيراً من الحيوانات الصغيرة ، وفى اليوم الرابع وجدها قليلة جداً ، و بعد يومين لم يجد شيئاً ، وكان السائل المنوى أشبه بالماء ، وبعد فترة خمسة أيام وجدها ثانية بكمية كبيرة ، وبعدمضى ستة أيام و جدها بكمية

أقل ولكنها أكبر من نظيراتها المتقدمة .

ويرى بعض العلماء الحيوانات المنوية لاتتحرك إلا اذا وصلت إلى الحو يصلات المنوية ، ويرى بعضهم ان حركتها ناتجة عن الافراز البروستانى ، ويرى بعض الاخرين خلاف ذلك ، وتختلف المدة التى تعيشها الحيوانات خارج الجسم إختلافاً عظيماً باختلاف الاحوال ،ويرى بعضهم : ان المنى المحفوظ من الضوء والبرد تعيش حيواناته مدة (٤٨) ساعة ووجدها بعضهم بعد (٢٤) ساعة فـى منى حفظ فى زجاجة عادية غير محكمة فى برد شهر إبريل ،ويستمر تحرك الحيوانات تحت نظارة الميكر و سكوب عـدة ساعات ، و تستمر حـركة الاهتزاز مـدة (٧٣) ساعة .

و يجب بحث السائل فى أقرب فرصة بعد خروجه مع الاحتراس التام فى تقدير الحيوانات، فالبرد له تأثير شديد على الحيوات ، فانها تسكن بوضعها على زجاجة ميكر و سكوب باردة و تتحرك ثانية إذا سخنت تلك الزجاجة ، وفى بعض الاحيان يكون السائل لزجاً غليظاً، فلايمكن الحيوانات الحركة فيه بسرعة ، وتمنع حركة الحيوانات إذا أضفنا إليها حمضاً أو قلوياً شديداً أو ماء غزيراً ، و بعض الأغشية التى يلبسها الرجال تحرزاً من الحمل يكون فى مطاطها مواد مؤثرة على حياة الحيوانات كما شاهدنا ذلك غير مرة

ومن النادر أن توجد الحيوانات المنوية فى البول ، ولايمكن إكتشاف الحيوانات فى البول بالعين المجرد ، ولكن إذا وجدت كمية من السائل المنوى فمن السهل أن ترى على شكل هلامى يرسب فى الزجاج بعد زمن يسير .

ومن المباحث الجليلة التى قرّرها الاستاذ (الترمان) ان الحيوانات المنوية التى تموت بعد خروجها من العضو التناسلى يرى انها منبسطة ، و التى تموت قبل خروجها تظهر ملتفة على نفسها ، هذه نقطة هـامة يجب أن نـذكرها عند إختبار كل سائل منوى ، فانها طريقة لايشك أحد فى صدقها وصحتها ، وهو يرى

: ان هذا الالتواء يكون فى الحيوانات التى تموت من تأثير شى ضارلها كالبول الحمضى ، و إفرازات المهبل ، وقد يتأتى من تأثير الماء الغزير .

وإذا جفّ المنى على زجاجة ميكروسكوبية إنضمت الحيوانات بعضها إلى بعض على شكل غير منتظم ، فيتعسر معرفتها بغير التدقيق التام ، و إذا ماتت الحيوانات على مثل هذه الزجاجة حفظت شكلها بعد موتها مدة أعوام ، فلدى الدكتور كوبر زجاجة ميكروسكوبيةمحفوظة منذسنة : ١٨٩١م حافظة شكلها إلى الآن ولم يضف إليها أى شىء كيماوى ، ومع ذلك ، فحيواناتها واضحة تمام الوضوح .

الفصل الثانى فى تغيرات كميّة المنى ومحتوياته :

فقالوا : يطرأعلى السائل المنوى عدّة تغيرات إما ناشئة عن وظائف الاعضاء أو تأثير منوى ، وقال بعضهم فى كثرة كمية المنى : قدتر بو هذه المادة على (٥٢) غراماً فى بعض المرضى العصبى المزاج ، وليس فى أعضائه التناسلية مرض مطلقاً ، و المظنون ان أمثال هذا قليل ، ولكن الذى يستلفت الانظار ان الكمية الزائدة فى الجزء السائل لافى الحيوانات المنوية ، ومنشأذلك الغد د التى سبق ذكرها .

وأما قلّة الكميـة فربما كانت الكميةقليلة جداً ، واسبابها يتعذر تحديدها تحديداً تاماً ، و قلة الكمية أمر طبيعى فى سنّ الشيخوخة ، وفى أحوال الضعف العام ومن الجائز أن تكون القلة ناشئة عن عدم إفراز إحدى الغدد أو بعضها ، و على ذلك يجب بحث كل غدة على حدة .

و أما إنعدام المنى فهذا أهم تغيّر يطرأ على السائل المنوى ، و هو إما ناشىء من عدم الافراز مطلقاً أوخروج الافراز من غير الطريق الطبيعى ،وإنعدام المنى إما ناشىء عن تكوين الشخص نفسه أو طارىء جديد حدث له بعد ولادته

وهو أيضاً إمادائم أو موقت، فما كان منه ناشئاً عن نقص في التكوين يكون منشاه زوغاناً عن الحالة الطبيعية لاعضاء التناسل ، و إنعدام المنى بدون وجود نقص طبيعى ضرب من النادر، وقد و قعت حالتان تحت أنظار بعض المتخصصين وقال :

إستشارنى شاب فى العشرين من عمره لم يحدث له إنزال منى مطلقاً سواء فى الحلم أو اليقظة ، ولم يظفر مرة فى حياته بالانزال ، و قد كان شديد الميل التناسلى وأحلامه فى هذا القبيل كانت كثيرة مصحوبة بانتصاب شديد ،وكان يشعر فى بعض الاحيان بحاسة الانزال ، ولكنه إذا استيقظ لايجد شيئاً ، ولم يصبه أى مرض ، ولا إلتهاب الغدة النكفية ، و بالفحص لم نجد فيه الا غاية الصحة ، و كل شيء على غاية ما يرام ،و كان من السهل ادخال قساطر إلى مثانته ، وبوله طبيعى من كل الوجوه .

أما إنعدام المنى النسبى فهو الناشيء أحياناً متفرقة ، فبعض الاوقات يحدث الانزال واخرى لايكون ، ولهذا النوع عدة أشكال ، فتارة يكون هذا الانعدام فى حالة النوم أو اليقظة ، ولا يوجد السائل على أى شكل كان مع أنه يكون فى حالة النوم بغزارة تامة ومحتوياته تكون طبيعية وقال : إستشارنى شاب فى الثامنة والعشرين من عمره شديد الميل التناسلى ، و ذو صحة تامة إلا فى تتميم وظيفة الجماع بالانزال مهما طال به الزمن ، ولم يفز بالانزال فى حالة الصحو ، و لكنه مع ذلك كثير الاحلام التناسلية المصحوبه بالانزال ، و إذا استيقظ قبل تمام الانزال انقطع الباقى منه . ليس لديه أى ضعف فى الانتصاب وإذا طال به الزمن فى الجماع ضعف الانتشار ،وهبطت الحرارة الاولى ، وانكمش القضيب من غير إنزال وأعطانى هذا الشاب نموذجاً من السائل الذى ينزل منه فى الاحتلام ، فوجدته طبيعياً من كل الوجوه ، و بفحصه لم أجد فى أعضائه التناسلية أقل تشويه غير قليل من الاتساع فى مجرى البول الخلفى ، وهذا لايفسّر بالطبع هذه الظواهر كلها و كان المريض عصبى المزاج امه مصابة بالهستريا .

و فى حالة اخرى لشاب له من العمر احدى و عشرين سنة كـانت حالته أغرب لانه يحدث لهالانزال فى حالة جلد عميرة (الاستمناء) و لكنه يتعذر فى حالة الجماع الطبيعى، وتفسير هذامن الصعوبة بمكان ، والانعدام الكسبى ليس من الانواع النادرة ، وهوإما دائم أو موقت وأسبابه إما ميكانيكية أوتابعة لتأثير فى النفس ، فالتهاب البرو ستاتة ، و إلتهاب القناة الناقلة للسائـل المنوى أو التحام يحدث بعد إلتهاب شديد ، فيسـد قناة الحويصلات كل يسبب إنعدام المنى .

وربما كان أكبر سبب لانعدام المنى هو السيلان إذهو المسبب لأكثر هذه الالتهابات ، ومن نتيجة الالتهابات المتقدمة أن تنسد المسالك بالمرة فيمنع مطلقاً أويحصل تضايق فى مجرى البول، فيتحول السائل إلى المثانة ، و دون المثانة و القناة البولية ومايصيبها من الجروح والقطوع كل ذلك يوثر على مجرى المنى ، و عملية إستخراج حصيات للمثانة من العجان بين السبيلين كانـت فـى الماضى مصدراً كبيراً للعقم عند الرجال ،وأما الآن فقد استبدلت بما هو أصلح منها ، و لكن بعض الثقات يضاد هذا الـرأى باحصاءات جمة كانـت فيها الزوجة مصدر العقم .

وأما عملية إستئصال البروستاتة فقدلاحظ بعضهم ان تأثيرها على وظيفة التناسل لايمكن للطبيب أن يؤكد بيقائه، ولكن فى العادة أن تكون هذه العملية فى سن الشيخوخة حيث لامطمع للمريض ببقاء خصوبته . والنتيجة تتعلق بما يطرأ على قنوات الافراز من جراء ضخامة البروستاتة، ومقدار مايتعرض به الجراح لها أثناء العملية .

وهذا النوع من الانعدام دائم، ولكن من الجائز أن يكون موقتاً بعد علاج، و أما النوع الموقت فناشىء من إضطراب فى المجموع العصبى منشأه الخوف أو الهيبة أو التهيج الشديد ، وفى هذا النوع ربما يتأثر الانتصاب أيضاً .

ثم قال: وهنا نذكر سبباً هاماً وهو ما يسمّونه العزلة وهو عدم تتميم الجماع والاكتفاء بالانزال خارج المهبل تحرزاً من الحمل، و وقع تحت مشاهداتي عدة أفراد من هذا القبيل، وقد يذهب التطرف في بعض الرجال إلى حدّ بعيد، وهو أن يضع أحدهم خاتماً من المطاط حول القضيب، ومن تأثير الضغط الشديد يدخل المني إلى المثانة بدلاً من خروجه المعتاد وقد اصبحت ذلك عادة فيهم حتى بعد نزع هذا الخاتم المطاطي.

وان التقرح العميق المرضي في رأس القضيب من أسباب الانعدام كما هو حال الزهرية، وقد يكون هذا ايضاً في بعض الامراض العصبية وحصيات البروستاتة أيضاً من أسباب الانعدام المشهورة.

وقد يكون إنعدام المني كاذباً، وهذا إذا جرى المني في القناة البولية و امتنع عن الخروج منها من تأثير عدة مؤثرات: منها تضيق القناة من أثر إلتحام السيلان أو فتحة غير طبيعية في القناة إما على ظهر القضيب أو تحته أو ناسور بولي في العجان أو لمستقيم، وهذه الاسباب تغيّر مجرى المني عند سيره الطبيعي، فلا يدخل الرحم، ولا يحصل اللقاح من جراء ذلك، و على ذكر تضيق القناة البولية نقول: انه ليس من الضروري أن تكون هذه الأماكن ضيقة جداً لانه في حالة إرتخاء القضيب تكون المضايق أكثر إتساعاً عن حالة الانتصاب، وفضلاً عن ذلك، فالتضايق الناتج عن أثر التحام جرح تمنع نزول المني على الحالة الطبيعية.

ثم قال بعضهم: وانا لنذكر على سبيل المثال: ان أحد مرضانا شاب في الثالثة والعشرين من عمره اصيب بعدوى السيلان و تركه فأزمن معه ذلك، ونتج عدة خراريج في العجان، وقد شاهد ان المني يقلّ نزوله بالتدريج، واستشارني عند إنقطاع الانزال عند الجماع منذ شهرين، و في بعض الاحيان كان ينساب منه الافراز على غير الحالة الطبيعية، وكان مجرى البول ضيقاً و ملتهباً، وبه عدة مضايق، و كل هذا شفي بالعلاج وعدم الختان مع دواعي إنعدام المني إذا كانت

القلفة ضيقة .

أقول: ومن هنا يعلم سبب أهمية حكم الختان في الاسلام ، كما ان من هذا البحث يعلم على أهمية آداب المعاشرة والجماع والازدواج ومنع العزلة والاستمناء في الاسلام ، فراجع إلى باب المعاشرة والجماع والازدواج ... واغتنم جداً

ثم قال بعضهم : وأخيراً نقول : ان الانتصاب الشديد من دواعي إنعدام المني وعلاج ذلك قليل من البرومور .

الفصل الثالث: في التغيرات الداخلية في السائل المنوي :

وقال المتخصصون : ان شكل السائل المنوي يشبه مطبوخ النشا ، و يترك أثراً على الملابس ذا لون سنجابي ، فيتصلب بعد جفافه ويطرأ بعض الاعراض على هذا السائل فيتغير كالآتي .

إما أن يكون ذا لزجة أكثر من المعتاد وذلك بافراز سوائل أكثر غلظاً عن العادة تفرزها الحويصلات المنوية أو قلة إفراز البروستاتة ، وقد يكون ذلك في الاصحاء عند الامتناع التناسلي عدة أيام ، وقد يكون السائل كالماء سيولة ، و أكثر مايكون ذلك في حالة إنعدام الحيوانات المنوية، ومن التغيرات أيضاً وجود دم أو صديد في السائل ، فاذا اختلط السائل بالدم تغيّر لونه تغيّراً مناسباً لكمية الدم أو التأثيرات الكيماوية المؤثرة، والمنبع الذي خرج منه .

و ان أكثر الاسباب احداثاً لنزول الدم هو التهاب مجرى البول الخلفي خصوصاً في الحالات التي تصيب الحويصلات المنوية، وإذا أفرط الانسان في الجماع حدث احتقان في البروستاتة ، ومجرى البول الخلفي وتسبب عن ذلك نزول الدم ، وعليه فكثير أمايكون هذا النوع شكوى المتزوجين حديثاً أو أصحاب جلد عميرة (الاستمناء) و من الاسباب الاخرى إلتهاب البروستاتة الناشىء عن ضخامتها عند الشيوخ وسل البروستاتة والحويصلات المنوية .

ويتغير لون السائل ولون البقع التي يتلون بها السائل على حسب مصدره، و قال بعضهم : ان الدم الناتج من إلتهاب خلفي في القناة البولية يكون غير مستوى الاختلاط بالسائل المنوى ، ويرى على شكل عدة نقط متفرقة بعضها عن بعض ، و لون السائل نفسه يكون كلون صدأ الحديد أما الناتج من الحويصلات ، فانه يكون مختلطاً بالسائل، وممتزجاً به إمتزاجاً متساوياً ، وإذا كان في السائل صديد فان لونه يتحول إلى أصفر على حسب كمية الصديد الموجودة به، وإذا لطخت به ثياب وجدت البقع صفراء فاقعة وتضرب إلى الخضرة .

وأكثر الاسباب شيوعاً في وجود صديد بالمنى هو السيلان ، وإذا وجد مع ذلك دم فان بقع المنى على القماش تكون غير مستوية الوضع بمعنى انه يكون هناك كثير من القبع الدموية في بقعة واحدة من المنى ، وان كان من الحويصلات فشأنه تقدم، وإذا اختلط الصديد بالدم في المنى تغير لونه باختلاف الكمية والمحتويات، ولا يجوز الخطأ في هذا اللون، وفي المنى المصبوغ بالصفراء من تأثير مرض اليرقان الميكروسكوب خير حكم في هذا السبيل ، فاذا احتوى السائل المنوى على صدد أو دم و كان البول خالياً منهما حكمنا ان منشأ الصديد هي أعضاء التناسل لا الجهاز البولي .

ومما لفت الأستاذ (الترمان) الانظار إليه هو صبغة المنى بلون نيلي بعد الا كثار من الاعمال التناسلية خصوصاً في أصحاب المزاج العصبي واللون الاحمر فيه لا يفرق عن لون الدم إلاّ بالميكروسكوب وغير اللون الاحمر فقد صادف اللون الا خضر أما الازرق فلم يصادفه .

الفصل الرابع : في التغيرات الميكروسكوبية .

وهذه التغيرات ناشئة عن الامراض الطارئة على الحيوانات من موت أو قلة أو إنعدام كلي ، ومما لاشك فيه ان لكل غدة من الغدد التناسلية إفرازاً ، ولكل

إفراز تأثيراً على حياة الحيوانات وعليه فاذا فقد أو مرض أحد هذه الافرازات ماتت الحيوانات ، فاذا وجدنا أن الحيوانات خرجت ميتة من الجسم كان ذلك و لاشك ناتجاً عن مرض فى البروستاتة أو الحويصلات المنوية أو القناة بينها و بين الخصية نفسها أو مجرى البول .

و إنعدام الحيوانات بالمرة ناشىء عن إنسداد القناة المنوية نفسها، ويرى بعض المتخصصين ان هذا الانسداد قد لايكون كلياً بل أن أىّ الالتهاب يصيب القنوات يورث الانعدام، وقد أجرى عدة تجارب على كلاب وحقن فيها مواد محدثة للالتهاب فنشأ عنها إنعدام الحيوانات، وقد رآى بعضهم : ان السيلان هو الطامة الكبرى التى تولد ذلك .

و الحيوانات قد تكون قليلة أو ضعيفة أو منعدمة فى حالات إلتهاب القناة البولية الخلفية إذا وجدت مع البروستاتة أو الحويصلات المنوية أيضاً ، و إذا حدث إلتهاب فى القناة من جهة الخصية ، فليس من الواجب أن يكون هناك أى تناسب بين شدة الالتهاب ، وإنعدام الحيوانات ، و ليس من الضرورى أيضاً أن يحدث العقم إذا لم تلتهب القناتان ، و على ذلك قد يحدث إنسداد فى مجرى المنى بدون أعراض اكلينيكية نعم اننا نشك إذا كان الرجل عقيماً أن يكون السبب فى ذلك الالتهاب سيلانى فى مؤخرة المجرى البولى مالم يظهر مايخالف ذلك ، وفى بعض الأحيان قد يحبس إنزال المنى ، ويكون هناك أول عهد المريض باستشارة الاطباء .

ولكن فى حالة إنعدام الحيوانات فقط، فان المريض يقذف النطفة ولايعرف أى تغيّر فيها ، وقوته الحيوية فى نضرتها لم تتأثر ، ولايشك فى نفسه انها هى سبب العقم ، ولاذنب للمرأة فيه، ومن الظلم أن نتهمها فى كل الحالات دون بحث الزوج أيضاً، ولايجوز ان نقول : ان بعض الزواج العاقر منشأه عدم إتفاق الزوجين حيوياً

، و إذا كان هناك ورم فى أىّ جزء من أجزاء الجهاز التناسلى وجب فحص المنى ميكروسكوبياً ، و لكن بالنظر المجرد نجدله هناك فرقاً عظيماً ، فأن السائل يكون كالماء ، والراسب الذى يحدث بعد عدة ساعات هو قليل جداً، و ربما لايمكن رؤيته بخلاف الطبيعى ، فان الراسب يكون نصف السائل ، و فى بعض الاحيان يحتوى المنى على كرات صغيرة من المخاط ، وفى بعض الأحيان يكون المنى العقيم له تفاعل مع حمض الازوتيك يضرب لونه إلى الصفرة بخلاف الاصفر الفاقع مع الطبيعى .

وتحت الميكروسكوب تجدان هذا الراسب عبارة عن بعض خلايا تحوّلت إلى التحوّل الشحمى، وبعض كرات دم بيضاء وبللورات بوتشر، وتوجد هناك أسباب اخرى غير السيلان داعية لانحباس الحيوانات ، وهذه هى أى حاجز يمنع نزولها ، فالزهرى مثلاً لايؤثر فى الخصيتين والقناة ، فينشأ منه ذلك ، و فى بعض الاحيان لا يمكن ايجاد أى عرض مرضى فى الخصيتين، ومن المعلوم أيضاً انه ليس من الضرورى حدوث ذلك ولكل هذا المرض لايمنع العلوق ، ولكنه يقتل الجنين .

وأما الامراض الاخرى التى ينشأ عنها ذلك فهى إلتهاب الغدد النكفية وحمى الملاريا و النزلة الوافدة (الانفلوا ينزا) و الجدرى و التيفويد و طرق تأثيرها هو حدوث إلتهاب فى الخصيتين يحدث بعده ضمورها والاكثر فى هذه الايات إصابة خصية واحدة، والاصابات التى تحدث فى الخصية مثل الضرب أو العمليات الجراحية أو غيرها ربما مست الخصية أو القناة بسوء كقطعها أو قطع الاوعية الموصلة إليها ، وضغط القيلة المائية المزمنة والقيلة الدموية و الاورام التى فى الكيس تحدث ضموراً فى الخصيتين ، وإنعداماً فى الحيوانات .

وأمراض أوردة الخصيتين (فاريكو سيل) قد تؤثر فى الخصيتين ولكن من المشاهد ان واحدة منهما فقط تكون مريضة بهذا الداء والاخرى سليمة ، و لذلك

يجب البحث في هذه المسئلة قبل الشروع في العمليات الجراحية اللازمة لهذا المرض ، وإذا نظرنا نظرة عامة لجميع الاسباب التي أوضحتها تجد ان حوادث الالتهاب السيلاني، وأمثاله هي أكثر شيوعاً وأكثر عرضة في التأثير على القناتين المنويتين، ولو أن كثيراً من الحالات تؤثر كل واحدة فقط كما أن فوهتي القناتين قريبتين احداهما من الاخرى حتى أن الكثير من الأحيان لا يمكن الحكم على سلامة واحدة في حالة مرض الاخرى ، ومن الغرائب أن تكون العدوى الواصلة إلى الخصيتين بواسطة الدم كحالات إلتهاب الغدد النكفية مثلاً كثيراً ما تصيب واحدة فقط، و في مثل ذلك لا يحدث عقم .

وعلى كل ماتقدم ففحص السائل المنوى هو خير واسطة لمعرفة الحقيقية وإليك البيان : فقال بعض المتخصصين ، إستشارني رجل عمره (٣٥) سنة وليس به مايشكومنه من الوظيفة التناسلية ولكنه لم يعقب بعد مضى (١٤) سنة على زواجه وليس لديه ما يستحق الذكر غير أنه حدث له جرح في الصفن من الجهة اليمنى ، فأطلت منه الخصية أما الجهة اليسرى فمازالت في أحسن حالات الصحة ، و منذ إحدى عشرة سنة اصيب بالتهاب الغدة النكفية ، وحلل منيه هذه الآونة ، فوجد طبيعياً و به حيوانات ، وبعد مضى هذه المدة وقعت الشبهة على الزوجة ، و أتى هو لعرض حالته عليّ فوجدت به فتقاً في الجهة الشمالية ، و خصية هذه الجهة صغيراً جداً ، أما الجهة الاخرى ، فكانت الخصية أكبر من اختها ، و لكنها أقل من الطبيعي .

وما عدا ذلك فقد كان طبيعياً و بعد مضى اسبوع مضى عليه بغير جماعه امتحنت منيه ، فوجدته خالياً من الحيوانات ، و ليس به غير كرات دم بيضاء ، و من هذه الحالة نجد أنه قد تكون الخصية السليمة صغيرة قليلاً لكنها عقيمة ، و قد قرّر هذا الجراح بعض الاطباء المتخصصين ، وقد اصيبت خصية بضربة ضمرت بعدها إلى حجم نواة البلح ، و لكنها مع ذلك كانت طبيعية في محتوياتها ، و

التعرض لأشعة رنتجن سببت عقماً في بعض المرضى و الأطباء المنوطين بالعمل.

و من الاشياء المتكررة الحدوث أن السمن و ضخامة البدن تحدث ضعفاً في القوى التناسلية في كلا النوعين ، وقدتتحوّل الخصية إلى إستحالة شحمية و من إحصائيات كيس ان الزواج العقيم يكون بنسبة واحدة في العشرة إذا كانت الزوجة سمينة جداً ،وبنسبة واحدة إلى خمسة إذا كان الزوجان سمينين ، و أما الادمان على الخمر فهومن مسببات العقم، ومن المعلوم أن السكيرين أكثر مايكونون سماناً وقد كتب بعض المتخصصين عن عقم المرأة في محاضراته قصةفتاة مدمنة ظلت عدة أعوام بلاحمل ، ولم يكن في جسمها مايدعو إلى هذه العاهة ، و عولجت بالامتناع عن الخمر مدة عام، فحملت،ومن المشاهد ان الادمان من مسببات إلتهاب المبيضين في الانثى .

وقدنشرنا هذا الرأي عن النساء برغم ان بحثنا في الرجل لاحتمال علاقة بين الاثنين ، وهذاما يعززه رأي (فوريل)من تقليل الخمر للنسل ، وضرب الامثال بعدة مناطق من الروسيا ، فأكثرها إدماناً على الخمر أقلهاسكاناً .

الفصل الخامس: في العلاج :

تعالج الأسباب باختلاف أنواعها ، أما كثرة المني وقلته فلاأهمية لهمادامت الحيوانات حية ، فاذا ماتت يبحث عن كل الاعضاء التناسيلة و معرفة أنها أصل الداء

انحباس الحيوانات يكون :

إماأن تكون موجودة في الجسم و لكنها لاتخرج ، و يعالج أيّ سبب داع إلى الفعل الانعكاسي . و كثيراً مارأينا ان مجرى البول الخلفي يكون أكثر حساسية ، فتنكمش جميع العضلات عند إدخال المجس وشفيت بالكهرباء(التيار

المتقطع) وإدخال المجسات وإستعمال المهبطات :

انعدام العكسى :

مثل إقتحام جروح داخل المجرى البولى فتسد مدخل المنى فيكون الأمل ضعيفاً فى الشفاء وتتغير النتيجة بتغير العلاج وسير المرض فى مثل أحوال السل الموضعى أو ضخامة البروستاتة .

أما الاحوال النفسية من خوف أو جزع أو رهبة ، فيزول بزوال السبب مادام المجرى خالياً من أمراض اخرى كالسيلان الآخر .

أما الانعدام الكاذب فيعالج بتوسيع الضيق العارض ومداوة الالتهاب وحالات إنفتاح مجرى البول فى غير الموضع الطبيعى تزول بالعملية الجراحية، وإذا وجدت الحيوانات ميتة فتعالج لامراض المسببة ،و هذه تكون فى الخصية و البروستاتة و الحويصلات ولاننسى كثرة لزجة إفراز الذين مضى عليهم زمان كبير بدون جماع و تكون الحيوانات أقل قوة ، ووجود دم أو صديد سبق علاجه ، وحالات الافراط تعالج بالاقلال .

موت الحيوانات وضعفها وقلة الحيوانات وإنعدامها دائماً تكون موجودة فى المنى الدموى والصديدى ، و كذلك أسبابها و علاجها ، وإذا لم يكتشف لها سبب يلتفت إلى الصحه العامة، وفى حالة قلتها وضعفها يجب البحث إذا كان السبب فسيولوجى أو مرضى موقت أو دائم .

نعم انه يختلف عدد الحيوانات باختلاف الاشخاص ، و لذلك يجب ملاحظة تاريخ المريض إذ ربما كان سبب الانعدام ناشىء عن الافراط فقط كالشبان المتزوجين حديثاً أو جماعة المفرطين الذين لاينفكون ليلة عن الجماع !

و يرى بعض الباحثين أن أطفال شهر العسل أقل قوة من الاطفال الذين بعده لان الرجل فى هذا الشهر يكون منهوك القوى و حيواناته أقل قوة من غيرها .

أماالتشويهات الخلقية فلايكون من ورائها العقم .

أماالسيلان فيعالج بالعلاج الخاص به لئلايهدد فوهات الحويصلات المنوية ،وأما السمن وضخامة الجسم يعالج بعلاجها الخاص بها ، و كذلك إدمان الخمر يعالج بالامتناع .



﴿ المني وتكونه ﴾

وقد ثبت عند الاخصاء : ان المنى يتولد من أنضج الدم ، ولا يصلح له إلاّ الدم الذى بلغ الغاية من النضج ، وان غاية النضج هو الهضم الرابع ، و ذلك ان للغذاء فى المعدة هضماًما ، وفى الكبد هضماً آخر يولد دماً مشتركاً ، ثم فى العروق هضماً ثالثاً ، ثم فى كل عضو فانه يحتاج إلى أن يهضم الدم حتى يصير متشا كلاً إياه ، وهناك النضج التام ، ومن مثله يتولد المنى ، ولذلك ما يحدث كثرة إستفراغ المنى إذا تكرر الجماع واتعبمن ذبول الجلد ، وتقشفه و تغيّر لونه ما لايحدثه إستفراغ دم يكون خمسين ضعفاً له لان الجماع إنما يستفرغ من الدم ما بلغ غاية النضج ، وكاديتشبه بالاعضاء فكانت الاعضاء تسلب غريز تها ومادتها عند الجماع المتكلف أعنى الذى ليس عن اقتضاء منى حاصل فاضل عن جوهر الاعضاء...

ولذلك ما قال الأطباء الاقدمون : ان المنى هو من الرطوبة القريبة العهد بالجمود ولهذه الرطوبة أيضاً فضل ، فمنه ما هو فضل فى كيفيته ، و تندفع على نحو فيكون منه الشعر وما أشبهه ، ومنه ما هو فضل فى كميته وذلك هو الذى يصلح أن يتولد منه المنى .

وان المنى يتكوّن بعد اسبوعين من سنّ البلوغ ، ويقوى بعد الاسبوع الثالث ، والنساء يدركن بالطمث فى المنى ، وحينئذ يظهر أنداؤهن ، و المنى النضيج للذكر هو الذى يكون بعد الاسبوع الثالث فى أكثر الامر ، و كذلك الجارية ، فهى ضعيفة للحبل مصفرة ممرضة عندئذ ، ومما يجمع فى الانسان من

المنى أكثر مما يجمع فى سائر الحيوان التى تناسبه فى القد .

وان مادة المرأة التى تسمّى منياً ليس فيها قوة مولّدة بل هى متولدة، و ان منى الذكر إذا كان حاراً قاهراً كان الولد ذكراً لمايفيده المنى من الحرارة ، وإن كان المنى العالق هو الذى أتى من جهة البيضة اليمنى فهو أولى بذلك لان اليمنى بالجملة أسخن ، والدم الذى يأتيه أنضج وهوإلى المبدأ أقرب لانه يأتى من عرق تحت الكلية من حيث يتصفى عنه المائية كمايعلم ذلك من التشريح ، ولما كان المنى مما يندفق إندفاقاً بعد إندفاق ، فليس بمستنكر أن يكون بعضه شمالياً ، وبعضه غالقاً نافذاً ، وبعضه ضالاً لاينفذ إلى المعدن ، و لذلك ماقد يكون المنى الآتى من البيضة اليسرى مؤنثاً لبردذلك الموضع .

وأما من جهةمنى المرأة ودم الطمث ، فاذا كانت المرأة لم يقتصر إستعداد منيها وطمثها للتذكير ، وأما الرحم فان يكون حارة المزاج ليس ببارد يبرد مزاج المادة التى ينبعث منه ، و يبرد مزاج ما يندفق من خارج إليه ، فانه وإن كان المنى عند بعضهم يفعل بكيفية ، ولا يخالط بجوهره فمعلوم يقيناً انه إذا برد مزاجه كان فعلهأضعف وأعجز عن الاذكار ، ولذلك ما كان البطن الأيمن أولى بأن يكون ما يقع فيه ذكراً لانه سخن ، وهذه الاسباب قد يتوافق فيجب لامحالة مقتضاهاوقد يتناقض ويتخالف ، ويكون العبرةللغالب ، ولذلك مايكون من اليمنى انثىومن اليسار ذكراً، ويدل علىمكان الجنين الحركة ، فاذا وجدت الحركة الاربية اليمنى رجى أن يكون الولد ذكراً ،وقدتحقق الحروالبرد فى هذا من الاسباب المعينة و المعدة لامن الاسباب المصوزة على ماظن بعضهم .

وان فى المنى مضافاً إلى مادته جزء أنفسياًأعنى قوة ينعقدبها المنى،وذلك لما كان المنى يتحرك إلى تكوين الجنين ليس بسبب غريب من خارج بل بطبيعة المسخرة باذن الله جل وعلا ، ففيه مبدأ النفس الغاذية ، و ليس يكون تكوّن الاعضاء منه معاً ، فان التجربة تدل على تقدم القلب فى التكون ، ولا

محالة مالاقلب له فقد يكون له عضو آخر بدل القلب ، و القلب أيضاً آخر ما يموت ، وإذا تخلفت الرية تنفس ، وليس ما يقال من إخفائها فى الجنين، وظهور القلب : انها كانت موجودة ولكن خافية صغر الشيء فان الرية فى الجنين أعظم من القلب ، ولايظهر فيه مع القلب بل يتكون من بعد ، و لو كان الخفاللصغر لكان ما هو أصغر أخفى ، ولكان القلب أولى بالخفاء من الرية ، ولكن فعل زرع الوالد فى زرع الوالدة إنما يكون على سبيل الافعال، والتكونات الطبيعية التى جلّها على سبيل ملاقات المحرك و المتحرك .

وأما فاعل الدم الذى يتولّد منه المنى الذى تولّد منه الولد فهو كبد أو قلب ، وأما تكوّنه منياً فأوعية المنى ثم المنى يحرّك شيئاً آخر أى نطفة المرأة فيحرّك أولاً إلى تكوين المبدأ ثم يبعث عن العضو الاول قوة هى مبدأ ينحو إلى تكوين سائر الاعضاء منه بالترتيب ، و يكون النطفة المنعقدة صارت ذات نفس بنفوذ قوة الذكر فيها ، فان الروح يشبه أن يتولّد من نطفة الذكر و البدن من نطفة الانثى ،فاذاصار ذلك ذانفس تحركت النفس فيه إلى تكميل الاعضاء ، فيكون هذه النفس حينئذ نفساً غاذية إذلافعل لها آخر ، وإن كانت فيها القوة لغير ذلك ، وإنما اشتد البياض فيه لكثرة الروح المولد فيه ، ولذلك يرق ويزول عنه البياض خارجاً لان فثودته كانت بسبب الهوائية، فاذاانفصلت زال بياضه ،وصارله مرائى الماء ورقّ .

وبالجملة ان المنى زبدى الجوهر ولذلك سميت الزهرة زبدية لانها جعلت مبدأ للشهوة ، ومبدأ توليد المنى ولذلك صار المنى لايجمده البرد وهو منى ، وان النطفة إذا استقرت فيها القوة الغاذية لقبول افعال اعدت النفس الحسية ، فيكون فيها قوة قبول النفس من حيث هى حسيّة ، وإن كانت النفس الحسية والنطقية فى ذوات النطق هى واحدة ، وذلك لان أعضاء الحسية والنطقية يتم لها

أيضاً ، ولا كذلك الغاذية وأعضائها ... وأيضاً فان أعضاء الحيوان ليس يعمها الحس ويعمها قبول الغذاء ، فلا يبعد أن تكون النطفة بهذه الحال ، فتكون فيها الغاذية مستفادة من الأب ، والاخرى جائية من بعد .

ويجوز أن تكون النفس الغاذية التى جائت من الأب تبقى إلى أن يستحيل المزاج إستحالة ما ، ثم يتصل به النفس الغاذية الخاصة كان المستفاد من الاب لايبلغ من قوته أن يكمل التدبير إلى آخره بل يفي بتدبير ما ، ثم يحتاج إلى أصل قوى كان ذلك الذى اخذ من الأب قد تغيّر عما عليه الواجب ، فليس من نوع الغاذية المطلقة التى كانت فى الأب ، و التى يكون فى الولد ، ولكن لم يخرج بها التغير عن أن يعمل عملاً ما مناسباً لذلك العمل .

وفى المنى جوهر هو أول جوهر يقبلها وهو الروح الذى هو أوّل حامل لهذا الحار وهو سبب جميع أجزاء المنى لأنه فاعل المنى ومنضجه و هو مفارق بذاته ، وإن لم يفارق قواماً ، فانه إذا انفصل عن المنى فسد وتحلل ، وهذا الروح جسم ما إلهى نسبته من المنى و من الاعضاء نسبة العقل من القوى النفسانية ، فالعقل أفضل جوهر غير جسمانى ، والروح أفضل جوهر جسمانى ، وهذا الجوهر لايفارق المنى مادام صحيحاً مضبوطاً فى الرحم ، بل يحيل المنى إلى جوهره فيحلل ، فيلطف ويصير روحاً ، فيمتلئ النطفة المتكوّنة ريحاً روحياً لاريحاً فضلياً نفخياً ، ويكون هذا الريح روحاً نافذة يكوّن الاعضاء بالقوى التى فيها ويتممها ، وهو مثل الأنفحة يخالطه اللبن ، و يفعل فى أجزائه المنى ينفذ فيه من غير أن يكون هو جزء الجبن بل الجبن منفعل عنه ، كذلك هذا المنى ليس هو جزء الاعضاء بل مبدء روحى نافذ فيه يفعل الاعضاء . .

﴿النطفة وتقديرها﴾

ان الله عزوجل يوجّه الانسان فى القرآن الكريم بمواضع عديدة إلى ما خلق منه، وما أعطاه القدر فى ذاته وصفاته لتوحيد الربوبية، ولمعرفة ما يؤول إليه أمره منها:

قال الله جل وعلا: «قتل الانسان ما أكفره من أىّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره ثم السبيل يسّره» عبس: ١٧ـ٢٠)

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» وقال عليه السلام أيضاً: «إن لم تعلم من أين جئت لم تعلم إلى أين تذهب»

فى الكافى: باسناده عن سليمان الديلمى عن أبى عبدالله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: ان الله عزوجل خلق خلاّقين، فاذا أراد أن يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة التى قال فى كتابه: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ونخرجكم تارة اخرى» فعجن النطفة بتلك التربة التى يخلق منها بعد أن أسكنها اربعين ليلة، فاذا تمت لها أربعة أشهر قالوا: يارب تخلق ماذا؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر أو انثى أبيض أو أسود، فاذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ما كان صغيراً أو كبيراً ذكراً أو انثى، فلذلك يغسل الميت غسل الجنابة.

قوله عليه السلام: «خلاقين» أى ملائكة خلاّقين، والخلق هنا بمعنى التقدير لا الايجاد، وظاهره خروج المنى الاول بعينها من فيه أو عينه، ويمكن أن يحفظ

الله جل وعلا جزء من تلك النطفة مدة حياته ، ومن المحتمل أن يكون المراد ان هذا الماء من جنس النطفة ، فعلّة الغسل مشتركة .

و فى العلل :باسناده عن البزنطى عن عبدالرحمن بن حماد قال :سئلت أبا إبراهيم عليه السلام عن الميت لم يغسل غسل الجنابة ؟ قال : إن الله تبارك و تعالى أعلا وأخلص من أن يبعث الأشياء بيده ، إن لله تبارك وتعالى ملكين خلاّقين فاذا أراد أن يخلق خلقاً أمر اولئك الخلاقين. فاخذوا من التربة التى قال الله فى كتابه : « منها خلقنا كم وفيها نعيد كم ومنها نخرجكم تارة اخرى »

فعجنوها بالنطفة المسكنة فى الرحم ، فاذا عجنت النطفة بالتربة قا لا : يارب ّما تخلق ؟ قال : فيوحى الله تبارك وتعالى إليهما ما يريد من ذلك ذ كراً أو انثى ، مؤمناً أو كافراً أسود أو أبيض ، شقياً أو سعيداً ، فان مات سالت منه تلك النطفة بعينها لاغيرها ، فمن ثم صار الميت يغسل غسل الجنابة .

قوله عليه السلام : « امر اولئك الخلاّقين» كأنّ الجمعية على المجازأو المراد بالملكين نوعاً من الملك لكل إمرأة شخصان ، فيجرى فيهما التثنية و الجمع باعتبارين .

وفى المحاسن : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى يقول فى كتابه : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » يعنى منتصباً فى بطن امه ، مقاديمه إلى مقاديم امه ، ومواخيره إلى مواخير امه ، غذاؤه مما تأكل امه و يشرب مما تشرب تنسّمه تنسيماً وميثاقه الذىأخذالله عليه بين عينيه ، فاذا دناولادته أتاه ملك يسمى « الزاجر» فيزجره فينقلب ،فيصير مقاديمه إلى مواخر امه ، ومواخيرهإلى مقدّم امه ،ليسهّلالله على المرأة والولد أمره ، يصيب ذلك جميع الناس إلاّ إذا كان عاتياً ، فاذازجره فزع و انقلب ، و وقع إلى الارض باكياً من زجرة الزاجر و نسى الميثاق .

وفي الكافي : باسناده عن سلام بن المستنير قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل : « مخلقة وغير مخلقة » فقال: المخلقة هم الذّر الذين خلقهم الله في صلب آدم عليه السلام أخذ عليهم الميثاق ، ثم أجراهم في أصحاب الرجال و أرحام النساء وهم الذين يخرجون إلى الدنيا حتى يسئلوا عن الميثاق ، و أما قوله : « و غير مخلقة » فهم كل نسمة لم يخلقهم الله في صلب آدم عليه السلام حين خلق الذر وأخذ عليهم الميثاق ،وهم النطف من العزل والسقط قبل أن ينفخ فيه الروح والحياة والبقاء .

قوله : « حين خلق الذر» ومن المحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير أي ماقدّر في الذر أن ينفخ فيه الروح ، و مالم يقدّر ، و الميثاق كناية عن مفطورية الانسان على خلقه قابلة للتوحيد وسائر المعارف ، ونسيان الميثاق كناية عن دخوله في عالم الأسباب المشتمل على موانع تعقل ما فطر عليه .

وفيه : باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان الله عزوجل إذا أراد أن يخلق النطفة التي أخذ (مما اخذخ) عليها الميثاق في صلب آدم أو ما يبدوله فيه ، و يجعلها في الرحم حرّك الرجل للجماع ، و أوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري ، فتفتح الرحم بابها ، فتصل النطفة إلى الرحم ، فتردّد فيه أربعين يوماً ، ثم تصير علقة أربعين يوماً ، ثم تصير مضغة أربعين يوماً ، ثم تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة ، ثم يبعث الله ملكين خلاّقين يخلقان في الارحام ما يشاء الله ،فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة ، فيصلان إلى الرحم ، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء ويشقان له السمع والبصر والجوارح ، وجميع ما في البطن باذن الله تعالى .

ثم يوحي الله إلى الملكين اكتباعليه قضائي وقدري ونافذأمري واشترطالي البداء فيما تكتبان ، فيقولان : يارب مانكتب ؟قال : فيوحي الله عزوجل إليهما أن

أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس امه ، فيرفعان رؤوسهما فاذاًاللوح يقرع جبهة امة ، فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته ورؤيته (زينته خ) و أجله و ميثاقه شقياً أو سعيداً وجميع شأنه ، قال : فيملي أحدهما على صاحبه، فيكتبان جمع ما في اللوح، ويشترطان البداء فيما يكتبان ، ثم تختمان الكتاب و يجعلانه بين عينيه ، ثم يقيمانه قائماً في بطن امه ، قال : فربما عتا فا نقلب ،ولا يكون ذلك إلاّ في كل عات (ومارد خ) أو مارد فاذا بلغ أوان خروج الولد تاماً أو غير تام أوحى الله عزوجل إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يخرج خلقي إلى أرضي ، وينفذفيه أمري فقد بلغ أوان خروجه .

قال : فيفتح الرحم باب الولد ، فيبعث الله عزوجل إليه ملكاً يقال له : « زاجر » فيزجره زجرة فيفزع منها الولد ، فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه ، و رأسه في أسفل البطن ليسهّل الله على المرأةوعلى الولدالخروج ، قال:فاذااحتبس زجره الملك زجرةاخرى ، فيفزع منها فيسقط الولد إلىالارض باكياً فزعاً من الزجرة .

قوله عليه السلام: « أو ما يبدوله فيه» من البداء ، والمعنى:لم يؤخذ عليهالميثاق أو لاً في صلب آدم ولكن بداله ثانياًبعدخروجه من صلبهأن يأخذعليهاالميثاق ، و من المحتمل أن يكون المرادبه ما فسّربه « غير المخلقة » فيالخبرالسابق ، فيكون مشار كاًللاول في بعضما سيذكر كما أن القسم الاول أيضاً قديسقط قبل كماله فلايجرى فيه جميع ما في الخبر ، و من المحتمل أيضاً أن يراد بالاول من يصل إلى حدّ التكليف ويوخذ بما اخذ عليه من الميثاق ، و بالثاني من يموت قبل ذلك « حرّك الرجل»بالقاء الشهوة عليه ، و الايحاء كأنه على سبيل الامر التكويني ّ لا التكليفي أي تنفتح بقدرته و إرادته تعالى ، أو كناية عن فطره إياها على الاطاعة طمعاً كما قيل : « فتردد » بحذف إحدى التائين

أى تتحوّل من حال إلى حال

وقدمرأن الخلق المنسوب إلى الملك بمعنى التقدير والتصوير والتخطيط كما هومعناه المعروف فى أصل اللغة: «فيقتحمان» أى يدخلان من غير إختيار لها وإذن منها «و فيها الروح القديمة» أى الروح المخلوق فى الزمان المتقادم قبل خلق جسده و كثيراً ما يطلق القديم فى اللغة و العرف على هذا المعنى كما لا يخفى على من تتبّع كتب اللغة، و موارد الاستعمالات، و المراد بها النفس النباتية و الروح الحيوانية أو الانسانية، وقوله «رؤيته» أى مايرى منه، و يمكن إن يقرأ بالتشديد بمعنى التفكر و الفهم، و العتوّ مجاوزة الحد والاستكبار.

وفيه: باسناده عن محمد بن إسمعيل أو غيره قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: جعلت فداك الرجل يدعو للحبلى أن يجعل الله ما فى بطنها ذكر سوياً، يدعو ما بينه و بين أربعة أشهر، فانه أربعين ليلة نطفة وأربعين ليلة علقة، و أربعين ليلة مضغة، فذلك تمام أربعة أشهر، ثم يبعث الله ملكين خلاّقين، فيقولان: يارب ما تخلق؟ ذكراً أو انثى؟ شقياً أو سعيداً؟ فيقولان: ياربما رزقه؟ وما أجله؟ و ما مدّته؟ فيقال ذلك، وميثاقه بين عينيه ينظر إليه فلايزال منتصباً فى بطن امه حتى إذا دنا خروجه بعث الله عزوجل إليه ملكاً، فزجره زجرة فيخرج وينسى الميثاق.

وفيه: باسناده عن رجل من العامة قال: كنت اجالس أباعبدالله عليه السلام فلا والله مارايت مجلساً انبل (أنبل خ) من مجالسه قال: فقال لى ذات يوم: من أين تخرج العطسة؟ فقلت: من الأنف، فقال لى: أصبت الخطأ، فقلت: جعلت فداك، من أين تخرج؟ فقال: من جميع البدن كما أن النطفة تخرج من جميع البدن و مخرجها من الاحليل ثم أما رأيت انساناً إذا عطس نفض جميع أعضائه، ألا وصاحب العطسة يأمن الموت سبعة أيام

و في الدر المنثور : عن إبن عباس ـ مرفوعاً ـ : النطفة التى يخرج منها الولدترعدلها الاعضاء والعروق كلها إذا خرجت وقعت فى الرحم .

وفيه:عن مالك بن الحويرث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أراد الله أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة طارماؤه فى كل عرق وعصب منها ، فاذا كان اليوم السابع أحضر الله له كل عرق بينه وبين آدم ، ثم قرأ : « فى أىّ صورةما شاء ركبك »

وفى الفقيه : باسناده عن جابر بن عبدالله الانصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا وقع الولد فى بطن امه صار وجهه قبل ظهر امه إن كان ذكراً ، وإن كان انثى صار وجهها قبل بطن امها ، يداه على و جنتيه ، و ذقنه على ركبتيه كهيئة الحزين المهموم ، فهو كالمصرور منوط بمعاء من سرّته إلى سرّة امه ، فبتلك السرة يغتذى من طعام امه وشرابها إلى الوقت المقدّر لولادته، فيبعث الله تعالى إليه ملكاً ، فيكتب على جبهته :

شقىّ أو سعيد ، مؤمن أو كافر ،غنى أوفقير ، ويكتب (فيكتب خ)أجله ورزقه وسقمه وصحته ، فاذا انقطع الرزق المقدّر له من سرّة امه زجره الملك زجرة ، فانقلب فزعاً من الزجرة ، وصار راسه قبل الفرج ، فاذا وقع إلى الارض وقع (دفع خ) إلى هول عظيم وعذاب أليم ، إن أصابته ريح أو مشقة أو مسّته يدوجد لذلك من الألم ما يجده المسلوخ عنه جلده ،يجوع فلايقدر على الاستطعام ويعطش فلا يقدر على الاستسقاء ، و يتوجّع فلايقدر على الاستغاثة ، فيو كل الله تعالى به الرحمة والشفقة عليه والمحبة له امه ، فتقيه الحرّ والبرد بنفسها ، و تكاد تفديه بروحها ، تصير من التعطف عليه بحال لاتبالى أن تجوع إذا شبع ، و تعطش إذا روى ، و تعرى إذا كسى .

وجعل الله تعالى ذكر رزقه فى ندى امه ،وفى إحديهما طعامه. فى الاخرى شرابه حتى إذا رضع آتاه الله فى كل يوم بما قدّر له فيه من الرزق ، و إذا أدرك

فهمّه الأهل والمال و الشره والحرص ، ثم هو مع ذلك تعرضه الآفات والعاهات ، والبليات من كل وجه ، والملائكة تهديه وترشده ، والشياطين تظلّه و تغويه فهوها لك إلاّ أن ينجيه الله تعالى ، وقد ذكره نسبة الانسان في محكم كتابه ، فقال عزوجل : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثـم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون »

قال جابر بن عبدالله الانصاري :فقلت : يارسول الله !هذه حالنا فكيف حالك وحال الاوصياء بعدك في الولادة ؟ فسكت رسول الله ﷺ ملياً ثم قال : ياجابر ! لقد سئلت عن أمر جسيم لايحتمله إلاّ ذو حظّ عظيم ، إن الانبياء و الاوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جلّ ذكره يودع الله أنوارهم أصلاباً طيبة و أرحاماً طاهرة ، يحفظها بملائكته ، ويربّيها بحكمته ، يغذوها بعلمه ، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف ، و أحوالهم تدقّ عن أن تعلم ، لانهم نجوم الله في أرضه ، وأعلامه في بريته ، خلفائه على عباده ، و أنواره في بلاده ، وحججه على خلقه ، يا جابر هذا من مكنون العلم ومخزونه ، فاكتمه إلاّ من أهله .

قوله ﷺ : « على وجنتيه » الوجنة ـ ككلمة ـ : ما ارتفع من الخدين ، و « كالمصرور » : كالأسير لانه مجموع اليدين ، و « الشره » : غلبة الحرص .

وفي الدر المنثور : عن عبدالله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق :ان أحدكم يجمع خلقه في بطن امه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله الملك ، فينفخ فيه الروح و يؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقي أوسعيد ، فوالله لاإله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه و بينها إلاّ

ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، و إن أحدكم ليعمل عمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

وقال بعض المحققين: ان الانسان من أول إستقرار مادته في الرحم في الخلع و اللبس ، وفي الترك والأخذ ، وفي القبض والبسط وفي الموت والحياة، وفي النشر والحساب ... وهذه الحال مستمرة له إلى إنقضاء حياته في الدنيا ،ثم إن كان من أهل البرزخ كانت عليه تلك الحالة إلى إنقضاء البرزخ حتى ينقضي عمر الدنيا فيصل حينئذ إلى الاعراف ، فان كان من أهل النار ،فيدخل فيها، وإن كان من أهل الجنة فيتنعم من نعيمها، فيتم أحواله وينقضي إستبداله وينقطع الموت ، وهذا معنى قضاء الامر : « إذ قضى الامر وهم في غفلة »مريم : ٣٩)وذبح الموت.

وقال بعضهم: ان الله جل وعلا جعل بدن الانسان كالمملكة التي تحتاج إلى الرعايا والحفّاظ و الأمراء والسلطان ، فخلق لبدن الانسان (٢٤٠) عموداً ، وهي العظام ليقوم عليها البدن فيستقيم ، وجعل لها (٧٦٠) بنداً وهي الاعصاب، وجعل لها (٣٦٠)جدولاً كالانهار والعيون وهي العروق،وجعل لها أبوابا بالدخول الهواء وغيرها فيها ، وهي: اذنان وأنفان و الفم و المقعد ، وما يستقبح ذكره و جعل لها خدّاماً وهي قوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والنامية ، وجعل لها حرّاساً موكلين وهي الحواس الخمسة الظاهرة :

من السمع والبصر والشامة واللامسة والذائقة ،والحواس الخمسة الباطنة : من العقل والفكر والشعور والادراك والحفظ ،وجعل لكلها سلطاناً وهو : القلب الذي جلس على سريرته في وسطه نصف الاعلى في مملكته ، وجعل زمام تصرف مملكته بيده .

كما قال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : « ان في جسد إبن آدم لمضغة إذا

صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسدلها سائر الجسد ألاوهي القلب»

اقول: فكما أن صلاح البدن بصلاح القلب إذا اتبع الدين الحق، وفساده بفساده إذا خالفه، فكذلك صلاح المملكة وأهلها بصلاح سلطانها وحكّامهم إذا اتبعوا الحق ، و خراب المملكة بفساد سلطانها و إستبداد حكّامهم ، و من المعلوم : ان الناس على دين ملوكهم . . .

نعم: إذا كانت السلاطين و الحكّام صالحين كثرت الرحمة و الثقة بين المواطنين ، فيرون أنفسهم كالاعضاء لجسم واحد يحكم عليه قلبه ويدبر في أمره فيشتكى القلب بتأذى عضو واحد منه كما تشتكى الاعضاء بتأذى القلب وبتأذى عضو واحد من هذا الجسم ، و إذا كانت السلاطين و الحكام فاسدين مستبدين مستكبرين قاسين غليظ القلوب ... كثرت النقمة وسوء الظن بين المواطين فتقطع الصلة .. وتقع الفرقة بين الارحام والأحبة كما نرى في أيامنا هذا . . . فعندئذ يحتاج هؤلاء الحكام المستكبرون في سطوتهم وحكومتهم على المواطنين إلى الجساسة والغلظة ... فليسواهم كالقلوب للمواطنين ولاالمواطنون كالاعضاء للسلا طين والحكام الجابرين ...

﴿ فيما له تأثير فى النطفة ﴾

ومن البديهى ان للمآكل والمشارب ، والمساكن والمناظر ، والتصورات والصور والنيات والخطورات القلبية ، والأزمان والحركات والأقوال و الافعال ... خيرها و شرها، حسنها و قبيحها ، صغيرها و كبيرها ، ظاهرها وباطنها وحلالها و حرامها ... تأثيراً فى تكوّن النطفة وقبل إستقرارها وبعد ذلك ، ولكل ذلك دخل فى شقاءها وسعادتها، فى صلاحها وفسادها، فى فلاحها وخيبتها، وفى هداها و ضلالها و فى نقصها و كمالها . . . و غيرها مما يعترى النطفة ، و قد جهل الاكثرون ذلك .

كما أن كل خديعة أو تموية أو كذب ... فى مقدمات النكاح أو فى الاوصاف التى يقع عليها الرضا بالزواج لتؤثر فى اتجاه النسل نحو اليمين واليسار ، وقد سبق منا الكلام تفصيلاً فى هذا التفسير فى باب الزواج و آداب الجماع ... فراجع .

وقد قال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى وصيته لعلى بن أبى طالب عليه السلام - : « يا علىّ لا تجامع إمرأتك بنظر إمرأة غيرك لئلا يكون الولد مخنّثاً »

ان الله عز وجل مثّل جبرئيل الأمين عند نفخ الروح بمريم عليها السلام على صورة الانسان لتأثير الصورة فى إنعقاد النطفة إذ قال : « فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً » مريم . ١٧)

ومن غير بعيد انه لو لم يتمثل جبرئيل عند النفخ بصورة الانسان لانعقدما

ينعقد به عيسى عليه السلام على صورة روحانية، ولو نفخ فيها وقت إستعاذتها على الحالة التي كانت مريم عليها من تحرّج صدرها وضجرها لتخيلها انه بشر يريد مواقعتها على سبيل الحرام لخرج عيسى عليه السلام بحيث لا يطيقه أحد لشكاسة خلقه ورداءته لسراية حال امه فيه لان الولد إنما يتكوّن بحسب ما غلب على الوالدين من المعاني النفسانية والصور الجسمانية . . .

كما ورد في الاخبار : ان إمراة ولدت ولداً صورته صورة البشر وجسمه جسم الحية، فلما سئلت عنها اخبرت انها رأت حية عند المواقعة ،وان إمرأة ولدت ولداً له أربع أعين ورجلاه كرجل الدبّ ، وكانت قبطية جامعها زوجها ، وهي ناظرة إلى دبين كانا عند زوجها .

فلما قال لمريم عليها السلام جبرئيل : إنما أنا رسول ربك ، جئت من عنده لأهب لك غلاماً زكياً، إنبسطت عن ذالك القبض لما عرفت انه مرسل إليها من عند ربها، وانشرح صدرها لما تذكرت بشارة ربها إياها بعيسى عليه السلام إذ قالت الملائكة :« يا مريم ان الله يبشّرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى عليه السلام بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة و من المقربين» آل عمران: ٤٥)

فنفخ فيها حين الانبساط الانشراح ، فخرج عيسى منبسطاً منشرح الصدر لسراية حال امه فيه .

ولذاك قالوا : يتفكر عند الجماع الافوياء ، ويمثّل بين عينيه صورة رجل على أحسن خلقه وأقوم جثة وأفضل خلق وأكمل حال ...

في البحار : بالاسناد عن إسحق إبن إبراهيم عن الرضا عليه السلام قال: إن الملك قال لدانيال: أشتهي أن يكون لي إبن مثلك ، فقال: ما محلّي من قلبك ؟ قال: أجلّ محلّ وأعظمه ، قال دانيال : فاذا جامعت فاجعل همّتك فيّ قال: ففعل الملك ذلك فولد له إبن أشبه خلق الله بدانيال .

وقال المجلسي: ذكر الاطباء أيضاً ان للتخيّل في وقت الجماع مدخلاً في كيفية تصوير الجنين .

قال إبن سينا في القانون : قد قال قوم من العلماء ولم يبعدوا عن حكم الجواز إن من أسباب الشبه ما يتمثّل حال العلوق في وهم المرأة أو الرجل من الصور الانسانية تمثّلاً متمكّناً . إنتهى وقال بعضهم : تصوّر رجل عند الجماع صورة حية فتولّد منه طفل كان رأسه رأس إنسان وبدنه بدن حية .

اقول: ومن النكات الدقيقة العلمية ان تلك النواقص والتحولات .. لا توجد في الحيوانات لعدم إعتوار أسبابها عليها .

فاذا كان الامر كذلك فكيف الحال إذا انعقدت النطفة والزوجان ينظران فيما في تلفيزيون ، ويستمعان لاصوات الغناء و اللهو و اللعب و يتفكران صور الأجانب والاطراب والعاريات طلاقة العنان . .

ومن ذلك يعلم سرّ ما ورد في الدين الاسلامي من ذكر الله عز و جل في حال الجماع، والاستعاذة بالله تعالى من همزات الشياطين والدعاء ... كما استعاذت مريم عليها السلام عند نفخ الروح فيها حيث أحسّت ذلك .

وفي تأثير الاطعمة والأشربة في الحمل روايات كثيرة جداً ...

منها :ما في الكافي باسناده عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : و نظر إلى غلام جميل : ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام آكل السفرجل .

و منها: ما فيه عن شر حبيل إبن مسلم انه قال: في المرأة الحامل تأكل السفرجل فان الولد يكون أطيب ريحاً وأصفى لوناً .

ومنها: ما فيه باسناده عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : خير تموركم البرني فاطعموه نساءكم في نفاسهنّ تخرج أولادكم زكيّاً حليماً .

ومنها: ما فيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليكن أوّل

ماتأكل النفساء الرطب ، فان الله تعالى قال لمريم :« وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً »

قيل: يارسول الله فان لم يكن أوان الرطب؟ قال: سبع تمرات من تمر المدينة فان لم يكن فسبع تمرات من تمر أمصاركم ، فان الله عزوجل يقول: وعزتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني لاتأكل نفساء يوم تلد الرطب ، فيكون غلاماً إلاّ كان حليماً ، وإن كانت جارية كانت حلمية .

ومنها: مافيه باسناده عن الحسن بن علي عليه السلام قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اطعموا حبالاكم اللبان ، فان الصبيّ إذا غذّي في بطن امه باللبان إشتدّ قلبه ، و زيد في عقله ، فان يك ذكراً كان شجاعاً ، وإن ولدت انثى عظمت عجيزتها فتحظى بذلك عند زوجها .

اقول: قوله صلى الله عليه وآله وسلم :«باللبان» أي الكندر ، و«عجيزتها» أي موخرتها ، و«فتحظى» الحظي والحظو: الحظ يقال: حظيت المرأة عند زوجها أي سعدت به ودنت من قلبه واحبها .

ومنها: مافيه باسناده عن الحسين بن خالد قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام : إنا روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من شرب الخمر لم يحتسب صلوته أربعين يوماً ، قال : فقال : صدقوا قلت: و كيف لاتحتسب صلاته أربعين صباحاً لاأقلّ من ذلك ولا أكثر ؟ فقال : ان الله جل و عز قدّر خلق الانسان ، فصيّره نطفة أربعين يوماً ، ثم نقلها فصيّرها علقة أربعين يوماً ثم نقلها فصيّرها مضغة أربعين يوماً ، فهو إذا شرب الخمر بقي في مشاشه أربعين يوماً على قدر إنتقال خلقته ، ثم قال عليه السلام : كذلك جميع غذاء أكله وشربه يبقى في مشاشه اربعين يوماً .

ومنها: ما في تفسير العياشي : عن عبدالملك بن أعين قال : إذا زنى الرجل أدخل الشيطان ذكره ثم عملا جميعاً ، ثم تختلف النطفتان، فيخلق الله منهما فيكون شرك الشيطان .

ومنها: مافيه عن محمدبن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال : سئلته عن شرك الشيطان قوله:« وشاركهم فى الاموال والاولاد » قال: ما كان من مال حرام ، فهو شرك الشيطان قال: ويكون مع الرجل حتى يجامع، فيكون من نطفته ونطفة الرجل إذا كان حراماً .



﴿ الفلتات الطبيعية في الخلقة الانسانية ﴾

يطلق الطبيعيون هذه الكلمة على الكائنات التي توجد على غير النظام الطبيعي المقرر ، وفي تغيّر المقدور بعوارض خارجية مما الامراء فيه، ومن غير ريب كانت فيما تقرؤه طوارىء :

في تفسير جامع البيان: قال الضحاك : ولدت لسنتين وقد نبتت ثناياى .

و في الدر المنثور : قال الضحاك : و ضعتني امى ، و قد حملتني في بطنها سنتين وولدتني ، وقد خرجت ثنيتي .

وفي تفسير الكشاف : ان الضحاك ولد لسنتين .

وفي تفسير كشف الاسرار : ان محمد بن عجلان بقي في بطن امه ثلاث سنين ، فشق عنه بطن امه واخرج ، وقد نبتت أسنانه .

وفي الكشاف : وهرم بن حيان بقى في بطن أمه أربع سنين ، و لذلك سمي هرماً.

وفيه : ويروى ان شريكاً كان رابع أربعة في بطن امه .

وقد حفظ تاريخ العلم كثيراً من الفلتات الطبيعية في الخلقة الانسانية لا يسع المقام بذكر جميعها ، فنشير إلى نبذ منها تحذيراً عن أسبابها أكثرها بيد الابوين قريباً أو بعيداً وقد يكون عبرة لمن اعتبر : ١ ـ من الفلتات ما شوهد في (هنكاريا) إذ ولدت فيها إبنتان باسم استير ويهوديت ملتصقتين من عجزيهما إشتراهما كاهن روسي ووضعهما في أحد أديار عاصمة بلاده حيث بقيتا إلى سن

العشرين ، كانت جميع اجزاء جسمي هاتين الفتاتين مستقلة بعضها عن بعض إلاّ المخرج، فقد كان واحداً يؤدي وظيفته بارادة واحدة، أما أعضاء تناسلهما فكانت منفصلة بعضها عن بعض تمام الانفصال ، فتقضي كل منهما الحاجات الطبيعية على حدة ، فكان ذلك داعياً لتنافرهما وحدوث الشقاق بينهما، فكانت إحداهما إذا أرادت البول إشمأزت الاخرى.

وقد أصاب يهوديت مرض في السنة السادسة من عمرها شلت بسببه أعضاءها وظلت على هذه الحالة مدة حياتها ، أما اختها فكانت قوية التركيب شديدة العضلات ، وقد ظهرت علامات البلوغ على الاختين في وقت واحد ، ثم إن يهوديت أصابتها حمى شديدة في سنّ الثانية والعشرين ، فقضت عليها فلم تلبث اختها استير بعدها إلاّ ثلاث ساعات فدفنتا معاً .

٢- ولدت إبنتان في مدينة (ورمس) بألمانيا ملتصقتين من الجبهة ولما ماتت إحداهما إجتهد الجرّاحون في فصلها عن اختها ، ولكنها لم تلبث إلاّ قليلاً حتى أصابها هزال ، فلحقت بشقيقتها .

٣- ولد في (سيام) اخوان متصلان من جهة البطن ، وكانا متفقين في إرادتهما حتى يخيل للرائي ان لهما إرادة واحدة، فعرض عليهما أحد الجراحين أن يفصل أحدهما عن الآخر ، فلم يقبلا ، فعاشا معاً متفقين حتى بلغا سنّ الشيخوخة .

٤- ولد توءمان في (كوربة) متصلان من جهة القص وما عدا هذا كانت جميع أعضائهما مستقلة ، وكانا يستطيعان أن يتخاصرا أن يتقابلا وجهاً لوجه ، و يضع كل منهما يده على كتف الآخر ، وكانا يمشيان معاً ، و يتدحرجان على الارض ، ثم ينهضان بكل خفة ونشاط ، وكان الغشاء المشترك بينهما يبلغ محيطه (٢٢) سنتيمتراً فيكون قطره نحو سبعة سنتيمترات ، ولكنه كان عند تحركهما يتمطط .

وكان أيمنهما أيسر وأيسرهما أعسر إلاّ انه كان يستعمل اليمنى أيضاً ، و

كان الاول أطول من أخيه قليلاً وأشد عصلاً وضربات قلبه أسرع وصدره أوسع، و كان الثانى أضعف إحتمالاً لتغيرات الجو ، وأقل صبراً على الجوع ، ولكنه كان صحيح البنية ، فحصهما الدكتور ماكدونالد فوجد الأيسر ألطف حساً ، وأدق تصوراً و كانا يتكلمان بالكورية والانجليزية .

٥- كان يوجد غلام صينى يبلغ من العمر إثنى عشر حولاً يحمل فوق صدره جنيناً رأسه مخبو وفى صدر حامله ، و كان كامل التركيب يتدلى من أعلى صدره إلى ركبتيه ، و كان له شعور كبير حتى أن جسمه كان يتأثر ويتشنج لاقل لمس و كان الذى يحمله يتأثر بالأثر ذاته، ويشعر بنفس الالم إذا قرص الجنين المتدلى من صدره .

٦- وقد شوهدت فتيات تشبه هذا الغلام الصينى من حيث انها تحمل غلاماً فى صدرها تحت الثديين بلا رأس .

٧- ورؤيت إبنة تناهز الثانية عشرة من عمرها تحمل على جنبها إبنة اخرى أصغر منها حجماً متداخلة فيها من تحت كتفها و كانت اليتا الصغيرتين ممتلئتين حتى كان ثقلها كافياً لان يتعب حاملتها، و كانت الفتاة المحمولة تبول وتغوط بدون إرادة حاملتها ، فكانت حاملتها تضطر إلى تنظيفها متى احدثت ، و كان للفتاتين شعور واحد ، فاذا لمست الصغيرة تألمت الكبيرة معها ، و قد عاشت هذه الفتاة إلى الثالثة عشرة ثم ماتت.

٨- وشوهدت سنة ١٧٨٥ م فتاة مزدوجة الرأس و كان كل من ثغريها يرضع على حدة من ثدى امها، و كان يسمع صراخهما، وبكاؤهما فى آن واحد.

٩- وولد فى (ايكوسيا) فى عهد الملك جاك الرابع غلام برأسين وصدرين، و أربع أيدى وبطن واحدة ، وساقين فأمر هذا الملك بأن يعتنوا بتعليمه فتعلم عدة لغات ، و كان يحسن التكلم بها بطلاقة ، أما رأساه فكانت إرادتاهما متخالفتين

حتى كان ذلك سبباً لوجود الشقاق بينهما ، و ماتا بعد أن عاشا ثمانياً و عشرين سنة .

١٠ـ وشوهدت فتاة ولدت برأسين أيضاً في أول القرن التاسع عشر بمدينة (سردينيا) و كان لها صدران و أربعة أيدى و ساقان فقط ، توفيت سنة ١٨٢٨ م فشرح جثتها الاستاذ جوفروا سان‌هيلير فوجدلهاقلبين فى شغاف واحد و كبداً واحداً وامعاء مزدوجة إلا المعى المعروف بالاعور ورحمان فتحتاهما فى ذات الفرج وسلسلتان فقاريتان متحدتان عند العصعص .

١١ـ وولدانسان يسمى بورغيني في (مارسيليا) وتوفي في سن الخمسين ، و لم تكن قامته تتجاوز أربعة أقدام إلا أنه كان كبير الرأس حتى أن محيطها يبلغ ثلاثة أقدام ، وعلوها قدماً واحداً ، فاضطر وهو فى سن الثانية و العشرين أن يضع على كتفيه و سادتين كبيرتين ليسندبهما رأسه ، فقدكان لا يستطيع حملها .

١٢ـوشوهدت نساء لهاثلاثة أثداء موضوعة وضعاً افقياً .

١٣ ـ وشوهدت إمرأة لها أربعة أثداء وموضوعة صفين .

١٤ـ وشوهدت إمرأةلها خمسة أثداء ، ومن العجب أن هذه المرأةالمتعددة الاثداء تزوجت فى الرابعة عشرة من عمرها ، فكانت تلد فى كل بطن ثلاثة أو اربعة مواليد .

١٥ـ وقد شوهدت إمرأة طويلة القامة لهاأربعة أثداء عريضة ، و كان لها فى صلبها فى آخر العمود الفقرى غدة ذات شعر طويل .

هذا وقدولدت مواليد ناقصة الخلقةبعين واحدة أويد واحدة أوساق واحد أو بغير ساقين وبدون ذراعين ، ذووالعين الواحدة أوذوو الساق الواحد يختلط فيهم غالباً أحدهذين العضوين بالآخر ، وقد عاش من هؤلاء قليلون جداً ، وقد يولد من الناس مواليد على شكل ذوات الاربع : فمنهم من يكون على شكل

الأسد ، ومنهم من يكون على شكل القرد .

ومن الفلتات الطبيعية وجود عضو فى الانسان مكان عضو آخر ، فقد جاء فى أحد مجموعات المجمع العلمى الفرنسى أن أحد الرجال توفى فى سن الثانية والسبعين ، فلما شرحت جثته وجد ان جميع الاعضاء التى يجب أن تكون فى شقه الايمن موجودة فى شقه الايسر و كذلك الشريانات و العروق و الامعاء شوهد فيها هذا التبدل بعينه .

وقد وجدت أشخاص فيهم آثار أجنحة وقرون أو أذناب ...

١٦ـ وقد شوهدت نساء ملتحيات ، فكان يرى فى مدينة (اكسبورغ) فى سنة ١٦٥٥م إمرأة كان جسمها مغطى بالشعر من مفرق رأسها حتى أخمصى قدميها و قد عرضت فى سن الثانية و العشرين ، فكان الناس يشاهدونها فى مقابل دراهم معدودة .

١٧ـ وقد جيىء فى سنة ١٧٧٤م إلى (باريز) بامرأة لحيتها متسعة طويلة الشعر شبيهة بلحى النساك والمتعبدين، فقد كان وجهها جميعه مغطى بشعر كثيف.

أما الفلتات من جهة الطول فكثيرة :

١٨ وقد شوهد فى (روان كان) رجل كان يتجاوز طول قامته ثمانى أقدام.

١٩ ـ و قد شوهد فى مدينة (ميلانو) رجل طويل ينام على سريرين يلتصق رأس الواحد منهما بالآخر يبلغ طوله ثمانى أقدام و أربع عقد .

وأما قصار القامة فكثيرة أيضاً :

٢٠ـ وقد شوهد كثير من قصار القامة كان طول الواحد منهم من(٢٥)إلى (٣٦)عقدة. و العقدة سنتيمتران ونصف .

وأما الفلتات الطبيعية فى السمن المفرط فكثيرة جداً...

٢١ـ وقد شوهد ولد عمره أربع سنين كان يزن ١٠٦/ ليبرات ، وقد توفى

فى سن العاشرة وهو يزن را ٣٥ ليبرة واللبيرة نحو رطل مصرى. و كل رطل إثنتى عشر أو قية . وقال الجوهرى : كل أوقية سبع مثاقيل .

وقد بلغت زنة رجل إنجليزى من كونتات مدينة لينكوكن ٥٨٣ رطلاً وكان محيط وسطه عشر أقدام أى أكثر من ثلاثة أمطار و كان يا كل فى اليوم ١٨, رطلاً من اللحم البقرى ، ويتعاطى عشرة أرطال من الجعة (البيرة) وتوفى سبونر الانجليزى فى سن السابعة والخمسين وكان جسمه يزن ٦٧٥ رطلاًونصف رطل وقد شوهد رجل كان يبلغ من الثقل ٧٣٩, رطلاً ، و قد قيس محيط بطنه فبلغ عشر أقدام ، و كانت تتدلى من صدره كتلتان من الدهن أشبه بثديين ضخيمين ، وقدمات مختنقاً بالنسيج الدهنى .

وان أغلظ جسم شوهد فى البشر جسم رجل انجليزى إسمه لو بكانس من ولاية غال ، وقد أراد واوزنه فلم يتهيأ لهم ميزان متين ، فوضعوه على ارجوحة ذات عجل تو صلوابها إلى تقدير ثقلة فبلغت زنته ٩٩٠, ليبرة .

وأما الفلتات فى الهزال المفرط فكثيرة أيضاً :

٢٢- وقد كان الشاعر ميلتيوس أشهر بهزال جسمه منه برقة شعره ، و لما وقع المسمى ارشترالاس أسيراً فى إحدى الحروب وزنوه فلم يكن ثقله أكثر من إثنى وعشرين ليبرة .

وكان كلود سودات أهزل جسم فى العالم ولد سنة ١٧٩٨, م فى بلدة ترويس من أعمال شمبانيا ، ولما بلغ من العمر أربع سنين إبتلى بهزال شديد فأصبح جلده ملتصقاً بعظمه ، و كان يخيل لمن ينظر إليه أن العضل مفقود من جسمه بتة ، فصار يلقب بالهيكل العظمى .

٢٣ - و من الفلتات الطبيعية ماشوهد من الاشخاص الذين يجترون كالحيوانات فقد كان يوجد فى بلاد السويد رجل متى أكل إعتزل الناس، وأخذ يتجشى فتندفع الاغذية إلى فمه فيمضغها ثانية ويزدردها، وقد آل هذا الامر إلى

الرجل وراثة عن أبيه وأورثه هو إبنه أيضاً إلا أن هذا الأخير توصل لما بلغ الرابعة والعشرين إلى إبطال هذه العادة .

وأما الفلتات الطبيعية فى الذكورة والانوثة ، فأكثرها توجد فى اليهود ، على ما أذاع راديو إسرائيل سنة / ١٩٨٢ م بأن يولد منهم فى كل عام كثير لكل واحدمنهم آلتاالمذكروالمونث معاًيعبّرعنه بالخنثى،فاكثرالخنثى على وجه الارض بين اليهود .

وغير ذلك من الفلتات الطبيعية فى الخلقة الانسانيةأكثر أسبابها من ناحية الابوين لعدم رعاية آداب الزواج والجماع، وتأثيرالصوروالتصورات والحركات والسكنات والمآكل والمشارب والأماكن والازمان فى تكوّن النطفة وإستقرارها فى الارحام وبعدإستقرارها فيها ، وقد تكون موروثة منهما ، فعليهما العبرة و الرعاية .



﴿في شباهة الانسان باولى الارحام﴾

وقدوردت في المقام روايات كثيرة نشير إلى نبذة منها :

١ـ في فروع الكافي باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من نعمة الله على الرجل أن يشبهه ولده »

٢ـ وفيه باسناده عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: من سعادة الرجل أن يكون له الولد يعرف فيه شبهه خلقه وخلقه و شمائله .

٣ـ في الاحتجاج :بالاسناد عن أبي محمد العسكري عليه السلام عن جابر بن عبدالله قال: سئل ابن صوريا النبي صلى الله عليه وآله فقال: أخبرني يامحمد الولد يكون من الرجل أو من المرأة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل وأما اللحم و الدم و الشعر فمن المرأة ، قال: صدقت يامحمد ثم قال: يامحمد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس له من شبه أخواله شيء ، ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أيهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له ، قال : صدقت يا محمد فأخبرني عما لايولد له، ومن يولد له ، فقال : إذا مغرت النطفة لم يولد له ـ أي إذا احمرّت و كدرت ـ وإذا كانت صافية ولد له . الخبر .

٤ ـ وفيه: عن ثوبان قال: إن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يامحمد أسئلك عن شيء لايعلمه إلاّ نبي ، قال: و ما هو ؟ قال : عن شبه الولد أباه و امه ، قال : ماء الرجل أبيض غليظ و ماء المرأة أصفر رقيق ، فاذا علا ماء الرجل ماء المرأة

كان الولد ذكراً باذن الله عز و جل ، و من قبل ذلك يكون الشبه ، و إذا علا ماء المرأة ماء الرجل خرج الولد انثى باذن الله تعالى : و من قبل ذلك يكون الشبه . الخبر .

٥- فى العلل باسناده عن أبى بصير قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام فقلت له : ان الرجل ربما أشبه أخواله ، وربما أشبه أباه و ربما أشبه عمومته ، فقال: ان نطفة الرجل بيضاء غليظة و نطفة المرأة صفراء رقيقة ، فان غلبت نطفة الرجل نطفة المرأة أشبه الرجل أباه و عمومته ، و إن غلبت نطفة المرأة نطفة الرجل أشبه الرجل أخواله .

٦- وفيه: باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قلت: المولود يشبه أباه وعمه قال: اذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ، فالولد يشبه أباه وعمه وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل يشبه الرجل امه و خاله .

٧- وفيه: باسناده عن أبى هاشم الجعفرى عن أبى جعفر الثانى عليه السلام - فى حديث طويل يذكر فيه إتيان الخضر أمير المؤمنين علياً عليه السلام وسؤاله عن مسائل و أمره عليه السلام الحسن بجوابه ، فقال الحسن عليه السلام فى سياق الأجوبة - : وأما ما ذكرت من أمر الرجل يشبه أعمامه و أخواله ، فان الرجل إذا أتى أهله بقلب ساكن و عروق هادئة ، وبدن غير مضطرب إستكنت تلك النطفة فى الرحم ، فخرج الولد يشبه أباه وامه وإن هو أتاها بقلب غير ساكن ، وعروق غير هادئة و بدن مضطرب إضطربت تلك النطفة فى جوف تلك الرحم، فوقعت على عرق من العروق ،فان وقعت على عرق من عروق الاعمام أشبه الولد أعمامه ، وإن وقعت على عرق من عروق الاخوال أشبه الولد أخواله . الخبر .

قوله عليه السلام : « هادئة » : ساكنة

٨- فى الدر المنثور : عن إبن عباس قال : حضرت عصابة من اليهود نبى الله

ﷺ فسئلوه عن مسائل ، فكان فيما سئلوه : كيف ماء الرجل من ماء المرأة ؟ و كيف الانثى منه والذكر ؟ فقال: إن ماء الرجل أبيض غليظ ، وإن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيّهما علا كان له الولد والشبه باذن الله تعالى، إن علا ماء الرجل كان ذكراً باذن الله ، وإن علا ماء المرأة كان انثى باذن الله تعالى.



﴿أطوار الجنين والتوحيد﴾

قال الله عزوجل: «ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فاناخلقنا كم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبين لكم و نقر فى الارحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتو فى ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً» الحج: ٥)

وقال: «الله يعلم ماتحمل كل انثى وما تغيض الارحام وماتزداد و كل شيء عنده بمقدار» الرعد: ٨)

واعلم أن الفلاسفة تقول: ان صور الجسم الطبيعي العنصرى جماد بالقوة، وصور المعدنيات جماد بالفعل نبات بالقوة، وصورة النبات أى النفس النباتية جوهر تام متغذ مولد للمثل بالفعل حيوان بالقوة، وصورة الحيوان أى نفسه جوهر حسّاس بالفعل إنسان بالقوة، و نفوس الصبيان حسّاسة بالفعل عاقلة بالقوة، و ذلك ان المعادن تستحيل إلى أجسام النبات، والنبات يستحيل إلى أجسام الحيوان، و من لحوم الحيوان والنبات تتكوّن النطفة التى يتكوّن منها الجنين الانسانى، وهذه الاستحالات والاستكمالات ظاهرة فى المادة النطفية والجنينية للانسان والنفس الانسانية

وان الانسان من لدن حدوثة عند كونه نطفة ذات صورة طبيعية لايزال فى الانقلاب والانتقال طبيعة و مادة و نفساً و بدناً - مع حفظ إنسانيته بأن تتكوّن نطفته نطفة إنسانية - من طور إلى طور، و صورة إلى صورة و حال إلى حال إلى وقت يكون فيه بحسبها، و هذا الامر ظاهر من مشاهدة كل أحد أحوال نفسه و

بدنه ، و أما أحوال البدن فحيث شاهدانه أبداً في التحوّل و النقلة في أطواره الذاتية من لدن كونه نطفة و جنيناً وطفلاً إلى كونه شاباً و كهلاً وشيخاً .

وأما أحوال النفس في أطوارها و إنقلاباتها ، فوقت لم يكن لها شأن إلاّ حفظ الجسم ثم حصلت لها قوة الانماء ، والتغذية للجسم ثم حصلت لهاقوة التوليد المثل لبدنها .

هذه مراتبها بحسب التحريك ، وأما مراتبها بحسب الادراك فوقت كانت في مقام الشعور و الاحساس للجزئيات فقط ، وأول درجة الحسّ و أنقصها حاسّة اللمس التي لايخلو عنها حيوان حتى الدود في الطين إذ ينقبض عند الاصابة ، وبهذا يمتاز عن النبات،ثم مرتبة الشم ثم باقي الحواس الظاهرة، ثم يحصل لها الادراك الباطنية الحسية ثم العقلية على درجاتها ومراتبها ...

فعلم ان كلاً من النفس والبدن في الحركة والانتقال والسفر والارتحال من حال إلى حال في الحياة الدنيا إلى أن بطلت صورة التأليف بالموت، وحصل الافتراق و الانفصال بينهما إلى أن يزدوجا ثانياً يوم البعث و الرجوع إلى الواحد القهار للحساب والجزاء .

و ان الجنين هو المستور من كل شيء و الولد مادام في الرحم جمعه أجنة .

وان الجنين من الشهر الاول إلى الثالث يسمى علقة ثم يكون جنيناً، وحينئذ يكون جميع أعضائه متميزة ، ويكون طوله من (١٢) إلى (١٥) سنتيمترا وثقله من (١٠٠) إلى (١٢٥) غراماً ويعرف إن كان ذكراً أم انثى وتبدو تقاطيع وجهه، و يكون جلده رقيقاً شفافاً، وتبدو أظافره على هيئة صفائح رقيقة، وبعد شهر يتضاعف وزنه، وتظهر فيه شعرات ضاربة للبياض في رأسه ، ويتكوّن الفم و الأنف ، و تظهر فيه عضلات من خلال جلده ويعلو جلده زغب رقيق ، ويأخذ في الحركة حتى أنه لو ولد على تلك الحالة دامت فيه الحياة بضع ساعات ، وفي الشهر الخامس يزن من

(٣٠٠) إلى (٣٥٠) غراماً ، ويبلغ طوله (٢٥) سنتيمتراو يأخذ خلده فى العتامة، وتبدو فى رأسه شعرات كثيرة فضية، وتظهر أظافره جلية .

وفى الشهر السادس يبلغ طوله من (٣٠) إلى (٣٥) سنتيمترا وثقله من (٤٠٠) إلى (٥٠٠) غرام وتتميز فيه الادمه والبشرة وتكون عيناه مقفلتين والاجفان دقيقة وينبت لها هدبان وحاجبان ، وتجمد أظافره وتكون خصيتاه فى تجويف بطنه ، و إن كان انثى إتضحت أعضاء انوثتها ، وفى الشهر السابع يبلغ طوله من (٣٢) إلى (٣٦) سنتيمترا وتبدو عظام جمجمته من جهتها الوسطى و كل أعضائه تكتسب صلابة و نمواً و يطول شعره و يتم تكون أظافره ويبدو إفتتاح عينيه ، و تبتدىء الخصيتان فى النزول فى الصفن .

وفى الشهر الثامن يزداد نمو الجنين فى كل عضو من أعضائه ، ويبلغ طوله من (٤٠) إلى (٤٥) سنتيمتراويزن من (٢) كيلو غرام إلى (٢/٥) و يحمر جلده و يمتلىء زغباً ، وفى الشهر التاسع يبلغ غاية نموه، ويبلغ طوله من (٥٠) إلى (٦٠) سنتيمتر اووزنه من (٣) كيلو إلى (٣/٥) وتكون عظام جمجمته متقاربة جداًو إن لم تكن ملتحمة ، وقدشوهد أن من الأطفال من يبلغ وزنه ساعة ميلاده (٦) كيلو غرام ومادام فى البطن ، فوضعه ان تكون رجلاه إلى أعلى ورأسه إلى أسفل على شكل بيضاوى .

و أما تغذى الجنين فاختلفت فى غذاء الجنين آراء العلماء فقال بعضهم: انه يحصل بمادة تفرزها لهمسام فى باطن الرحم، وذهب آخرون إلى أن غذائه يحصل بواسطة الحبل السرى، وذهب فريق آخران فى كلا الرأيين شيئاً من الحقيقة ، و لكن قبل تكون الحبل السرى و المشيمة يحصل تغذيه بواسطة الاندسموز أى الامتصاص انظر اند سموز .

واما تربية الأجنة فقد اخترع الاطباء المتخصصون جهازاً لتربية الأجنة التى تولد قبل موعدها ، وهو عبارة عن صندوق تحيط به حرارة ذات قدرمعين ، فيوضع

الجنين داخل الصندوق غيرمعرض للتأثيرات الجوية حتى يتم نموه ، و قد شوهد ان الجنين الذى عمره خمسة أشهر يزن (١٥٠) غراماً ، و الذى عمره ستة يزن من (١٢٠٠) إلى (١٢٥٠) غراماً والذى عمره سبعة يزن من (١٦٠٠) الى (١٨٠٠) غراماً أما الجنين التام الخلقة ، فيزن عادة من (٣٠٠٠) إلى (٣٦٠٠) غراماً و كل جنين يزن أقل من (٢٥٠٠) غراماً يعتبر انه ولد قبل مولده .

وقد دلّ الاحصاء ان الاجنة الذين يبلغ وزنهم دون الالف غرام يموتون كلهم يوم ميلادهم ، والذين يزنون من (١٠٠١) إلى (١٥٠٠) غراماً ينجو منهم (٥٠) فى المأة و الذين يبلغ وزنهم من (١٥٠١) إلى (٢٠٠٠) غراماً ينجو منهم (٧٢) فى المأة والذين يبلغ وزنهم من (٢٠٠١) إلى (٢٥٠٠) ينجو منهم (٩٠) فى المأة والذين يبلغ وزنهم من (٢٥٠١) إلى (٢٩٠٠) ينجون كلهم .

وقد ثبت فى العلم الحديث فى زمن متأخر ما نطق به القرآن الكريم: ان مبدأ الحياة وجد بالماء والماء من أهم البواعث فى تكوّن الحياة و كان يقول الله عزوجل قبل مئات السنين فى كتابه الذى : « لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه » فصلت : ١٢) : « و جعلنا من الماء كل شىء حىّ أفلا يؤمنون » الانبياء : ٣٠)

ثم اكتشف العلم الحديث ان الزوجية متأصلة فى الاشياء كلها حتى أن الذرة مركبة من (الكترون وبروتون) : كهربائية سالبة و كهربائية موجبة ، و كان القرآن الكريم ينطق بذلك من قبل الف و أربعمأة سنة : « و من كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » الذاريات : ٤٩)

أى لعلنا نتذكر ان الوحدانية لله جل وعلا لايشاركه فيها أحد أنه عزوجل يقول فى آية اخرى: « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لايعلمون » يس: ٣٦)

كان الطب يجهل أدوار الجنين وأطواره في الرحم إلى زمن غير بعيد، و قد كان القرآن المجيد ينطق قبل أربعة عشر قرناً :

« لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ـ فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون: ١٢-١٤)

في دعاء يوم العرفة : قال سيد الشهداء سبط المصطفى الامام الحسين بن على صلوات الله عليهم ـ :« فابتدعت خلقي من منيّ يمنى ، ثم أسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم وجلد ودم، لم تشهرني بخلقي، ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري ، ثم أخرجتني إلى الدنيا تاماً سوياً، و حفظتني في المهد طفلاً صبياً، و رزقتني من الغذاء لبناً مريئاً ، وعطفت عليّ قلوب الحواضن ... » الدعاء .

قوله عليه السلام :« لم تشهرني بخلقي » أي لم تجعل تلك الحالات الخسيسة ظاهرة للخلق في إبتداء خلقي لأصير محقراً مهيناً عندهم ، بل سترت تلك الاحوال عنهم ، وأخرجتني بعد إعتدال صورتي وخروجي عن تلك الاحوال الدنيّة .

و قوله عليه السلام :« طفلاً»: مولوداً «صبياً» : غلاماً وهما متقاربان في المعنى ، فالصبي إما تأكيد أو إشارة إلى إختلاف مراتب المولود بأن يكون الطفولية قبل الصبا و الاول أظهر إذ يطلق على المولود حين كونه في المهد طفلاً وصبياً، فيكون الجمع بينهما إشارة إلى حالتي المولود ، فاعتبار نعومة بدنه طفل، وباعتبار قلة عقله صبيّ ، فلذا قال تعالى :« كيف نكلم من كان في المهد صبياً » مريم: ٢٩)

وقوله عليه السلام : « عطفت» العطف : الشفقة و الامالة ، و «الحواضن » : النساء اللائي يقمن بتربية الصبيان ، و الحضن مادون الابط إلى الكشح ، و حضن الطير بيضه لانه يضمّه إلى نفسه تحت جناحه ، و لما كانت الامهات يحضنّ الاولاد سمّين حواضن .

وقال الله تعالى :« يخلقكم في بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون » الزمر : ٦)

هذه الظلمات هى: ظلمة البطن، وظلمة الرحم،وظلمة المشيمة، ثم فى جدار الرحم ظلمات ثلاث اخرى ، و هـى : الجدر الثلاثة مـن بقايـا النطفة الامشاج ، المعتورة للجر ثومـة الاصلية ، و فـى نطفة الانثى أيضاً ثلاث : فانهـا حويصلة هى فى مـح ، و هو فى بيضة تدفق من ترائب الانثى ، فهـذه ظلمات ثلاث فـى بيئات ثلاث .

بيضة الانثى :

قال الله عز و جل : « خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب » الطارق : ٦- ٧)

هذه البيضة الدافقة من ترائب الانثى هى كبيضة الدجاجة ، لكنها أصغر منها بكثير قطرها يتراوح بين جزئين أوجزء من عشرة أجزاء $\frac{٢}{١٠}$ أو $\frac{١}{١٠}$ من الميليمترات ووزنها جزء من مليون جزء من الغرام، وفيها مح (CVTOPLAME) وفى المح الحويصلة الجر ثومية (NUELEDE) التى يبلغ قطرها جزء من القيراط ،وفيها تكمن النطفة الجر ثومية (NOVAU) التى يبلغ قطرها جزء من ثلاثة آلاف جزء من القيراط .

زواج بعد زواج - عجيب !

فهذه البيضة تتكوّن فى ظلمة المبيض ضمـن حويصلة تسبح فـى سائلها الآلبوميني، فاذا تمت هذه الحويصلة وازداد السائل الذى فى باطنها ،يتمدد غشائها، ويرق ثم ينفجر وتخرج البيضة منها، ومن المبيض كله .

فالى أين تذهب هذه البيضة الصغيرة العزيزة المذداه وحدها فى هذا الظلام؟ فهى تسعى إليه وهو يسعى إليها، ويتلاقيان فى الطريق، ثم يسيران متعانقين مترادفين إلى بيت الزوجية الأمين المهيأ لهما ، ليصنعا فيه من نفسيهما بشراً سوياً ، و لكن هذا الطريق الملتقى عبارة عن بوق مظلم مظلم- ضيق ضيق ، رفيع رفيع ، قطره قطر شعرة يجتبى وراء الرحم، ويمتد فيه إلى المبيض ، فمن أين؟ و كيف يأتيه

الحبيب للقاء الحبيبة ؟ فى ظلام ضيق دون معرفة سابقة .

فهل ان هذا الحيوان المنوى الذكر - لخبير ذكى شاطر - جرىء وقح ماكر ؟ فيعرف ان البيضة تنتظره فى فم البوق، وان لا طريق إليها إلاّ من الرحم ، فدخل إليه وخرج منه - لايلوى على شىء - حتى وصل إلى البوق فلاقاها ؟ ورأى نفسه صغيراً بالنسبة للبويضة الضخمة لان طوله ستون جزء من ألف جزء من الميليمتر، فعلم أنه إن لم يكن له رأس مكورة لم يستطع خرق جدار البيضة !

وعلم أنه إن أتاها سابحاً سبحاً بطيئاً مثل سبحها، فاته الوصول إليها فى الوقت المناسب ! وعلم أن السبح يكون أسرع إن كان فى حركة لولبية ! وعلم أن السبح السريع لايكون إلاّ بتبلط فى الماء؛ وعلم أن جوهره فى رأسه لافى ذنبه! علم الحيوان الصغير المنوى كل هذا ، فجعل لنفسه رأساً مكوراً وجعل لرأسه عنقاً لولبياً و جعل لعنقه ذنباً طويلاً يضرب به الماء الذى يسبح فيه ويتبلّط .

وجعل هذا الذيل معقوداً بأنشوطة لينفك عنه إذ دخل إلى البيضة ، ثم هل ان هذه البيضة الانثى الذكية ، وفيّة عفيفة صالحة حصان ؟ انها عرفت انها وحيدة وان الذكور يربو عددهم على (٢٠٠) مليون - تشتدّ سعيها إليها وتدور حولها تغازلها من وراء الجدار تستفتح !

فاذا أتاها القوىّ السابق رضيت به زوجاً ، وفتحت له إلى قلبها باباً خاصاً يسمى باب (CONEDUIIUACION) فاذا دخل أغلقت بابها وقطعت جذبها واستغلقت وأحصنت و صدّت الملائين الاخرى من الخطّاب وردّتهم خائبين ليموتوا حزناً وأسفاً .

فهل ان ذلك كله عن علم لهذين الزوجين، حينما هما دودان صغيران يختلقان على علم بشراً سوياً ، ثم هذا البشر يعجز أن يخلق بعوضة فما فوقها ؟ ! أو عن صدفة عشواء هى أسوأ حالاً ! أو أن ورائها خلاّقاً حكيماً قادراً عليماً يدبّرهما سبحان الخلاق العظيم ! .

فلله ماأعلم هذهالخلايا بالخلق، وماأقدرها عليهحين تخلقمن أنفسهاإنساناً كاملاً وهيحيوان صغار، ثمماأعجزها حينتصبح هيإنساناً عن أنيخلق ذبابة !!! سبحان الخلاق العظيم .

فحقاً ان علم الجنين و معرفة تكوّن الانسان فى ظلمات ثلاث فى ثلاث يحيل الصدف .



الجنين فى ظلمات ثلاث

ودرس التوحيد

قال الله عز وجل: « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » الطارق : ٥-٧)

مم نبتدىء من آيات الكون فى معرفتنا بخالقنا ورازقنا ... وبعلمه وحكمته، وقدرته وتدبيره ، ورحمته وإحسانه، وبعظمته وجلاله ... ؟ نبتدىء بأنفسنا، فانها أقربها منا:

فى توحيد المفضل : نبتدىء يامفضّل بذكر خلق الانسان فاعتبر به :

فأوّل ذلك مايدبّر به الجنين فى الرحم ، وهو محجوب فى ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ، حيث لاحيلة عنده فى طلب غذاء ، و لادفع أذى ، ولا إستجلاب منفعة ، ولادفع مضرّة ، فانه يجرى إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات، فلايزال ذلك غذائه حتى إذا كمل خلقه، واستحكم بدنه، وقوى أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقات الضياء ، هاج الطلق بامه، فأزعجه أشد إزعاج ، وأعنفه حتى يولد .

وإذا ولد صرف ذلك الدم الذى كان يغذوه من دم امه إلى ثدييها ، فانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء ، وهو أشدّ موافقة للمولود من الدم ،

فيوافيه فى وقت حاجته إليه ، فحين يولد قد تلمّظ ، و حرّك شفتيه طلباً للرضاع ، فهو يجدثدى امه كالاواوتين المعلقتين لحاجته إليه، فلايزال يغتذى باللبن مادام رطب البدن رقيق الأمعاء ليّن الاعضاء حتى إذا تحرّك و احتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ و يقوى بدنه ، طلعت له الطواحن من الأسنان و الأضراس ليمضغ به الطعام فيلين عليه ، ويسهل له إساغته ، فلا يزال كذلك حتى يدرك ، فاذا أدرك و كان ذكراً، طلع الشعر فى وجهه، فكان ذلك علامة الذكر ،و عزّ الرجل الذى يخرج بهعن حدّ الصبا وشبه النساء ، وإن كانت انثى يبقى وجهها نقياً من الشعر لتبقى لهاالبهجة والنضارة التى تحرّك الرجال لما فيهمن دوام النسل وبقائه .

إعتبر يامفضّل فيما يدبّر بهالانسان فى هذه الاحوال المختلفة ، هل ترى يمكن أن يكون بالاهمال ؟ أفرأيت لولم يجر إليه ذلك الدم وهوفى الرحم ألم يكن سيذوى و يجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء ؟ و لو لم يزعجه المخاض عند إستحكامه ألم يكن سيبقى فى الرحم كالمؤود فى الارض ؟ ولولم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أويغتذى بغذاء لايلائمه، ولايصلح عليه بدنه؟ ولولم تطلع عليه الأسنان فى وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته ، أويقيمه على الرضاع فلايشتدّ بدنه ولايصلح لعمل ، ثم كان تشتغل امه بنفسه عن تربية غيره من الاولاد؟ ولولم يخرج الشعر فى وجهه (فى وقته خ)ألم يكن سيبقى فى هيئة الصبيان والنساء ، فلاترى له جلالة ، ولاوقاراً ؟

فقال المفضّل: فقلت: يامولاى ! فقدرأيت من يبقى على حالته ولاينبت الشعر فى وجهه وإن بلغ حال الكبر ، فقال: ذلك بماقدّمت أيديهم وأن الله ليس بظلاّم للعبيد ، فمن هذاالذى يرصده حتى يوافيه بكل شىء من هذه المآرب إلاّ الذى أنشأه خلقاً بعدأن لم يكن ، ثم توكّل له بمصلحته بعدأن كان ؟ فان كان الاهمال يأتى بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطأ

والمحال ، لانهما ضدّا الاهمال ، وهذا فظيع من القول ، وجهل من قائله ، لان الاهمال لايأتى بالصواب ، و التضادّ لايأتى بالنظام، تعالى الله عمايقول الملحدون علواً كبيراً .

ولو كان المولود يولدفهماً عاقلاً لأنكر العالم عندولادته ، و لبقى حيران تائه العقل إلى غيرذلك ممايشاهده ساعة بعدساعة ويوماً بعديوم ، واعتبر ذلك بأن من سبى من و لد إلى بلد و هو عاقل يكون كالوا له الحيران ، فلا يسرع فى تعلم الكلام و قبول الأدب كما يسرع الذى يسبى صغيراً غير عاقل ، ثم لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذارآى نفسه محمولاً مرضعاً معصّباً بالخرق مسجّىً فى المهد لانه لا يستغنى عن هذا كله لرقّة بدنه ورطوبته حتى يولد ، ثم كان لايوجد له من الحلاوة و الوقع من القلوب ما يوجد للفصل ، فصار يخرج إلى الدنيا غبيّاً غافلاً عما فيه أهله ، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ، ومعرفة ناقصة ثم لايزال يتزيّد (يتزايد خ) فى المعرفة قليلاً قليلاً وشيئاً بعدشىء ، وحالاً بعد حال حتى يألف الأشياء ويتمرّن ويستمرّ عليها ، فيخرج من حدّ التأمّل بها، و الحيرة فيها إلى التصرف والاضطراب إلى معاش بعقله وحيلته ، و إلى الاعتبار والطاعة والسهو و الغفلة (والمعصية) .

و فى هذا أيضاً وجوه اخر فانه لو كان يولدتام العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الاولاد ، وما قدّر أن يكون للوالدين فى الاشتغال بالولد من المصلحة، ومايوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافاة بالبر و العطف عليهم عند حاجتهم إلى ذلك منهم

ثم كان الاولاد لايألفون آباءهم ، ولايألف الآباء أبناءهم لان الاولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم ، فيتفرّقون عنهم حين يولدون ، فلا يعرف الرجل أباه وامه ، ولايمتنع من نكاح امه واخته وذوات المحارم منه ، إذ كان لا يعرفهنّ وأقل مافى ذلك من القباحة ، بل هو أشنع وأعظم و أفظع وأقبح وأبشع او

خرج المولود من بطن امه، و هو يعقل أن يرى منها مالا يحلّ له، ولا يحسن به أن يراه، أفلا ترى كيف اقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب، وخلا من الخطاء دقيقه وجليله؟.

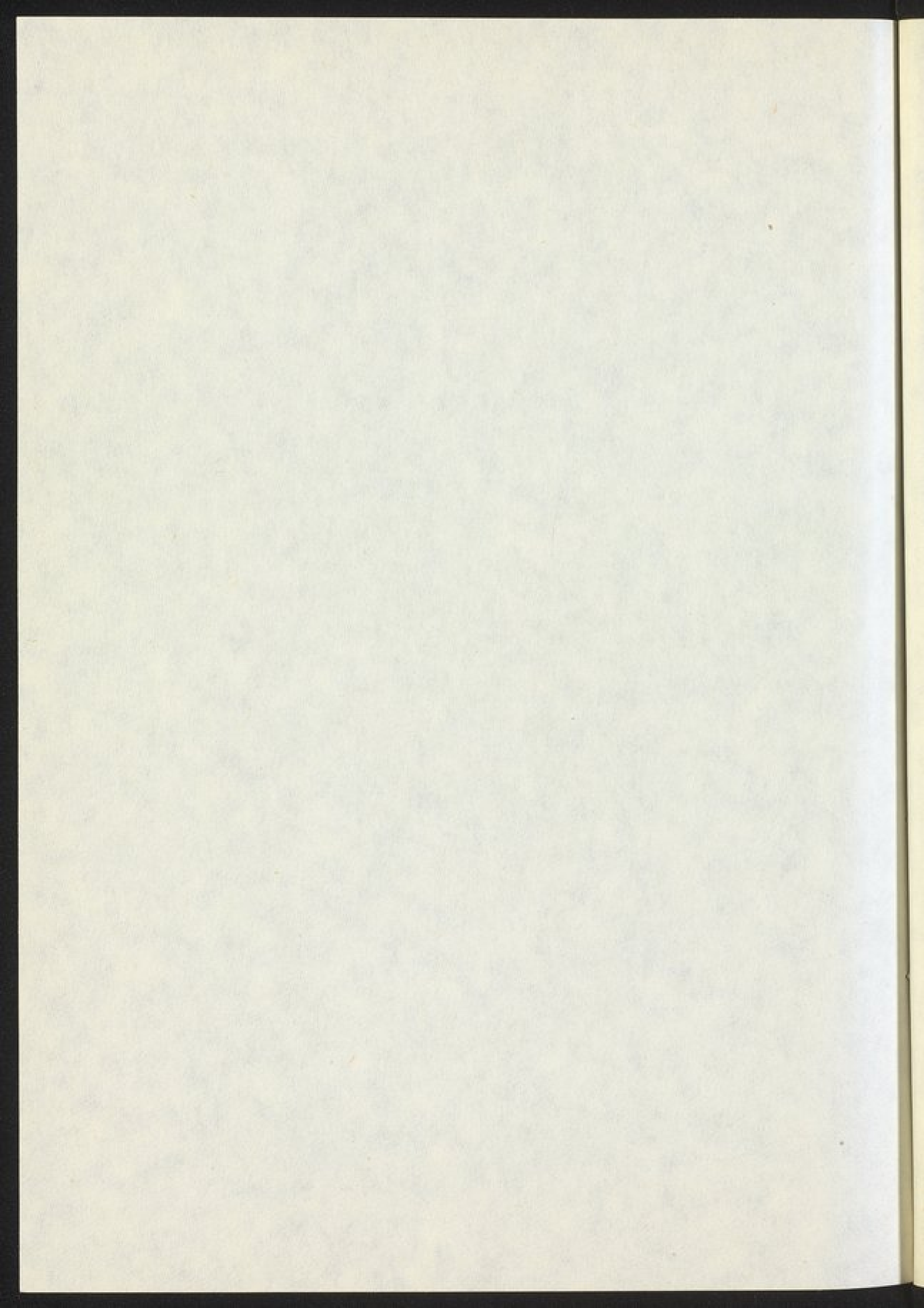
إعرف يا مفضّل ما للاطفال في البكاء من المنفعة، واعلم أن في أدمغة الاطفال رطوبة إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة من ذهاب البصر وغيره فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبّهم ذلك الصحّة في أبدانهم، و السلامة في أبصارهم، أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء و والداه لا يعرفان ذلك، فهما دائبان ليسكتانه: ويتوخّيان في الامور مرضاته لئلا يبكي و هما لا يعلمان أن البكاء أصلح له وأجمل عاقبة؟ فهكذا يجوز ان يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالاهمال، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنه لا منفعة فيه من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه، فان كل ما لا يعلمه المنكرون يعلمه العارفون، و كثيراً ما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جلّ قدسه و علت كلمته.

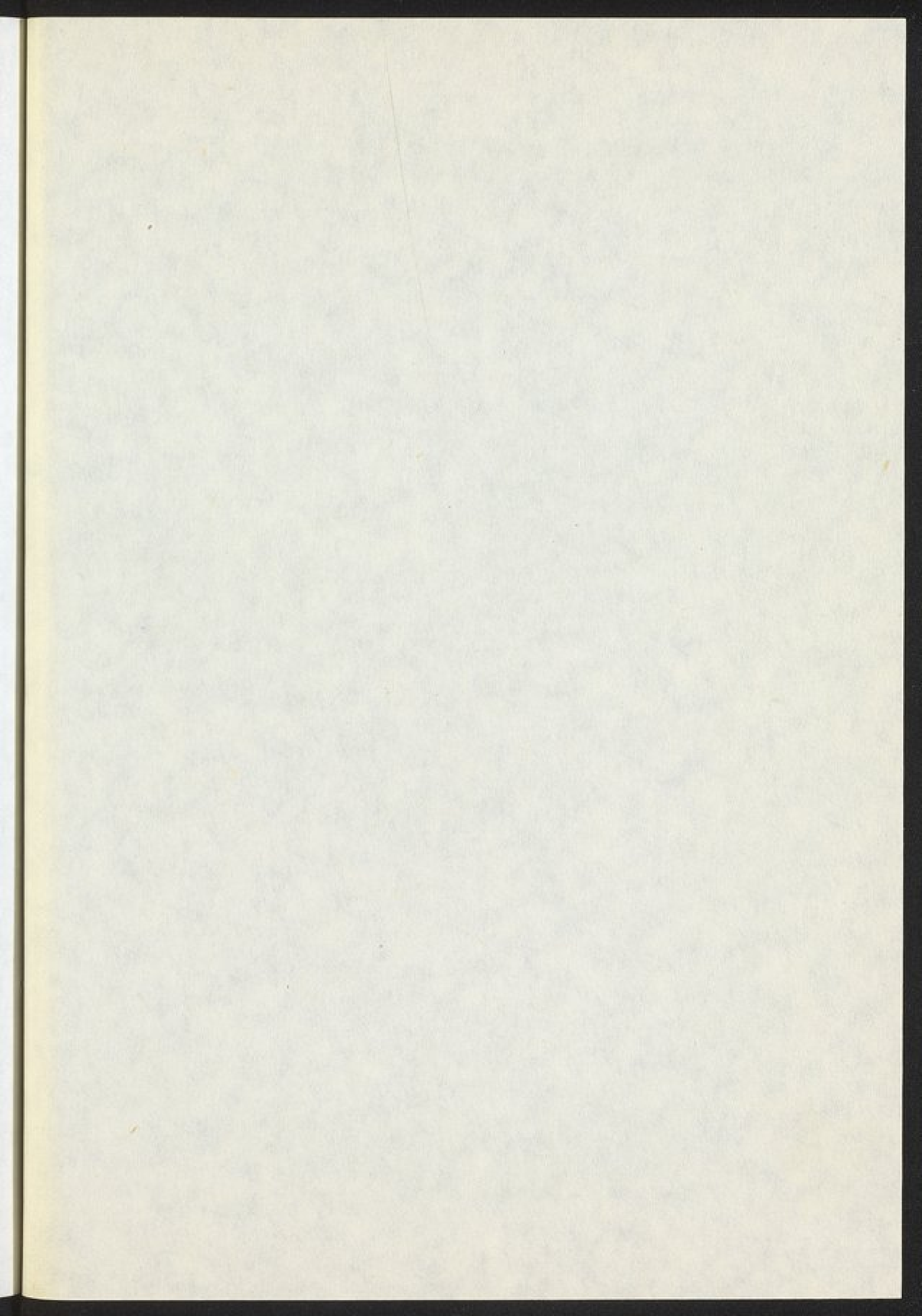
فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الامور العظمة كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حدّ البله والجنون و التخليط إلى غير ذلك من الامراض المتلفة كالفالج و اللقوة و ما أشبههما، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم: فتفضّل على خلقه بما جهلوه، ونظر لهم بما لم يعرفوه، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التمادي في معصيته، فسبحانه! ما أجلّ نعمته، وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه! وتعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً.

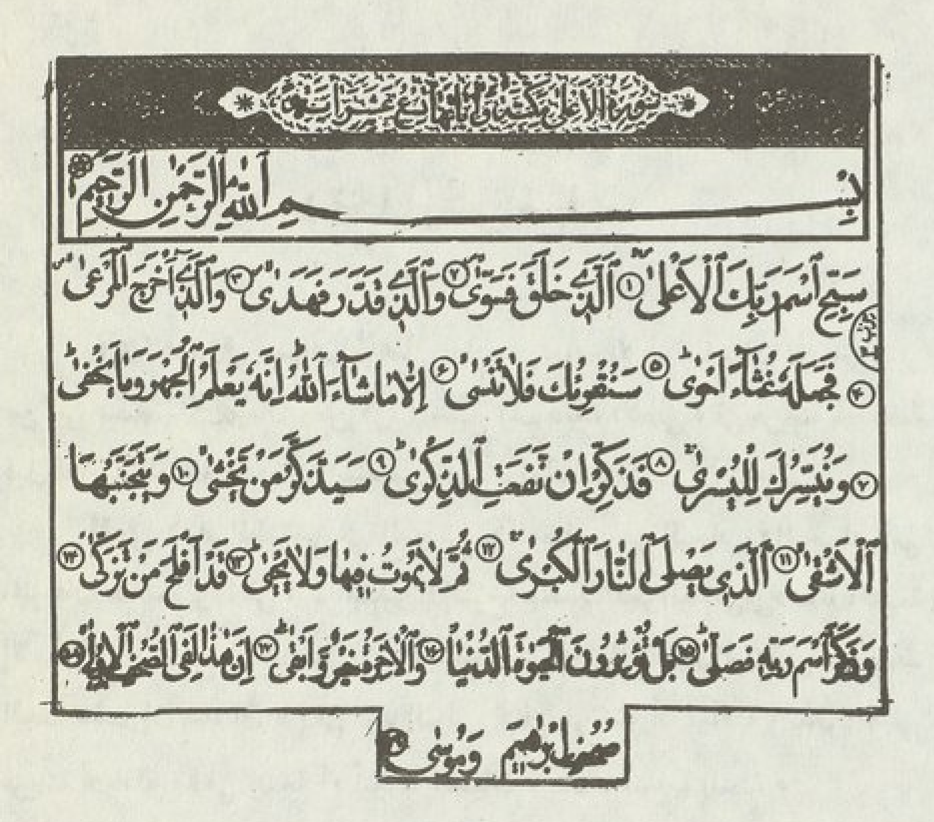
قوله عليه السلام: «تلمظ»: أخرج لسانه.

فهل ترى : يمكن ان يكون كل ذلك بالاهمال أو الصدفة؟ فان كان الاهمال يأتي بمثل هذا التدبير، فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطأ والمحال لأنهما ضد الاهمال، وهذا فظيع من القول وجهل من قائله لان الاهمال لا يأتي بالصواب والتضاد لا يأتي بالنظام، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً !!

تمت سورة الطارق و الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين







سورة الأعلى مكية وآياتها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾

صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قرأ « سبح إسم ربك الاعلى » في فريضة أو نافلة قيل له يوم القيامة : ادخل الجنة من أي أبواب الجنة شئت إن شاء الله.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع ،والمجلسي في البحار ، والبحراني في البرهان ،والحويزي في نور الثقلين،والشيخ المحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة إلا أن في المجمع:«ادخل من أي أبواب الجنة شئت» بدل:«ادخل الجنة من أي أبواب الجنة شئت إن شاء الله » وفي نور الثقلين « في فرائضه أو نوافله » بدل : « في فريضة أو نافلة » وفي البحار « أبواب الجنان » بدل « أبواب الجنة »

وذلك ان من قرأها متدبراً فيها، وتزكّى وانتفع من ذكراها، وخشي ربه ، واتقى و عمل صالحاً فهو يدخل الجنة بلاريبة .

قال الله عزوجل : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين» الزمر : ٧٣-٧٤)

و قال : « من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد » ق : ٣٣ - ٣٥)

وقال: « ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون» الزخرف ٦٨-٧٠)

وفى تفسير القمى: باسناده عن الاصبغ بن نباته انه سئل أمير المومنين عليه السلام عن قول الله: « سبح إسم ربك الاعلى » فقال: مكتوب على قائمة العرش قبل أن يخلق السموات والارض (الارضين خ) بألفى سنة: « لا إله إلا الله وحده لاشريك له » وان محمداً عبده ورسوله فاشهدوا بهما وان علياً وصى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفى الكافى: باسناده عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من قرأ المسبّحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم، وإن مات كان فى جوار محمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

اقول: « المسبحات » أى السور التى افتتحت بصيغ التسبيح ماضياً أو مضارعاً أو أمراً.

وفى تفسير العياشى: عن الاصبغ بن نباته قال: لما قدم أمير المؤمنين على عليه السلام الكوفة صلى بهم أربعين صباحاً يقرء بهم: « سبح إسم ربك الاعلى » قال: فقال المنافقون: لاوالله ما يحسن إبن أبيطالب أن يقرأ القرآن: ولوأحسن أن يقرأ القرآن لقرأ بنا غير هذه السورة قال: فبلغه ذلك، فقال عليه السلام ويل لهم انى لأعرف ناسخه من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، وفصله من فصاله، وحروفه من معانيه والله ما من حرف نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ألا انى أعرف فيمن انزل، وفى أىّ يوم، وفى أىّ موضع، ويل لهم! أما يقرؤن: « ان هذا لفى الصحف الاولى صحف إبراهيم وموسى » والله عندى ورثتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أنهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من إبراهيم وموسى عليهما السلام ويل لهم! والله أنا الذى أنزل الله فىّ: « وتعيها اذن واعية » فانما كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيخبرنا بالوحى، فأوعيه أنا ومن يعيه فاذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً.

وفي المجمع : وروى العياشي باسناده عن أبي حميصة عن علي عليه السلام قال : صلّيت خلفه عشرين ليلة ، فليس يقرأ إلاّ « سبح إسم ربك » وقال :لو يعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مرة ، و إن من قرأها فكأنما قرأ صحف موسى و إبراهيم الذى وفى .

وفيه : ابى بن كعب قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :من قرأها أعطاه الله من الاجر عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفيه: وروى عن علي بن أبيطالب عليه السلام قال :كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب هذه السورة : « سبّح إسم ربك الاعلى » و أوّل من قال : سبحان ربي الاعلى ميكائيل .

وفي ثواب الاعمال : باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال :الواجب على كل مؤمن إذا كان لنا شيعة أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة، وسبح إسم ربك الاعلى .

وفي الكافي : باسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة وسبح إسم ربك الاعلى .

و في الدر المنثور : عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح إسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية ، وان وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً .

وفي المجمع: عن إبن عباس كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرأ « سبح إسم ربك الاعلى » قال : سبحان ربي الاعلى . و كذلك روى عن علي عليه السلام .

و في الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : يستحبّ للقارىء إذا قرأ « سبح اسم ربك الاعلى »أن يقول عقبه : «سبحان ربي الاعلى»قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وفيه:باسناده عن إبن عمر قال : قرأ علي بن أبي طالب عليه السلام في الصلاة:«سبح إسم ربك الاعلى » ثم قال : سبحان ربي الاعلى ، فلما إنقضت الصلاة قيل له : يـا أمير المؤمنين أتزيد هذا في القرآن ؟ قال : ما هو ؟ قالوا : سبحان ربي الاعلى

قال : لا ، إنما امرنا بشي فعلته .

وفيه : ان أوّل من قال : سبحان ربى الأعلى ميكائيل عليه السلام وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل : يا جبرئيل أخبرني بثواب من قال : «سبحان ربى الاعلى» فى صلاته أو فى غير صلاته .

فقال : يامحمد ما من مؤمن ولامؤمنة يقولها فى سجوده أو فى غير سجوده إلاّ كانت له فى ميزانه أثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا ، و يقول الله تعالى : صدق عبدى أنا فوق كل شيء وليس فوقى شيء، أشهدوا يا ملائكتى أنى قد غفرت له وأدخلته الجنة ، فاذامات زاره ميكائيل كل يوم ، فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه ، فأوقفه بين يدى الله تعالى ، فيقول : يارب شفّعنى فيه ، فيقول : قد شفّعتك فيه ، فاذهب به إلى الجنة .

وفى المجمع: قال الباقر عليه السلام : إذا قرأت «سبح إسم ربك الاعلى» فقل : سبحان ربى الاعلى وإن كان فيما بينك وبين نفسك .

وفى تفسير ابن كثير : و ثبت فى الصحيحين : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ : هلاصليت بسبح إسم ربك الاعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى

وفى البرهان : روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قرأ هذه السورة أعطاه الله من الاجر بعدد كل حرف أنزل على إبراهيم و موسى و محمد صلى الله عليه وآله وسلم و إذا قرأت على الاذن الوجعة زال ذلك عنها ، وإن قرأت على البواسير قلعتهن و بريء صاحبهن سريعاً .

وفيه : قال الصادق عليه السلام : قرائتها على الأذن الدوية التى فيها الدوائر (الدوائر خ) يزيلها ، وقرائتها على الموضع المفسخ (المنفسخ خ) تزيله ، وقرائتها على البواسير تقطعها باذن الله تعالى .

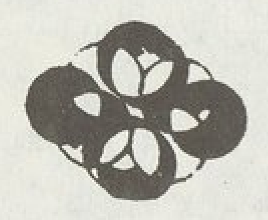
و فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأها على الاذنين و الرقبة الوجيعة زال ذلك عنهما ، وتقرأ على البواسير وإن كتبت لها يبرى صاحبها سريعاً

أقول ان الروايات الواردة في المقام على طوائف ثلاث :

منها : صحيحة سنداً تنطبق على كتاب الله المجيد .

منها : ضعيفة سنداً ، ولكن يجبر ضعفها بالاولى لما بينهما من المساس نطاقاً على سبيل التقريب والتقرير .

و منها : ما فيها إرسال كالأخيرة منها ، ولكنها غير مردودة إذ من غير بعيد أن يكون من خواص السورة ماجاء فيها مع شرائط التأثير فتدبر جيداً و اغتنم جداً .



﴿الغرض﴾

غرض السورة هو الاخبار من الله عزوجل - بعد ما امر نبيه ﷺ بتقديس إسم ربه الاعلى الذى يستحق كل تقديس و تنزيه لما خلقه، فسوّاه و قدّره و أودع فى خلقه عامة، والانسان خاصة، قابلية الهدى تمهيداً لما يأتى ويعلم منه - إلى النبى الكريم ﷺ بما سيوحى إليه ﷺ وتيسيرالامر عليه، و بيان مهمة الرسول ﷺ وهى تذكير الناس بما اوحى إليه ﷺ.

وتقرير مسائر الناس إزاء الدعوة الحقة والذكرى السماوية بانهم فيهاعلى فريقين: فريق تقى صالح زكىّ مفلح، وهم الذين يخشون ربهم، فتنفعهم الذكرى.

وفريق شقى آثم، وهم الذين لايخشون سوءالعاقبة، فلاتنفعهم الذكرى. فيكون جزاؤهم النار الهائلة التى لايموتون فيهافيستريحون، ولايأملون الخلاص منها، و لاالحياة الآمنة المطمئنة.

﴿النزول﴾

سورة «الاعلى» مكية نزلت بعد سورة «التكوير» وقبل سورة «الليل» وهي السورة الثامنة نزولاً ، والسابعة والثمانون مصحفاً ، وتشتمل على تسع عشرة آية ، سبقت عليها «١٨٨ آية نزولاً ، و«٥٩٤٨ آية مصحفاً على التحقيق .

وهي مشتملة على/ ٧٢ كلمة، وقيل: / ٧١ كلمة، وقيل : /٧٨ آية، وعلى/ ٢٩١حرفاً ، وقيل: /٢٧١حرفاً ، وقيل: / ٢٧٠ حرفاً ، وقيل: /٢٨٤ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

في تفسير ابن كثير الدمشقي: عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير وابن ام مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار و بلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جاء ، فما جاء حتى قرأت :« سبح إسم ربك الاعلى » في سورة مثلها .

وهذا يدل على نزول السورة بمكة .

وقيل: سياق الآيات في صدر السورة سياق مكي ، وأما ذيلها أعني قوله :«قد أفلح من تزكى ... » الخ فقد ورد من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام و كذا من طريق أهل السنة ان المراد به زكاة الفطرة وصلاة العيد ، ومن المعلوم : ان الصوم وما يتبعه من زكاة الفطرة وصلاة العيد إنما شرعت بالمدينة بعد الهجرة ، فتكون آيات الذيل نازلة بالمدينة ، فالسورة صدرها مكي و ذيلها مدني ، ولا ينافي ذلك ما جاء في

الآثار أن السورة مكية فانه لايأبى المحمل على صدر السورة .

اقول: ان اسلوب آيات هذه السورة الكريمة ومضمونها و نظمها يسوّغ القول بأنها من السور التي نزلت جملة واحدة، وأنها من أوائل مانزل، وانها من القسم الذي كانت تعنيه تسمية القرآن الكريم في بدء الدعوة، والذي إحتوى عرض أهداف الرسالة المحمدية ﷺ والدعوة إليها على سبيل عرض عام للدعوة ومهمة النبي الكريم ﷺ باسلوب رصين وهادىء معاً من غير إشارة إلى موقف خاص لمكذبين ومناوئين.

وأما اسلوب الدعوة إلى الزكاة فعلى صحة الترجيح فهو اسلوب الحث والترغيب وهذا هو المتسق مع ظروف العهد المكي، وخاصة مع ظروف أوائله، وهذا الاسلوب ملموح في الدعوة إلى الصلاة أيضاً، وهو ملموح في المواضيع المماثلة في جميع السور المكية .

على أن هذا ليس مانعاً فيما نرى من أن يكون الحث على الزكاة والصلاة في هذه السورة المبكرة بمثابة تشريع وإلزام بالنسبة للمؤمنين الاولين .

وقد احتوت سورة المزمل الامر بالصلاة والزكاة ، وقد سبق منا الكلام حولهما في بحث النزول فراجع .

واحتوت سورة المدثر حكاية حسرة الكفار يوم القيامة لم يكونوا من المصلين ، وقد نوهت آيات عديدة مكية بالذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة :

كقوله جل وعلا : « تلك آيات القرآن و كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون » النمل: ١-٣)

وقوله: « تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون» لقمان: ٢-٤)

وقوله : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون » المؤمنون : ١-٤)

وقوله: «الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» المعارج: ٢٣ـ ٢٥) وغيرها من الآيات المكية النازلة في الصلاة والزكاة، كلها تؤيد القول بتشريعهما وإلزامهما للمؤمنين منذ عهد مبكر.

في التهذيب: باسناده عن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت: «فسبّح باسم ربك العظيم» قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت: «سبح إسم ربك الاعلى» قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إجعلوها في سجودكم.

وفي تفسير البرهان: عن إبن مسعود قال: قال علي عليه السلام: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أقول في الركوع؟ فنزل «فسبح باسم ربك العظيم» قال: ما أقول في السجود؟ فنزل: «سبح إسم ربك الاعلى».

وفي روضة الواعظين: للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام انه قال: وان لله ملكاً يقال له: حزقائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمأة عام، ثم أوحى الله إليه أيها الملك: طر فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأس قائمة من قوائم العرش، ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة، وأمره أن يطير فطار مقدار ثلثين ألف عام لم ينل أيضاً. وأوحى الله إليه: أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ إلى ساق عرشي، فقال الملك: سبحان ربي الاعلى، فأنزل الله عز وجل: «سبح إسم ربك الاعلى» فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إجعلوها في سجودكم ... الحديث.

وفي الجامع لاحكام القرآن: وروى جعفر إبن محمد عن أبيه عن جده قال: ان الله تعالى ملكاً يقال له: حزقيائيل، له ثمانية عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمأة عام، فخطر له خاطر: هل تقدر أن تبصر العرش جميعه؟ فزاده الله أجنحة مثلها، فكان له ستة و ثلاثون ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمأة عام، ثم أوحى الله إليه: أيها الملك أن طر، فطار مقدار عشرين ألف سنة، فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش، ثم ضاعف الله له في الأجنحة والقوة وأمره أن يطير،

فطارمقدار ثلاثين ألف سنة اخرى ، فلم يصل أيضاً، فأوحى الله إليه : أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ ساق عرشي، فقال الملك: سبحان ربي الاعلى،فأنزل الله تعالى:«سبح إسم ربك الاعلى » فقال النبي ﷺ : إجعلوها في سجودكم .

وفي المجمع: في قوله تعالى:« سنقرئك فلا تنسى» قال إبن عباس كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبرائيل عليه السلام بالوحي يقرأه مخافة أن ينساه فكان لا يفرغ جبرائيل عليه السلام من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله ، فلما نزلت هذه الاية لم ينس بعد ذلك شيئاً .

وفي الخصال: عن عتبة بن عمر الليثي عن أبي ذر رحمه الله عن النبي ﷺ - في حديث طويل وفيه- قلت: يارسول الله فما في الدنيا مما أنزل الله عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى ؟ قال، ياباذر إقرأ« قدأفلح من تزكى وذكر إسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وأبقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف إبراهيم وموسى » .

وفي الجامع لاحكام القرآن: في قوله تعالى : « ويتجنبها الاشقى »قيل : نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة .

وفيه: عن إبن عباس قال: نزلت - سيذكر من يخشى - في إبن ام مكتوم .

﴿القراءة﴾

قرأ أبو عمرو «يؤثرون» بالياء على الغيبة على تقدير: بل يؤثرون الاشقون الحياة الدنيا، وقرأ الباقون بتاء الخطاب على تقدير: بل تؤثرون أيها المسلمون الا ستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب.

﴿الوقف والوصل﴾

«الاعلى لا» للوصف بالموصول، و«فسوّى لا» للعطف، و «فهدى لا» لما تقدم، و«المرعى لا» لمكان الفاء الآتية، و«أحوى لا» لتمام الكلام، و«فلا تنسى لا» لمكان الاستثناء، و«شاء الله ط» لتمام الكلام، وإستيناف التالى، و«يخفى ط» لماسبق، و «لليسرى ج» لتمام الكلام ومكان الفاء، و«الذكرى ط» لتمام الكلام، و«يخشى لا» للعطف التالي، و«ى» علامة العشر، وتوضع عند إنتهاء عشر آيات، و «الاشقى لا» للوصف بالموصول الآتي.

و«الكبرى ج» لتمام الكلام، ومكان العطف بحرف «ثم» لترتيب الاخبار، و «لا يحيى ط» لان مابعده مستأنف، و«تزكى لا» للعطف التالى، و«فصلّى ط» لان «بل» للاضراب، و«الدنياز» بناء على أن الواو للاستيناف والحال أوجه، و«أبقى ط» لتمام الكلام، و«الاولى لا» لمكان البدل او البيان التالى.

﴿ اللغة ﴾

٦-السبح والتسبيح-٦٦٥

سبح بالنهر يسبح سبحاً وسباحة ـ من باب منع ـ : عام وجرى و مرّ في الماء وسار على الماء منبسطاً ، وكل من إنبسط في شيء فقد سبح فيه .

قال الله تعالى : « وكل في فلك يسبحون » يس : ٤٠)

وقال : « ان لك في النهار سبحاً طويلا» المزمل : ٧) أي تقلباً في المعاش والمهام وتصرفاً فيه ، وقال : « والسابحات سبحاً » النازعات:٣) أي الجاريات جرياً وهي مستعارة للخيل أو النجوم أو السفن .

سبّح يسبح تسبيحاً ـ من باب التفعيل ـ : نزّه .

قال الله تعالى : « سبح إسم ربك الاعلى » أي نزهه عن كل سوء وقدّسه من النقائص كلها وسبحان الله : صيغة التسبيح والتنزيه لله تعالى .

في رواية: ان إبن الكواء سئل الامام علياً عليه السلام عن سبحان الله فقال : كلمة رضيها الله لنفسه فأوصى بها .

وإنما امتنع صرفه للتعريف وزيادة الألف والنون ، وتعريفه كونه إسماً علماً للبراءة والتنزيه والتقديس .

والسبّوح : من صفاته تعالى لتنزهه عن كل سوء وتقدسه عن كل نقص.

في المفردات: السبح : المرّ السريع في الماء وفي الهواء ـ واستعير لمر

النجوم في الفلك .

وفي النهاية : في حديث : «حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه» سبحات الله : جلاله وعظمته، وقيل :سبحات الوجه : محاسنه لانك إذا رأيت الوجه الحسن قلت : سبحان الله .

وفي اللسان: السبح أيضاً: السكون والسبح :التقلب و الانتشار في الارض والتصرف في المعاش فكأنه ضد .

وسبحان:أصله مصدر نحو غفران ، وقيل : مصدر من التسبيح و قيل:من السبح ، وقيل : إسم اقيم مقام المصدر .

السباحة والمسبحة : الاصبع التي تلي الابهام سميت بذلك لانها يشار بها عند التسبيح .

٧٤- العلو والعلاء- ١٠٣٩

علا النهار يعلو علواً - من باب دعا - : إرتفع .

يقال : علا فلان في الارض : تكبّر وتجبّر ، و علا في المكان : صعده و الفرس : ركبها وفلاناً : غلبه وقهره و فلاناً بالسيف : ضربه وفي المكارم : شرف ويقال : علا به : جعله عالياً وله : إستطاعه .

علوّ الشيء : ارفعه نقيض سفله ، ومنه يقال : العلو : العظمة و التجبر و العلاء كذلك ، فيقالان في المحمود و المذموم .

قال الله تعالى : « ان فرعون علا في الارض » القصص : ٤)

وقال : « ولعلا بعضهم على بعض » المؤمنون : ٩١)

من الحسى العلياء : رأس كل جبل .

العلاوة - بكسر العين - : من كل شيء : ما زاد عليه يقال : أعطيتك ألفاً

ودينارا علاوة .

على يعلى علاء – من باب رضى – : إرتفع أيضاً ، ومنه الاعلى إسم تفضيل : نقيض الاسفل والانثى : عليا . وقال تعالى : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا» التوبة : ٤٠)

ويقال في المحمود كقوله تعالى : « سبح إسم ربك الاعلى » .

وفي المذموم كقوله تعالى حكاية عن فرعون : « فقال أنا ربكم الاعلى » النازعات : ٢٤)

العلى : الرفيع القدر وهو إسم معناه انه يعلى على وصف الواصفين .

ومنه قوله تعالى : « تعالى الله عما يصفون » الانعام : ١٠٠) أي يعلى أن يحيط به وصف الواصفين وتخصيص لفظ التفاعل لمبالغة ذلك منه لا على سبيل التكلف كما يكون من البشر .

والاعلى : الغالب كقوله تعالى : «إنك أنت الاعلى » طه : ٦٨) أي الغالب.

و الاعلى في الحسى ان كان للعاقل فجمعه : الأعلون كقوله تعالى : « و أنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين » آل عمران: ١٣٩) أي الغالبون، وجمع الأعلون : الأعالي وإن كان لغير العاقل فيأتي الجمع : الأعالي لاغير .

العلى : جمع العليا مؤنث الاعلى إسم تفضيل كقوله تعالى : « والسموات العلى » طه : ٤)

تعال : فعل أمر من تعالى وأصله ان الرجل العالي كان ينادي السافل منه فيقول : تعال ثم كثر استعماله ، فجاء بمعنى هلمّ مطلقا سواء كان موضع الداعي أعلى أم أسفل أو مساوياً .

قال الله تعالى : « قل تعالوا ندعوا أبنا ئنا وأبناء كم » آل عمران :٦١)

الاستعلاء : طلب العلو المذموم ،وقد يجيء لطلب العلاء والرفعة في المحمود ، قال تعالى : « وقد أفلح اليوم من إستعلى » طه : ٦٤)

علية القوم - بكسر العين وضمها - :أشرفهم و أعلاهم رفعة .

والعليون على" : إسم لاعلى الجنة وأرفعها درجة يرفع بالواو وينصب ويجر بالياء .

قال الله تعالى : « وما أدراك ما عليون » المطففين : ١٩)

وقال : « كلا ان كتاب الابرار لفى عليين » المطففين : ١٨)

في المفردات: العلو : ضد السفل والعلو : الارتفاع ،وعلى يعلى علاً فهو على" فعلا - بالفتح - في الامكنة والاجسام أكثر قال : « عاليهم ثياب سندس »

وفي النهاية : في أسماء الله تعالى : « العلى المتعال » فالعلى : الذى ليس فوقه شيء في المرتبة ،والحكم .

١٠٤-السوى والاستواء والتسوية- ٧٦٣

سوى يسوى سوى - من باب علم - : عدل وسوى أمر فلان :إستقام أمره وجعل من غير عوج فيه .

سوّى الشيء يسويه تسوية :عدّله وجعله لاعوج فيه،وسوّاه:جعله على كمال و إستعداد لما انشىء من أجله وسوى الشيء بالشيء : جعله مثله سواء فكانا مثلين

قال الله تعالى : « الذى خلق فسوّى» الاعلى : ٢) أى جعله على كمال وإستعداد لما يراد منه .

وقال : « الذى خلقك فسوّاك فعدلك » الانفطار : ٧) أى جعل خلقك على ما اقتضته الحكمة الالهية .

وقال « ونفس وما سواها » الشمس : ٧) إشارة إلى القوى التي جعلها فيها

ساوى الشي للشيء : عادله وماثله ، وساوى الرجل الشيء بالشيء و ساوى بينهما : جعلهما سواء متعادلين فاستويا وتساويا .

قال الله تعالى : « حتى إذا ساوى بين الصدفين» الكهف : ٩٦) أى جعلهما سواء متعادلين .

إستوى الشيئان : تعادلاً و تماثلاً ، و إستوى الشيء : إعتدل فى ذاته و أحواله و إستوى الغلام : تم شبابه .

قال الله تعالى : « ولما بلغ أشده واستوى » القصص : ١٤) أى تم شبابه .

إستوى على ظهر الدابة : إستولى عليها أو إستقر و إعتدل عليها .

قال تعالى : « لتستووا على ظهوره » الزخرف : ١٣) أى لتستقروا إستوى إلى الشيء : إنتهى إليه و قصد إليه و قصد إليه بالذات أو التدبير .

قال الله تعالى : « ثم إستوى إلى السماء فسوّاهن سبع سماوات» البقرة: ٢٩) أى قصد إليها بتدبيره .

وقال : « إستوى على العرش » الاعراف : ٥٤) أى إستولى و استقر عليه بلا كيف .

السوى : ما يستوى طرفاه قال تعالى حكاية: « ولا أنت مكاناً سوى » طه :٥٨)

سواء: تدل على معنى التوسط والتعادل يقال : فلان وفلان سواء أى متساويان وقوم سواء : أى متساوون .

و سواء الشيء : و سطه . و سواء السبيل : وسطه أو قصده .

قال الله تعالى : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايومنون» البقرة : ٦) أى يستوى إنذارهم و عدمه .

و بمعنى الاستواء والتعادل قال تعالى : « ليسوا سواء » آل عمران :١١٣) أى ليسوا متعادلين متساوين .

السوى : المستقيم المعتدل والكامل قال تعالى : «فستعلمون من أصحاب الصراط السوى » طه : ١٣٥) أى المستقم المعتدل .

وقال : « فتمثل لها بشراً سوياً » مريم : ١٧) أى كاملاً على خلقه .

قيل: ان الاستواء ان عدّى بالى فيقتضى الانتهاء إما بالذات وإما بالتدبير وعلى الثانى قوله تعالى: « ثم استوى إلى السماء »

وإذا عدى بعلى إقتضى معنى الاستيلاء كقوله تعالى: « الرحمن على العرش إستوى ».

١٣ - التقدير - ١٢٠٥

فى المفردات: القدر و التقدير: تبيين كمّيّة الشىء يقال: قدرته و قدّرته وقدّره بالتشديد أعطاه القدرة يقال: قدّرنى الله على كذا وقوّانى عليه.

فتقدير الاشياء على وجهين أحدهما باعطاء القدرة و الثانى: بأن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما إقتضت الحكمة، و ذلك ان فعل الله تعالى ضربان: ضرب أوجده بالفعل ومعنى ايجاده بالفعل ان أبدعه كاملاً دفعة لاتعتريه الزيادة والنقصان إلى أن يفنيه أو يبدله كالسموات وما فيها و منها ما جعل اصوله موجودة بالفعل وأجزاءه بالقوة، وقدّره على وجه لايتأتى منه غير ما قدّره فيه كتقديره فى النواة أن ينبت منها النخل دون التفاح و الزيتون و تقدير منىّ الانسان أن يكون منه الانسان دون سائر الحيوانات ...

فتقدير الله على وجهين أحدهما بالحكم منه أن يكون كذا أولايكون كذا إما على سبيل الوجوب وإما على سبيل الامكان وعلى ذلك:

قوله تعالى: « قد جعل الله لكل شىء قدراً » الطلاق: ٣)

و الثانى: باعطاء القدرة عليه و قوله تعالى: « فقدرنا فنعم القادرون » المرسلات: ٢٣)

تنبيهاً ان كل مايحكم به فهو محمود فى حكمه أو يكون من قوله: « قد جعل الله لكل شىء قدراً » وقوله: « نحن قدّرنا بينكم الموت » الواقعة: ٦٠)

فانه تنبيه ان ذلك حكمه من حيث انه هو المقدّر وتنبيه ان ذلك ليس كما زعم المجوس ان الله يخلق وإبليس يقتل .

وقوله: « انا كل شيء خلقناه بقدر » القمر: ٤٩)

وقوله: « والله يقدّر الليل والنهار علم أن لن تحصوه » المزمل: ٢٠)

إشارة إلى ما أجرى من تكوير الليل على النهار والعكس وان ليس أحد يمكنه معرفة ساعاتهما وتوفية حق العبادة منهما في وقت معلوم .

وقوله: « من نطفة خلقه فقدّره » عبس: ١٩)

فاشارة إلى ما أوجده فيه بالقوّة فيظهر حالاً فحالاً إلى الوجود بالصورة .

وقوله: « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » فقدر إشارة إلى ما سبق به القضاء والكتابة في اللوح المحفوظ والمشار إليه بقوله ﷺ: « فرغ ربكم من الخلق والأجل والرزق » والمقدور إشارة إلى ما يحدث عنه حالاً فحالاً مما قدّر وهو المشار إليه بقوله: « كل يوم هو في شأن » الرحمن: ٢٩)

وعلى ذلك قوله: « وما ننزّله إلا بقدر معلوم » الحجر: ٢١)

وقوله: « والذى قدّر فهدى » أى أعطى كل شيء ما فيه مصلحته ، وهداه لما فيه خلاصه إما بالتسخير وإما بالتعليم كما قال: « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » طه: ٥٠)

والتقدير من الانسان على وجهين أحدهما : التفكر في الامر بحسب نظر العقل وبناء الامر عليه وذلك محمود كتقدير المعيشة .

والثاني : أن يكون بحسب التمنّي والشهوة وذلك مذموم كقوله تعالى: فكّر وقدّر فقتل كيف قدّر » المدثر : ١٨ و ١٩)

وفي اللسان : التقدير على وجوه من المعاني : أحدها التروية والتفكير في تسوية أمر وتهيئته والثاني : تقديره بعلامات يقطعه عليها والثالث : أن تنوى أمراً بعقدك تقول :قدّرت أمر كذا وكذا أى نويته وعقدت عليه، ويقال : قدّرت

لأمر كذا اقدر له وأقدر قدراً إذا نظرت فيه و دبّرته و قايسته .

يقال : قدرت أى هيات وقدرت أى أطقت وقدرت أى ملكت وقدرت أى وقّت .

وقوله عزوجل : « ثم جئت على قدر يا موسى » قيل في التفسير :على موعد وقيل : على قدر من تكليمي إياك . وتقدّر له الشيء أى تهيّأ وفي حديث الاستخارة « فاقدره لي ويسّره عليّ » أى اقض لي به وهيّئه وقدرت الشيء أى هيأته .

و في **تاج العروس** : التقدير أيضاً العلم والحكمة ومنه قوله تعالى :« والله يقدّر الليل والنهار » المزمل : ٢٠)

أى يعلم وقيل : يدبّر .

وفي **مجمع البحرين** : قدّر بالتشديد معناه قسم الله تعالى أحوال البشر قال تعالى :« و الذي قدّر فهدى »

اقول : و بالجملة ١- قدّر الشيء : حدّد مقداره أو إمتداده .

ب- قدّر الله الامر : قضى به أوحكم بأن يكون .

ج- قدّر الله الشيء : جعله بحيث ينهج منهجاً صالحاً له في حياته .

د- قدّر في الأمر : تمهّل و تروّى في إنجازه .

١-قال الله تعالى : « و بارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام » فصلت:١٠)

أى حدّد كميات الاقوات اللازمة لاهلها .

وقال : « وقدّرنا فيها السير » سباء: ١٨) أى حدّدنا أوقات السير من قرية إلى اخرى فمن سار من قرية صباحاً وصل إلى اخرى ظهر ومن سار من قرية ظهراً وصل إلى اخرى عند الغروب .وقيل : حدّدنا مسافات السير بينها.

وقال : « والقمر قدرناه منازل» يس :٣٩)أى حدّدسيره في منازل معينة .

وقال : « والله يقدّر الليل والنهار » المزمل ٢٠) أى يحدّد إمتداد كل

منهما ويعلمه هو وحده

٢- قال تعالى: «إلا إمرأته قدّرنا انها لمن الغابرين» الحجر: ٦٠) أى قضينا بذلك أو حكمنا بأن يحصل.

٣- قال تعالى: «وخلق كل شيء فقدره تقديراً» الفرقان: ٢) أى دبّر اموره بعد ماحدّد مقداره تحديداً تاماً أو جعله بحيث ينهج منهجاً صالحاً له فى حياته.

وقال: «الذى خلق فسوى والذى قدّر فهدى» الاعلى: ٣ و ٤) أى جعل المخلوقات بحيث ينهج كل منها منهجاً صالحاً فى حياته.

٤- قال تعالى: «وقدّر فى السرد» سباء:١١) أى تمهّل وترو فى تحكمه.

٣- الغثاء- ١٠٧٢

غثا الوادى يغثو غثواً - من باب دعا - : إذا كثر غثاؤه وهو ما علا الماء من البعر والورق والقصب و نحوها.

قال الله تعالى «جعله غثاء أحوى» الاعلى: ٥) أى فجعل المرعى كالهشيم الجاف الذى تراه فوق السيل وما يقذف به السيل على جانب الوادى من الحشيش و النبات و يدور معنى المادة على إرتفاع شيء دنى فوق شيء، فغثاء السيل والوادى والقدر: ما يتفرّق من الزبد والنبات اليابس ومن ورق الشجر الذى إذا خرج السيل رأيته مخالطاً زبده.

غثى وغثاً- واوياً ويائياً- السيل المرتع: جمع بعضه إلى بعض وأذهب حلاوته.
وأغثى وغثت نفسه: خبثت و جاشت بشيء مؤذ.

فى النهاية: فى حديث القيامة: «كما تنبت الحبّة فى غثاء السيل» الغثاء - بالضم والمد - : ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره.

ومنه حديث الحسن: «هذا الغثاء الذى كنا نحدّث عنه» يريد ارذال الناس

وسقطهم.

٩١ - الاحوى والحوة - ٣٧٩

حوى يحوى حوى - من باب علم - : كان به حوة فهو أحوى .

قال الله تعالى : « فجعله غثاء أحوى » الاعلى : ٣) أى إذا صار النبت يبساً فهو غثاء وإذا اسود من القدم والعتق فهو أحوى .

الحوة : خضرة تضرب إلى سواد تضرب إلى خضرة .

الحوايا : الامعاء واحدتها حوية .

قال تعالى : « الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا » الانعام : ١٤٦)

فى المفردات: « فجعله غثاء أحوى » أى شديد السواد .

وفى اللسان : حواء : زوج آدم عليهما السلام . و الحو والحى : الحق واللو و اللى : الباطل ، ولا يعرف الحو من اللو أى لا يعرف الكلام البين من الخفى .

وقيل : لا يعرف الحق من الباطل، والاحوى : الظبى الذى فى ظهره خطان من سواد وبياض .

٥٨ - الجهر والجوهر - ٢٧٤

جهر به يجهر جهراً - من باب منع - وجاهر جهاداً :أعلنه و أبداه نقيض أخفى وأسر .

قال الله تعالى : « انه يعلم الجهر وما يخفى » الاعلى : ٧)وقال : « وأسروا قولكم أواجهروا به انه عليم بذات الصدور » الملك : ١٣) وقال : « يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون » الانعام : ٣)

يقال : جهر بكلامه أو بدعائه أو بصلاته أى رفع صوته بذلك حتى سمع

واضحاً .

الجهار : العلانية قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: « إنى دعوتهم جهاراً» نوح : ٨) أى علانية .

يقال : « رأيته جهرة » أى عياناً بحيث لم يكن بينى وبينه ستر .

قال تعالى حكاية عن عبدة العجل بنى إسرائيل : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » البقرة : ٥٥) أى عياناً من غير مستتر عنا بشىء

والعذاب الذى يأتى جهرة : هو أن يأتى بحيث يرى .

قال الله تعالى : « قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة » الانعام : ٤٧) أى أتاكم وأنتم ترونه .

المجاهر بالمعاصى : المظهر لها بالتحدث بها ومنه الحديث : « كل امتى معافى إلا المجاهرين » وهم الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها و كشفوا ماستر الله عليهم ، فيتحدثون به ومنه الحديث : « لاغيبة لفاسق ولامجاهر »

الجهراء: ماستوى من ظهر الارض ليس بها شجر ولا آكام ولارمال إنما هى فضاء كالعراء ، وجهراء القوم : جماعتهم .

الأجهر: الاحول والذى لايبصر بالنهار لضوء الشمس ضده الاعشى وهو لايرى بالليل ، والاجتهار : الاستخراج .

الجوهر: جوهر كل شىء : جبلته المخلوق عليها . وجمعه : جواهر . . .

فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « فى تقلب الاحوال تعرف جواهر الرجال » أى حقائقها التى جبلت عليها ومثله : « لكل شى جوهر » أى حقيقة .

« فى الحديث : « لوقاس - إبليس - الجوهر الذى خلق الله منه آدم بالنار كان ذلك أكثر نوراً » يريد بالجوهر هنا النور كما يفسره الحديث الاخر : « لوقاس نورية آدم بنور النار عرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما

على الآخر» قال على عليه السلام فى صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من رآه جهره» أى عظم فى عينه يقال : جهرت الرجل واجتهرته : إذا رأيته عظيم المنظر ورجل جهير: أى ذومنظر .

فى المفردات : يقال لظهور الشيء بافراط حاسّة البصر أو حاسة السمع إما البصر فنحو : رأيته جهاراً وإما السمع فمنه قوله تعالى : «سواء منكم من أسر القول ومن جهر به»

٤٤- الخفاء والخفية- ٤٣٢

خفى الشيء وخفى عليه الشيء يخفى خفاء وخفية - بضم الخاء و كسرها - من باب علم - : إستتر وتوارى ولم يظهر فهو خاف و خفىّ وذاك مخفىّ .

الخافية : ضدّ العلانية . والخفاء : ضد الظهور ومنه الدعاء : «وبرح الخفاء» إذا وضح الأمر وذلك إذا ظهر وصار فى أمر منكشف .

قال الله تعالى : «انه يعلم الجهر وما يخفى» الاعلى : ٧) .

وأخفى الشيء يخفيه إخفاء : ستره و كتمه فهو ضدّ أبداه وأعلنه.

وهذا الشيء أخفى من ذاك أى أكثر منه إستتاراً .

إستخفى : إستتر فهو مستخف قال تعالى: «ومن هو مستخف بالليل وسارب النهار» الرعد : ١٠).

الاستخفاء : طلب الخفاء .

المختفى : نبّاش القبور لانه يستخرج الأكفان خفية .

فى النهاية : الخافية : الجن سمّوا بذلك لاستتارهم عن الأبصار .

٣٦- الشقاء والشقوة- ٨٠٤

شقى يشقى شقاً وشقاء و شقاوة وشقوة - من باب علم - : ساءت حاله باسبابه

مادية أو معنوية فهو شقى وأفعل التفضيل منه أشقى .

الشقاء في الدنيا سوء الحال وفى الآخرة سوء المآل .

الشقي . ضدّ السعيد جمعه أشقياء .

قال الله تعالى: «ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى» الاعلى :١١و١٢)

وقال : فمنهم شقي وسعيد » هود : ١٠٥)

فكما أن السعادة على قسمين : سعادة دنيوية وسعادة اخروية ثم السعادة الدنيوية على أقسام ثلاثة : سعادة نفسية وبدنية وخارجية ، كذلك الشقاوة على تلك الاقسام .

والشقاء : الشدّة والعسرة والتعب وما يعرض على نفس الانسان من فسادها بأسبابه ...

قيل : قد يوضع الشقاء موضع التعب نحو شقيت في كذا و كل شقاوة تعب وليس كل تعب شقاوة فالتعب أعم من الشقاوة .

٥٥ - الفلاح - ١١٧٤

فلح الشيء يفلحه فلحاً - من باب منع - : شقّه .

وفى المثل : « ان الحديد بالحديد يفلح » أي يشق و يقطع. رجل متفلّح الشفه واليدين والقدمين أى أصابه فيهما تشقق من البرد .

الفلح : الشق. الفلاّح : الزرّاع لشقهم الارض للزراعة . والافلح : مشقوق الشفه السفلى .

وبما فيه من قوة ونفاذ جعل منه الفلاح: الظفر، وأفلح : ظفر بمطلوبه فهو مفلح .

والظفر في القرآن الكريم دنيوى واخروى فالدنيوى الظفر بالسعادات التى تطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء و الغنى والعز والاخروى في أربعة امور : بقاء بلا

فناه و غنى بلا فقر و عز بلا ذلّ و علم بلا جهل . و لذلك قيل « لاعيش إلاّ عيش الاخرة »

وقال تعالى :« وان الدار الاخرة لهى الحيوان ـ ألاإن حزب الله هم المفلحون »

وقال: « قدأفلح من تزكى » الاعلى: ١٤) وقال:« وقدأفلح اليوم من إستعلى » طه : ٦٤)

إستفلح به: فاز وظفر و الفلاح: الفوز والنجاة والبقاء في الخير تقول:« وهب الله لك الفلاح ». وتقول فى الأذان والاقامة:« حىّ على الفلاح» أى هلمّوا الى طريق النجاة والفوز الذين جعلهما الله لنا بالصلاة .

الفلاح: السحور لان بها بقاء الصوم ، و منه « قد خشيت أن يفوتنا الفلاح » أى السحور و قوم أفلاح : فائزون و فى الحديث : « كل قوم على مفلحة من أنفسهم »

فى التهذيب: الفلح : الشق فى الشفه السفلى فاذا كان فى العليا فهو علم و فى الحديث : قال رجل لسهيل بن عمرو :« لولا شيء يسوء رسول الله ﷺ لضربت فلحتك » أى موضع الفلح وهو الشق فى الشفه السفلى .

التفليح : المكر و الاستهزاء وقال أعرابى : قد فلّحوا به أى مكروا به .

و فى اللسان: الفلح والفلاح : الفوز و النجاة و البقاء فى النعيم و الخير . وفى حديث أبى الدحداح :« بشّرك الله بخير وفلح» أى بقاء وفوز.

و إنما قيل لاهل الجنة : مفلحون لفوزهم ببقاء الابد و فلاح الدهر: بقاءه

٤٤- الصلاة - ٨٧٢

صلى اللحم بالنار يصليه صلياً ـ من باب ضرب نحو رمى ـ: شواه إختلفت أقوال اللغويين فى الاصل اللغوى لمعنى الصلاة إختلافاً كثيراً :

١ـ فمنهم من قال : ان الصلاة من اللزوم يقال : صلى ـ من باب علم ـ و

اصطلى - : إذا لزم الصلاة لزوم ما فرض الله تعالى و من أعظم الفرض الذى امر بلزومه .

٢- منهم من قال : انها من الصلاء وهو النار ومعنى صلّى - بالتضعيف -: أزال عن نفسه بهذه العبادة الصلاء أى النار كقولهم : مرّض - بالتضعيف - : أزال عن نفسه المرض وهو من مآخذ الاول باختلاف فى التخريج .

منهم من قال: انها من الدعاء تقول: صلّيت أى دعوت و فى الصلاة المفروضة دعاء فسميت ببعض أجزائها وهو قول كثير من أهل اللغة .

٤- منهم من قال: انها من التعظيم كقولهم فى التشهد :« الصلوات لله» أى الادعية التى يراد بها التعظيم فسميت الصلاة بذلك لما فيها من تعظيم الله وتقديسه، وهو قريب من الثلاث مبنى عليه .

٥- منهم من قال: انها من الصلا وهو ماعن يمين الذنب وشماله فى الحيوان و أول موصل الفخذين من الانسان و هما يتحركان عند الانحناء و القيام مافى الصلاة .

٦- منهم من قال : انها من الصلا وهو وسط الظهر من الانسان ومن كل ذى أربع لان الانسان يبسط صلاه عند الصلاة وهو من وادى سابقه من التخريج .

الفعل : صلّى - بالتضعيف - والصلاة إسم يوضع موضع المصدر تقول : صليت صلاة ولا تقول : تصلية التى هى مصدر المضعف، والفاعل مصلّ والمكان : مصلى ، و المصلى أيضاً : التالى من خيل السابق فى السباق لان رأسه يكون على صلوى السابق .

وردت الصلاة فى القرآن الكريم بمعنى العبادة المفروضة .

كقوله تعالى : « من قبل صلاة الفجر - ومن بعد صلاة العشاء » النور: ٥٨)

وجائت فيه بمعنى الدعاء كقوله تعالى : « وصلّ عليهم ان صلاتك سكن لهم»

التوبة : ١٠٣)

وان الصلاة من الله تعالى الرحمة وحسن الثناء على عباده و من الملائكة الا ستغفار ومن المؤمنين الدعاء .

قال الله تعالى : « هو الذى يصلى عليكم وملائكته » الاحزاب : ٤٣)

وقال : « ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه » الاحزاب : ٥٦)

وقولنا : « اللهم صلّ على محمد و آل محمد » أى عظّمه و آله فى الدنيا باعلاء ذكرهم و إظهار دعوتهم وإبقاء شريعتهم وفى الاخرة بتشفيعهم فى الأمة المسلمة و تضعيف أجرهم ومثوبتهم لما رأوا فى سبيل الدعوة من الشدائد و المتاعب والمصائب أقصيها .

وجمع الصلاة : صلوات قال تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » البقرة : ٢٣٧)

فى المفردات: صلوات الرسول وصلاة الله للمسلمين هو فى التحقيق تزكيته إياهم و من الملائكة هى الدعاء والاستغفار كما هى من الناس .

والصلاة التى هى العبادة المخصوصة أصلها الدعاء وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشىء باسم بعض ما يتضمنه و الصلاة من العبادات التى لم تنفك شريعة منها وان اختلفت صورها بحسب شرع فشرع ولذلك قال: « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً »

١٠ـ الأثر والآثار ـ ١٠

أثر الحديث والعلم يأثره أثراً وأثارة ـ من باب ضرب ـ : نقله وأصله: تتبع الاثر، والأثر: الأجل وسمي به لانه يتبع العمر، و الأثر : نتيجة التأثير وما بقي من

رسم الشيء ، ويقال: جاؤا على أثره أي عقبه قال تعالى :« سيماهم في وجوههم من أثر السجود » الفتح: ٢٩)

وقال حكاية عن موسى عليه السلام :« قال هم أولاء على أثري » طه: ٨٤)

والأثارة : البقية من العلم وتؤثر: تروى وتذكر ، و اثرت العلم: رويته ، و أثارة من العلم: مايروى أو يكتب فيبقى له أثر وآثار الاعمال: مابقى منها. قال تعالى: « ونكتب ماقدموا وآثارهم » يس : ١٢)

وأثر الشيء : مايدل على وجوده ، والأثر: مايؤثره الرجل بقدمه في الارض ، ومن هذا يقال لكل مايستدل به على شيء : أثر وآثار .

قال تعالى :« فانظر إلى آثار رحمة الله» الروم : ٥٠)

آثره يؤثره ايثاراً : إختاره وفضله وقدّمه .

قال تعالى :« بل تؤثرون الحياة الدنيا »الاعلى : ١٦)

آثر كذا بكذا: اتبعه ، والتأثير: إبقاء الاثر في الشيء و التأثر قبول الأثر إستأثر بالشيء على غيره: إستبدّ به وإنفرد وخصّ بهنفسه .

وفي الحديث :« سيكون بعدي أثرة» أي يستأثر بعضكم على بعض المآثر : مايروى من مكارم الانسان ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضل ومنه آثرته .

الأثير:له عند فلاسفة اليونان القدماء و فلاسفة العرب الذين اخذوا عنهم معنى غير معناه العصري، فمنهم من يقول: ان الأثير هو المادة الاصلية للعالم.

وعند فيثاغورس : هو الروح الوجود الذى نشأت منه الارواح الجزئية .

وعند إنكساغورس : هو أصل النار ، وعند أفلاطون : هو مادة أخف وأنقى من الهواء وعند علماء العصر : هو مادة في غاية اللطافة والمرونة مالئة لهذا الكون الذى لانهاية له متسربة إلى مابين ذرات الاجسام متجانسة الكثافة و المرونة في

كل جِهة .

في المفردات: أَثر الشيء : حصول ما يدل على وجوده ، ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدم آثار نحو قوله تعالى : « فهم على آثارهم يهرعون » .



﴿النحو﴾

١- (سبح اسم ربك الاعلى)

«سبح» فعل أمر من باب التفعيل، خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، و«إسم» مفعول به لفعل التسبيح، اضيف إلى «رب» اضيف إلى كاف الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وفى الاسم وجوه: أحدها- انه زائد قصد به تعظيم المسمى. ثانيها- انه بمعنى المسمى أى سبّح مسمى ربك. ثالثها- على ظاهره أى نزّه إسمه جل وعلا عن الابتذال والكذب إذا أقسمت به. رابعها- على حذف الباء والرب المضاف أى سبح باسم ربك، ربك الاعلى لانك تقول، سبحان الله. «سبحان إسم علم لله جل وعلا، فتسبّحه باسمه، وأما حذف الباء فلقوله تعالى: «فسبّح بحمد ربك».

وفى «الاعلى» وجهان: أحدهما- انه فى موضع جر، صفة للرب. ثانيهما- انه فى موضع نصب نعتاً من الاسم. و«الاعلى» صفة تفضيل يراد بها العلو غايته من غير ان يكون على طريق التفاضل بين الله جل وعلا وغيره إذ لا يقاس بين صفته عز و جل وغيره

٢- (الذى خلق فسوى)

«الذى» موصولة، صفة ثانية لـ«ربك» و«خلق» فعل ماض، وهو صلة الموصول على حذف المفعول أى خلقك أو خلق مخلوقه، والفاء فى «فسوّى» للعطف، تفيد التفريع، و«سوى» فعل ماض من باب التفعيل، عطف على «خلق» على حذف المفعول أيضاً أى فسواك أو فسوى خلقه.

٣- (والذى قدر فهدى)

الواو للعطف ، والباقي ظاهر من السابق .

٤- (والذى أخرج المرعى)

الواو للعطف أيضاً ، و«أخرج» فعل ماض من باب الافعال . و«المرعى» إسم مكان اريد به المظروف أى النبات ، فى موضع نصب ، مفعول به .

٥- (فجعله غثاء احوى)

الفاء للعطف، تفيد الترتيب والتدريج . ومدخولها فعل ماض . فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «ربك» وضمير البارز فى موضع نصب، مفعول به الاول، راجع إلى «المرعى» و«غثاء» مفعول ثان ، و« أحوى» فى موضع نصب ، نعتاً من «غثاء» أى فجعله يابساً أسود .

فى الاية الكريمة وجوه: أحدها- إن كان «فجعله» بمعنى «خلقه» كان «غثاء أحوى» منصوباً على الحال، وإن كان بمعنى «صيّره» كان «غثاء أحوى» منصوباً لانه مفعول ثان أى جعله يابساً أسود. ثانيها- على تقدير: الذى أخرج المرعى أحوى أخضر فجعله غثاء . فليس «فجعله غثاء» فصلاً بين الصلة والموصول لأن قوله :«فجعله غثاء» داخل فى الصلة و الفصل بين بعض الصلة و بعضها جائز ، وما لا يجوز هو الفصل بين بعضها و بعض بأجنبىّ عنها .

ثالثها- ان «أحوى» فى موضع نصب على الحال من «المرعى» على تقدير : اخرج المرعى أحوى أى إسود لشدة خضرته ، فجعله غثاء أى جففه حتى صار جافاً كالغثاء فقدم بعض الصلة . رابعها- قيل: « أحوى» نعت لـ «غثاء» أى فجعله غثاء أسود

٦- (سنقرئك فلا تنسى)

السين للاستقبال، و«نقرأ» فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب الافعال. و كاف الخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه و آله في موضع نصب، مفعول به و يجوز أن يكون على تقدير : سنقرأ عليك القرآن، والفاء فى «فلا تنسى» للتفريع، و«لا» حرف نفى، و«تنسى» فعل

مضارع، خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم على تقدير : فلاتنسى ماتقرأه عليك .

وقيل:«لا» حرف نهى ، فالأصل : فلاتنس، فلحقته الألف موافقاً لرؤوس الآى أودخلت عن إشباع الفتحة كقوله جل وعلا: «لاتخف دركاً ولاتخشى»

٧- (الاماشاءالله انه يعلم الجهر ومايخفى)

«إلا» حرف إستثناء متصل، و«ما» موصولة ، في موضع نصب ، مفعول به لـ«شاء» :فعل ماض ، وهو صلة الموصول على حذف العائد، و«الله» فاعل الفعل، وليس المراد من الاستثناء إخراج بعض أفراد النسيان من عموم النفى كما توهم .

و«ان» حرف تأكيد، والضمير في موضع نصب، إسمها،راجع إلى «الله» و«يعلم» فعل مضارع ، في موضع رفع، خبر لحرف التأكيد ، و «الجهر» مفعول به ، و «ما» موصولة، في موضع نصب، عطفاً على «الجهر» و«يخفى» صلة الموصول .

٨- (ونيسرك لليسرى)

الواو حرف عطف، و«نيسّر» فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب التفعيل ، وكاف الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم في موضع نصب، مفعول به، والجملة عطف على «سنقرئك» فقوله تعالى :« انه يعلم الجهر و مايخفى » إعتراض ، و«لليسرى» متعلق بـ«نيسرك» و «اليسرى» هي الفعلى مؤنث أيسر، وصف قائم مقام موصوفه المحذوف أى الشريعة أوالطريقة اليسرى .

٩- (فذكر ان نفعت الذكرى)

الفاء للجواب ، و«ذكر» فعل أمر من باب التفعيل ، والخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على حذف المفعول أى فذكرهم ، و«إن» حرف شرط، و«نفعت» فعل ماض، و «الذكرى» فاعل الفعل، والجملة شرطية،وجوابها محذوف يدل عليه قوله : «فذكر» فالتقدير : إن نفعت الذكرى فذكرهم ، ومن المحتمل أن يكون في الكلام تقديم وتأخير على تقدير: إن نفعت الذكرى فذكر: فأخّر الشرط لرعاية الفواصل .

وقيل:« إن» بمعنى« قد» فلاتحتاج إلى جواب أى فذكر قد نفعت الذكرى.

وقيل: «إن» بمعنى «إذ» وقيل: بمعنى «ما» .

١٠- (سيذكر من يخشى)

السين للاستقبال، و «يذكر» فعل مضارع للمفرد المذكر الغائب من باب التفعل ، أصله: يتذكر ، فقلبت التاء ذالاً ، فادغمت في الذال ، و ههنا تقدير أي سيذكر بها .

«من» موصولة ، في موضع رفع، فاعل لـ«سيذكر» ، و«يخشى» فعل مضارع ،فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «من» .

١١- (ويتجنبها الاشقى)

الواو للعطف، ومدخولها فعل مضارع من باب التفعل، وضمير التأنيث في موضع نصب، مفعول بها، راجع إلى «الذكرى» و«الاشقى» صيغة تفضيل تمت باللام، فاعل الفعل .

١٢- (الذى يصلى النار الكبرى)

«الذى» موصولة في موضع رفع نعتاً من «الاشقى» ، و«يصلى» فعل مضارع صلة الموصول، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى الموصول ، و «النار» مفعول بها ، و «الكبرى» صفة لـ«النار» .

١٣- (ثم لايموت فيها ولايحيى)

«ثم» حرف عطف لتراخي الرتبة لان هذا النوع من الحياة أفظع من نفس الدخول في النار، و«لا» حرف نفي، و«يموت» فعل مضارع ، فاعله ضمير فيه، راجع إلى «الاشقى» و الجملة عطف على «يصلى» من باب عطف المنفي على المثبت، و«فيها» متعلق بـ«يموت»، وضمير التأنيث راجع إلى «النار» و«لايحيى» عطف على «يموت».

١٤- (قدافلح من تزكى)

«قد» حرف تحقيق إذا دخل على الماضي ، و«أفلح» فعل ماض من باب الافعال، و«من» موصولة في موضع رفع، فاعل لـ«أفلح» و«تزكى» فعل ماض من باب التفعل

صلة الموصول .

١٥- (وذكر اسم ربه فصلى)

الواو حرف عطف ، و«ذكر» فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «من» و «إسم» مفعول به، اضيف إلى «رب» اضيف إلى ضمير الموصول ، و«فصلّى» الفاء للتفريع ، والفعل ماض من باب التفعيل .

١٦- (بل تؤثرون الحياة الدنيا)

«بل» حرف إضراب ، فان تلاها جملة كان معنى الاضراب إما الابطال السابق كقوله جل وعلا: «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون» الانبياء:٢٦) أى بل هم عباد وإما للانتقال من غرض إلى آخر كالمقام، وهي على ذلك حرف إبتداء لاعاطفة على الصحيح، وإن تلاها مفرد فهي عاطفة،ثم ان تقدّمها أمر أو ايجاب نحو: إضرب زيداً بل عمراً وقام زيد بل عمرو ، فهي تجعل ماقبلها كالمسكوت عنه ، فلا يحكم عليه بشيء و إثبات الحكم لما بعدها،وإن تقدمها نفي أو نهي فهي لتقرير ماقبلها على حالته ، وجعل ضدّه لما بعدها نحو: ماقام زيد بل عمرو، ولا يقم زيد بل عمرو .

وقال إبن خالويه :«بل» حرف تحقيق، وهي تنقسم على ثلاثة أقسام : تكون حرف نسق إستدراكاً للكلام ، وتكون لترك الكلام وأخذ مافي غيره كقوله تعالى ذكره : «ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا» وتكون بمعنى «رب» فيخفض بها كقو- لك: بل بلد جاوزته معناه رب بلد جاوزته .

و«تؤثرون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب الافعال، و«الحياة» مفعول بها ، و«الدنيا» صفة ل «الحياة» .

١٧- (والاخرة خير و أبقى)

الواو للحال، و«الآخرة» مبتداء، و«خير» خبره، والواو في «وأبقى» حرف عطف، و«أبقى» صيغة تفضيل ، معطوف على «خير» على حذف المتعلق أي خير من الحياة الدنيا ، ونعيم الآخرة أبقى من نعيم الدنيا .

١٨- (ان هذا لفي الصحف الاولى)

«ان» حرف تأكيد، و«هذا» فى موضع نصب، إسم لحرف التأكيد ، و«لفى» اللام للتأكيد، و«الصحف» مجرور بحرف الجر، متعلق بمحذوف وهو خبر لحرف التأكيد. فالتقدير: ان هذا لثابت فى الصحف الاولى ، و«الاولى» صفة لـ«الصحف» .

١٩- (صحف ابراهيم و موسى)

«صحف» بدل من «الصحف» اضيف إلى «إبراهيم» وفتحه لمنع صرفه ، و هو التعريف والعجمة ، و«موسى» عطف على «إبراهيم» .



﴿ البيان ﴾

١ - (سبح اسم ربك الاعلى)

أمر من الله عزوجل للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بتقديس إسم الله تعالى عن كل ما لايليق بجلاله في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه ... وعن كل ما يصفه الجاهلون والملحدون، ولاشيء أوضح وأدل من كلمة التوحيد على أنه ليس كمثله شيء.

ولايخفى ان الاسم هو الذي يدل على ذات الله عزوجل، ولله تعالى أسماء كثيرة ذكرها القرآن المجيد كما ذكرها النبي الكريم وأهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين، وأسماء الله تعالى هي صفاته الموصوف بها، و هي و إن كانت مما قد نصف به ذواتنا من العلم والحكمة، و السمع والبصر، ومن التكلم والقدرة والرحمة ... إلا أن لله جل وعلا كمال هذه الصفات كمالاً مطلقاً على حين أن ما نتداوله نحن من تلك الصفات هو في حدود وجودنا المحدود، فيقال : فلان : حفيظ، وعليم، وقادر، و كريم... وهو في هذه الصفات كائن بشري عاجز محدود . . . وإتصافه بها إنما هو بالاضافة إلى غيره ممن هو أقل منه حفظاً أو علماً أو قدرة أو كرماً . . .

فالتسبيح باسم الله عزوجل هو ذكره سبحانه بكل ماله من الاسماء الحسنى كما قال : « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » الاعراف : ١٨٠) .

والمراد بالتسبيح باسم الله تعالى هو التسبيح لذاته جل وعلا، ولكن الذات

العلية لايمكن تصورها ، إنماالذى يمكن تصوره - مهما بالغنا فى هذا التصور- هو ما تتصف به الذات من صفاتِ الكمال التىتتجلى فى أسمائه الحسنى . . .

والظاهر : ان التنزيه وقع على الاسم، فالمعنى : نزهه عن أن يسمى به صنم أو وثن أو يذكر إسماً مع إسم غيره أو يسند إلى غيره ما يجب أن يسند إليه كا لخلق والتدبير والرزق بل يقال له : رب وإله ...

وإذا كان الامر بتنزيهه اللفظ أن يطلق على غيره، فهو أبلغ وتنزيه الذات المتعالى أحرى .

وإن الامر وإن كان متوجهاً إلى النبى الكريم ﷺ خصوصاً ، ولكن يدخل فيه الامة بالتبع ، فليسبحوا الله عزوجل ، وينزهوه عن كل ما لا يليق بساحة قدسه من الصفات الذميمة والعوارض القبيحة . . .

أمر الله جل وعلا رسوله الكريم ﷺ بذلك لتمهيده نفسه الشريفة با لتسبيح للوحى النازل عليه وتمهيده للتذكرة ، و التبليغ حتى تسهل عليه طريقة التبليغ ، ففى ذلك إشارة إلى مالابد للمذكر و المبلغ من إصلاح كلامه ، وتجريده عن كل ما يشعر بجلىّ الشرك وخفيه .

وفى إضافة الاسم إلى الرب المضاف إلى ضمير الخطاب، و إتصافه بالاعلى إشارة إلى إنحصار تربية الانسان تربيته الكاملة بالافق الذى هو أعلى الافق ، وان افق وجوده أعلى افق الوجودات ، بل الافق كله يعود إليه ، وبافقه وجدت الآفاق . . .فاذاً لا إشكال فى معناه التفضيلى كما توهم ، و ليس حينئذ التوازن بين الله تعالى ، و بين خلقه .

٢- (الذى خلق فسوى)

شروع ببيان بعض صفات الافعال الكمالية .. . أولها الخلق وتسويته تعليلاً للأمر بالتسبيح لما فيها من التدبير الالهى ، وهى برهان على ربوبيته جل وعلا

المطلقة لابد لكل من تنزيهه عن كل ما لا يليق بساحة قدسه ، و لم يذكر المخلوق المسوى تنبيهاً إلى التدبير العام ، و إلى الربوبية المطلقة .

٣- (والذى قدر فهدى)

وصف ثالث ورابع لاسم الرب الاعلى من الصفات الكمالية ، وهما تقديره جل وعلا خلقه وهدايته العامة لما أودع فى خلقه قابلية الهدى و السير إلى الكمال كلاً بحسبه .

القدر - بفتحتين - بمعنى تقدير الشيء والتعرفة إلى كنهه وحدوده من زمان ومكان وسائر الجهات المحددة لوجود الشيء ، ومنه التعريف إلى هندسة الشيء والعلم بالظروف و الاجواء المؤتية له وشرائط وجوده كماً و كيفاً وجهة وغيرها ، الامر الذى يقتضى إحاطة بخصوصيات الشيء وجهاته المكتنف بها ، سواء أكان عملاً يريد ايجاده أم كلاماً يريد النطق به أم حكماً يريد إنفاذه أم تكليفاً يريد تشريعه ، فاذا عرف جهاته وملابساته وموقعيته من زمان ومكان و سائر الا حوال ، فقد قدره تقديراً صالحاً للنفاذ .

فمعنى القدر : تقدير الشيء و هندسته هندسة تامة ومعنى الاية الكريمة : قدّر الله عزوجل الاشياء تقديراً فهداها على قدر إستعدادها وحظها من عالم الوجود .

٤- (والذى أخرج المرعى)

وصف خامس لاسم الرب الاعلى ، وفيه إشارة إلى بعض تدابير الالهى و دلائل الربوبى فان إخراج المرعى لتغذى الانسان والحيوان من مصاديق التدبير والتربية .

ولا يخفى على القارىء الخبير ان الاية الكريمة وتاليها من قبيل الايات التى تنسب الحوادث إلى الله جل وعلا ، وهى كثيرة جداً .

وذلك ان جميع ظواهر هذا الكون سواء أكانت ذوات علل وعوامل طبيعية أم كانت وليدة صنع الانسان و عمله ، فانها تتكوّن وفق قوانين عامة جعلها الله جل وعلا فى جبلّة الاشياء وهى تتفاعل مع بعضها فـى نظام متسق مـن غير أن تستغنى عن إمداد إفاضته تعالى فى كل آن ، فمن ألقى حطباً فى النار و احترق الحطب صحّ القول : انه تعالى أحرقه لما أودع فى طبيعة النار من خاصية الاحراق ، وفى طبيعة الخشب من خاصية الاحراق، وهو عز وجل يمدّهما بابقاء تلك الخاصية فى كل آن كما صحّ القول بان الملقى فى النار هو الذى أحرق الحطب لانه أوجد شرط هذا التفاعلى الكيمياوى بين النار والخشب ، فتأمل جيداً .

٥- (فجعله غثاء احوى)

وصف سادس من صفات الافعال الكمالية الدالة على توحيد الربوبية وعلى التدبير الالهى كما أن الخلق و التسوية والتقدير و الهداية و إخراج المرعى كذلك ، وفى هذا الوصف ايماء إلى أن كل حيّ إلى زوال . حيث ان هذا المرعى الاخضر لايثبت على حال واحدة بل انه ينتقل من حال إلى حال ، فيتحول من الحياة والخضرة إلى الجفاف والموات، فيكون هشيماً أسمر اللون بعد أن يلوّحه الجفاف ، ويذهب منه ماء الحياة الذى كان يسرى فى كيانه، وهذا من إبداع القدرة التى تبدىء وتعيد .

٦- (سنقرئك فلاتنسى)

إخبار من الله تعالى ، ووعد منه جل وعلا لنبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سيقرؤه قراءة لاينساها ، أن يمكّنه من العلم بالوحى السماوى فيقرؤه كما انزل من غير أن يغيّره بزيادة أو نقص أو تحريف بسبب النسيان ، وهو الملاك فى تبليغ الوحى كما اوحى إليه ، وذلك ليقطع على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كل خاطر يخطر له من أن شيئاً مما نزل عليه من الوحى يكون فى عرضة النسيان يوماً ما .

والسين في « سنقرئك » إما للتأكيد ، وإما لان المراد إقراء ما اوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ حينئذ،وما سيوحي إليه بعد ذلك ، ففيه وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء أي سنقرئك ما نوحي إليك الآن ، و فيما بعد على لسان جبرئيل عليه السلام أو سنجعلك قارئاً بالهام القراءة فلاتنسى أصلاً من قوة الحفظ والاتقان مع كونك امياً لاتدرى ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية اخرى لك ، مع مافي تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ،ومن حيث الاخبار بالمغيبات ...

ففي الآية الكريمة بشارة عظيمة بأن الله عزوجل يعطي رسوله ﷺ آية بينة ، و فيها بيان لهداية الله جل وعلا الخاصة برسوله ﷺ إثر بيان هدايته العامة لكافة خلقه ، و هي هدايته ﷺ لتلقي الوحي وحفظه الذي هو هدى للعالمين ، و توفيقه ﷺ لهداية الناس أجمعين .

٧- (الاماشاءالله انه يعلم الجهر و مايخفى)

إستثناء مفرّغ من أعم المفاعيل .. . أي لاتنسى مما تقرؤه شيئاً من الاشياء إلاّ ماشاء الله أن تنساه أبداً ، و المراد من النسيان نفيه تماماً لاما قد ينسى ثم يذكر فالاستثناء لافادة بقاء القدرة الالهية على إطلاقها ، و ان هذه العطية ،و هي الاقراء بحيث لاتنسى لاينقطع عنه جل وعلا بالاعطاء بحيث لايقدر بعد على إنسائك ، بل هو باق على إطلاق قدرته له أن يشاء إنساءك متى شاء و إن كان لايشاء ذلك ، فاستثناء المشيئة بمعنى تعليق المشيئة بمعنى لوشاء الله لنسيت . و ليس هذا دليلاً على أنه تعالى شاء ذلك فنسى كقوله جل وعلا : « و لو شاء لهداكم أجمعين » أي على طريق الاجبار و كقوله تعالى : « و لئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك » .

فليس هذا إستثناء في الواقع ، بل توكيد لنفي النسيان عن النبي الكريم ﷺ وانه لاقوة إطلاقاً تنسى محمداً ﷺ شيئاً من القرآن الكريم إلاّ الله

عزوجل وهو لاينسيه، كيف وقد وعده بالحفظ وعدم النسيان والله عزوجل منجز وعده لامحالة ، وذلك انه لما كان هذا الوعد على سبيل التأبيد يوهم أن قدرته جل لاتسع تغييره جاء بالاستثناء بصورته ، ففائدته هنابيان أنه عزوجل قادرعلى أن ينسيه ، ولكنه لاينسيه فضلاً منه لاقصوراً فى قدرته .

وفى الالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات ، ونكتة الالتفات ، من التكلم مع الغير إلى الغيبة هى الاشارة إلى حجة الاستثناء ، فافاضة العلم و الحفظ للنبى الكريم ﷺ إنما لايسلب القدرة على خلافه ، ولايحدّها منه جل وعلا لانه عزوجل هو المستجمع لجميع صفات الكمال ، و منها القدرة المطلقة ، ثم جرى الالتفات فى قوله سبحانه : « انه يعلم الجهر وما يخفى » لمثل النكتة .

والجملة المؤكدة تأكيد لهذاالوعد مع الاستثناء ،وفىمقام التعليل لقوله عزوجل : « سنقرئك فلاتنسى » . والمعنى : سنصلح لك بالك فى تلقى الوحى و حفظه لأنا نعلم ظاهر الأشياء وباطنها ، فنعلم ظاهر حالكوباطنها ،وما أنتعليه من الاهتمام بأمرالوحى والحرص على طاعته فيما امربه .

٨- (ونيسرك لليسرى)

بشارة من الله عزوجل لرسوله الخاتم ﷺ شخصه بتوفيقمنه جل و علا للطريقة التى هىأيسر ، وهى حفظ القرآن المجيد و الشريعة السهلة السمحة ، ولامته ﷺ من بعده، وتقرير هذا الدين ، وحقيقة هذه الدعوة ودورهافىحياة البشر ، وموضعها فى نظام الوجود : يسر الانسانية فىحياته الدنيا تمضى طبيعة هذا الدين فى حركة يسيرة لطيفة هينة لينة مع الوجود كله ، و مع الاحداث والاشخاص والاشياء ، ومع القدرالذى يصرف الاحداث والاشياء والا شخاص ...

يسر فى يده ولسانه ، وخطوه وعمله ، وتصوره وحركته ، فى تفكيره و تدبيره ،وفى أخذه للامور ،وفى علاجه للامور . . .

ويسر مع نفسه ومع غيره كما قال رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم في كل أمره ماخيّر بين أمرين إلاّ إختار أيسر هما في ملابسه ومآكله ، وفي مشاربه ومساكنه ، أوفي نظام الامة المسلمة وتكاليفهم و قوانينهم الحياتية الابدية .

ان طبيعة هذا الدين دين يسر وسمحة سهلة ، ولا تزيد المعضكلات على المشكلات بل تحل المشكلات و يختم و يحسم عروق المعضلات بأيسر طريق بخلاف القوانين المجعولة عن أنفس عدة الجهلاء وسفلة الاخدعاء الذين إنغمسوا في الشهوات وغرقوا في حب الرئاسة والمقام والاشتهار ...

ان الاسلام دين يسر في أحكامه وتشريعاته، في قوانينه الاجتماعية العالمية ، في حكوماته الكونية ومعاملاته ، وفي جميع ما يحتاج إليه البشر في جميع شئونه الحياتية ، وحرياته في الانسانية . . .

وان طبيعة هذا الدين كما كانت ميسرة في حدود الطاقة لا تكلف الناس حرجاً ولامشقة سرى هذا السير في روحها .

قال: «فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » الروم : ٣٠)

فسرى اليسر في اصول هذا الدين و فروعه ، فكما أن اصوله بنت على أساس الفطرة البشرية كذلك بنت فروعه من حكومته ونظامه الانفرادية والاسروية والاجتماعية و الروابط ... على أساس الفطرة البشرية ، فطبيعة هذا الدين تحمل اليسر في جميع جوانبها . . .

وهو يقول: « لا إكراه في الدين » البقرة: ٢٥٦) ويقول : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » الحج : ٧٨)

قوله تعالى: « ونيسّرك » في نون التعظيم دلالة على عظمة العطاء كقوله تعالى : « إنا أعطيناك الكوثر » عطف على « سنقرئك » كما ينبىء عنه الالتفات إلى الحكاية وما بينهما إعتراض وارد لما ذكر من التأكيد والتعليل ، و تعليق التيسير به صلى الله عليه وآله وسلم مع أن الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله

تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « ويسر لى أمرى » ايذاناً بقوة تمكينه ﷺ من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له ﷺ جبل عليها.

فالمعنى : نوفقك توفيقاً مستمراً للطريقة اليسرى فى كل باب من أبواب الدين الاسلامى علماً وتعليماً وإهتداء وهداية وعملاً ، فيندرج فيه تيسير طرق تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة ، والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه ﷺ و تكميل غيره كما تفصح عنه الفاء فى قوله : «فذكر».

وقيل : كان مقتضى الظاهر أن يقول: نيسر لك اليسرى كقوله : «ويسّر لى أمرى» طه: ٢٦) وإنما عكس الترتيب فى الاية الكريمة لنكتة دقيقة، وهى ان الفاعل مالم يوجد فيه قابلية لصدور الفعل عنه إمتنع حصوله منه ، و هذا معنى قوله ﷺ : « إعملوا كل ميسر لما خلق له » وفى الاية الكريمة دلالة على أنه سبحانه فتح أبواب قبول الفيض مالم يفتحه على غيره حتى صار يتيم أبى طالب قدوة للعالمين و هادياً للخلائق أجمعين .

فالكلام فى تجهيزه جل وعلا نفس نبيه ﷺ الشريفة وجعله إياها صالحة لتأدية الرسالة ، ونشر الدعوة على ما فى « نيسرك اليسرى » من ابهام تحصيل الحاصل .

٩- (فذكر ان نفعت الذكرى)

أمر من الله جل وعلا للنبى الكريم ﷺ أن يذكر الناس ويعظهم ، بعد أن أمره ﷺ بتنزيه إسم ربه الاعلى ، ووعده باقراء الوحى عليه بحيث لا ينسى وتيسيره ﷺ لليسرى على طريق التفريع والشرط والجزاء ،فان التوحيد وحفظ الوحى و اللينة فى الارشاد من الشرائط الضرورية التى يتوقف عليها نجاح الدعوة الدينية .

وفى الآية الكريمة ايماء الى أن الناس إزاء الدعوة والتذكرة على طائفين: طائفة

هم أهل سعادة وفلاح ، أهل طاعة وصلاح وأهل هداية ونجاة . . .

وطائفة هم أهل شقاوة وخسران ، أهل طغيان وفساد ، وأهل ضلالة وعذاب ، كما يشير إلى الطائفتين في الآيات التالية ...

وفيها حثّ على الانتفاع بالذكرى كما يقول المرء لغيره إذا بيّن له الحق : قد أوضحت لك إن كنت تسمع وتقبل ويكون مراده البعث على السماع والحث على القبول فالتبليغ حتم نفع أم لم ينفع إقامة للحجة وقطعاً للمعذرة و إلا امتنع الحساب والعقاب ، و عليه يكون المعنى عليك أولاً أن تبلغ على كل حال كما قال جل وعلا : « فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين » النحل :٨٢) وبعد البلاغ التام ذكر و عظ إن نفعت العظة والذكرى ، و إن يئست فلا تذهب نفسك عليهم حسرات . . .

فالقول :ان قيد التذكير بالنفع فاذا احتمل عدم النفع يسقط وجوب التذكير في غير محله ، فان إزاحة علتهم تقتضي اعلامهم وتذكيرهم وإن لم يقبلوا .

فقيد الامر بالتذكير بنفع الذكرى قيد لازم ،ومن لزوم هذا القيد أن يكون النبي الكريم ﷺ مذكراً بدعوته دائماً لان مع كل ذكرى نفعاً ، وما دام النفع معها ، فهي مطلوبة من النبي ﷺ أبداً ، وهو مذكر دائماً . . .

وقال بعض الاعلام : وقد اشترط في الامر بالتذكرة أن تكون نافعة وهو شرط على حقيقته فانها إذا لم تنفع كانت لغواً وهو تعالى يجلّ عن أن يأمر باللغو ، فالتذكرة لمن يخشى لأوّل مرة تفيد ميلاً من نفسه إلى الحق وهو نفعها ، و كذا التذكرة بعد التذكرة كما قال : «سيذكّر من يخشى» والتذكرة للأشقى الذي لاخشية في قلبه لأوّل مرة تفيد تمام الحجة عليه ، وهو نفعها ويلازمها تجنّبه و توليه عن الحق كما قال : « يتجنبها الاشقى » و التذكرة بعد التذكرة له لا تنفع شيئاً ،ولذا امر بالاعراض عن ذلك قال تعالى : « فأعرض عمن تولى عن ذكر

نا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا » النجم :٢٩)

وقال بعضهم : وإنما سمي الوعظ بالتذكير لان حسن هذا الدين مركوز فى العقول فطرة الله التى فطر الناس عليها فكأن هذا العلم كان حاصلاً فى نفسه بالقوة ثم زال عنها بالعوائق والغواشي... وعند بعض العقلاء ان النفوس قبل تعلقها بالابدان عالمة بما لها أن تعلم إلاّ أنها نسيتها لاشتغالها بتدبير البدن ، ومن هنا قال أفلاطون: لست أعلمكم ما كنتم تجهلون ولكن أذكركم ما كنتم تعلمون

١٠ (سيذكر من يخشى)

ان السين إما لمجرد الاطماع ، فان سوف من الله جل وعلا واجب و إما لان التذكر متراخ عن التذكير غالباً لتخلل زمان النظر والتأمل بينهما غالباً.

وفى « سيذكر » إيماء إلى أن ماجاء به الرسول ﷺ بلغ حداً من الوضوح لايحتاج معه إلاّ إلى التذكير فحسب ، وإنما الذى يحول بينهم وبين أتباعه ، و إقتفاء آثاره ـ تقليد الآباء والاجداد فكأنهم عرفوه واستيقنوا صحته ، ثم زالت هذه المعرفة بانتها جهم خطة آبائهم من قبل .

وفى الاية الكريمة إشارة إلى أن الذكرى على أية حال نافعة ، و انه سيذكر بها من يخشى الله عزوجل، وانه لن تخلو الانسانية ممن يخشى الله ويتقيه ويفتح قلبه للهدى المرسل فى آياته ... وإن كان تعليق التذكر علي الخشية يشعر بان الخشية تمامها تمهد النفس البشرية لقبول الذكرى كما لها كما تشير إليه أيضاً صيغة التفعل ففى الاية إشارة إلى الطائفة الاولى .

١١- (ويتجنبها الاشقى)

إشارة إلى الطائفة الثانية، وماتحتويه الآية الكريمة وما قبلها تلقين جليل مستمد من وصفى الخشية والشقاء الذى وصف به فريقا الناس ، فمن يتأثر بدعوة الحق ويستجيب إليها فهو خاش بطبعه يصدر عن نية حسنة وطوية سليمة . وخلق

فاضل ، فيجتنب عن المعاصي ويخشى عواقبها ويسارع إلى رضاء الله جل و علا بعكس الذي يعرض عن دعوة الحق ، فهو شقي بطبعه يصدر عن نية خبيثة وطوية فاسدة وخلق سيّئ .

وينطوى في هذا تقرير كون الاستجابة والاعراض عملين إختياريين يقدم من يقدم عليهما بدافع من عقله وطبعه وخلقه وطويته ، ويؤيد هذا التقرير قوله عزوجل : « والذى قدّر فهدى » حيث يقرّر ان الله عزوجل قد أودع في الناس قابلية الهدى والسير في طريق الحق والرشاد ، وسبيل الخير والصواب ، فمن لم ينتفع بالذكرى ، فيكون هو الشقى الذى إختار لنفسه طريق الضلال المودية إلى الهلاك والخسران .

وفي ايثار الافعال : « سيذكر - يخشى - يتجنبها » بصيغ الاستقبال ايذان باستمرار التذكر باستمرار الخشية كما أن الاعراض عن الذكرى مستمر المدى با ستمرار الشقاء إذ علّق التجنب على الشقاء ، فالشقوة تمنع النفس الشقية عن قبول الذكرى ، وتمهّدها للتجنب عنها .

١٢- (الذى يصلى النار الكبرى)

وصف للاشقى على طريق بيان جزاء شقائه ،ومآل أمر تجنبه عن الذكرى ، وفي وصف النار بأنها الكبرى إشارة إلى أنها ليست كنار الدنيا مع شدة ضرامها وقسوة حرارتها ، وإنما هي نار تأكل نار الدنيا في شدة ضرامها وقسوة حرارتها.

وفي الاية الكريمة وما قبلها إشارة إلى مراتب الشقاء ، و ان الشقوة التي توجب التجنب عن الذكرى إذا انتهت أقصاها ، فمجرد طروّ الشقاء لايوجب التجنب عن الذكرى ، وفيها من الانذار للمتمردين بالنار مالايخفى .

١٣- (ثم لايموت فيها ولايحيى)

وصف آخر لجزاء الاشقى ونفسه ، وفيه إشارة إلى التراخي في مراتب العذاب

والشدة لان هذا النوع من الحياة وهى التردد بين الموت والحياة حال العذاب أفظع من نفس الدخول فى النار ، و إشارة إلى أن الاشقياء الذين يلقون فى نار جهنم هم يخلدون فيها ، ويلزمون بشديد عذابها .

وان الحياة فيها ليست حياة يجدفيها الحى طمعاً للحياة ولاموتاً يستريح فيه من هذه الحياة ، فلاهو فى الأحياء ولافى الاموات انه فى حياة متلبسة بالموت وفي موت ملبس بالحياة : « ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت » وهذا أقسى ألوان الحياة وأشدها .

والمراد من نفي الموت والحياة عنه معاً نفى النجاة نفياً مؤبداً فان النجاة بمعنى إنقطاع العذاب بأحد الأمرين :

إما بالموت حتى ينقطع عنه العذاب بانقطاع وجوده ، وإما بتبدّل صفة الحياة من الشقاء إلى السعادة ، ومن العذاب إلى الراحة ، فالمراد بالحياة هنا : الحياة الطيبة حدّ قولهم فى الحرض : لاحيّ فيرجى ولاميت فينسى .

١٤- (قد أفلح من تزكى)

تقرير توكيدى لفلاح ونجاة الذين يتزكون ، وبشارة للمستجيبين بالفلاح ، و بيان لأهم لوازم خفيّة للنفس السعيدة و هو تزكيتها ، و عليها تدور سعادة النفس و كمالها ، وهو المستفاد من تعليق الفلاح على التزكى والتزكية .

١٥- (وذكر اسم ربه فصلى)

وصفان آخران للمفلحين بأنهم يذكرون ربهم ، ويصلّون له على طريق بيان أهم الآثار الظاهرة للنفس السعيدة وتزكيتها و هو انس النفس بذكر الله عزوجل تتفرّع عليه الصلاة ، ففى التفريع إشارة إلى أن الصلاة مرتبة على ذكر الله تعالى فمن لم يذكر الله سبحانه ، ويستحضر جلاله وعظمته فيما يذكر من أسمائه وصفاته ... لايخشع قلبه لله ولا يصلّى له .

وفى ذكر الصلاة على أنها الأثر المترتب على ذكر الله عزوجل إشارة إلى

أن الصلاة بما فيها من ولاء وخشوع وركوع وسجود هي أكمل الوسائل و أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، ومن هنا كانت رأس العبادات وملاك الطاعات... وهي شريعة كل نبي ودعوة كل رسول إلى قومه بعد الايمان بالله جل وعلا .

ففي تقديم تزكية النفس التي تتعلق بالقلب على انها بذكر الله الذي هو من متعلقات اللسان ، و تفريع الصلاة على الذكر، وهي التي من أعمال الجوارح مالا يخفى على القارىء الخبير .

وفي ذكر الله عزوجل بالربوبية من بين أسمائه الكريمة كلها إشارة إلى أن الذي يذكر الانسان إسمه هو مربيه و منشأه، والمنعم عليه بالايجاد والتسوية وخلقه على أحسن تقويم وهدايته إلى طريق الحق والصواب ...

١٦- (بل تؤثرون الحياة الدنيا)

خطاب موجه إلى السامعين فيه تنبيه بأنهم يؤثرون الحياة الدنيا في حين أن الآخرة هي خير وأبقى لهم على طريق الاضراب عن مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل إثر بيان مايؤدي إلى الفلاح: لاتفعلون ذلك، ولاتزكّون أنفسكم، ولاتذكرون الله جل و علا و لاتصلّون منكم ، ولاتقيمونها منكم كما هو حقها ، بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية، وتختارون زخرفها وشهواتها وتسعون لتحصيلها، والالتفات لتشديد التوبيخ والخطاب لعامة الناس على مايدعو إليه طبعهم البشرى من التعلق التام بالدنيا ومتاعها والاشتغال بتعميرها والغفلة عن الاخرة .

وذلك ان روح آيات السورة واسلوبها يلهمان ان هذا الخطاب لم يوجّه لفريق خاص بقصد التثريب والتنديد ، و إنما هو موجه إلى الناس جميعاً بقصد تقرير الطبيعة الغالبة فيهم، وهي ايثار النفع العاجل على الآجل ، وبقصد تنبيههم إلى ما هو خير و أبقى إستهدافاً لاقبالهم على الاستجابة للدعوة ، وليس في الاية بطبيعة الحال خطر الاستمتاع بالحياة الدنيا إذاما استجاب الناس للدعوة و قرنوا العمل للدنيا والآخرة معاً لقوله عزوجل :« يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد-لقوم

يعلمون» الاعراف : ٣١-٣٢) وقوله تعالى :« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الارض ان الله لايحب المفسدين » القصص : ٧٧)

وقيل: ان الخطاب موجه إلى الكفار وأذنابهم ردا عليهم إنفست قلوبهم ولم يزكّوا أنفسهم ولم يذكروا إسم ربهم ولم يصلّوا له أولم يأخذوا من العبادات إلاّ بصورتها، ففيه توبيخ لهم على إشتغالهم بالدنيا ومتاعها عن تزكية أنفسهم وعن ذكر الله جل وعلا، وإقامة الصلاة على تمامها و كمالها في إخلاص وخشوع ، و عن إخلاء القلب لها من هموم الحياة وشواغلها ...

١٧- (والآخرة خيرو أبقى)

ترغيب للسامعين في نعيم الاخرة ، حال من فاعل «تؤثرون» مؤكدة للتوبيخ على الكفرة ، والعتاب على المسلمين .

ان تسئل: ان الله عزوجل عدّ الآخرة أبقى بالنسبة إلى الدنيا، مع أن الاخرة باقية أبدية في نفسها ، ولابقاء للدنيا ومتاعها ؟

نجيب: ان المقام مقام الترجيح بين الدنيا و الآخرة ، و يكفي في الترجيح مجرد كون الآخرة خير أو أبقى بالنسبة إلى الدنيا مع قطع النظر عن كونها باقية أبدية.

١٨- (ان هذا لفي الصحف الاولى)

تنبيه للسامعين ، وإشارة مؤكدة إلى أن هذه الدعوة - من تزكية النفس و انسها بذكر الله عزوجل والصلاة - التي يدعوهم إليها رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ليست بدعاً، وإنما هي حلقة من سلسلة دعوة أنبياء الله الاولين، والكتب السماوية المنزلة عليهم، وخاصة كتب إبراهيم وموسى من اولى العزم عليهما السلام إذ أشار إليهما بقوله عزو جل في الآية التالية

وفي الاية الكريمة اولى الاشارات إلى كتب الله التي فسّرت في تاليها بصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والاشارة خاطفة يمكن أن تؤيد أولية ذكر هذه الكتب

كمايمكن أن تدل على أن السامعين لايجهلون ان هناك كتباً إلهية نزلت على أنبيائه ، ومنهم إبراهيم وموسى عليهما السلام وقد كان فى الحجاز جاليات نصرانية و يهودية ، فكانت العرب تعرف ذلك من طريقهم .

١٩- (صحف ابراهيم و موسى)

بدل من «الصحف الاولى» وفى إبهامها ووصفها بالتقدم أولاً ثم بيانها وتفسيرها بصحف إبراهيم و موسى ثانياً تفخيم لشأنها و تعظيم لأمرها .

وفى الاية الكريمة تنبيه بأن اسس الدعوة الدينية واصولها فى كل الاديان واحدة، فمافى القرآن الكريم من الاصول هومافى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، و إن كمل به فروع الشرائع السماوية ...

ولعل إختصاص صحف إبراهيم و موسى عليهما السلام بالذكر فى هذه السورة المبكرة متصل خاصة بما كان للنبيين الكريمين من صورة خطيرة فى أذهان السامعين أكثر من غيرهما ، وقد كان إبراهيم عليه السلام وملته الحنيفية وصلته بالكعبة وتقاليد الحج و ابوته - من طريق إبنه إسمعيل - للعدنانيين سكان الحجاز و إنتحال العرب إليه عليه السلام مما يشغل فى أذهان العرب حيزاً كبيراً ، وقد كان فى الحجاز جاليات يهودية كبيرة ذات تأثير فى أهلها، و كانت توراة موسى و شريعته وقصة رسالته إلى فرعون ومعجزاته مشهورة متداولة ، و لمواجهة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم باليهود أكثر من غيرهم من أصحاب الاديان... مما احتوى القرآن المجيد آيات عديدة فى صدده...

كقوله عز وجل: « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى - ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » البقرة: ١٢٥- ١٢٩)

وقوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » الانفال : ٣٥)

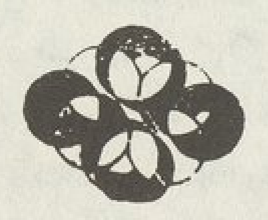
وقوله : «وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم» الحج:٧٨)

وفحوى الآيات الكريمة يلهم بقوة أن سامعيها من العرب كانوا يعرفون كثيراً مما احتوته ونوهت به ويعتقدون به .

فذكر صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام في مقام عرض الدعوة وأهدافها يلهم انه بسبيل تقرير كون الدعوة المحمدية ومايبشر وينذر به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مما هو متطابق مع دعوة الأنبياء السابقين عليهم السلام ، وما انزل عليهم، واستمرار له ، وهذا مما تكرر تقريره في القرآن المجيد كثيراً ...

منها قوله عز وجل : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه» الشورى: ١٣)

وقد عبّر القرآن الكريم في آيات اخرى عن صحف موسى عليه السلام باسم التوراة أيضاً، والمتبادر من قوله تعالى: « صحف إبراهيم وموسى » ان المقصود من صحف موسى عليه السلام هو ما أوحى الله تعالى إليه به من مبادىء وتشريعات ...



الاعجاز

ومن الواضح لامراء فيه: ان الخطبة الوحيدة، أو القصيدة الفريدة، أو المقالة السامية في شأو البلاغة وغاية الفصاحة إذا كرّرتها على السمع ثلاثاً أو أربعاً مجتها، وإذا أمليت على الطبع بمرّات ملّتها، واستمجّتها حتى قيل: ان الطبع موكّل بمعادات المعادات وإستكراه المكررات ...

وأما هذه السورة الكريمة فقد وردت في فضلها روايات كثيرة أوردنا نبذة منها في محلها، لما فيها من الحثّ على قرائتها في الفرائض والنوافل عامة، و في ليالي الجمعة والعيدين خاصة - ونحن لسنا في المقام بصدد بيان وجوه إعجاز السورة لما تحتويه من المباني العالية، والمضامين الرفيعة، والأساليب والنظم التي لايقاس بها اسلوب ولانظم، ومن الحقائق والحكم والمعارف السامية لعدم وسع المقام بذكر بيانها - فكلما تتلى على جميع الألسنة في غضون القرون المتطاولة في عموم الامم المتداولة، وكلما كررتها وتلوتها وجدتها غضّة جديدة، ولاتجد تلك الخطبة، و ذلك القصيدة، وهذه المقالة تجاهها إلاّ كنسبة القبس من الشمس، والبلّ من البحر، والفرع من الاصل.

فاقرأ ثم اقرأ: «سبح إسم ربك الاعلى - انه يعلم الجهر ومايخفى - قد أفلح من تزكى - صحف إبراهيم وموسى» فلاتترك، فاقرأ ورتل ترتيلا فتدبر تجد حلاوتها وتذوقها في نفسك وروحك ولبّك.

وحقاً: تتحيّر عند أسرار بلاغتها العقول، وتتأثر من رموز فصاحتها النفوس،

و تمجز لدى دلائل إعجازها الافكار ، و تسلّم عندعلوّ مبانيها الالباب ... منهاما ذكرناه، وهذايدلك على عظيم الشأن للسور القرآنية كلها،ولهذه السورةالكريمة خاصة، بل لكل آيةمن الآيات الكريمة، فانهابحر عجّاج متلاطم الامواج لايدرك لجنّها ، ولايقطع فجنّها ولايسلك نهجها ، ولاتنفد لئاليهاولاتعد معاليها، ولاتجمع غررها .

ولاتحصى غررهاولاتجمع دررها، ولاتنقضي عجائبهاو لاتزال تشرق لك ، و لاتغرب عنك غرائبها أنى وردت وردت حياضاً؟ وأنى أردت أردت رياضاً ؟ وحيث تو جهت وجدت للبلاغة ربيعاً ؟ وأنى إستقبلت بلوت من الاعجاز أمراً بديعاً ؟

وان عجز الفصحاء والبلغاء إزاء فصاحتها وبلاغتها ومضامينها العالية، وحقائقها وحكمها ومعارفها أصدق شاهد على ذلك ، وان العجز مستمر ، وإستمرار العجز معجزة اخرى للقرآن الكريم ، وموارد العجز كثيرة جداً لاتحصى ...

منها: في الاحتجاج عن هشام بن الحكم قال: إجتمع إبن أبي العوجاء وأبوشاكر الديصاني الزنديق وعبدالملك البصري وإبن المقفع عندبيت الله الحرام يستهزؤن بالحاج ويطعنون بالقرآن .

فقال إبن أبي العوجاء : تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن: وميعادنا من قابل في هذا الموضع نجتمع فيه، وقدنقضنا القرآن كله،فان في نقض القرآن إبطال نبوة محمد ﷺ وفي إبطال نبوته إبطال الاسلام وإثبات مانحن فيه ، فاتفقوا على ذلك و افترقوا،فلما كان من قابل إجتمعوا عندبيت الله الحرام،فقال إبن أبي العوجاء أماأنا فمفكر منذإفترقنا في هذه الاية :« فلمااستيأسوا منه خلصوا نجياً» يوسف: ٨٠) فماأقدرأن أضمّ إليهافي فصاحتها، وجميع معانيها شيئاً ، فشغلتني هذه الاية عن التفكر فيماسواها .

فقال عبدالملك : وأنامنذفارقتكم مفكر في هذه الآية :« ياأيها الناس ضرب

مثل فاستمعوا له ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» الحج:٧٣) ولم أقدر على الاتيان بمثلها .

فقال أبو شاكر : وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الاية:« لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا» الانبياء: ٢٢) لم أقدر على الاتيان بمثلها .

فقال إبن المقفع : ياقوم إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر ، وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الاية:«وقيل ياأرض ابلعي مائك وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين » هود : ٤٤)لم ابلغ غاية المعرفة بها ولم أقدر على الاتيان بمثلها .

قال هشام بن الحكم : فبينما هم في ذلك إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال:« قل لئن إجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » الاسراء : ٨٨)

فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للاسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محمد إلاّ إلى جعفر بن محمد ، والله ما رأيناه قط إلاّ هبناه و اقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرين بالعجز .

في المجمع: في قوله تعالى :« سنقرئك فلا تنسى إلاّ ما شاء الله » قال : ففي الاية بيان لفضيلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإخبار انه مع كونه صلى الله عليه وآله وسلم امياً كان يحفظ القرآن، وان جبرائيل عليه السلام كان يقرأ عليه سورة طويلة، فيحفظه بمرة واحدة ثم لا ينساه وهذه دلالة على الاعجاز الدال على نبوته .

و في غرائب القرآن : عن بعض كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه القرآن كثر تحريك لسانه مخافة أن ينسى فقيل له : لا تعجل بالقراءة فان جبرائيل مأمور بان يكرر عليك إلى أن تحفظه نظيره :«ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه» وعلى هذا يجوز أن يراد بالتعليم والاقراء شرح الصدر و تقوية الحفظ بحيث

يبقى القرآن محفوظاً له من غير دراسة ، ومع أنه امي فيكون إعجازاً .

اقول: ومن حسن نظم هذه السورة إختتام جميع آيها بحرف الياء على قسمى الكتابة والقراءة :« الاعلى ـ فسوى ـ فهدى ـ المرعى ـ أحوى ـ تنسى ـ يخفى ـ لليسرى ـ الذكرى ـ يخشى ـ الاشقى ـ الكبرى ـ يحيى ـ تزكى ـ فصلى ـ الدنيا ـ أبقى ـ الاولى ـ موسى ».

فاحدى عشر منها إسم ، وثمانية اخرى فعل ، فأربعة منها فعل ماض ، والاربعة الاخرى فعل مضارع .



﴿التكرار﴾

وفي المقام بيان امور :

أحدها - ان السور التي إفتتحت بالتسبيح - على صيغ المصدر و الماضي و المضارع والامر - سبع:

١- سورة الاسراء . ٢- سورة الحديد . ٣- سورة الحشر . ٤- سورة الصف .
٥- سورة الجمعة . ٦- سورة التغابن . ٧- سورة الاعلى .

لعل وجه التعبير عن التسبيح بالصيغ الثلاث هو الارشاد إلى مشروعية التسبيح في جميع الاوقات وتمام الاحوال: ماضيها و حالها و مستقبلها ، والتحريض و الحث على التسبيح في كل حال .

ثانيها - ان السور المشتملة على تسع عشرة آية ثلاث :

١- سورة العلق . ٢- سورة الاعلى . ٣- سورة الانفطار .

ثالثها - قال الله جل وعلا في هذه السورة: «سبح إسم ربك الاعلى الذي خلق»: ١-٢) وفي سورة العلق :«إقرأ باسم ربك الذي خلق»:١) زاد في هذه السورة «الاعلى» مراعاة للفواصل ، مع أن ما في سورة الاعلى إقترن إسم الرب بالتسبيح ، والتسبيح تنزيه ، والتنزيه علوٌ ، فاقتضى :« الاعلى» فهو توجه محض إلى الاعلى، ولذلك أخر «سنقرئك فلاتنسى» : ٦)

و في سورة العلق إقترن إسم الرب بالقراءة ، و هي رسالة كلف بها

النبى ﷺ لأهل الارض ، فهو تسبيح مع تكليف ، فاقتضى حذف «الاعلى» لئلا يستغرقه شهود العلو ، فلا يقوى على أداء الرسالة فى الارض : «إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ»

وقال فى هذه السورة : «الذى خلق فسوى» ٢:) وفى سورة العلق : «خلق الانسان من علق» : ٢)

لان الاولى بصدد بيان الخلق على الاطلاق سواء كان المخلوق إنساناً أم غيره ، والثانية بصدد خلق الانسان .

رابعها - سورتان إختتم تمام آيها بحرف الياء : إحداهما - سورة الاعلى . ثانيهما - سورة الليل .

خامسها - نشير ههنا إلى صيغ ثنتى عشرة لغة - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة - الصيغ التى جاءت فى هذه السورة و فى غيرها من السور القرآنية :

١- جاءت كلمة (السبح) على صيغها فى القرآن الكريم نحو : ٩٢ مرة :

٢- » » (العلو) » » » : ٧٠ مرة :

٣- » » (السوى) » » » : ٧٣ » :

٤- » » (القدر) » » » : ١٣٢ » :

٥- » » (الغثاء) » » » : مرتين :

أحدهما - فى سورة الاعلى: ٥) ثانيهما - فى سورة المؤمنون : ٤١)

٦- » » (الحوى) » » » : مرتين :

أحدهما - فى سورة الاعلى: ٥) ثانيهما - فى سورة الانعام : ١٤٦)

٧- » » (الجهر) » » » : ١٦ مرة :

٨- » » (الخفاء) » » » : ٣٤ » :

٩- «	« (الشقاء) «	«	« : ١٢ : « :
١٠- «	« (الفلاح) «	«	« : ٤٠ : « :
١١- «	« (الصلاة) «	«	« : ٩٩ : « :
١٢- «	« (الأثر) «	«	« : ٢١ : « :



﴿ التناسب ﴾

واعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها - التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها - التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً .

ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى: فان هذه السورة نزلت بعد سورة «التكوير» فلما اشير فيها إلى صدق ما اخبر به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مما ألقاه إليه رسول الوحي، وصلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوحي الله عز وجل، ونفي الجنون ومسّ الشيطان عنه صلى الله عليه وآله وسلم بطريق القسم بالمشاهد الكونية وحركاتها بشّر في هذه السورة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما سيوحي إليه، وبتيسير الامر عليه، وأشار فيها إلى مهمته صلى الله عليه وآله وسلم وهي تذكير الناس بما يوحى إليه تدريجاً من غير إنقطاع مادام حياً .

وأما الثانية - فمناسبة هذه السورة لماقبلها مصحفاً فبوجوه :

أحدها - انه لما اشير في سورة «الطارق» إلى قدرة الله تعالى على خلق الانسان للمرّة الاولى على سبيل القسم بالسماء والطارق مع إنذار السامعين باحصاء أعمالهم، ووعيد الكافرين في شقائهم، وتثبيت النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على ما كان عليه من الدعوة والارشاد أشار في هذه السورة إلى تدبيره في الخلق العام وتسويته وتقديره وهدايته، وإلى تحزّب الناس إزاء الدعوة إلى فريقين :

فريق أهل السعادة والفلاح، أهل التزكية والصلاح، وأهل التذكرة والصلاة ...

وفريق أهل شقاء وخسران، أهل معصية وفساد، وأهل طغيان وضلال .. . ثانيها ـ ان الله عز وجل لما ذكر في السورة السابقة خلق الانسان خاصة، وخلق النبات إجمالاً: «والارض ذات الصدع» أخذ في هذه السورة بذكر الخلق عامة، وخلق النبات أكثر ايضاحاً.

ثالثها ـ لما اختتمت سورة «الطارق» بقوله عز وجل: «فمهل الكافرين أمهلهم رويداً» تهديداً لهم، وتطميناً لقلب النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وحماية له من كيدهم الذي يكاد له، جائت هذه السورة مفتتحة بقوله تعالى: «سبح إسم ربك الاعلى» دعوة إلى تمجيد الله جل وعلا وتعظيمه والتسبيح بحمده، وتنزيهه عن كل مالا يليق بساحة قدسه، وعن الظلم فيما يأخذ الظالمين بظلمهم ويبطل كيدهم فكانه قال: «فكلاً أخذنا بذنبه ـ وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» العنكبوت: ٤٠

وأما الثالثة ـ فلما أمر الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالتسبيح وتنزيه ذاته المتعالية عن مالا يليق بساحة قدسه عز وجل، فكأن سائلاً قال: إنما الاشتغال بالتسبيح بعد المعرفة بالله تعالى، فما الدليل على وجوده؟ وما البرهان على أنه يليق بذلك؟ فقال: «الذى خلق فسوى والذى قدّر فهدى» على سبيل الاجمال لايعرفه إلاّ الخواص من الناس...

ثم ذكر دليلاً آخر على تدبيره في خلقه يعرفه العوام منهم فقال: «والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى»

ولقائل أن يقول: بما نتعلّم به التسبيح؟ فقال: «سنقرؤك فلاتنسى» فمناسبة هذه الاية وتاليها لما قبلها، هي ان الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في أول السورة أن يسبح باسمه، وأن يذكره، وذلك بتلاوة آيات الله التي يتلقاها وحياً من ربه، فان خير ذكر لله عز وجل هو بتلاوة آياته تعالى، ولهذا كان أول ما تلقاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ربه هو قوله تعالى: «إقرأ باسم ربك الذى خلق ـ علم الانسان مالم يعلم» العلق: ١ ـ ٥) فهو كقوله عز وجل: «سبح إسم ربك الاعلى ـ فجعله غثاء أحوى»

ثم وعد رسوله ﷺ بتسهيل الامر له ﷺ ثم أمره ﷺ بدعوة الخلق و تذكيرهم إلى ماامر هو ﷺ به، وذلك مالم يكمل الآمر نفسه، ولم يعمل بماأمره الله تعالى به لن يؤثر تذكيره فى غيره، ومالم يرتبط المذكر بالله عز و جل لا يقدر على ربط غيره بالله تعالى، فلماتم إرتباطه ﷺ بالله سبحانه أمره الله بربط الناس بالله جل وعلا فقال: « فذكر إن نفعت الذكرى »

وعند ئذ تحزب الناس بحزبين: حزب السعداء مع الاشارة الاجمالية إلى سبب ذلك وهو الخشية، وإلى آثارها من تزكية النفس واتساع ذكر الله جل وعلا و الصلاة، وإلى نتاجها من الفلاح.

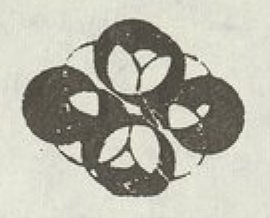
وحزب الاشقياء، ومن علائمها الاعراض عن الدعوة الحقة، والذكرى، و تلويث النفس بكل الخبائث، وعدم الخشية من تبعات ذلك كله، ومن الخلود فى النار: « سيذكر من يخشى ـ وذكر اسم ربه فصلى » : ١٠ـ ١٥)

ثم وجه الكلام إلى الناس كافة توبيخاً على مايدعو إليه طبعهم البشرى من التعلق التام بالدنيا ومتاعها، وإظهارهم ذلك، وإشتغالهم بتعمير الدنيا و تقديمها على الاخرة، وغفلتهم عنها إلا شذ منهم، ثم أكد التوبيخ بحال يرجح فيها الآخرة على الدنيا خلافاً لهم فى ذلك.

ثم ختم السورة بأن هذه الدعوة ليست بدعاً بل هى حلقة من سلسلة دعوة الا نبياء السابقين و الكتب المنزلة عليهم، وخاصة كتب إبراهيم و موسى عليهما السلام من اولى العزم عليهم السلام.

﴿الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن فى هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً أو متشابهاً ، فآياتها محكمات والله جل وعلا هو أعلم .



﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١ـ (سبح اسم ربك الاعلى)

في الآية الكريمة أقوال : ١ـ عن إبن عباس و إبن مسعود و سعيد بن جبير و قتادة : وهو أن تقول : سبحان ربي الاعلى . والمعنى: نزه يا محمد ربك عن السوء و عما يقول فيه الملحدون ، فلا تسب الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله جل و علا عدواً بغير علم .

٢ـ قيل : أي نزه إسم ربك الاعلى عن أن تسمي به أحداً سواه كما كان المشركون يسمون آلهتهم بعضها باللات وبعضها بالعزى ، و مسليمة برحمان اليمامة . وقيل: ان الاسم هو المسمى لانهم لم يقولوا: سبحان ربي الاعلى. وعن إبن عمر انه قال: لا تقل على إسم الله فان إسم الله هو الاعلى .

٣ـ عن إبن عباس أيضاً : أي صل باسم ربك الاعلى . ٤ـ قيل: أي قدس إسم الله الاعلى الذي يستحق كل تقديس وتنزيه . و ان الاسم الذي يدل على ذات الله سبحانه، ولله عز وجل أسماء كبيرة ذكرها في القرآن الكريم والروايات الواردة وأسماء الله تعالى هي صفاته الموصوف بها .

وان إسم الله عز و جل ما يعرف به، والله إنما يعرف بصفاته من نحو كونه عالماً قادراً حكيماً ، وهذا الاسم هو الذي يوصف بأنه ذو الجلال والاكرام، وهو المراد بالوجه في قوله: «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام» وهو المذكور في قوله: «وعلم آدم الاسماء كلها» أي علمه رسوم الاشياء وما تعرف به .

٤- عن إبن عباس أيضاً : أى نزّه إسم ربك الاعلى أن تسمى به شيئاً سواه ، و -عن الفراء انه قال : لافرق بين سبح إسم ربك و بين سبح باسم ربك ، و اعترض عليه بأن الفرق هو أن الاول معناه نزّه الاسم من السوء .

والثانى معناه سبح الله أى نزّهه بسبب ذكر أسمائه العظام أومتلبساً بذكره إلا أن تجعل الباء صلة فى الثانى كقوله تعالى: « ولاتلقوا بأيديكم » أو مضمرة فى الاول كقوله عزوجل : « واختار موسى قومه » أى من قومه . نعم لوزعم الفراء ان المعنيين متلازمان جاز .

٥- عن إبن عباس أيضاً والسدى : أى عظّم ربك الاعلى ، فالاسم صلة قصد بها تعظيم المسمى . كماقال لبيد: « إلى الحول ثم اسم السلام عليكما » ٦- قيل : أى نزّه تسمية ربك وذكرك إياه أن تذكره وأنت خاشع ولذكره محترم. فجعلوا الاسم بمعنى التسمية ووضع مكان المصدر .

٧- عن الحسن : أى صلّ لربك الاعلى واذكره خائفاً دائماً . ٨- قيل: أى صلّ بأسماء الله كما يصلّى المشركون بالمكاء والتصدية. ٩- قيل:أى إرفع صوتك بذكر ربك القادر الذى لاقادر أقدر منه القاهر لكل أحد .

١٠- قيل: ان معنى الاية: لاتفسّر أيها الرسول أسماء الله تعالى بمالا يليق ثبوته فى حقه جل وعلا بأن يفسّر الاعلى بالعلو فى المكان ، والاستواء بالاستقرار، بل ليفسّر العلو بالقهر و الاقتدار، والاستواء بالاستيلاء .

١١- قيل : أى لاتذكر إسم ربك الاعلى لاعلى وجه الخشوع ، و من غير التعظيم كمن يذكره عند الغفلة والسنة والنوم ، وعدم التوجه إلى المسمى أو على وجه الابتذال .

١٢- قيل: أى لايجوز أن تذكر الله تعالى إلا بأسماء وردت فى الكتاب والسنة لقوله تعالى : « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » والمعنى : سبح الله بذكر إسمه

الاعلى وأسمائه الحسنى كلها أعلى، فالاعلى صفة للاسم .

١٣- قيل: أى نزه إسم ربك عن كل مالايليق به في ذاته وصفاته وأفعاله، فانه سبحانه ليس من الجواهر والاعراض ، ومحدثاً متناهياً ولاظالماً طاغياً ، و لايفعل قبيحاً، ولايحكم بلاعدل وقسط، ولايكلف بلاتوان ولاوسع ولايأمر إلا لمصلحة، ولاينهى إلا لمفسدة ...

١٤- عن إبن عباس أيضاً: أى صل بأمر ربك الاعلى ، وهو أن تقول : سبحان ربي الاعلى . وقيل : يحسن بالقارى إذا قرأ هذه الاية أن يقول : سبحان ربي الاعلى وإن كان في الصلاة .

اقول: والاخير هو المروى من غير أن يكون بينه و بين بعض الاقوال الاخر تناف ، فتدبر جيداً .

وفي «الاعلى» أقوال: ١- قيل: ان العلو هنا بحسب القدرة أى له كمال القدرة والتفرد في التخليق والابداع ، فيعلو كل عال ويقهر كل شيء، والمعنى : القادر الذى لاقادر أقدر منه، القاهر لكل أحد .

٢- قيل: ان العلو بحسب أسمائه عزوجل فان له أسماء و من بينها ماهو أعلى وأعظم من غيره كالاسم الاعظم. ٣- قيل: الاعلى صفة الاسم و المعنى: سبح الله بذكر إسمه الاعلى وأسمائه الحسنى كلها أعلى .

٤- قيل: ان العلو هنا بحسب ذاته المتعالية المقدسة عن كل نقص وليست صيغة التفضيل هنا للمفاضلة . وقال بعض المحققين : ان هذه الصيغة إذا تمت باللام ليست للمفاضلة غالباً فتشير إلى الصفة الذاتية، فالعلو صفة ذاتية لله تعالى لايقاس بها غيره إذ ليس لغيره علواً ذاتياً .

٥- قيل: اريد بالاعلى هنا أعلى درجات الربوبية في تربية الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم لمكان «ربك» لا «رب العالمين» ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب هذه

السورة لانها تختصه بمكانة عالية من التربية الالهية، وهي الاعلى من بين ملأ العالمين من الملائكة والجنة والناس أجمعين .

٦- قيل: ان في هذا الكون أرباب عديدة وهو جل وعلا أعلاهم ولكنهم غير مستقلين بل كلهم مربوبون لرب العالمين، فالقوى الروحية- الملائكية والبشرية -تربى باذن الله تعالى وبرسالة الوحي وغيره ، والقوى المادية تربى باذن الله عز و جل، فكل القوى المربية ترجع إلى الله تعالى تكوينياً و تشريعياً لاتملك لانفسها نفعاً ولا ضراً ولاموتاً ولاحياة و لانشوراً ، فالله عز وجل هو رب أعلى. فليسبح إسمه لا سواه فلايقرن إسمه بما سواه .

أقول : « الرابع هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه و بين غيره .

٢- (الذى خلق فسوى)

في الآية الكريمة : ١- عن إبن عباس: أي خلق كل شيء فحسّنه . ٢- قيل: أي سوّى ماخلق ، فلم يكن في خلقه تخليط .

٣- عن الزجاج : أي خلق الانسان فعدّل قامته ، إذ جعله منتصب القامة في أحسن تقويم ، ولم يجعله منكوساً كالبهائم والدواب ... قال الله عز و جل : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم »

٤- قيل: أي خلق الانسان في أصلاب الآباء وسوّى وأقرّه في أرحام الامهات .

٥- عن الضحاك : أي خلق أبينا آدم عليه السلام فسوّى خلقه. ٦- قيل: أي خلق الاجسام فسوّى الافهام ... فاستعدّ بذلك الانسان لاتيان مالايقدر غيره من الحيوان والنبات والجماد على إتيانه .

٧- قيل: أي خلق الانسان وهيّأه للتكليف والقيام به، وترك المحرمات على سبيل الاختيار . ٨- قيل : أي خلق الخلق فسوّى بينهم من باب الاحكام و الاتقان .

٩- عن الكلبي : أي خلق كل ذي روح ، فسوى يديه و عينيه و رجليه .

١٠- قيل : أي خلق الاشياء على موجب إرادته و حكمته ، فسوى صنعها لتشهد على وحدانيته . ١١- قيل : أي خلق كل ممكن فجعله مستعداً للكمال اللائق بحاله .

أقول : و الأخير هو الانسب بسياق الاطلاق ، و في معناه بعض الاقوال الاخر .

٣- (والذي قدر فهدى)

في الآية الكريمة أقوال : ١- عن مجاهد: أي قدّر الشقاء والسعادة ، وهدى الانسان للرشد و الضلالة، وإلى سبيل الخير و الشر. وقيل: قدر ما شاء فهدى إلى ما قدره من خير و شر .

٢- قيل: أي قدّر ووفّق لكل شكل شكله وأرشده إلى خير و سعادة و كمال.

٣- قيل: أي قدّر أرزاق الخلق وأقواتهم وهداهم لمعاشهم إن كانوا انساً ولمراعيهم إن كانوا وحشاً . ٤- عن إبن عباس والسدي و مقاتل والكلبي : أي عرّف خلقه ، و هدى الذكر كيف يأتي الانثى .

٥- قيل: أي قدّر الخلق على ما خلقهم فيه من الصور والهيئات ، وأجرى لهم أسباب معايشهم من الارزاق والاقوات ثم هداهم إلى دينه بمعرفة توحيده باظهار الدلالات والبينات ...

٦- قيل: أي قدّر أقواتهم وهداهم لطلبها. ٧- قيل: أي قدّرهم على ما اقتضته حكمته فهدى وارشد كل حيوان إلى ما فيه منفعته ومضرته حتى ان الله عز و جل هدى الطفل إلى ثدي امه ، و هدى الفرخ حتى طلب الرزق من أبيه و امه و الدواب و الطيور حتى فزع كل منهم إلى امه و طلب المعيشة من جهته تعالى .

۸- عن السدى أيضاً : أى قدّر الولد فى بطن امه تسعة أشهر أو أقل أو أكثر و هدى للخروج من الرحم التمام. ۹- قيل: أى حسب ورتب فى الخلق كل أمر ، و أودع فى خلقه قابلية الهدى .

۱۰- قيل: الهداية بمعنى الدعاء إلى الايمان . و المعنى : قدّر دعاء الكل إلى الايمان ، فدعاهم إليه كقوله تعالى :« وانك لتهدى إلى صراط مستقيم» وذلك انه عزوجل مارضى عن عبده إلاّ الطاعة، ولن يرضى عنه المعصية فأمره بالاولى و نهاه عن الثانية .

۱۱- قيل: أى قدّر لكل مخلوق مايصلح له فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به خلق له، فقدّر لكل حيّ مايصلحه مدة بقائه فهداه، وذلك ان كل مزاج فانه مستعد لقوة خاصة ، و كل قوة فانها لا تصلح إلاّ لفعل معين ، فالتقدير عبارة عن التصرف فى الاجزاء الجسمية ، وتركيبها على وجه خاص لأجله يستعد لقبول تلك القوى ، و الهداية عبارة عن خلق تلك القوى فى تلك الاعضاء بحيث تكون كل قوة مصدراً لفعل معين ويحصل من مجموعها تمام المصلحة .

وقد حكى : ان الافعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت ، وقد ألهمها الله أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها ، فربما كانت فى برية بينها و بين الريف مسيرة أيام، فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها، فتحكّ بها عينيها وترجع باصرة باذن الله تعالى، وأما هدايات الانسان فالى مالا يحدّ من مصالحه ومالا يحصر من حوائجه، فى أغذيته وأدويته ، و فى أبواب دنياه و دينه ، وإلهامات البهائم والطيور و هو امّ الارض باب واسع و شوط بعيد لا يحيط به وصف واصف ، فسبحان ربى الاعلى و بحمده .

۱۲- عن عطاء : أى جعل لكل دابة مايصلحها وهداها له . ۱۳- قيل. أى دلّ الانسان بأفعاله على توحيد ربوبيته و جلال كبريائه ونعوت صمديته و فردانيته

لان الانسان يرى الكون ونظامه و السماء وما فيها من الكواكب على التناسق ، ويرى الارض وماعليها من الاتقان ، فيحكم عقله بأن لايمكن ذلك إلاّ من صانع قادر حكيم عليم .

ففى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

١٣ـ قيل: أى خلق المنافع وقدّرها فى الأشياء وهدى الانسان لوجه إستخراجها منها، فجعل بعضها غذاء وبعضها دواء وبعضها سمّاً وهداه إلى مايحتاج إستخراجها من الجبال والمعادن كيف تستخرج وكيف تستعمل ، وقدّر السموات وما فيها من الكواكب ، وقدّر الارض وما فيها من المعادن وما يظهر على وجهها من النبات ، وما يعيش عليها من الحيوان . . . و قدّر كل واحد منها على ما يستحقه ، و يكون به إستقرار شأنه ثم هدى كل دابة إلى إستعمال مايصلحها و ماهو أمسّ بحاجتها بماخلق فيها من الميول والالهامات لتحصيل مالها من مقاصد وغايات . . .

١٤ـ قيل : ان التقدير: الملك . والمعنى : ملّك الاشياء وهدى إليها من يشاء .

١٥ـ قيل : ان قوله تعالى : « الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى » تفسير « الاعلى » العلو الذى يليق بجلال الله تعالى على جميع مخلوقاته . ١٦ـ عن الفراء : أى قدر فهدى وأضلّ ، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر . ١٧ـ عن مجاهد أيضاً : أى هدى الانسان للسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراعيها . . .

١٨ـ قيل : أى قدر كل شىء بمقدار معلوم، فيتناول المخلوقات كلها فى ذواتها و صفاتها كل بحسبه ، فقدّر السموات وما فيها من الكواكب والنجوم و مالانعلم ، و قدّر الارض وما فيها من العناصر و المعادن والنبات و الحيوان و الانسان كلاً بمقدار مخصوص من الجثة والعظم و البقاء والفناء ومن الصفات والالوان والطعوم والروائح والاوضاع ، وقدّر لكل شىء مزاجاً وقوة وإستعداداً خاصاً لا

يصلح إلا لفعل معين وعمل خاص .

فالتسوية والتقدير عبارة عن التصرف في الاجزاء وتركيبها على وجه خاص لاجله ، تستعد لقبول القوى ، وان الهداية عبارة عن خلق تلك القوى في الاجزاء بحيث يكون كل قوة مصدراً لفعل معين ليحصل من مجموعها تمام المصلحة .

أقول : والتعميم هو الانسب باطلاق السياق .

٦- (سنقرئك فلاتنسى)

في الاقراء والنسيان أقوال : ١ - قيل : اريد بالاقراء تمكينه صلى الله عليه وآله وسلم من قراءة القرآن الكريم كما أنزل من غير أن يغيره بزيادة أو نقص أو تحريف بسبب النسيان وعدم التحفظ ، فليس إقراءه عزوجل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم القرآن كاقراء بعضنا بعضاً باستماع المقرىء لما يقرؤه القارىء وإصلاح مالايحسنه أو يغلط فيه ، إذ لم يعهد من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن يقرأ شيئاً من القرآن فلايحسنه أو يغلط فيه عن نسيان الوحي ثم يقرأ فيصلح .

والمعنى : سنجعلك قارئاً للقرآن ، فلاتنساه بل تحفظه باناسننزل عليك كتاباً بأمين الوحي ، فتقرؤه ولاتنسى منه شيئاً بعد نزوله عليك ، وقد كان النبي إذا نزل عليه القرآن أكثر من تحريك لسانه مخافة أن ينساه فوعده الله جل و علا بأنه لاينساه .

٢- قيل : أي سنقرأ عليك القرآن فنعلمكه فتحفظ . وفي الاية بشارة من الله جل وعلا بشربها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن أعطاه آية بينة ، وهي أن يقرأ عليه صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل عليه السلام من الوحي وهو امي لايكتب ولايقرأ فيحفظه ولاينساه . والمراد بالاقراء نزول الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بنفي النسيان حفظ ما ينزل عليه . وقيل : لاتنسى العمل به .

وقيل : النسيان بمعنى الترك أي ان الله تعالى يعصمك من أن تترك العمل به

٣- عن مجاهد : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتذكر مخافة أن ينسى ، فقيل:

كفيتكه . أى انك يا محمد تجهر بقراءتك مع قراءة جبرئيل عليه السلام مخافة النسيان ، والله يعلم ما فى نفسك من الحرص على تحفظ الوحى ، فلاتفعل ، فانا نكفيك ما تخافه . وعن إبن عباس : انه قال : فلم ينس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول هذه الاية حتى قبض .

٤- قيل : ان «لا» حرف نهي . بأن الله تعالى نهى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يعجل بقرائته لقوله تعالى : « لاتحرك به لسانك لتعجل به » و إنما أثبتت الياء لرعاية الفواصل . . .

والمعنى : لاتغفل عن قرائته وتكراره فتنساه ، ففى الجملة أمر بالمواظبة على الاسباب المانعة من النسيان وهى الدراسة والقراءة والبحث . فليس فى الاية بشارة لان النسيان لايتعلق بقدرة العبد ، فيلزم أن يحمل النهى عنه على الامر بالاسباب المانعة منه .

اقول : وعلى الاول جمهور المحققين وفى معناه الثانى والثالث .

٧- (الاماشاءالله انه يعلم الجهر وما يخفى)

فى الاستثناء أقوال : ١- قيل : ان فى ذكر الاستثناء هنا تنبيهاً على مبالغة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى التثبت والتحفظ والتيقظ على ما يوحى إليه . والمعنى : إلا ماشاء الله أن ينسى ولكنه لم ينس شيئاً منه بعد نزول هذه الاية . فوجه الاستثناء على ما قاله الفراء : « الا ما شاء » وهو لم يشأ أن ينسى كقوله تعالى: «وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك » هود : ١٠٨)

ويقال فى الكلام : لاعطينكه كلما سئلت إلا ماشئت وإلا إن أشاء امنعك والنية على أن لايمنعه شيئاً .

٢- قيل : أى إلا ماشاء الله أن ينسى ثم يذكر بعد ذلك ، فاذاً قدنسى ولكنه

يتذكر ولاينسى نسياناً كلياً . ٣- قيل : أى إلاّ ما شاء الله أن ينسيك .٤ - قيل: أى إلاّ ما شاء الله أن ينسخه ، فالاستثناء نوع من النسخ فى القراءة أوالحكم.

فيحمل الاستثناء على حقيقته لقوله تعالى: «ما ننسخ من آية أو ننسهانأت بخير منها أو مثلها » البقرة : ١٠٦)

٥- قيل : ليس المراد من الاستثناء على حقيقته ، بل المقصود به إما نفى النسيان رأساً كما تستعمل القلة فى معنى العدم ، وإما التبرك بذكر هذه الكلمة وتعليم العباد أن يتركوها فى كلما يخبرون عنه فيه انه تعالى قادر على إنسائه إلاّ انه لاينسيه بفضله وإحسانه، وفيه لطف للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون متيقظاً مبالغاً دراسة ما ينزل عليه من الوحى قليلاً أو كثيراً ، فان كل جزء من أجزائه يحتمل أن يكون هو المستثنى .

٦- قيل : أى إلاّ ما شاء الله أن تنسى القليل مما يوحى إليك من الآداب والسنن لاالواجبات و الفرائض و الاحكام . . . ٧- قيل : أى إلاّ ما شاء الله أن تتركه لنسخه إياه . والنسيان بمعنى الترك والاستثناء نوع من النسخ فى العمل.

٨ - عن قتادة و الحسن : أى إلاّ أن ينسيكه بنسخه من رفع حكمه و تلاوته .

٩- قيل : جاء الاستثناء للتبرك والتعليم للعباد بأن لا يتركوا جملة : « إن شاء الله » فى كلما تهم لقوله تعالى : « ولاتقولن انى فاعل ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله » الكهف : ٢٣)

١٠- قيل : ليس هذا إستثناء بل توكيد لنفى النسيان عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وانه لاقوة إطلاقاً تنسى محمداً شيئاً من القرآن إلاّ الله تعالى وهو جل وعلا ينسيه كيف وقدوعده بالحفظ وعدم النسيان والله منجز وعده لامحالة .

فجاء الاستثناء لافادة بقاء القدرة الالهية على إطلاقها ، وان هذه العطية و

هى الاقراء بحيث لاتنسى لاينقطع عنه سبحانه بالاعطاء بحيث لا يقدر بعد على إنسائك ، بل هو باق على إطلاق قدرته له أن يشاء إنساءك متى شاء وإن كان لايشاء ذلك . فليس المراد بالاستثناء إخراج بعض أفراد النسيان من عموم النفى.

- المعنى : سنقرئك فلاتنسى شيئاً إلاّ ما شاء الله أن تنساه . و ذلك ان كل إنسان على هذه الحال يحفظ أشياء وينسى أشياء فلامعنى لاختصاصه بالنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بلحن الامتنان مع كونه مشتركاً بينه وبين غيره .

والاية بسياقها لاتخلو من تأييد لما قيل : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا نزل عليه جبرئيل عليه السلام بالوحى يقرؤه مخافة أن ينساه ، فكان لايفرغ جبرئيل من آخر الوحى حتى يتكلم هو بأوله ، فلما نزلت هذه الاية لم ينس بعده شيئاً، ويقرب من الاعتبار أن نزلت هذه الاية : « سنقرئك فلاتنسى » أولاً ثم نزل قوله عزوجل : «لاتحرك بهلسانك لتعجل به » القيامة : ١٧)

وقوله : « ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه » طه : ١١٤)

وقيل : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبرئيل عليه السلام خوف النسيان ، فكأنه قيل : لاتعجل بها انك لاتنسى فلاتتعب نفسك بالجهر بها .

١١- قيل : أى إلاّ ما شاء الله أن يؤخر إنزاله عليك فلاتقرؤه أصلاً. ١٢- قيل : أى فجعله غثاء أحوى إلاّ ماشاء الله أن يناله بنو آدم والبهائم فانه لايصير كذلك . فقوله تعالى : « سنقرئك فلاتنسى » معترض بين المستثنى منه والاستثناء كما أن الاستثناء معترض بين قوله: « سنقرئك فلاتنسى » وبين قوله : « ونيسرك لليسرى » .

١٣- قيل :أى سنقرئك من القرآن ما يحمل كل شىء إلاّ ماشاءالله إختصاصه بذاته المقدسة من علوم الغيب ، فقد استقصى الله فى القرآن ماكان ومايكون وما هو كائن ، وقصّه للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ولم يستثن إلاّ ماشاءالله إختصاصه بنفسه المقدسة فآية الانساء إذاً من آيات أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم ينس ما أقرأه ربه .

١٤- قيل أى انك لاتستطيع دوافع النسيان وعوامله أن تنسيك شيئاً من القرآن على وجه الاطلاق ، فان الله غالب على أمره ولئن كان هناك عامل - ولن يكون - فلتكن مشيئة الله ولايعنى هذا الاستثناء ان الله ينسيه شيئاً مما أقرأه فانه أسوأ العسرى بعد أن وعده باليسرى : «فلاتنسى» وإذا كان هناموقع للنسيان ، فما هو موقع التعليل ؟ .

اقول: وعلى الاول جمهور المحققين وفى معناه بعض الاقوال الاخرفتأمل جيداً .

فى قوله جل وعلا : « انه يعلم الجهر وما يخفى » أقوال : ١- قيل : أى انه جل و علايعلم الاعلان من الاقوال و الافعال ، و ما يخفى من الاسرار، و مقتضيات كل حال .

٢ - عن إبن عباس : أى يعلم الجهر فى قراءة القرآن ، و ما فى قلبك ونفسك من الحفظ . ٣- عن محمد بن حاتم : انه يعلم إعلان الصدقة و إخفائها .

٤- قيل : انه يعلم الجهر مما تقرأه من القرآن الكريم ، و ما حفظته منه فى صدرك .

٥ - قيل : ان الله تعالى يعلم العلانية والسر . و الجهر هو رفع الصوت . و نقيضه : الهمس . والمعنى : انه سبحانه يحفظ عليك ما جهرت به و أخفيته مما تريد أن تعيه ، فلايفوته شيء مما فى نفسك ، وهو مالك قلبك وعقلك وخافى سرك وجهرك ففى مقدوره أن يحفظ عليك ما وهبك ، وإن كان من خفيات روحك ولو شاء لسلبه ولن تستطيع دفعه لانه ليس فى قدرتك أن تخفى عنه شيئاً . ٦- قيل : أى انه تعالى يعلم ما يجهر به العباد ، وما يخفونه من عقائدهم و نياتهم و خطورات بالهم ، وحركاتهم وأقوالهم وأفعالهم ... لايخفى عليه شيء من ذلك .

اقول : والثانى هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين الاقوال الاخر .

٨- (ونيسرك لليسرى)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس : أى نيسرك لأن تعمل خيراً. وقيل : أى للطريقة اليسرى وهى عمل الخير الذى يؤدى إلى اليسر. ٢- عن إبن مسعود و الجبائى :أى نيسّرك للجنة . أى العمل المؤدى إليها. وقيل : أى نيسّر لك دخول الجنة . ٣- عن الضحاك : أى نوفقك للشريعة اليسرى و هى الشريعة الحنفية السمحة السهلة التى يسهل على النفوس قبولها و لايصعب على العقول فهمها وهى الاسلام .

٤- قيل : أى نهوّن عليك الوحى ونسهله حتى تحفظه وتعمل به ولا تخالفه و اليسرى هى الفعلى من اليسرى هى الفعلى من اليسر وهو سهولة عمل الخير .

٥ - عن أبى مسلم : نسهل لك من الألطاف والتأييد ومايثبتك على أمرك ،ويسهل عليك المستصعب من تبليغ الرسالة والصبر عليه ، فنجعلك بحيث تتخذ دائماً أسهل الطرق للدعوة و التبليغ قولاً وعملاً، فتهدى قوماً وتتم الحجة على الآخرين ، وتصبر على أذاهم . ٦- قيل : نسهل عليك أفعال الخير وأقوال اللين ، ونشرّع لك شرعاً سهلاً سمحاً مستقيماً عدلاً لا إعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر.

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

٩- (فذكر ان نفعت الذكرى)

فى الاية الكريمة أقوال : قيل : أى فعظ قومك يا محمد بالقرآن إن نفعت الموعظة : قال بعضهم : ان رسول الله ﷺ قد استفرغ جهده فى تذكير قومه ، وما كان أكثرهم يزيدون على الذكرى إلا نفوراً وعتواً و كفراً وطغياناً قال الله تعالى: « وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على ادبارهم نفوراً » الاسراء : ٤٦)

وقد كان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يتلظى حسرة وتلهفاً ، ويزداد جداً في تذكيرهم ، وكان يحرص عليه حتى قيل له : « وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ق : ٤٥) وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير قال الله تعالى : « فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا » النجم : ٢٩)

اجيب عنه: بأن الاعراض ليس بترك التذكير تماماً بل كان لابد له صلى الله عليه وآله وسلم من الاعراض عنهم في بعض الأحيان كقوله تعالى : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » الانعام : ٦٨)

٢- عن الحسن : فذكر المؤمن والكافر ، فان الذكرى تذكرة للمؤمن وحجة على الكافر. والمعنى : فذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع ، فحذف الثاني كقوله تعالى : « سرابيل تقيكم الحر » النحل : ٨١) أي والبرد .

وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث للاعذار والانذار، فعليه التذكير في كل حال نفع أو لم ينفع . وقيل : ان وجوب التذكرة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى فيما لايترتب عليها أثراً أصلاً ممنوع . ٣ ـ عن إبن عباس : أي تذكرة تنفع أوليائي ولا تنفع أعدائي . ٤- قيل : انه مخصوص بأقوام بأعيانهم . ٥ ـ عن إبن شجرة : « إن » بمعنى « ما » . ٦- قيل : « إن » بمعنى « إذ » كقوله تعالى : « و أنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين » أي إذ كنتم فلم يخبر بعلوهم إلاّ بعد ايمانهم . ٧ ـ قيل : « إن » بمعنى « قد » .

٨- قيل : فذكر الخلق كلهم وعظهم، وإنما قال ذلك وذكراه تنفع لامحالة في عمل الايمان والامتناع من العصيان لانه ليس بشرط حقيقة ، وإنما هو إخبار عن انه ينفع لا محالة في زيادة الطاعة و الانتهاء عن المعصية كما يقال : سله إن نفع السؤال ، فلابد من الذكرى فانها لاتخلو من نفع أبداً ، فانها إذا لم تجد في الناس من يستجيب لها ، و ينتفع بها فانها واجدة فيهم أيضاً من

يستجيب وينتفع .

وقيل : ان الشرط ، وإن كان ظاهره بمعناه ولكن المراد به هو الاخبار عن حال الناس وتحزبهم بحزبين إزاء الدعوة والذكرى : حزب الرحمن وهم الذين يخشون ربهم ، ويعملون بما يعلمون وحزب الشيطان ، وهم طلاقة العنان ، وأصحاب الغوغاء والتصفيق والشعار من غير شعور ... وأصحاب قول كثير وعمل قليل . . .

و ان قيد الامر بالتذكير بنفع الذكرى قيد لازم ، و من لزوم هذا القيد أن يكون رسول الله ﷺ مذكراً بدعوته دائماً ، فان المطلوب من النبي ﷺ هو التذكير دائما ، نفعت الذكرى أم لم تنفع إذ لا يتفق هذا الدوام مع هذا القيد وهو التذكير في حال النفع وحده .

وذلك ان من غير مراء ان التذكير أمر واجب حتى مع العلم بأنه لا يجدى نفعاً ظاهراً لالقاء الحجة، وقطع المعذرة ، وإلا إمتنع الحساب والعقاب قال الله تعالى: «رسلاً مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » النساء : ١٦٥)

فكانوا هم عالمين بأن أكثر الناس لا يؤمنون بهم .

٩- قيل: جاءت حرف الشرط «إن» لبيان الواقع لا الشرط . والمعنى: فذكر الناس كافة ، فان الذكرى ينتفع بها من يبتغي الهداية، وإن لم ينتفع بها من يصر على الكفر و الضلالة .

ويدل على ذلك قوله جل وعلا : «سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى ..» فلا بد من الذكرى سواء يحتمل الانتفاع بها أم لا لاتمام الحجة، ولئلا يطلق عنان الطغاة ، فتهدم أركان الدين ، فالقول بأن الذكرى مشروط باحتمال التأثير ناش عن الكسالة في أمر الدين والدعوة .

١٠- قيل: إن المراد من الشرط هو الاخبار أيضاً باستبعاد تأثير الذكرى فيمن لايتذكرون ذم عليهم، وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم.

اقول: و على الثامن أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر.

١١- (ويتجنبها الاشقى)

في الاية الكريمة: أقوال: ١- قيل: الاشقى: الكافر على الاطلاق لانه أشقى من الفاسق والمنافق لان أهل الشقاء متفاوتون في شقائهم. و هذا الوعيد لاشقى منهم، وهو الذى كفر بالله تعالى وعبد غيره، وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبكتابه واليوم الآخر، ولايخشى العاقبة، والمعنى: سيتباعد عن الذكرى و يعرض عن الدعوة الحقة من لايخشى الله ولاسوء العاقبة ويكفر بالله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وإن كان ثم شقى لايبلغ هذه المرتبة من الشقاء، ولايلزم من تخصيص ذكر الاشقى بدخول النار أن لايدخلها الفاسق والمنافق، و سبب تخصيص الاشقى الذى هو الكافر بالذكر ان الفاسق والمنافق لايتجنبان عن الذكرى بالكلية، فيكون المقام مسكوتاً عن الشقى الذى هو من أهل النفاق والفسق.

قيل: أى أشقى الفريقين. وقيل: أشقى الفرق.

٢- قيل: اريد بالاشقى: الشقى كقوله تعالى: «وهو أهون عليه» أى هين، فيدخل فيه الفاسق لانه يجتنب بوجه من الوجوه... وايثار صيغة الافعل للفواصل و إلا يضاف إلى مابعده. فالمراد بالاشقى بقرينة المقابلة من ليس في قلبه شيء من خشية الله جل وعلا وسوء العاقبة.

٣- قيل: أى أشقى الكفرة لتوغله في عداوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعناد الاسلام وهو المعاند المصر على الجحد و الانكار المتمكن من نفسه الكفر و العناد، وانه هو الذى لاينسجم مع أهدافه و أهوائه، لذلك لايستجيب لدعوة الحق وان قام عليه ألف دليل لان الهوى يعمي و يصم.

قال الله تعالى : « أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين» الزخرف : ٤٠)

و المعنى : و يبتعد عن هذه التذكرة المعاند المصر على الجحود عناداً و إستكباراً .

٤- قيل: أى أشقى مشركى مكة و هو الوليد بن المغيرة و عتبة بن ربيعة عليهما اللعنة والهاوية إذفيهما نزلت الاية . ٥- عن أبى مسلم: أى أشقى من الاثنين: من يخشى ويتجنب .

٦- قيل : أى و يتجنب الذكرى و الموعظة ، و يبعد عنها الشقى فى علم الله، و يترك الذكرى جانباً لايلتفت إليها. ٧- قيل : أى أشقى العصاة فان للعاصين درجات فى الشقاوة .

اقول: والثانى هو الأنسب بظاهر السياق، فتأمل جيداً .

١٢- (الذى يصلى النار الكبرى)

فى « النار الكبرى » أقوال : ١- عن الفراء : هى النار العظمى وهى أسفل دركات جهنم ، وهى السفلى من أطباق النار ، وهى أشدها عذاباً . ٢- عن الحسن ويحيى بن سلام : النار الكبرى هى نارجهنم ، والصغرى هى نار الدنيا ، ونار جهنم كبرى بالقياس إلى نار الدنيا ، وصفت بالكبرى لشدة حرّها وألمها، فليست هى كنار الدنيا ، بل إنما هى نار تأكل نار الدنيافى شدة ضرامها وقوة حرارتها ، وهى التى تشتعل من داخل الاشقى وتحرقه .

٣- قيل : اريد بالكبرى معناها الوصفى لاالتفضيلى أى النار الكبيرة فجاءت بهذه الصيغة لرعاية الفواصل...٤- قيل: النار الكبرى هى نارجهنم والنار الصغرى هى نار الشقاء والشهوة ، نارحب الجاه والرئاسة ، نارحب الدنيا ومتاعها . وهى نار الحسد والطمع والحرص ، ونتاج هذه النار الكفر و الطغيان . والظلم والا ستبداد والبغى والاستثمار ...

١٣- (ثم لايموت فيها ولايحيى)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- قيل : أى لايموت هذا الشقى فى نارجهنم، فيستريح من العذاب ، ولايحيى فيها حياة طيبة فيسعد ولاحياة هنيئة تنفعه بل صارت حياته وبالاً عليه ، يتمنى زوالها لما هو فيها معها من فنون العقاب وأنواع العذاب .

وذلك ان نفس الشقى يجيىء إلى حلقه فلا يخرج ، ولايفارقه فيموت ، و لايرجع إلى موضعه من الجسم فيحيى . ٢- قيل : أى لايجد هذا الشقى فى الدار الآخرة روح الحياة و العرب تقول لمن هو مبتلى بمرض يقعده : لا هو حيّ فيرجى ، و لاميت فينسى . فلايموت فينقطع عنه العذاب بانقطاع وجوده ، ولا يحيى حياة طيبة يتبدل بها صفة الحياة من الشقاء إلى السعادة ، ومن العذاب إلى الراحة .

٣-قيل : أى لايموت هذا الشقى فى الحياة الدنيا بموت الانسانية لخروجه منها بالكفر والعصيان ، ولايحيى فى الاخرة بموت الانسانية .

اقول : والاول هو المؤيد بالآيات القرآنية وعليه جمهور المفسرين .

١٤- (قد افلح من تزكى)

فى « تزكى » أقوال : ١- عن إبن عباس وعطاء و عكرمة : أى من تطهّر نفسه من الشرك والكفر بالايمان ، من العقائد الفاسدة بالعقيدة الحقة، من دنس الرذائل بصالح الاعمال ، من أدران الآثام بالطاعات والانقياد للحق ، ومن ألواث التعلقات الدنيوية الصارفة عن الآخرة بترك مانهاه عنه . ٢- عن الحسن الربيع : أى من كان عمله زاكياً نامياً . وعن قتادة : أى من تزكى بعمل صالح . ٣-عن إبن مسعود وأبى عمرو وأبى العالية وعكرمة وإبن سيرين : أى من أعطى زكاة الفطر وصلىّ صلاة العيد أى الفطر وقال القشيرى : لايبعد أن يكون أثنى على من يمتثل أمره فى صدقة الفطر وصلاة العيد فيما يأمر به فى المستقبل .

إذلم يكن بمكة عيد ولازكاة فطر ، فالقول بمدنية ذيل السورة ، و مكية صدرها ممالاوجه له .

٤- عن أبى الاحوص وعطاء وإبن مسعود : أى من أدى الزكاة الواجبة المالية كلها . ٥- قيل : أى من اعطى الصدقات كلها : واجبها ومندوبها . ٦- قيل : أى من زكى نفسه بالدعاء والذكر والطاعة و الرغبة إلى الله جل وعلا .٧- قيل : أى من تطهر بالغسل والوضوء وتطهر الثياب للصلاة والعبادة . ٨- عن إبن عباس وعطاء وعكرمة أيضاً: أى من شهدأن لاإله إلا الله وخلع الانداد وشهدان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٩- قيل : أى من تطهر أعماله من الرياء و التقصير لان الاكثر أن يقال فى المال : زكّى لاتزكّى . فالمراد بالزكاة إنماءالاعمال لازكاء الاموال . . .

اقول : و على الاولى جمهور المحققين من غير تناف بينه وبين الاقوال الاخر على أنها من بعض مصاديق التزكى.

١٥- (وذكراسم ربه فصلى)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس : اريد بالذكر ذكر معاده و موقفه بين الله جل وعلا فعبده وصلّى له . ٢- قيل : أى يفتتح أول كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم فصلّى أى ذكر .٣- قيل :أى ذكر فى قلبه صفات ربه من الكبرياء والجلال والكمال ، فخشع لجبروته و قهره و خضعت نفسه لأوامر بارئه وذلك ان المؤمن متى تذكّر ربه العظيم وجل قلبه و خاف من سطوته ، وامتلأت نفسه خشية منه ورهبة لجلاله لقوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » وقيل : أى ذكر ربه بقلبه عند صلاته ، فيخاف عقابه و يرجوثوابه ليكون إستيفائه لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه . فالاسم زائد .

٤- قيل : اريد بالذكر الذكر اللفظي، وبالصلاة التوجه الخاص المشروع في الاسلام .

٥ - قيل : أى أقام الصلاة في أوقاتها إبتغاء لوجه الله وطاعة لأمر الله وإمتثالاً لشرع الله جل وعلا . ٦ - عن إبن عباس أيضاً : أى ذكر إسم ربه بلسانه بالتكبير في أول الصلاة لأنها لاتنعقد إلاّ بذكره وهو قوله : « الله أكبر » هو تكبيرات العليا في الصلوات الخمس المفروضة . وعنه أيضاً : أى وحّد الله جل وعلا فصلّى.

٧- عن إبن عباس أيضاً والضحاك وأبى سعيد الخدرى وإبن عمر: أى ذكر إسم ربه في طريق المصلّى - مبنياً للمفعول أى مكان الصلاة - فصلّى صلاة العيد وهو أن يتطوع بصلاة بعد ايتاء زكاة الفطر . ٨- قيل : الذكر : الدعاء أى أن يدعو الله جل وعلا بحوائج الدنيا و الاخرة .

٩- قيل : أى وذكر إسم ربه بالتوحيد والاخلاص فصلّى أى إشتغل بالخدمة والطاعة حتى يكون كاملاً بحسب قوته النظرية والعملية بعد تخليته لوح الضمير عن النقوش الفاسدة .

أقول : و الثالث هو الانسب بسياق الاطلاق فيشمل لسائر الاقوال . .

١٦- (بل تؤثرون الحياة الدنيا)

في « تؤثرون » أقوال : ١- عن قتادة : أى أيها الناس أنتم تقدمون زينة الحياة الدنيا على الآخرة و نعيمها .

فالخطاب عام موجه إلى السامعين من الكافر و المسلم في أمرهم على ما يدعوه طبعهم البشرى من التعلق التام بالحياة الدنيا ومتاعها والاشتغال بتعميرها وزخارفها . . . ففيه توبيخ على الكفار وعتاب على المسلمين الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها . وعن إبن مسعود انه بعد أن قرأ الاية الكريمة . أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ لان الدنيا حضرت و عجّلت لنا طيباتها ، وطعامها و شرابها و لذاتها و بهجها والاخرة غيبت عنا فأخذنا العاجل و تركنا

الآجل .

٢- قيل : خطاب لأهل الكفر والشقاوة توبيخاً لهم ، وبياناً لما هم فيه من التعلق التام بالحياة الدنيا و الغفلة عن الاخرة. والمعنى: بل تختارون أيها الكفار الحياة الدنيا ، و تفضلون أيها الاشقياء الدنيا على الاخرة ،فتعملون لها وتعمرونها ولاتتفكرون في أمر الاخرة ، وأنتم تمتطون الذين للدنيا .

٣- قيل : خطاب للمسلمين فقط عتاباً على الذين إشتغلوا بتعمير الدنيا وحبها منهم . والمعنى : بل أنتم أيها المسلمون تقدمون الحياة الدنيا على الآخرة إلاّ من عصمه الله تعالى منكم من ذلك ، فأنتم كاذبون فيما تزعمون لا نفسكم من حسن العمل لانكم لو كنتم صادقين فيما تذهبون إليه لكنتم تفضلون الآخرة على الدنيا كما يرشد إلى ذلك العقل و يهدى إليه الشرع . وقيل : على معنى : بل تؤثرون أيها المسلمون الاستكثار من الثواب فلا عتاب .

٤- قيل :أي بل يؤثرون هؤلاء الاشقون الحياة الدنيا على الآخرة . و هذا بناء على قراءة ياء الغيبة

أقول : والاول هو الانسب بظاهر الاطلاق .

١٨- (ان هذا لفى الصحف الاولى)

في الاية الكريمة أقوال : ١- عن قتادة و إبن زيد : أي تقاومت كتب الله جل و علا - كما تسمعون من هذا الكتاب المجيد -: ان الاخرة خير وأبقى من الدنيا . فقوله : « هذا » يشير إلى قوله : « والاخرة خير و أبقى » و المعنى : ان مضمون « والآخرة خير و أبقى » لثابت في الكتب النازلة على الانبياء السابقين.

٢- عن إبن عباس وعكرمة والحسن و الكلبي : أي ان من قوله تعالى قد أفلح ... إلى آخر السورة ثابتة في كتب الله تعالى لديهم . فالايات (الاية ١٣ - ١٧) أومضمونها في الكتب الاولى التي نزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المصلى . والتزكي . ايثار الخلق الدنيا على الآخرة . وان الآخرة خير وأبقى

٣ـ عن الضحاك : ان هذا القرآن لفى الكتب الاولى ٤ ـ عن إبن عباس و عكرمة وقتادة أيضاً وأبى العالية : أى ان ما فى هذه السورة لثابت فى الكتب السماوية النازلة قبل هذا القرآن . وقيل: أى قصةهذه السورةلفى الصحفالاولى. وقيل : أى ان هذا الذى قصّه الله تعالى فى هذه السورة لفى الصحف الاولى

٤ ـ قيل : أى ان مضمون قوله تعالى : « بل تؤثرون الحياة الدنيا » لفى الصحف الاولى لانه أقرب المذكورات ، و لان حاصل جميع الكتب السماوية الزجر عن الدنيا ، والاقبال على الآخرة .

٥ـ قيل : أى ان من تزكى وذكر إسم ربه فصلى فهوممدوح فى الصحف الاولى كما هو ممدوح فى القرآن الكريم .٦ـقيل : أى ان ما أوحى الله تعالى به إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من أمرونهى و وعدووعيد . . . هو بعينه ما جاء فى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام . ٧ـ قيل : أى ان ما فى هذهالسورة من التوحيد والنبوة والوعد والوعيد كلها ثابتة فى صحف الانبياء الاقدمين لأنها قواعد كلية لاتتغير بتغير الازمان ، ولاتقبل النسخ فهو كقوله جل وعلا : « وانه لفى زبرالاولين »

وقيل : أى ان ما فى هذه السورة من أن ربوبية الرب بالنسبة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هى أعلى الربوبيات بين حملة الرسالات مسبحة مقدسة فى كتب الوحى من قبل كما أن عدمنسيان القرآن وتيسيره صلى الله عليه وآله وسلم لأمر الرسالة هى فى الصحف الاولى .

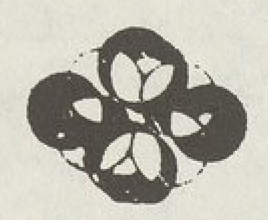
ومايروى : ان الآيات الاربع الاخيرة هى فى الصحف الاولى هو من باب التطبيق فالمشار إليه هو كل ما فى السورة ، ثم القرآن بصورة عامة فيه نسخة ما فى الصحف الاولى : « أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى » وعلى حدقول مولى الموحدين إمام المتقين على بن أبيطالب عليه السلام : « فجاءهم بنسخة ما فى الصحف الاولى وتصديق الذى بين يديه وتفصيل الحلال من ريب الحرام»

و لايعنى ان القرآن الكريم ترجمة لهذه الصحف . و لاسيما الموجودة

منها الآن لأنه يكذّب شيئاً كثيراً من محرفاتها و خرافاتها الدخيلة ، و يصدّ بعضاً تكميلاً له أو نسخاً و كرمز الخلود .

اقول : وعلى الثاني أكثر المحققين وهو المروى عن أبى ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه . ولعل ذلك لما فى الايات الاربع من بيان أول اصل من الاصول الاعتقادية وهو التوحيد بذكر إسم الرب كما افتتحت السورة آمرة بتسبيح إسم الرب جل و علا وعليه يدور سائر الاصول ولما فيها من ذكر أول فرع من الفروع الدينية وهى الصلاة ، وعليها تدور سائر الفروع والأوامر والنواهى وقبول ما سواها أو ردّه ، ولما فيها من الزجر والتحذير عن رأس كل خطيئة وهو حب الدنيا وتقديمها على الاخرة ، ومن الاقبال والحث على الاخرة .

ومن غير مراء يدور على تلك الامور الاربعة الكمال الانسانى وفلاحه و سعادته فى الدارين ولذلك بعث الانبياء عليهم السلام ونزلت عليهم الكتب ، ومنها صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام .



﴿التفسير و التأويل﴾

١- (سبح اسم ربك الاعلى)

سبّح يامحمد إسم ربك الذي له وحده علوّ ذاتي يعلو على ماسواه كله بأن تقول: سبحان الله وسبحان ربي الاعلى وبحمده في صلواتك وفي كل وقت ...

و ان «سبحان الله» إسم علم لله جل و علا قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «سبحان الله كلمة رضيها الله لنفسه فأوصى بها»

فتسبح يامحمد باسم ربك الاعلى الذي هو أعلى افق الوجود، فلايوازنه افق إذبافق وجوده وجدت الآفاق فكلها يعود إليه.

ان التسبيح هو تنزيه الله جل وعلا عما لايليق بساحة قدسه وعلوّ جلاله وعظمته في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه من الصفات الذميمة والافعال القبيحة ... وتسبيح الذات هو تقديسه عن ذوات الممكنات، فذاته خلوّ من ذوات المخلوقين كما ان ذواتهم خلوّ من ذاته قال الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام: «ولا هو في خلقه ولاخلقه فيه هو خلوّ من خلقه و خلقه خلوّ منه» و تنزيهه عن كل مالا يليق به من شبه المخلوقات أوظهوره في واحد منها بعينه أو إتخاذه شريكاً أوولداً له، فلاتتجه إليه عقولنا إلاّ بأنه خالق الكائنات، وهو الذي أوجدها وسوّاها.

وتسبيح إسمه جل وعلا أن لايذكره العبد إلاّ على وجه التعظيم له، ولايطلق

إسمه على غيره زاعماً انه يشاركه في صفاته عما يصفه الجاهلون والملحدون ولاشيء أوضح وأدلّ من كلمة: «لا إله إلاّ الله» تنفي مالايجوز في صفته من شريك في ذاته و صفاته وفي عبادته مع الاقرار بانه الواحد في إلهيته، وانه ليس كمثله شيء. وان المراد بالاسم المسمى.

قال الله عز و جل مخاطباً لنبيه ﷺ: «و سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل غروبها و من آناء الليل فسبح و أطراف النهار لعلك ترضى» طه: ١٣٠)

وقال: «وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبّحه و إدبار النجوم» الطور: ٤٨-٤٩)

وقال: «وسبح بالعشي والابكار» آل عمران: ٤١)

وقال: «فسبح باسم ربك العظيم» الواقعة: ٩٦)

وقال: «قل سبحان ربي» الاسراء: ٩٣)

ان الخطاب وإن كان للنبي الكريم ﷺ بالأصالة، ولكنه موجه إلى المؤمنين بالاتباع وان من شيء إلاّ يسبحه باسمه كل بحسبه.

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرة وأصيلاً» الاحزاب: ٤١-٤٢)

وقال: «تسبّح له السموات السبع و الارض و من فيهن و إن من شيء إلاّ يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفوراً» الاسراء: ٤٤)

٢- (الذى خلق فسوى)

الذي خلق الكائنات، وأوجد كل شيء بجميع أجزاء وجوده بوصف الاحكام و الانقان، إذ وضع كل شيء في موضعه الذي يليق به، واعطى حقه على نظام كامل لاتفاوت فيه، وجعل كل شيء سوياً تاماً على أتم صورة تناسبه و أكملها. و أحسن الهيئات، متناسبة الاجزاء غير متفاوتة، مبرّأة عن الفسخ والاضطراب بجعل

التوازن و التعادل بين الخلائق كلها، و بين أجزائها جميعها من وضع كل عضو فيما يناسبه من الموضع ، و جعل كل ذلك مستعدة للكمال اللائق بحالها ، و كل ذلك يشهد على وحدانية الله تعالى فى الذات و الصفات ...

قال الله تعالى : «ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلاّ هو» غافر : ٦٢)

و قال: « وخلق كل شىء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢)

و قال: « الذى أحسن كل شىء خلقه» السجدة: ٧)

و قال : « الذى خلق سبع سموات طباقاً ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور » الملك : ٣)

و قال: « ان فى خلق السموات و الارض و اختلاف الليل و النهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات و الارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك» آل عمران: ١٩٠- ١٩١)

٣- (والذى قدر فهدى)

و الذى قدّر كل ما خلقه على ما يناسبه، و يلائم لوجوده ، محتفظ له بمكانه بين المخلوقات ... فأحكم تقديره و دبّره فألطف تدبيره و وجّهه لوجهته ، فلم يتعد حدود منزلته ، و يقصر دون الانتهاء لغايته فان الله عز و جل جعل لكل شىء غاية، و يسّره إليها، فكل مخلوق : من إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد ... ميسّر لما خلق له .

و فى حديث شريف : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »

قال الله عز و جل : « إنا كل شىء خلقناه بقدر» القمر : ٤٩)

و قال: « قد جعل الله لكل شىء قدراً» الطلاق: ٣)

و قال: « الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى» طه: ٥٠)

و من الخلق هذا الانسان فأحسن تقديره و هداه إلى كل ما يحتاج إليه

في سير تكامله، ويسّره السبيل، و بيّن لهما يضرّه في دينه و دنياه و له فيه إختيار.

قال الله تعالى: « إنا هديناه السبيل إماشا كراً وإما كفوراً »الانسان: ٣)

وقال: « ثم السبيل يسّره » عبس: ٢٠)

٣- (والذى أخرج المرعى)

والذى أخرج من الارض ما يأكل منه الانسان والحيوان: من أنواع الحبوب والزروع والفواكه ... ومن صنوف الكلأ الاخضر والحشيش والعشب ... فالناس والحيوان أمام هذه المائدة المبسوطة الممدودة من فضل الله عز و جل و رحمته الواسعة سواء.

قال الله جل وعلا: « فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً فانبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً و فاكهة و أباً متاعاً لكم ولانعامكم » عبس: ٢٤- ٣٢)

وقال: « والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم ولانعامكم » النازعات: ٣٠-٣٣)

وقال: « الذى جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لاولى النهى » طه: ٥٣-٥٤)

وقال: « أولم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون » السجدة: ٢٧)

وقال: « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية و جنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ان في

ذلك لآيات لقوم يؤمنون» الانعام: ٩٩)

وقال:« أولم يروا إلى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين» الشعراء : ٧-٨)

وقال:« سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لايعلمون » يس:٣٦)

٥- (فجعله غثاء أحوى)

فجعل الله تعالى هذا المرعى الاخضر بعد بلوغه يابساً ، وبعد خضرته متغيراً يضرب لونه إلى السواد .

وذلك ان أكثر الحبوب يكون بعد ذلك، وان المرعى يكون بعدها طعاماً جيداً لكثير من الحيوان أيضاً، فسبحان من أحكم كل شيء وقدّره تقديراً .

٦- (سنقرئك فلاتنسى)

سنقرأ عليك الوحي السماوي و ننزّله على قلبك نجوماً بأمينه ، و ما كنت تقرأه و لاتعرف شيئاً منه من قبل ، فلا تنسى ما تقرؤه حرفاً واحداً بأنا شرحنا صدرك و قوّينا ذاكرتك و جعلناك بحيث لاتنسى الوحي النازل عليك قط ، فلا تحرّك به لسانك و لاتعجل به من قبل أن يقضى إليك وحيه مخافة النسيان .

قال الله عز و جل : « و انك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » النمل: ٦)

وقال:« وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك »الشعراء : ١٩٢-١٩٤) وقال:« فانه نزّله على قلبك باذن الله »البقرة : ٩٧)

و قال : « و قرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزّلناه تنزيلاً » الاسراء : ١٠٦)

وقال:« وما كنت تتلوا من قبله من كتاب »العنكبوت : ٤٨)

وقال: « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ماالكتاب » الشورى : ٥٢)

وقال: « لاتحرك به لسانك لتعجل به » القيامة : ١٦)

وقال: « ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه » طه: ١١٤)

٧- (الا ماشاءالله انه يعلم الجهر ومايخفى)

إلاماشاء الله أن تنساه لكنه عزوجل لم يشاء ذلك.

فالاستثناء غير حاصل لانه تعالى ماشاء أن ينسى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ماقرأه عليه من الوحى، فلم ينس بعدذلك شيئاً منه، فالاستثناء فى المقام كالاستثناء فى الايمان تلويحاً فى قوله تعالى: « ولوشاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » يونس: ٩٩)

فالغرض من ذكر الاستثناء فى المقام بيان أنه عزوجل لو أراد أن يصير نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ناسياً ماقرأه لقدرعليه نظير قوله تعالى: « ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لاتجدلك به علينا وكيلاً إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيراً » الاسراء : ٨٦-٨٧) وانالنقطع بأنه تعالى ماشاءذلك.

وكقوله سبحانه: « لئن أشركت ليحبطن عملك » الزمر: ٦٥) مع القطع بعدم الشرك منه صلى الله عليه وآله وسلم . وقوله : « فان يشاء الله يختم على قلبك » الشورى: ٢٤)

وفى الاية الكريمة ايماء إلى أن عدم النسيان من فضل الله عز و جل وإحسانه لامن قوته صلى الله عليه وآله وسلم فكان هو صلى الله عليه وآله وسلم فى حمايته عزوجل دائماً، فلايفوته منه شىء، بل كان ينزل على قلبه مايرسخ فيه، فلا ينساه فكان فى أمان و إطمئنان.

قال الله تعالى: « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » الطور: ٤٨)

وقال: « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً » الفرقان: ٣٢)

وقوله عز وجل: « انه يعلم الجهر وما يخفى » : ان الله جل وعلا يعلم انك تجهر بقراءتك مع قراءة جبرئيل أمين الوحى عليه السلام مخافة النسيان، ويعلم ما فى نفسك

من الاهتمام بأمر الوحي والحرص على تحفّظه عليك ماجهرت به وما اخفيته مما تريدأن تعيه.

قال الله تعالى: «ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى - وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى» طه: ٢-٧)

٨- (ونيسرك لليسرى)

ونوفّقك توفيقاً مستمراًللطريقة اليسرى في كل باب من أبواب هذا الدين الاسلامي: علماًوتعليماً، وإهتداء وهداية، وقولاًوعملاً... فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحي والاحاطة بمافيه من أحكام الشريعة السهلة السمحة، والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل النفس البشرية إلى يوم القيامة.

قال الله تعالى: «ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر» القمر:١٧)

وقال: فانما يسّرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً» مريم: ٩٧)

وقال: «فانما يسّرنا بلسانك لعلهم يتذكرون» الدخان: ٥٨)

٩- (فذكر ان نفعت الذكرى)

فذكر يامحمد ﷺ الخلائق كافة: من الجن والانس بهذه الشريعة السهلة السمحة، واهدهم بما أوحينا إليك إلى ما في تضاعيفه من الاصول الحقة والاحكام الدينية والآداب والمعارف والسنن... التي فيها الكمال الانساني وسعادة المجتمع البشري... فذكرهم إن نفعت الذكرى أم تنفع، فان الدعوة والتبليغ والارشاد حتم نفعت أم لا، إقامة للحجة وقطعاً للمعذرة، وإلاّ امتنع الحساب والعقاب، فعليك البلاغ على كل حال...

قال الله عزوجل: «ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر» القمر: ٢٢)

وقال: «وما هي إلاّ ذكرى للبشر» المدثر: ٣١)

و قال : « إن هو إلاّ ذكر للعالمين » ص : ٨٧) وقال : « كلاانهم تذكرة فمن شاء ذكره » عبس : ١٢)

وقال : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزّل إليهم ولعلهم يتفكرون ـ فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » النحل : ٤٤ ـ ٨٣) وقال : « ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا ومايزيد هم إلانفوراً » الاسراء : ٤١)

وقال : «قل اوحي إلى أنّه استمع نفرمن الجن فقالو إناسمعناقرآ ناًعجباًيهدى إلى الرشد فآمنابه ـ و من يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً » الجن : ١ـ١٧)

وقال : «فذكرإنما أنت مذكر» الغاشية:٢١)

١٠ـ (سيذكر من يخشى)

سيتذكر بهذا القرآن للنظر فيه ، ويتعظ بالذكرى للتدبر فيها من يخشى الله جل وعلا ، ويخاف سوء العاقبة ، فيقوده النظر إلى إتباع الحق ، والاعراض عن الباطل ،إلى إطاعة الرحمن،والاجتناب عن الطغيان، إلى إتيان الخير والتجنب عن الشر... إذا يتبيّن له بالتدبر في الذكرى وجه الصواب ، يظهر له سبيل الرشاد الذى يجب المعوّل عليه فيتقبل الدعوة ، فتنفعه الذكرى لانه هو الذى تأمل في كل ما تذكره اه .

قال الله عزوجل : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلاّ تذكرة لمن يخشى» طه :٢ ـ ٣)

وقال : « إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم » يس : ١١)

وقال : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكّر اولوا الالباب ص : ٢٩)

وقال: « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ق : ٥٤)

وقال: « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لايشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون » المؤمنون : ٥٧-٦١)

١١- (و يتجنبها الاشقى)

ويتباعد عن الذكرى من ليس فى قلبه شىء من خشية الله جل وعلا، ولاتخاف عقباه ، فغلبت عليه الشقوة ، فيوثر الكفر والباطل على الايمان والحق ، و البغى والضلالة على الصواب و الهداية ،والهوان والذلة على العزة والسيادة ، والطغيان والمعصية على التواضع والطاعة ، والفساد و الخيبة على الصلاح و الفلاح ،والكذب والخيانة على الصدق والأمانة،والظلم والاستبداد على العدل والعطوفة ، والانحطاط وطلاقة العنان على الكمال والشرف الانسانى، والهلاك والنار على النجاة والجنة ، وبالجملة الدنيا الفانية على الدار الآخرة الباقية .

فالاشقى : هو كل من تجنّب عن الحق ، وابتعد عن الذكرى ،ولم يؤمن بها قلباً أو لساناً أو عملاً ، و لم ينتفع و لم يتعظ بها ، فيدخل فى الاشقى الكافر والفاسق و المنافق ، فان كل واحد منهم يتجنب عن الذكر بوجه من الوجوه ...

قال الله تعالى : « فمن اتبع هداى فلايضلّ ولايشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى و كذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه » طه : ١٢٣ - ١٢٧)

وقال:« ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كناقوماً ضالين » المؤمنون : ١٠٣ - ١٠٦)

وقال : « فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة - كلا بل لا يخافون الآخرة » المدثر :٤٩-٥٣)

و قال : « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلاّ كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباؤا ما كانوا به يستهزؤن » الانعام :٤-٥)

١٢- (الذى يصلى النار الكبرى)

هذا الشقى هو الذى يدخل فى نار جهنم ويلزمها ويذوق حرّها ويخلّد فى أسفل دركاتها ... وقد أشار تعالى إلى أحوال الاشقياء فى نار جهنم بقوله : « فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها » هود: ١٠٦ - ١٠٧)

وقال : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » الحجر : ٤٢ - ٤٤)

وقال : « وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها - قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » الزمر: ٧١-٧٢)

وقال : « وما أدراك ما سقر - انها لاحدى الكبر » المدثر : ٢٧ - ٣٥)

وقال: « ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً - ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً » النساء : ١٤٠-١٤٥)

١٣- (ثم لا يموت فيها ولا يحيى)

ثم هذا الشقى لا يموت فى نار جهنم فيستريح ، ولا يجد فيها حياة طيبة ، بل هو بين الموت والحياة فى نار جهنم بشدائدها وأهوالها ، فلا هو من زمرة الاحياء ، ولا من زمرة الاموات ، بل هو فى حياة متلبسة بالموت ، وفى موت ملبس بالحياة ، يحرق بنار جهنم كالذى وقع بين الموت والحياة عند شدة العذاب ونار جهنم هى أشد أنواع العذاب ، فلا يقف عذابه عند غاية ، ولا يجد لآلامه نهاية .

فلا يبقى الشقى فى النار حياً ، ولا يذر فيها ميتاً بل كلما احترق جدّد دواعيه .

قال الله تعالى : « لاتبقى ولاتذر » المدثر : ٢٨)

وقال : « والذين كفروا لهم نارجهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور » فاطر : ٣٦)

وقال : « انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لايموت فيها ولايحيى » طه : ٧٤)

و قال : « و خاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم و يسقى من ماء صديد يتجرّعه ولايكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان و ما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ » إبراهيم : ١٥-١٧)

وقال : « ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون » الزخرف: ٧٧)

وقال : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » النساء : ٥٦)

١٢- (قدأفلح من تزكى)

قد فاز بالسعادة والكمال الانسانى وظفر بالجنة ونعميها، ونجى من النار وعقابها من تطهّر نفسه من دنس الكفر وفساد الاعمال بالايمان وصالح الاعمال ، وأدّى الحقوق الواجبة النفسية والمالية عليه ، وانتفع بالذكرى وخشى ربه ، و وقى نفسه من الانحطاط والشقاء .

قال الله جل وعلا : « إذهب إلى فرعون انه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى » النازعات : ١٧- ١٩)

وقال: « إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة و من تزكّى فانما يتزكى لنفسه » فاطر : ١٨)

وقال : « فأنذرتكم ناراً تلظّى - وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى » الليل : ١٤ - ١٨)

وقال : « من يأته مؤمناً قدعمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات

عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكّى » طه :٧٥ـ٧٦)

وقال :« قد أفلح المؤمنون ـ اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » المؤمنون : ١ـ١١)

وماورد في المقام فمن بعض مصاديق التزكى فتأمل جيداً .

١٥ـ وذكر اسم ربه فصلى)

وهذا المفلح المتزكى ذكر إسم ربه بقلبه ولسانه ، مستحضراً لجلاله وعظمته فيمايذكر من أسمائه وصفاته ...فصلى لله عزوجل محافظاً لحدود صلاته ، خاشعاً في طاعته، فان الصلاة من أعظم القربات ورأس العبادات وملاك الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى ربه .

وان الصلاة هي شريعة كل نبي، ودعوة كل رسول إلى قومه بعد الايمان بالله جل وعلا قال الله تعالى :« وجعلنا هم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة» الانبياء : ٧٣)

وقال:« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » النساء : ١٠٣)

وقال:« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً» مريم : ٥٩)

وأشار إلى صلاة موسى عليه السلام بقوله عزوجل :« وأنا اخترتك فاستمع لمايوحى انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى » طه: ١٣ـ ١٤)

وإلى صلاة شعيب بقوله تعالى حكاية عن قومه:«قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا» هود: ٨٧)

وإلى صلاة لقمان بقوله حكاية عنه : « يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف » لقمان: ١٧)

وإلى صلاة إسمعيل عليه السلام بقوله :« وكان يأمر أهله بالصلاة» مريم:٥٥)

وإلى صلاة عيسى بن مريم عليه السلام بقوله جل وعلا حكاية عنه عليه السلام :« وجعلني

مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً » مريم : ٣١)

١٦- (بل تؤثرون الحياة الدنيا)

بل أنتم أيها السامعون فى كل وقت و مكان ، و تريدون الحياة الدنيا ، و تقدّمون أمرها على أمر الآخرة ، فتعملون لها و تشتغلون بتعميرها و ترضون بمتاعها وتغفلون عن الآخرة و نعيمها إلاّ المؤمنون المخلصون ، فانهم يريدون الآخرة ، ولا يهتمّون بأمر الدنيا ، و إن كانوا لايخلون من حب الدنيا على طبعهم البشرى ، ولكنهم لايتمكنون أنفسهم لحبها ولا يسكنون قلوبهم بمتاعها ولايهتمون بأمرها ، وهم قليل من عباد الله الصالحين جداً .

قال الله تعالى فى الكافرين :« فأمامن طغى وآثر الحياة الدنيا » النازعات : ٣٧ـ ٣٨)

وقال: «ان الذين لايرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون» يونس: ٧)

وقال:« ويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبّون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً اولئك فى ضلال بعيد » إبراهيم : ٢ ـ ٣)

وقال:« ذلك بأنهم استحبّوا الحياة الدنيا على الاخرة وأن الله لايهدى القوم الكافرين» النحل: ١٠٧)

وقال:« كلابل تحبّون العاجلة وتذرون الآخرة» القيامة : ٢٠ـ ٢١)

وقال فى المسلمين الذين تختارون الدنيا على الآخرة :« تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » الانفال: ٦٧)

وقال:« وعصيتم من بعدما أراكم ماتحبّون منكم من يريد الدنيا و منكم من يريد الآخرة » آل عمران : ١٥٢)

وأشار إلى أن الانسان بطبعه البشرى لايخلو من حبّ الدنيا ومتاعها :« زين

للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب و الفضة و الخيل المسوّمة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا-لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » آل عمران : ١٤-٩٢)

وقال في المؤمنين الصالحين :« رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » النور : ٣٧)

وقال:« والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون » الحشر: ٩)

١٧- (والاخرة خير وابقى)

وحال كون الدار الآخرة التى تشتمل على الجنة و نعيمها خير عند ربك من الدنيا ومتاعها ، وأبقى لأهل الجنة من زخارف الدنيا الفانية .

وذلك ان الحياة الدنيا دنية فانية ، وما فيها من الأعيان والاعراض تزول و تفنى، وان الدار الآخرة شريفة باقية ، وانها دار حيوان ونعيمها لاتنفد ، و من البديهى ان بقاء كل شيء مع السعادة خير من زوال كل شيء مع الشقاء ، وان لذائذ الدنيا جسمانية محضة تشوبها الأكدار وتحوط بها الآلام ... ولذائذ الآخرة جسمانية وروحانية مما لا تنقيص فيها ولا منّ عليها .

فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ويهتمّ بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟ فمن استعجل هذا النعيم الزائل و استحب زينة الدنيا لايكون مصدّقاً بالآخرة ونعيمها أو يكون إيمانه ايماناً لايجاوز طرف لسانه ولم يدخل في قلبه، فلا يجزى بما وعد الله عزوجل به المؤمنين من أحسن الجزاء .

قال الله تعالى:« وماهذه الحياة الدنيا إلّا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » العنكبوت: ٦٤)

وقال:« إنما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار» غافر:٣٩)

وقال: «والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون» الاعراف: ١٦٩)

وقال: «ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» النحل: ٩٦)

وقال: «وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون» القصص: ٦٠)

وقال: «الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون» البقرة: ٨٦)

١٨- (ان هذا لفي الصحف الاولى)

ان هذا الذي تحدثت به الآيات الاربع: (١٤-١٧) مما يتوقف عليه الكمال الانساني وفلاحه وسعادته في الدارين: من توحيد الربوبية بذكر إسم ربه مستحضراً لجلاله وعظمته ... ومن إقامة الصلاة لله جل وعلا محافظاً لحدودها، ومن الاجتناب عن إختيار الدنيا على الاخرة، وإن الدار الاخرة خير وأبقى. كل ذلك من الحقائق الكبرى الخالدة التي حملتها الكتب السماوية النازلة على الانبياء الاقدمين، ثابتة فيها لاتتغيّر بتغيّر الازمان، ولا تقبل النسخ.

نظير قوله جل وعلا: «وانه لفي زبر الاولين» الشعراء: ١٩٦)

ان القرآن الكريم يصدّق ما جاء في الكتب السابقة قبل تحريفها، ويدعو الناس إلى ما دعاهم الانبياء السابقون عليهم السلام مضافاً إلى ما فيه من بيان المعارف والعلوم والحكم والاحكام الخالدة إلى يوم القيامة.

قال الله عز وجل: «بل جاء بالحق وصدّق المرسلين» الصافات: ٣٧)

وقال: «وهذا كتاب أنزلناه مبارك ومصدّق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها» الانعام: ٩٢) وقال: «شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه» الشورى: ١٣:

١٩- (صحف ابراهيم وموسى)

ومن تلك الصحف الاولى النازلة على الانبياء الاقدمين عليهم السلام: صحف نزلت على إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وألواح نزلت على موسى كليم الله وهي التوراة.

قال الله تعالى: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً - وأوحينا إلى إبراهيم» النساء: ١٢٥- ١٦٣)

وقال: «قولوا آمنا بالله وما انزل إلينا وما انزل إلى إبراهيم- لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» البقرة: ١٣٦)

وقال: «أم لم ينبّأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفّى» النجم: ٣٦-٣٧



﴿ جملة المعانى ﴾

٥٩٤٩- (سبح اسم ربك الاعلى)

نزّه يامحمد إسم ربك عن كل مالايليق بساحة قدسه من ذميم الصفات وقبيح العوارض ... إذ له جل وعلا وحده علو ذاتي يعلو على ماسواه كله .

٥٩٥٠- (الذى خلق فسوى)

هو الذى خلق الخلائق ، فجعل كل شيء سوياً تاماً على صورة تناسبه .

٥٩٥١- (والذى قدر فهدى)

وهو الذى قدّر كل ماخلقه على مايناسبه، فهداه إلى مايحتاج إليه فى تكامله اللائق به .

٥٩٥٢- (والذى أخرج المرعى)

وهو الذى أخرج من الارض مايأكل منه الانسان والحيوان .

٥٩٥٣- (فجعله غثاء احوى)

فجعل الله تعالى هذا النبات الاخضر مايضرب لونه إلى السواد .

٥٩٥٤- (سنقرئك فلاتنسى)

سنقرئك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم الوحى السماوى ، فلاتنسى منه حرفاً واحداً .

٥٩٥٥- (الاماشاء الله انه يعلم الجهر ومايخفى)

إلا ماشاء الله أن تنساه ولكنه تعالى لم يشأ ذلك ، انه عز وجل يعلم انك تجهر بقرائتك مع قراءة جبرئيل أمين الوحى عليه السلام مخافة النسيان ، ويعلم مافى نفسك من

الاهتمام بأمر الوحى .

-٥٩٥٦ (ونيسرك لليسرى)

ونوفقك توفيقاً مستمراً للطريقة اليسرى فى كل باب من أبواب هذا الدين الاسلامى .

-٥٩٥٧ (فذكر ان نفعت الذكرى)

فذكر أيها النبى ﷺ الناس كافة بما بشرناه لك ، إن نفعت الذكرى ظاهراً أم لم تنفع ، فان الذكرى لاتخلو من النفع واقعاً .

-٥٩٥٨ (سيذكر من يخشى)

سيتذكر بالذكرى وينتفع بها من يخشى الله جل وعلا ويخاف سوء العاقبة .

-٥٩٥٩ (ويتجنبها الاشقى)

ويتباعد عن الذكرى من غلبت عليه الشقوة ، وليس فى قلبه الخشية .

-٥٩٦٠ (الذى يصلى النار الكبرى)

هذا الشقى هو الذى يدخل نار جهنم ويذوق حرّها ويخلّد فيها .

-٥٩٦١ (ثم لايموت فيها ولايحيى)

ثم هذا الشقى لايموت فى نار جهنم فيستريح، ولا يحيى حياة طيبة لكونه فى عذاب دائم .

-٥٩٦٢ (قد أفلح من تزكى)

قد فاز بالكمال الانسانى و الفلاح و السعادة من تطهر نفسه من رواسب الكفر والنفاق ، وانتفع بالذكرى وخشى ربه .

-٥٩٦٣ (وذكر اسم ربه فصلى)

و ذكر هذا المفلح المتزكى إسم ربه بعظمته وجلاله فصلّى صلاة تامة بحفظ حدودها .

-٥٩٦٤ (بل تؤثرون الحياة الدنيا)

بل تختارون أيها السامعون الحياة الدنيا على الاخرة .

٥٩٦٥- (والاخرة خير وابقى)

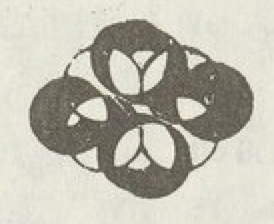
و حالكون الآخرة من الجنة و نعيمها خير عندالله تعالى و أبقى لكم من الدنيا ومتاعها .

٥٩٦٦- (ان هذا لفى الصحف الاولى)

ان ماذكرنا من فلاح المتزكي الذاكر لاسم ربه وصلاته ، و تقديم أهل الدنيا متاعها الزائل على الآخرة ونعيمها الباقي، وان الاخرة خير وأبقى ثابتة فى الكتب السماوية النازلة على الانبياء السابقين عليهم السلام .

٥٩٦٧- (صحف ابراهيم وموسى)

و من تلك الصحف : صحف نزلت على إبراهيم عليه السلام و التوراة التى نزلت على موسى بن عمران عليه السلام .



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : « سبح إسم ربك الاعلى » قال : قل : سبحان ربي الاعلى «الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى » قال : قدّر الاشياء بالتقدير الاول ثم هدى إليها من يشاء «والذي أخرج المرعى» قال: النبات «غثاء أحوى» قال : يصير هشيماً بعد بلوغه و يسودّ .

وفي رواية : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : «قدّر ما خلق فاحكم تقديره ودبّره فالطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ويقصر دون الانتهاء لغايته » .

وفي رواية : عن عبدالله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «ان الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات و الارض بخمسين ألف سنة و كان عرشه على الماء » .

وفي تفسير القمي : في قوله : «سنقرئك فلا تنسى» قال: أي نعلمك فلا تنسى ثم استثنى ، فقال : «إلاّ ماشاء الله» لانه لايؤمن عليه النسيان اللغوى وهو الترك لان الذي لاينسى هو الله .

وفي البرهان : عن سعد بن ظريف الخفاف قال : قلت لابي جعفر عليه السلام ما تقوى فيمن أخذ عنكم علماً فنسيه ؟ قال : لاحجة عليه ، إنما الحجة على من سمع منا حديثاً فانكره او بلغه ، فلم يؤمن به فكفر ، وأما النسيان فهو موضوع عنكم ان أول سورة نزلت على رسول الله «سبح اسم ربك الاعلى» فنسيها لم يلزمه

حجة فى نسيانه ، و لكن الله تبارك و تعالى امضى لـه ذلك ثم قال : « سنقرئك فلا تنسى » .

اقول : ان الرواية من النوادر التى لايفهمها إلاّ النوادر فلابد من التأمل.

وفى تفسير القمى : عن إبن عباس فى قوله : « انه يعلم الجهر وما لايخفى» قال : يريد مايكون إلى يوم القيامة فى قلبك ونفسك، وقوله : «ونيسّرك» يامحمد فى جميع امورك «لليسرى» .

وفى تفسير ابن كثير الدمشقى : فى قوله تعالى: «فذكر إن نفعت الذكرى» أى ذكر حيث تنفع التذكرة ، ومن ههنا يؤخذ الأدب فى نشر العلم فلايضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : ماأنت بمحدث قوماً حديثاً لاتبلغه عقولهم إلاّ كان فتنة لبعضهم ، وقال : حدث الناس بمايعرفون أتحبون أن تكذب الله و رسوله ؟ .

و فى دعائم الاسلام : عن جعفر بن محمد عليه السلام انـه قال فى قول الله : «قدأفلح من تزكى» : أدّى زكاة الفطرة «وذكر إسم ربه فصلّى» يعنى صلاة العيد فى الجبّانة .

وفى الفقيه : وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل : «قدأفلح من تزكى» قال : من أخرج الفطرة قيل له : «وذكر إسم ربه فصلّى» قال : خرج إلى الجبّانة فصلّى .

قوله عليه السلام : «الجبانة» : الصحراء .

اقول : وفى الروايتين من الارسال مالايخفى ، وفى معناهما روايات مرسلة مضمرة لايعتمد عليها تمام الاعتماد ومن المحتمل أن تكون الروايات بصدد بيان بعض مصاديق التزكى ، وهى زكاة الفطرة .

وفى الدر المنثور : عن أبى سعيد الخدرى قال :كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « قدأفلح من تزكى و ذكر إسم ربه فصلى » ثم يقسّم الفطرة قبل أن يغدو إلى

المصلى يوم الفطر .

وفي الفقيه: عن أبي بصير وزرارة قالا : قال أبوعبدالله عليه السلام : ان من إتمام الصوم إعطاء الزكاة يعني الفطرة كما أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله من تمام الصلاة لانه من صام ولم يؤد الزكاة فلاصوم له إذا تركها متعمداً ، ولاصلاة له إذا ترك الصلاة على النبي وآله ، ان الله عزوجل قد بدء بها قبل الصوم قال : «و قد أفلح من تزكى وذكر إسم ربه فصلى»

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى: «قد أفلح من تزكى» قال: زكاة الفطرة فاذا أخرجها قبل صلاة العيد «وذكر إسم ربه فصلى» قال : صلاة الفطر والاضحى

وفي تفسير ابن كثير : عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «قد أفلح من تزكى» قال :«من شهد أن لا إله إلا الله ، وخلع الانداد، وشهد أني رسول الله»

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن : عن إبن عباس «تزكى» قال : لا إله إلا الله .

وفي الكافي : باسناده عن عبيدالله بن عبدالله الدهقان قال : دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي : مامعنى قوله : «وذكر إسم ربه فصلى» ؟ قلت : كلما ذكر إسم ربه قام فصلى ، فصلّى فقال لي : لقد كلّف الله عزوجل هذا شططاً ، فقلت : جعلت فداك فكيف هو ؟ فقال : كلما ذكر إسم ربه صلّى على محمد وآله .

وفيه : باسناده عن المفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام «بل تؤثرون الحياة الدنيا» قال : ولايتهم (ولاية شبوية خ) «والآخرة خير وأبقى» قال : ولاية أمير المؤمنين عليه السلام «ان هذا لفي الصحف الاولى صحف إبراهيم وموسى» .

قوله عليه السلام : «شبوية» الشبوة : العقرب ، والنسبة إليها شبوية ، كأنه شبه الجائر بالعقرب .

وفيه : بالاسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام قال : ولاية

علىّ مكتوبة في جميع صحف الانبياء ولن يبعث الله رسولاً إلاّ بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم و وصية علي عليه السلام.

و فيه : عن هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : رأس كل خطيئة حب الدنيا.

و فيه :باسناده عن مسلم بن عبدالله قال : سئل علي بن الحسين عليهما السلام أيّ الاعمال أفضل عندالله ؟ قال : مامن عمل بعد معرفة الله عزوجل ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من بغض الدنيا ، فان لذلك شعباً كثيرة و للمعاصي شعب ، فأول ماعصى الله به الكبر معصية إبليس حين أبى واستكبر و كان من الكافرين ، ثم الحرص وهي معصية آدم وحوا عليهما السلام قال الله عزوجل لهما : « كلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

فأخذا مالاحاجة بهما إليه ، فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة ، و ذلك ان أكثر مايطلب ابن آدم مالاحاجة به إليه ، ثم الحسد وهي معصية إبن آدم حيث حسد أخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرياسة ، وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو و الثروة ، فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا ، فقالت الانبياء و العلماء بعد معرفة ذلك : حبّ الدنيا رأس كل خطيئة ، و الدنيا دنيا ثان : دنيا بلاغ ، و دنيا ملعونة ، و أمل لايدرك ورجاء لاينال .

و في المجمع : وفي الحديث : « من أحبّ آخرته أضرّ بدنياه ، و من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته » .

اقول : روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي آخره - « فآثروا مايبقى على مايفنى»

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الدنيا دار من لادار له ، ومال من لامال له ، ولها يجمع من لاعقل له »

و في رواية : قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «ما الدنيا في الآخرة إلاّ كما

يضع أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ؟

وعن بعض الظرفاء : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى و الآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى قال : فكيف و الآخرة من ذهب يبقى ، والدنيا من خزف يفنى .

وفى الدر المنثور : عن إبن عمر ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لايلقى الله أحد بشهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له إلاّ دخل الجنة مالم يخلط معها غيرها ـ رددها ثلاثاً ـ قال قائل من قاصية الناس : بأبى أنت وامى يارسول الله ! وما يخلط معها غيرها ؟ قال : حب الدنيا وأثرة لها وجمعاً لها و رضاً بها وعمل الجبارين .

و فى بصائر الدرجات : باسناده عن أبى بصير قال : قال أبوعبدالله عليه السلام عندنا الصحف التى قال الله: «صحف إبراهيم وموسى» قلت : الصحف هى الالواح؟ قال : نعم .

وفى الكافى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال لى : يا بامحمد ان الله عزوجل لم يعط الانبياء شيئاً إلاّ و قد أعطاه محمداً و قال : و قد أعطى محمداً جميع ماأعطى الانبياء وعندنا الصحف التى قال الله عزوجل: «صحف إبراهيم وموسى» قلت : جعلت فداك : هى الالواح ؟ قال : نعم .

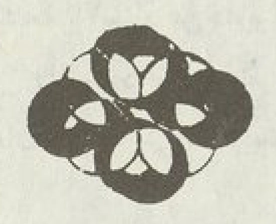
وفى البرهان: بالاسناد عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله عزوجل : «ماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » قال : يا بامحمد ان عندنا الصحف التى قال الله سبحانه : «صحف إبراهيم وموسى» قال : قلت: جعلت فداك ، وان الصحف هى الالواح ؟ قال : نعم .

اقول : ان حمل الصحف التى كانت عند أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين على التوراة فقط مردود بما ورد كثيراً عن الطريقين : ان عندهم ألواحاً فيها أسمائهم عليهم السلام وغيرها، وإن كان المراد بصحف موسى عليه السلام هى التوراة التى يعبّر عنها بالا لواح فى مواضع من القرآن الكريم كقوله

عزوجل : «كتبنا له في الالواح من كل شيء» الاعراف : ١٤٥)

وفي الكافي : باسناده عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل في طول عشرين سنة ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : نزل صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزل التوراة لست مضين من شهر رمضان .

و فيه :باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : انزلت التوراة في ست مضت من شهر رمضان ، ونزل الانجيل في إثنى عشر ليلة من شهر رمضان ، وأنزل الزبور في ليلة ثمان عشرة مضت من شهر رمضان ، ونزل القرآن في ليلة القدر .



﴿ بحث فقهي ﴾

وقد روى الفريقان : انه لما نزل قوله تعالى : «فسبح باسم ربك العظيم» قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إجعلوها في ركوعكم ، و لما نزل قوله تعالى : « سبح إسم ربك الاعلى» قال صلى الله عليه وآله وسلم : إجعلوها في سجودكم .

وأما الروايات الواردة عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية عن أئمتهم أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين ففي أبواب الركوع و السجود من كتبهم . . .

منها ـ مافي وسائل الشيعة بالاسناد عن هشام بن سالم قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن التسبيح في الركوع والسجود فقال : «تقول في الركوع : سبحان ربي العظيم ، وفي السجود : سبحان ربي الاعلى . الفريضة من ذلك تسبيحة ، و السنة ثلاث ، والفضل في سبع»

فالطريقان متفقان على كون الذكر الخاص في الركوع والسجود، ولكن بحذف «وبحمده» ويجوز عند أصحابنا إضافة «وبحمده» على الذكرين إستحباباً وأنكرها الشافعي وأبوحنيفة وتوقف أحمد. ودليل أصحابنا قوله عزوجل: «وسبح بحمد ربك»

وما في الوسائل : بالاسناد عن أبي بكر الحضرمي قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : أيّ شيء حدّ الركوع والسجود ؟ قال : تقول : « سبحان ربي العظيم و بحمده» ثلاثاً في الركوع و «سبحان ربي الاعلى وبحمده» ثلاثاً في السجود، فمن

نقص واحدة نقص ثلث صلاته ، ومن نقص إثنتين نقص ثلثى صلاته ، ومن لم يسبح فلاصلاة له .

فالأولى ذكرها ثلاثاً مع زيادة «وبحمده» وإن كان تجزى واحدة منهاأو ثلاثاً من «سبحان الله» بل يجزى مطلق الذكر من تحميد وتكبير وتهليل وغيرها إذا كان بقدر الثلاث الصغريات مثل : «الحمدلله» ثلاثاً أو «الله اكبر»أو «لاإله إلاّ الله» .

فى الوسائل : بالاسناد عن هشام بن الحكم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قلت له : يجزى أن أقول مكان التسبيح فى الركوع و السجود : لا إله إلاّ الله والحمدلله والله أكبر ؟ فقال : نعم كل هذا ذكرالله .

فلولم يكن الذكر كافياً لما سمّاه بالذكر، نعم ! لفظ التسبيح أولى للآية الكريمة والرواية . ويجوز الجمع بين التسبيحة الكبرى و الثلاث الصغريات ، و كذا بينهما وبين غيرهما من الأذكار ...

وافقنا أحمد على وجوب الذكر،وقال الشافعى وأبوحنيفة باستحبابه،وقال مالك : ليس فى الركوع والسجود شيء محدود .

وفى الوسائل: بالاسناد عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام قال:إنما جعل التسبيح فى الركوع والسجود لعلل : منها أن يكون العبد مع خضوعه و تعبّده و تورّعه وتذلله و تواضعه و تقرّبه إلى ربه مقدّساً له ، ممجّداً مسبّحاً معظّماً شاكراً لخالقه ورازقه ، وليستعمل (يستعمل خ) التسبيح والتحميد كمااستعمل التكبير والتهليل ، وليشغل قلبه وذهنه بذكر الله ، فلايذهب به الفكر والأمانى إلى غير الله .

وقد احتج بعض الفقهاء المحققين من المفسرين بقوله عزوجل: «وذكر اسم ربه فصلى» الاعلى : ١٥) على وجوب تكبيرة الافتتاح وهى التى سميت بتكبيرة الاحرام وهى « الله أكبر» .

وقال بعض الفقهاء من أصحاب الجمود : ان فى الاية دلالة على أن تكبيرة الافتتاح ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها بالفاء .

وقال بعضهم : ان الافتتاح جائز بكل إسم من أسماء الله عزوجل لانه لما ذكر عقيب ذكر اسم ربه الصلاة متصلاً به إذكانت الفاء للتعقيب بلاتراخ دلّ على أن المراد إفتتاح الصلاة ، فلاتنعقد الصلاة إلاّ بذكره .

أقول : ان القولين الاخيرين مردودان بالنقل والاجماع .



﴿بحث فقهى فى تكبيرة الاحرام﴾

وقد استدل فقهاء المفسرين بقوله تعالى : «وذكر اسم ربه فصلى» الاعلى: ١٥) على وجوب تكبيرة الاحرام و كونها جزءاً للصلاة وإفتتاحها بها ...

اقول : وفى المقام مسائل فقهيّة :

مسئلة ١ - ان تكبيرة الاحرام ركن ثان من أركان الصلاة بمعنى أن تركها عمداً وسهواً مخلّ للصلاة نقلاً وإجماعاً :

فى التهذيب : باسناده عن زرارة قال : سئلت أباجعفر عليه السلام عن الرجل ينسى تكبيرة الافتتاح قال : يعيد .

و فيه : باسناده عن عبيد بن زرارة قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن رجل أقام الصلاة فنسى أن يكبّر حتى إفتتح الصلاة قال : يعيد الصلاة .

تأتيها المصلى بعد النية ، و إذا تمت حرم عليه ما كان محللاً قبلها من منافيات الصلاة: من الاكل والشرب والضحك والكلام والمشى ونحوها ممالايجوز فعله فى الصلاة ، فهى كالتلبية فى الاحرام بالحج . ولذلك سميت بتكبيرة الاحرام.

فى الفقيه : باسناده عن إبن القداح عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إفتتاح الصلاة الوضوء ، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم».

فسميت بهالانها كانت سبباً لحرمة منافيات الصلاة كما انها سميت بتكبيرة الافتتاح أيضاً إذبها تفتتح الصلاة ، و بحصل الدخول فيها .

فى التهذيب : باسناده عن ناصح المؤذن عن أبى عبدالله عليه السلام - فى

حديث ـ قال : فان مفتاح الصلاة التكبير.

وفى المجالس : فى حديث ـ جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ـ و أما قوله: «الله أكبر» ـ إلى أن قال ـ : لاتفتتح الصلاة إلاّ بها .

وهى جزء من الصلاة قطعاً ، ضرورة كون أو الشيء منه لا أنها لا فتتاحها مع خروجها كالتكبير للركوع والسجود ، فهى أول جزء من الاجزاء الواجبة للصلاة بناء على كون النية شرطاً لها .

مسئلة ٢ـ تجب مقارنتها للنية بحيث يكبّر عند حضور القصد المذكور بالبال من غير أن يتخلل بينهما زمان ، وإن قلّ على المشهور، والمعتبر حضور القصد عند أول جزء من التكبير.

مسئلة ٣ ـ يجب أن يأتى بها قائماً منتصباً مع القدرة بلاخلاف فيه فى الجملة لصحيحة زرارة : « فاذا قمت إلى الصلاة قم ثم استقبل بوجهك ولاتقلب وجهك عن القبلة فتفسد صلاتك فان الله عزوجل يقول لنبيه صلى الله عليه وآله فى الفريضة : «فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره » و قم منتصباً فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من لم يقم صلبه فلاصلاة له»

وفى الفروع : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال امير المؤمنين عليه السلام : من لم يقم صلبه فى الصلاة فلاصلاة له .

فانه باطلاقه بل بظهوره و صراحته يشمل حال التكبير أيضاً ، بل مقتضى إطلاق ذيله عدم الفرق بين العمد و السهو فى إعتباره ، و من هنا نقول تبعاً للاصحاب بركنيته فيها كما صرّح بها فى الموثق : «إن وجب عليه الصلاة من قيام فنسى حتى افتتح الصلاة وهو قاعد فعليه أن يقطع صلاته ويقوم ويفتتح الصلاة وهو قائم ولايعتدى بافتتاحه وهو قاعد» ومقتضى إطلاقه عدم الفرق بين المنفرد والمأموم ، وانه معتبر فى حال التكبير مطلقاً مضافاً إلى صحيح : «فى الرجل إذا أدرك الامام وهو راكع فكبر وهو مقيم صلبه ثم ركع قبل أن يرفع الامام رأسه

فقد أدرك الركعة» .

فيجب فيها القيام والاستقرار، فلو ترك أحدهما بطلت . بل لابدمن تقديم القيام التام عليها مقدمة ، فلو كبّر قاعداً مع القدرة أو هو آخذ بالقيام سواء كان عامداً أو جاهلاً أو ناسياً لم تنعقد صلاته للاصل في وجه ، و إطلاق مادلّ على إعتبار القيام في الصلاة التي لاإشكال في جزئية تكبيرة الاحرام لها كقوله في الصحيحين: «من لم يقم صلبه فلاصلاة له» وقوله : «الصحيح يصلى قائماً » ونحو ذلك ضرورة عدم صدق قيام الصلب في جميع الصلاة على من تركه محال التكبيرة

مسئلة ٤ - يجب التلفظ بتكبيرة الاحرام باللفظ المشهور على النهج العربى مادة وهيئة ، و صورتها : « الله أكبر» مع القدرة عليه للأصل في وجه ، و لانه المتعارف من التكبير والمعهود من صاحب الشرع وأتباعه ﷺ :

في الفقيه : قال: كان رسول الله ﷺ أتمّ الناس صلاة وأوجزهم ، كان إذا دخل في صلاته ، قال : الله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم .

فيجب على امته ﷺ التأسى به هنا لقوله ﷺ: «صلّوا كمارأيتموني اصلى» ولان المسلمين قد أجمعوا على أن من قاله إنعقدت صلاته بلاخلاف،وإذا أتى بغيره فليس على إنعقادها دليل ، فالاحتياط وجوباً يقتضى ماقلناه .

وقال بعضهم : ان قوله تعالى : «ولم يكن له ولىّ من الذل و كبّره تكبيراً» الاسراء : ١١١)

أمر بذلك وهو على الايجاب شرعاً ، و كذا قوله : «وربك فكبّر» المدثر ٣) وقيل : معناه : صلّ لله طاهراً في ثياب طاهرة فكنى بالتكبير عن الصلاة،ولولا وجوب التكبير في الصلاة لما كنى به عنها وهذا كقوله : «الحج عرفة» .

مسئلة ٥ - مالم يتمّها يجوز له قطعها ، بأن تلفّظ إسم الجلالة « الله » فانصرف لأمر يجوز له قطعها .

مسئلة ٦ - يجب في تكبيرة الاحرام الترتيب والموالات، فلوقدّم «أكبر»

على لفظ الجلالة : «الله» أو فصّل بينهما بلفظ : «الله الجليل أو العظيم... أكبر» أو بزمان يغيّر الصورة لم تنعقد الصلاة إجماعاً لما عرفت مما دلّ على إعتبار الصورة المذكورة .

مسئلة ٧ - لايجزى غيرها ولامرادفها بالعربية : « الله أجلّ أو أعظم ... » ولاترجمتها بغير العربية إختياراً، ولايجوز تغيير الصورة مادة وهيئة،ولاتبديلها بكلمة ولابحرف ولازيادة حرف و نقصها ، فلايجوز أن يقال : الله تعالى أكبر و لا : الله أكبر من أن يوصف أو من كل شيء و إن كان هو المقصود ، ولا : الله إكبار باشباع فتحة الباء حتى تولد الألف كما انه لوشدّ دراء أكبر بطل أيضاً، ولايجوز تعريف «أكبر» ولاعكس الترتيب «اكبرالله» .

مسئلة ٨ - زيادة التكبير كنقيصته موجب للبطلان مطلقاً لكونه ركنا و ان صحتها موقوفه على دقوعها إمتثالاً لأمرها ، ولا أمر بها حين فعلها ، فيمتنع إتصافها بالصحة مع إتصاف الاولى بها ، بل قد ورد بطلان الصلاة و لزوم إعادتها بوقوع الزيادةفيها فيأخبار عديدة معتبرة ، وحيث تقع باطلة ، وإن كانتصادرة عن غفلة ، فلامحالة تبطل سابقتها أيضاً حيث انها كانت بقصد الافتتاح ، وهذا إنما يكون بعد رفع اليد عن الاولى المستلزم للاخلال بالهيئة الاتصالية المعتبرة في تمام الصلاة ، ولعلهم لذلك قالوا ببطلان الصلاة بتثنية تكبيرة الافتتاح و صحتها بتثليثها ، وهكذا تبطل بالشفع وتصح بالوتر .

مسئلة ٩ - ان المصلى بالخيار في التكبيرات السبع أن يجعلها أيّها شاء تكبيرة الحرام على المشهور، و لو كبّر بقصد الافتتاح ، وأتى بها على الوجه الصحيح ثم كبر بهذا القصد ثانياً بطلت صلاته بلاخلاف قديماً وحديثاً للاصل و الامر باستقبال الصلاة لمن زاد في صلاته ، و ان الثانية غير مطابقة للصلاة ، فأتى منهياً عنه ، فيكون باطلاً ومبطلاً ، دان زيادة الركن توجب البطلان، فان كبّر ثالثة ونوى الافتتاح إنعقدت الصلاة أخيراً ، فان أبطلها بزيادة رابعة إحتاج إلى

خامسة ، وهكذا تبطل بالشفع وتصحّ بالوتر.

مسئلة ١٠ - يعتبر في صدق التلفظ بها أن يكون بحيث يسمع نفسه تحقيقاً أو تقديراً فلو تكلّم بدون ذلك لم يصحّ .

مسئلة ١١ - الاحوط عدم وصلها بما قبلها من الدعاء أو لفظ النية، فحينئذ تحذف الهمزة من «الله» وإن كان الاقوى جواز وصلها بما بعدها من الاستعاذة أو البسملة أو الدعاء ، فيجب حينئذ إعراب راء « أكبر » ولكن الاحتياط ترك الوصل مطلقاً .

مسئلة ١٢ - من لم يتمكن من التلفظ بها لزمه التعلم مع رجائه بلاخلاف للمقدمة كغيرها من التكاليف الشرعية ـ خلافاً لأبي حنيفة فانه لايوجب العربية مطلقاً ـ فلا يتشاغل بالصلاة قبله مع سعة الوقت ورجاء التعلم لما عرفته كما لا يتشاغل بهامع فقده لبعض الشرائط مع رجاء حصوله على ما هو القاعدة من عدم جواز البدار لذوي الاعذار إلاّ فيما قام الدليل على خلافه كما في التقية .

فان ضاق الوقت للتعلم أو لم يطاوعه لسانه بحيث تحقق العجز عنده أولم يجد من يعلّمه ، ولاسبيل إلى المهاجرة للتعلم ولكنه يعرف مرادفها نحو : الله أجل وأعظم ... فيجوز له ذلك قبل التعلم ، وإلاّ فيأتي بها ملحونة، وإن لم يقدر فترجمتها من غير العربية من باقي اللغات لانه هو المستطاع من المأمور به و لأنه هو الذي ينتقل إليه الذهن في مثل تلك الأوامر هنا خصوصاً بعد إستقراء ماورد في الأخرس وسائر المضطرين في الاقوال والافعال في الصلاة .

ولايلزم أن يكون بلغته مع التوجه إلى المعنى وان كان أحوط ،ولايجزي عن الترجمة غيرها من الاذكار والأدعية ، وإن كانت بالعربية ، و إن أمكن له النطق بها بتلقين الغير حرفاً فحرفاً بحيث لم تخرج عن صورة التكبير مع حفظ الموالات بين الحروف قدّم على الملحون والترجمة .

فالقول بسقوط التكبير رأساً عمن عجز عن العربية مناف لاطلاق الأدلة

كقوله ﷺ : «لاصلاة بغير إفتتاح» بل هو مخالف للاجماع والضرورة .

فيجب على الأعجمي التعلم مع سعة الوقت ، فان ضاق أحرم بلغته أوغيرها لقاعدة الميسور .

مسئلة ١٣ - إذا ترك التعلم في سعة الوقت حتى ضاق أثم وصحت صلاته على الاقوى ولكن الاحوط القضاء بعد التعلم .

مسئلة ١٤-ان الاخرس الذى لايستطيع أن ينطق بها صحيحة أتي بهاعلى قدر الامكان ، فان كان قادراً على الاتيان بالملحون فالظاهر تعيّن الاتيان به إن كان من مصاديق التكبير عرفاً لقاعدة الميسور ، ومع العجز عنها رأساً يشير بها بالاصبع وتحريك اللسان على حسب ماجرت عادته بهفي إبراز مقاصده.لخبر السكوني : «تلبية الاخرس وتشهّده و قرائته القرآن في الصلاة تحريك لسانه و إشارته باصبعه»

فالظاهر منه عموم الحكم لكل ذكر واجب، فلا اختصاص له بمورده كما أن الظاهر لزوم متعلق الاشارة هو الصيغة خاصة حيث انها متعلق الامر لعامة المكلفين ، فالقادر منها يأتي بها بلفظها ، والأخرس بالاشارة إليها مع عقدقلبه بها لا بمعناها كما هو ظاهر بعض الاصحاب ، فان قصد المعنى لم يقع متعلقاً للطلب بالنسبة إلى القادر، فيجب عليه أيضاً ، وإنما الواجب هو الاتيان بالتكبير الذى هو الصيغة التى لصورتها دخل قطعاً ، فالمتمكن يأتي بها و غيره يصوّرها في ذهنه ويشير إليها بلسانه وإصبعه .

مسئلة ١٥- لو كان في أثناء صلاة فنسي و كبّر لصلاة اخرى تصح على الاقوى ولكن الاحوط إتمام الاولى واعادتها .

مسئلة ١٦- إذا كبّر ثم شك في أنها تكبيرة الاحرام أو الركوع و هو قائم بنى على الاول ، وإن شك في صحتها بنى على الصحة ، وإن شك في وقوعها وقد دخل فيما بعدها من القراءة بنى على وقوعها على الاقوى .

مسئلة ١٧- يستحب الاتيان بست تكبيرات مضافاً إلى تكبيرة الاحرام قبلها أو بعدها أو بالتوزيع و الاحوط هو الاول فيكون المجموع سبعاً فيجعل السابعة إفتتاحاً .

فى وسائل الشيعة : عن إبن أبى عمير عن عمر بن اذينة عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال : التكبيرة الواحدة فى إفتتاح الصلاة تجزى ، و الثلاث أفضل والسبع أفضل كله .

ولما ورد من تعليل السبع :

فى علل الشرائع : باسناده عن حفص يعنى إبن البخترى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان فى الصلاة و إلى جانبه الحسين بن على ، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحر الحسين عليه السلام بالتكبير ثم كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحر الحسين التكبير فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكبّر و يعالج الحسين عليه السلام التكبير فلم يحر حتى أكمل سبع تكبيرات فأحار الحسين عليه السلام التكبير فى السابعة ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : فصارت سنّة .

وفى الخصال : باسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : أدنى مايجزى من التكبير فى التوجّه إلى الصلاة تكبيرة واحدة و ثلاث تكبيرات و خمس و سبع أفضل .

وفى وسائل الشيعة : فى حديث أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : «إذا افتتحت الصلاة فكبّر إن شئت واحدة وإن شئت ثلاثاً وإن شئت خمساً وإن شئت سبعاً ، فكل ذلك مجز عنك غير انك إذا كنت إماماً لم تجهر إلاّ بتكبيرة» .

فيجوز الاقتصار على الثلاث والخمس ، و الاولى أن يقصد بالاخيرة تكبيرة الاحرام ، و لا يكفى قصد الافتتاح بأحدها المبهم من غير تعيين ، و الظاهر عدم إختصاص إستحبابها فى الصلوات اليومية ، بل تستحب فى جميع الصلوات : واجبها و مندوبها .

و ربما قيل : تختص بسبعة مواضع وهى : كل صلاة واجبة ، و أول ركعة من صلاة الليل ومفرد الوتر، وأول ركعة من نافلة الظهر، وأول ركعة من نافلة المغرب ، وأول ركعة من صلاة الاحرام ، والوتيرة ، و لعل القائل أراد تأكدها فى تلك المواضع .

مسئلة ١٨- يجوز إتيان تكبيرات السبع ولاء من غير فصل بالدعاء ولكن الافضل أن يأتى بثلاث منها ولاء ثم يقول بماورد :

فى الكافى : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إذا افتتحت الصلاة فارفع كفيك ثم ابسطهما بسطاً ثم كبّر ثلاث تكبيرات ، ثم قل : « اللهم أنت الملك الحق لاإله إلاّ أنت، سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفرلى ذنبى إنه لايغفر الذنوب إلاّ أنت» ثم تكبّر تكبيرتين ثم قل : «لبيك وسعديك، والخير فى يديك ، و الشر ليس إليك ، و المهدىّ من هديت ، لاملجأ منك إلاّ إليك ، سبحانك و حنانيك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك رب البيت» ثم تكبّر تكبيرتين ثم تقول : «وجّهت وجهى للذى فطر السموات والارض،عالم الغيب والشهادة ، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك امرت وأنا من المسلمين» ثم تعوّذ من الشيطان الرجيم ثم اقرأ فاتحة الكتاب .

مسئلة ١٩- يستحب رفع اليدين بتكبيرة الاحرام إلى شحمتى الاذنين أو مقابل الوجه أو إلى النحر مبتدئاً بالتكبير بابتداء الرفع و منتهياً بانتهائه ، و الاولى أن لايتجاوز الاذنين ، وأن يضم الاصابع حتى الابهام والخنصر، و يستقبل بباطن الكفين القبلة .

فى التهذيب : باسناده عن إبن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : «فصل لربك وانحر» قال : هو رفع يديك حذاء وجهك .

وفيه : باسناده عن منصور بن حازم قال: رأيت أباعبدالله عليه السلام إفتتح الصلاة

فرفع يديه حيال وجهه واستقبل القبلة ببطن كفيه .

وفي العيون : باسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام قال: إنما ترفع اليدان بالتكبير لان رفع اليدين ضرب من الابتهال و التبتل و التضرع ، فأحب الله عزوجل أن يكون العبد في وقت ذكره له متبتلا متضرعاً مبتهلاً ، و لان في رفع اليدين إحضار النية وإقبال القلب على ماقال .

و في فروع الكافي : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا قمت في الصلاة فكبّرت فارفع يديك ، ولاتجاوز بكفيك اذنيك أي حيال خديك .

مسئلة ٢٠ - يستحب ترك المدين لفظ الجلالة ، وأن يأتي بلفظ « أكبر» على وزن أفعل من غير إشباع مدّ لهمزتها وبائها ، والاحوط تفخيم اللام من «الله» والراء من «أكبر» وإن كان الاقوى جواز تركه .

مسئلة ٢١ - يستحبّ للامام الجهر بتكبيرة الاحرام بحيث يسمع من خلفه، والاسرار بالست الباقية ، والاحوط اقتصار الامام بتكبيرة واحدة وترك الباقية.

في فروع الكافي : باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا كنت إماماً أجزأتك تكبيرة واحدة لان معك ذا الحاجة و الضعيف و الكبير .

﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد ذهب بعض الناس إلى أن الاسم نفس المسمى مستدلاً بقوله تعالى: « سبح إسم ربك » الاعلى: ١) وذلك لان التسبيح وهو التنزيه إنما يكون للمسمى لا للاسم.

وقد أجاب عنه المحققون بأن تسبيح إسمه هو تنزيهه عما لا يليق معناه بذاته عزوجل أو صفاته، أو بأفعاله وأحكامه ... فان العقائد الباطلة والمذاهب الفاسدة إنما نشأت من هذه، ومن جملة ذلك أن يصان إسمه عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم، وأن لا يسمي غيره بأسمائه الحسنى، وأن لا يطلق عليه من الاسامي إلا ماورد به الاذن الشرعي.

وقال بعضهم: لعل الذين نقل عنهم ان الاسم نفس المسمى أرادوا به أن الاسم الذي حدّوه بأنه مادلّ على معنى في نفسه غير مقترن بزمان هو نفس مدلول هذا الحد.

أقول: وقد سبق منا الكلام في تفسير سورة الفاتحة يفيد المقام فراجع.

وقد تشبّث أصحاب التجسيم والتشبيه بقوله سبحانه: « الاعلى » الاعلى: ١) على مذهبهم السخيف بأن الله سبحانه في السماء و انه جسم مركب من أعضاء و جوارح، وان له جهة ومكاناً وحركة، وانه متربع على كرسي، وان له علواً مكانياً فوق السموات...

أقول: وذلك لجمودهم في الظواهر، فخفيت عليهم الحقائق بأن الله عزوجل

منزّه عن الجسمانية والجهة ، وقد جاء البحث كراراً في هذا الكتاب ، و منه قوله جل وعلا : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم » البقرة : ١١٥)

وهذه الاية الكريمة من المحكمات التي تدل على أنه عزوجل ليس بجسم ، ولا هو محدود بجهة دون اخرى « وكان الله بكل شيء محيطاً » النساء : ١٢٦)

و ان الاية المتقدمة من أقوى الدلائل على نفي التجسيم و إثبات التنزيه لانه عزوجل خالق الجهات ، و الخالق متقدم على المخلوق لامحالة ، فقد كان البارى تعالى خلق العالم منزهاً عن الجهات والاحياز ، فوجب أن يبقى بعد خلق العالم كذلك ، و أيضاً فانه لو كان جسماً وله وجه جسماني لكان و جهه مختصاً بجانب معين وجهة معينة فلم يكن يصدق قوله تعالى: « فأينما تولوا فثم وجه الله»

هذا مضافاً إلى قوله عزوجل : «ليس كمثله شيء » الشورى : ١١) نزهته عن مشابهة المخلوقين ، ولا ريب ان كونه تعالى في جهة يستدعي محدودية ، وهو تشبيه بمحدودية المخلوقين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فالله جل و علا ليس بجسم ولافيه خواص الجسمانية التي منها التحيز والتحديد بجهة دون اخرى .

ومعنى الكلمة : «الاعلى» هنا وما يماثلها في مواضع اخر من القرآن الكريم وفي الأدعية والروايات هو التعبير عن عظمة الله عزوجل و كونه الاعلى من كل شيء علواً ذاتياً وانه وحده هو المستحق للعبادة والاتجاه والدعاء و الخضوع ، و لقد جرى المسلمون عملاً بالسنّة النبوية من لدن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليوم على تكرار كلمة : « سبحان ربي الاعلى وبحمده » في كل سجدة يسجدونها مما فيه معنى لطيف متصل بالآية الاولى من حيث تنفيذ أمر الله تعالى بالتسبيح باسمه الاعلى ، ومن حيث تضمن ذلك الاعتراف لله بصفة العلو على كل شيء في حالة السجود التي تمثل أروع حالات الخضوع لله عزوجل .

ومن الملاحدة من طعن في القرآن الكريم بأن كلمة « الاعلى » تقتضى أن يكون للعالم ربان : أحدهما ـ عظيم وهو في قوله تعالى : « فسبح باسم ربك العظيم » الواقعة : ٩٦) والآخر أعلى منه وهو : «سبح إسم ربك الاعلى» : ١)

اجيب عنه بأنه جل وعلا عظيم في نفسه وأعلى وأجل من جميع الممكنات ، والصفة كاشفة لا مميزة ، ونظيره وصفه بالكبير تارة وبالاكبر تارة اخرى ، والمراد بالعظم والعلو عظم الشرف وعلوّ القدر فلا إستدلال فيه للمشبهة والمجسمة .

وقد استدل بعض المحققين بقوله عزوجل : « سنقرئك فلا تنسى إلاّ ما شاء الله » الاعلى : ٦ ـ ٧) على عصمة نبينا محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم عن السهو والنسيان كعصمته عن العصيان ، و على بيان حقيقة العصمة ، و انها لزام الرسالة في تلقي الوحي وإلقائه كما اوحي ، وتطبيقه على واقعه من غير تغيير ولا تبديل بزيادة حرف أو نقصان كلمة كما وعد بحفظ كتابه عن تحريف المبطلين وادخال الدجالين إلى يوم الدين .

وان العصمة لا تخرج المعصوم من القدرة على العصيان ، بل هو قادر عليه ولكنه جل وعلا يعصمه عنه رداً على من زعم أن العصمة توجب سلب القدرة من الله سبحانه بأن الله تعالى لا يقدر أن يغيّر المعصوم عما هو عليه من العصمة ، و لكن الواقع ان المعصوم في حماية الله تعالى ، فليست القدرة سالبة من جانبين.

و على أن القرآن الكريم مصون من الزيادة و النقصان في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأما حفظه منهما بعده صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة فبالآت الكريمة الاخرى .

وان قوله تعالى : « صحف إبراهيم » يدل على نزول الكتاب على إبراهيم الخليل عليه السلام خلافاً لمن زعم انه لم ينزل عليه كتاب .

﴿التسبيح وحقيقته﴾

قال الله عز وجل : « سبح إسم ربك الاعلى » الاعلى : ١)

وقد إفتتحت سبع سور قرآنية بالتسبيح على الترتيب الآتي أولها ـ على الترتيب المصحفي ـ جاء باسم اقيم مقام المصدر ، وهي سورة الاسراء بقوله جل و علا : « سبحان الذى » : ١) إبتدأت باسم ناب مناب المصدر لانه هو الاصل ، و انه إسم يتحقق به التسبيح .

وثلاثة منها بصيغة الماضي وهي :سور الحديد،والحشر ، و الصف ، إخباراً بتحقق التسبيح سابقاً ، فلسنا نحن معاشر الناس أول المسبحين لله جل وعلا و هو يقول حكاية عن الملائكة :« ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك » البقرة :٣٠)

وثنتان منها بصيغة المضارع ، وهما : سورتا الجمعة و التغابن ، لشموله الحال والاستقبال ، وتنبيهاً باستمرار التسبيح ، وانه لاينقطع سواء نسبّح له معاشر الناس أم لا ، و هو يقول : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصحبون » الروم: ١٧) ويقول : « يسبّحون الليل والنهار لايفترون » الانبياء : ٢٠)

وواحدة منها بصيغة الامر ، وهي سورة الاعلى ، لانه متأخر في النطق إذ يقال : فعل يفعل إفعل ، ولأن التشريع بعد التكوين ، فالأخير إشارة إلى تسبيح تشريعي ، وما قبله إلى تسبيح تكويني ، و من غير بعيد أن يكون في الترتيب تنبيه إلى مشروعية التسبيح في كل وقت ، وتحريض عليه في كل حال . . .

وان التسبيح هو تنزيه الله جل وعلا ـ إعتقاداً وقولاً و فعلاً ـ عما لايليق

بساحة قدسه وبجناب عزّه وجلاله ... وهذا بالنسبة إلى الانسان، وأما غيره فان لكل شيء روحاً يتوجه بها إلى خالقه وربه بالتسبيح كما أن بعض القلوب في لحظات صفائها وإشراقها وإتصالها بالحقيقة الكامنة في الاشياء وراء أشكالها ومظاهرها يتوجه إلى خالقه كما أن الجبال كانت كالطير تؤوب مع داود عليه السلام قال الله عزوجل: «يا جبال أوّبي معه والطير» سباء: ١٠) وقال: «وسخّر نامع داود الجبال يسبحن والطير» الانبياء: ٧٩)

وقدروى: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ان بمكة حجراً كان يسلم عليّ ليالي بعثت اني لأعرفه الآن»

وعن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام انه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فخرجنافي بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولاجبل إلاّ وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله.

وقدورد صحيحاً عن الفريقين في حنّ الاسطوانة لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان هو صلى الله عليه وآله وسلم يخطب متكئاً عليها، فلما صنعوا له المنبر فأراد أن يخطب عليه فحنّ الجذع حنين الناقة، منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمسحه فسكن.

وان كثيراً من الآيات القرآنية تصرح على هذه الحقيقة الكونية منها: قوله تعالى: «وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم» الاسراء: ٤٤)

وهو تسبيح المملوك لما لكه المتفرد الذى بيده الموت والحياة، بيده الخلق والتدبير، بيده الحكم والامر، وبيده القضاء والقدر ...

في التوحيد: باسناده عن يزيد بن الأصمّ قال: سئل رجل عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين! ما تفسير سبحان الله؟ قال: ان في هذاالحائط رجلاً كان إذا سئل أنبأ وإذا سكت ابتدأفدخل الرجل، فاذا هو على بن أبيطالب عليه السلام

فقال : يا أباالحسن ما تفسير سبحان الله ؟ قال هو تعظيم جلال الله عزوجل وتنزيهه عما قال فيه كل مشرك ، فاذا قاله العبد صلّى عليه كل ملك .

وفي الكافي : باسناده عن هشام الجواليقي قال :سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « سبحان الله » ما يعني به؟قال:تنزيهه .

وفيه : باسناده عن هشام بن الحكم قال :سئلت أباعبدالله عليه السلام عن سبحان الله ؟ فقال :أنفة لله .

اقول:قوله عليه السلام : « أنفة لله » يعني تنزيه لذاته الأحدية عن كل مالا يليق بساحة قدسه . يقال : أنف من الشيء : إذا استنكف عنه و كرهه و شرف نفسه عنه . وان الأنفة في الاصل : الضرب على الأنف ليرجع ثم استعمل لتبعيد الاشياء فيكون هنا بمعنى دفع الله جل وعلا عن مرتبة المخلوقين بالكلية لانه منزه عن صفات المخلوق والاجسام ...

وفي المحاسن : باسناده عن محمد بن مروان عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا قال العبد : سبحان الله فقد أنف لله ، وحق على الله أن ينصره.

وفي تفسير العياشي : باسناده عن زيد الشحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن التسبيح ؟ فقال : هو إسم من أسماء الله ودعوى أهل الجنة.

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الحسن بن علي عليه السلام قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسئله أعلمهم عن مسائل ، فكان فيما سئله ان قال له : يا محمد أخبرني عن الكلمات التي اختار هن الله لابراهيم عليه السلام حيث بنى البيت قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : نعم سبحان الله والحمدلله ولا إله إلاّ الله والله أكبر قال اليهودي:فبأيّ شيء بنى هذه الكعبة مربعة ؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالكلمات الاربع قال : لأيّ شيء سميت الكعبة؟قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :لانها وسط الدنيا.

قال اليهودي : أخبرني عن تفسير سبحان الله والحمد لله و لاإله إلاّ الله و الله أكبر،قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : علم الله جل وعز ان بني آدم يكذبون على الله فقال :

سبحان الله تبرّياً مما يقولون وأما قوله : الحمد لله فانه علم أن العباد لايؤدّون شكر نعمته فحمد نفسه قبل أن يحمدوه وهو أول الكلام لولا ذلك لما أنعم الله على أحد بنعمته .

وقوله : لاإله إلاّ الله يعنى وحدانيته لايقبل الله الاعمال إلاّ بها وهى كلمة التقوى يثقّل الله بها الموازين يوم القيامة ، وأما قوله :الله أكبر فى كلمة أعلى الكلمات وأحبّها إلى الله عزوجل يعنى انه ليس شيء أكبر منى لاتفتتح الصلوات إلاّ بها لكرامتها على الله وهو الاسم الاكرم .

قال اليهودى:صدقت يا محمد فما جزاء قائلها ؟ قال: إذا قال العبد :سبحان الله سبّح معه مادون العرش فيعطى قائلها عشر أمثالها ، وإذا قال العبد :الحمد الله أنعم الله عليه بنعيم الدنيا موصولاً بنعيم الآخرة ، وهى الكلمة التى يقولها أهل الجنة إذا دخلوها ، وينقطع الكلام الذى يقولونه فى الدنيا ما خلا الحمد لله.

وذلك قوله عزوجل : « دعواهم فيها سبحانك اللهم و تحيتهم فيها سلام و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين» وأما قوله : لاإله إلاّ الله فالجنة جزائه وذلك قوله عزوجل: «هل جزاء الاحسان إلاّ الاحسان» يقول: هل جزاء لاإله إلاّ الله إلاّ الجنة ، فقال اليهودى :صدقت يا محمد . الخبر...

﴿ التسبيح وثوابه ﴾

و قد وردت روايات كثيرة في ثواب التسبيح لايسعها المقام ، فنشير إلى نبذة منها :

١- في الكافي باسناده عن أبي أيوب الخزّاز عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء الفقراء إلى رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يارسول‌الله ! ان الاغنياء لهم مايعتقون وليس لنا ؟ و لهم مايحجّون وليس لنا ؟ و لهم مايتصدّقون وليس لنا ؟ و لهم ما يجاهدون وليس لنا ؟ فقال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كبّر الله عزوجل مأة مرّة كان أفضل من عتق مأة رقبة ، ومن سبّح الله مأة مرّة كان أفضل من سياق مأة بدنة ، ومن حمدالله مأة مرة كان أفضل من حملان مأة فرس في سبيل الله بسرجها ولجمها و ركبها ، و من قال : لا إله إلاّ الله مأة مرّة كان أفضل الناس عملاً ذلك اليوم إلاّ من زاد قال : فبلغ ذلك الاغنياء فصنعوه قال : فعاد الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يارسول‌الله قد بلغ الاغنياء ماقلت ، فصنعوه فقال رسول‌الله : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

اقول : ليس معنى الرواية أن يقف الفقراء عن الحركة والسعي والعمل، فيقعدوا في منازلهم ويجعلوا أيديهم مغلولات إلى عنقهم ، فيسبّحوا الله تعالى، بل لابد لهم من السعي و التسبيح والرضا بفقرهم إذا كان لمصالح أنفسهم أو للمجتمع البشري على ماسبق منا البحث تفصيلاً في هذا التفسير من علل الفقر فراجع.

٢- وفيه باسناده عن ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال : مرّ رسول-

الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل يغرس غرساً في حائط له ، فوقف له ، و قال : ألا أدلك على غرس أثبت أصلاً وأسرع ايناعاً، وأطيب ثمراً وأبقى ؟ قال : بلى فدلني يارسول الله فقال : إذا أصبحت و أمسيت فقل : سبحان الله و الحمدلله و لا إله إلا الله و الله أكبر .

فان لك إن قلته بكل تسبيحة عشر شجرات في الجنة من أنواع الفاكهة وهن من الباقيات الصالحات قال : فقال الرجل : فاني اشهدك يا رسول الله ان حائطي هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين أهل الصدقة ، فأنزل الله عزوجل آيات من القرآن: «فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى»

٣- في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن البرقي عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قال : سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ، ومن قال : الحمدلله غرس الله بها شجرة في الجنة، ومن قال : لاإله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ، ومن قال : الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة .

فقال رجل من قريش : يارسول الله ! ان شجرنا في الجنة لكثير؟ قال:نعم، ولكن إياكم أن ترسلوا عليها ناراً فتحرقوها ، و ذلك ان الله عزوجل يقول : «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولاتبطلوا أعمالكم »

أقول : ان أشد النار احراقاً لاشجار الجنة هو الرياء والعجب في الاعمال... ثم المعاصي على أنواعها، والمآثم على أنحائها بعد غرس الأشجار بالتسبيح والتمجيد والتهليل والتكبير .

قال الله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس» البقرة : ٢٦٤) .

وقال : « ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن السبيل الله » الانفال : ٤٧) .

٤ - فى ثواب الاعمال باسناده عن أبى جعفر عليه السلام قال : من قال : سبحان الله من غير تعجب خلق الله منها طائراً له لسان وجناحان يسبح الله عنه فى المسبحين حتى تقوم الساعة ، ومثل ذلك الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

٥ - وفيه باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من قال : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده كتب الله ثلاثة آلاف حسنة ، و محى عنه ثلاثة آلاف سيئة ، و رفع له ثلاثة آلاف درجة ويخلق منها طائراً فى الجنة يسبح وكان أجر تسبيحه له .

٦ - فى المحاسن باسناده عن أبى بصير قال : سمعته يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قال : سبحان الله من غير تعجب خلق الله منها طائراً أخضر يستظل بظل العرش يسبح ، فيكتب له ثوابه إلى يوم القيامة .

٧ - فى الدعوات لقطب الدين الراوندى قدس سره فى معراج النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه مر على إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام فناداه من خلفه ، فقال : يامحمد إقرأ امتك عنى السلام وأخبرهم ان الجنة ماؤها عذب وتربتها طيبة قيعان يقق غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فمر امتك فليكثروا من غرسها .

٨ - فى تفسير القمى عن حماد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما اسرى بى إلى السماء دخلت الجنة فرأيت قصراً من ياقوتة حمراء يرى داخلها من خارجها ، وخارجها من داخلها من ضيائها ، وفيها بيتان در و زبرجد فقلت : يا جبرئيل لمن هذا القصر ؟ فقال : هذا لمن أطاب الكلام ، و أدام الصيام وأطعم الطعام وتهجد بالليل والناس نيام . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يارسول الله وفى امتك من يطيق هذا ؟ فقال : ادن منى يا على فدنا منه ، فقال : تدرى ما أطاب الكلام ؟ قال : الله ورسوله أعلم قال : من قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

اتدرى ما أدام الصيام ؟ قال : الله ورسوله أعلم قال: من صام رمضان ولم يفطر منه يوماً ، وتدرى ما إطعام الطعام ؟ قال : الله ورسوله أعلم قال : من طلب لعياله مايكف به وجوههم عن الناس، وتدرى ما التهجّد بالليل والناس نيام ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : من لم ينم حتى يصلّي العشاء الآخرة ويعنى بالناس نيام: اليهود والنصارى ، فانهم ينامون فيما بينهما .

٩- فى اصول الكافى باسناده عن السكونى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: التسبيح نصف الميزان ، والحمدلله يملأ الميزان و الله أكبر يملأ مابين السماء والارض .

١٠ - فى تفسير القمى باسناده عن جميل عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما اسرى بى إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وربما أمسكوا فقلت لهم : مالكم ربما بنيتم وربما أمسكتم ؟ فقالوا : حتى تجيئنا النفقة ، فقلت لهم : وما نفقتكم؟ فقالوا : قول المؤمن فى الدنيا : سبحان الله و الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فاذا قال، بنينا وإذا أمسك أمسكنا .

١١ - فى عيون الاخبار باسناده عن إبن خالد قال : سئلت الرضا عليه السلام عن مهر السنة كيف صار خمسماة درهم ؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى أوجب على نفسه أن لا يكبّره مؤمن ماة تكبيرة، ويحمده ماة تحميدة، ويسبحه ماة تسبيحة، ويهلّله ماة تهليلة، ويصلّى على محمد وآل محمد ماة مرة ثم يقول: اللهم زوّجنى من الحور العين إلاّ زوّجه الله حوراء من الجنة ، وجعل ذلك مهرها فمن ثم أوحى الله عزوجل إلى نبيه صلى الله عليه وآله أن يسنّ مهور المؤمنات خمسماة درهم، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله .

١٢ - فى ثواب الاعمال باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أكثروا من سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر فانهن يأتين يوم القيامة لهنّ مقدمات ومؤخرات ومعقّبات وهنّ الباقيات الصالحات .

١٣ ـ وفيه باسناده عن يونس بن يعقوب عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إلتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه فقال : اتخذوا جنات ، فقالوا : يا رسول الله من عدوّ قد أظلّنا ؟ فقال : لا ولكن من النار فقالوا : ما الجنة ! فقال : قولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر .

١٤ ـ فى الخصال باسناده عن أبى سلام راعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : خمس ما أثقلهنّ فى الميزان سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ، والولد الصالح يتوفّى لمسلم فيصبر ويحتسب .

١٥ ـ فى عدة الداعى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا اعلمكم خمس كلمات ، خفيفات على اللسان ، ثقيلات فى الميزان ، يرضين الرحمن ، و يطردن الشيطان ، وهنّ من كنوز الجنة من تحت العرش ، وهنّ من الباقيات الصالحات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله فقال : قولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولا حول و لا قوة إلاّ بالله العلى العظيم ، و قال صلى الله عليه وآله وسلم : خمس بخ بخ لهنّ ما أثقلهن فى الميزان .

١٦ ـ فى السرائر باسناده عن هشام بن الحكم قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ما من كلمة أخف على اللسان ، ولا أبلغ من سبحان الله .

١٧ـ فى تفسير العياشى باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خذوا جننكم قالوا : يا رسول الله عدوّ حضر ؟ فقال: لا ولكن خذوا جننكم من النار ، فقالوا : وما جننا يا رسول الله من النار ؟ قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ، فانهنّ يأتين يوم القيامة ، ولهنّ مقدمات ومؤخرات ومنجيات ومعقبات وهنّ الباقيات الصالحات .

١٨ـ فى المحاسن باسناده عن ثابت عن أبى جعفر عليه السلام قال : من قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر خلق الله منها أربعة أطيار تسبّحه وتقدّسه وتهلّله إلى يوم القيامة .

١٩ ـ فى تفسير روح البيان : ان سليمان بن داود عليه السلام مرّ فى موكبه والطير تظلّه والدواب من الوحوش والانعام والجن و الانس كلها عن يمينه و

يساره فمر بعابد من عباد بنى إسرائيل ، فقال : والله يابن داود لقد أتاك الله ملكاً عظيماً ، فسمع ذلك سليمان عليه السلام فقال : إن التسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما اعطى إبن داود فان ما اعطى إبن داود يذهب وأما التسبيحة تبقى .

٢٠- فى تفسير القمى عن أبى بصير عن أبان عن حمزة عن الاصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : خرج سليمان بن داود عليه السلام من بيت المقدس و معه ثلاثمأة ألف كرسى عن يمينه عليها الانس ، وثلاثمأة ألف كرسى عن شماله عليها الجن ، و أمر الطير فاظلتهم و أمر الريح فحملتهم ، حتى و ردوا ايوان كسرى بالمداين ثم رجع. فبات فاضطجع ثم غدا فانتهى إلى مدينة تركاوان ثم أمر الرياح فحملتهم حتى كادت أقدامهم يصيبها الماء وسليمان على عمود منها ، فقال بعضهم لبعض : هل رأيتم ملكاً قط أعظم من هذا أو سمعتم به ؟ فقالوا : ما رأينا وما سمعنا بمثله ، فنادى ملك من السماء ثواب تسبيحة واحدة من الله أعظم مما رأيتم .

٢١ - فى تفسير الجامع لأحكام القرآن : و قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل : ياجبرئيل ! أخبرنى بثواب من قال: سبحان ربى الاعلى فى صلاته أو فى غير صلاته؟ فقال : يامحمد مامن مؤمن ولا مؤمنة يقولها فى سجوده أو فى غير سجوده إلاّ كانت له فى ميزانه أثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا ، ويقول الله تعالى: صدق عبدى أنا فوق كل شيء وليس فوقى شيء ، اشهدوا ياملائكتى انى قدغفرت له وأدخلته الجنة، فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم ، فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فاوقفه بين يدى الله تعالى ، فيقول : يا رب شفعنى فيه ، فيقول : قد شفّعتك فيه فاذهب به إلى الجنة .

٢٢- فى العلل باسناده عن معاوية إبن عمار عن الحسن بن عبدالله عن آبائه عن جدّه الحسن بن على أبى طالب عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله فسئله اعلمهم ، فقال له : أخبرنى عن تفسير سبحان الله و الحمدلله ولا إله إلاّ الله والله أكبر فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : علم الله عزوجل ان بنى آدم يكذبون على الله عزوجل

فقال: سبحان الله براءة مما يقولون، وأما قوله: الحمدلله، فانه علم أن العباد لا يؤدون شكر نعمته، فحمد نفسه قبل أن يحمده العباد و هو أول كلام لولا ذلك لما أنعم الله تعالى على أحد بنعمته.

وقوله: لاإله إلاّ الله- يعني وحدانيته -لايقبل الاعمال إلاّ بها وهي كلمة التقوى يثقل الله بها الموازين يوم القيامة، و أما قوله: الله أكبر فهي كلمة أعلى الكلمات، وأحبّها إلى الله عزوجل يعني انه ليس شيء أكبر منه، ولاتصح الصلاة إلاّ بها لكرامتها على الله عزوجل وهو الاسم الاعز الاكرم قال اليهودي: صدقت يا محمد! فما جزاء قائلها؟ قال: إذا قال العبد: سبحان الله سبّح معه مادون العرش فيعطى قائلها عشر أمثالها.

و إذا قال الحمدلله أنعم الله عليه بنعم الدنيا موصولاً بنعم الآخرة وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها، و ينقطع الكلام الذي يقولونه في الدنيا ماخلا الحمدلله وذلك قوله تعالى: «دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمدلله رب العالمين» و أما قوله: لا إله إلاّ الله فثمنها الجنة، وذلك قوله لله تعالى: «هل جزاء الاحسان إلا الاحسان» قال: هل جزاء من قال: لاإله إلاّ الله إلاّ الجنة، فقال اليهودي: صدقت يامحمد.

﴿ تأثير التسبيح وشرائطه ﴾

و من البديهي : انه ليس للتسبيح تلك الاجور الجزيلة و الثواب الجميل التي سبق ذكرها آنفاً إطلاقاً ، بل: لابد لترتيب الثواب على التسبيح من تأثيره في نفس المسبح وفي المجتمع البشري ، ولتأثيره شرائط كثيرة أهمها ثلاثة :

اولها ـ الايمان والتوجه التام إلى الله جل وعلا .

ثانيها ـ إجتناب المسبّح عن العجب والرياء بعمله وقلبه .

ثالثها ـ الاجتناب عن المحارم كلها ، وعن المآثم جميعها ...

و ان تلك الاجور وليدة تأثيرات التسبيح و نتاج آثاره ، و لهذا التسبيح تأثيرات عجيبة وآثار كثيرة في نفس المسبح وحياته وفي المجتمع الانساني ...

منها : صفاء نفسه وطمأنينتها ...

قال الله عزوجل: «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب» الرعد: ٢٨ـ٢٩)

وقال : «ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء» الزمر: ٢٣)

ومع ذكر الله عزوجل يندحر الشيطان، وييأس من إغواء الذاكر المخلص قال الله تعالى حكاية عن الشيطان : «قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين» ص : ٨٣)

و قال : « ان الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فاذاهم

مبصرون» الاعراف : ٢٠١)

و ذلك ان ذكرهم يبعّد عنهم الشيطان و وساوسه ، فلا سبيل له عليهم ولا سلطان ، و لهذا نهى الاسلام عن كل عائق عن ذكر الله عزوجل كالغناء و مجالس اللهو، والسهر فى الباطل وقول الزور وما إليها من الأباطيل والخرافات و المضاحك و المناظر المضلّة و المسموعات المغوية ... مما تسعى الحكومات الطاغية فى إذاعتها فى طوال الاعصار حسب مقتضيات الازمان والاجواء...لانحراف أفكار عامة الناس و إستثمارهم . . . فاذا أراد هذا الانسان أن ينجو من مكائد الشياطن الجنيّة و الانسية ، و يتخذ سبيل الرشد سبيلاً أن يكثر من ذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وأن يدعو الله عزوجل للتخلص من كيد شياطين الجن والانس ومكرهم .

ولاريب ان بذكر الله سبحانه يتفتح القلب . و يذهب عنه صدأ الذنوب و القساوة الناشئة من الظلم والطغيان ، من الاستبداد والآثام ، و من حب الدنيا و الجاه والرئاسة والعصيان .. . فيلين أكثر فأكثر إلى ذكر الله عزوجل فى جميع الاحوال ... فيكون مصداق هذه الاية الكريمة : «إنما المؤمنون الذين إذاذكر الله وجلت قلوبهم» الانفال : ٢)

وان المواظبة على الذكر يؤدى إلى إنشراح الصدر بنور الايمان، وهو نور يمنّ الله تعالى به على الذاكرين من عباده .

قال الله جل و علا : «أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكرالله اولئك فى ضلال مبين» الزمر : ٢٢)

فلذكرالله تعالى أثر عظيم فى ردع النفس عن غلواتها وشهواتها ونزواتها وفى صفائها ، وعلى صفائها صفاء المجتمع البشرى كما أن فى قلقها قلق الجامعة الانسانية ، فانك تجد اناساً كثيراً تغلغلوا فى المدينة الغربية لايذكرون إسم الله تعالى فى كل يوم وليلة ، ولامرّة واحدة و انهم قديحترمون آباءهم و يقدسون

امهاتهم ، وهو ما امر الله تعالى به : ولكنهم لايذكرون ولا يعظمون من تفضل عليهم من الآباء والامهات ، وقدجاء في حديث: «لايزال ينقص من هذا الدين حتى لايقال : الله»

وفي الملاحم للسيد بن طاووس قدس سره عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام قال : « ينقص الاسلام حتى لايقال : لا إله إلا الله فاذا فعل ضرب يعسوب الدين بذنبه فاذا فعل ذلك بعث الله قوماً يجتمعون كما تجتمع قزع الخريف والله اني لأعرف إسم أميرهم ومناخ ركابهم».

وان العلامة الفارقة بين المدينة الاسلامية ، والمدينة طلاقة العنان سواء أكانت شرقية سارقة العقل والدين أم غربية عارية الجسم والشرف الانساني: ان شعار الثانية كلتيهما دفع مفهوم الله جل وعلا عن الحياة الاجتماعية، وربط الامور بحبول مادية خسيسة ، والاعتماد على الوسائل المادية ، وزخارف الدنيا الفانية، ولذلك تتحجز النفس في هذه المدينة ، فلاتشعر بما وراء الطبيعة ، ولاتعترف به: «لهم قلوب لايفقهون بها و لهم أعين لايبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون» الاعراف : ١٧٩)

وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «يتمتعون و يأكلون كما تأكل الانعام» محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٢) وهم الذين يقولون: « ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى ومايهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ـ ماندري ماالساعة إن نظن إلا ظناً ومانحن بمستيقنين» الجاثية : ٢٤-٣٢)

وان هذا البشر لميال إلى دفع القيود وطلاقة العنان والتدهور والتسافل ، فيتقبل مايؤدي إلى التسافل وينطبع عليه أسرع ممايؤدي إلى التعالي والتكامل وان المادية بآثارها و مظاهرها ونتائجها وخلاعتها و مجونها وصحافتها ومسارحها ومراقصها واعلاناتها تدهور وتسافل لذلك تجد قبولاً بسائق الغريزة من اناس غلبوا على أمرهم ، فخالفوا ما تمليه عليهم عقولهم، فتراءت لهم الشهوات بلباس

الفكر ،والانحطاط وطلاقة العنان باسم الثقافة،والاختناق باسم الحرية، والارتجاع بكلمة التمدن ، والتسافل بكلمة الارتقاء ، فاتبعوها حتى صاروا لايشعرون إلى أين هم سائرون ، فطوبى لمن حكم عقله ولم تغره المظاهر الخلابة ، والمناظر الخداعة المبعدة عن ذكر الله جل وعلا والآخذة بهذا الانسان المسكين (المغرور بلفظ الثقافة) إلى أسفل السافلين :« وما ظلمنا هم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» النحل : ١١٨)

وهذا القلق النفسي المسيطر على عالمي الشرق والغرب اليوم أدّى إلى تلك الفحشاء وهذا التوحش والسقوط عن الانسانية ، وهذه العرى عن الشرف... وإلى تلك المفاسد في الجامعة البشرية ، كل ذلك لفقد الايمان وعدم الثقة بالله عزوجل وترك التوجه إليه جل وعلا في حلّ المشكلات...فانظر إلى عدد الانتحارات في الثلاثين سنة الأخيرة يزيد على (٤٠) ميليون منتحر ثم يزيد العدد سنة فسنة ،ولقد تسرب فقد الايمان من الغرب إلى الشرق أو أوجب ضعفه ، فكانت نتيجة ذلك ان قد حدث (٦) أشهر في بلد إسلامي في الشرق ، ٢٠٠٠ حادثة إنتحار ، ويزيد العدد شهراً فشهراً.

ومعلوم ان الدين الاسلامي يحرم الانتحار و يعده من أعظم المعاصي و الكبائر و ان المنتحر مخلد في النار ، وقد قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « من قتل نفسه متعمداً فهو في نار جهنم خالداً فيها »

ولقد ثبت ان المنتحر إما لا ايمان له ، أو هو ضعيف الايمان جداً .

وان الدين الاسلامي قد حرم ايذاء البدن و ايجاد نقص فيه ، فكيف بالانتحار ؟ ففقد الايمان بالله تعالى وضعفه، وعدم التوجه إلى الله جل وعلا واليأس من رحمة الله عزوجل هي الباعثة القوية للانتحار ولذلك لاتجد في بلاد الشرق إذ كان الايمان فيه قوياً ، والناس متعبدون أثراً للانتحار .

وعن جريدة الاخبار المصرية : عدد ٢٤ ايار سنة ١٩٦٤ م : يقول الدكتور بريل :« ان المتدين لايصاب بأمراض نفسية ،وجميع الامراض الجسمية

فضلاً عن النفسية كقرحة المعدة وإختلال الجهاز الهضمى، وضربات القلب وغيرها ناتجة عن القلق النفسى والاضطرابات الروحية واليأس من رحمة الله تعالى : وهو القائل : « و لاتيأسوا من روح الله انه لاييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون »

وان عدم التوجه فى المشاكل إلى الخالق المتعال وعدم المثوى بين يدى رب العباد بتضرع وإبتهال عند طرؤ المشاكل والنوائب أدبا إلى إنتحار فظيع فى آمريكا ، ففى إحدى الاحصاءات ان فى آمريكا ينتحر فى كل ٣٥ر دقيقة شخص واحد و يبتلى بالجنون فى كل دقيقتين شخص واحد ، والقضية على إزدياد فى الاحصاءات الآتية ...

قال الله عزوجل: « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً » طه : ١٢٤)

وقال : « فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك فى ضلال مبين » الزمر : ٢٢)

وقال : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وانهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون » الزخرف :٣٦ـ٣٧)

وقال : « و من يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً » الجن : ١٧)

وقد وردت فى تأثير التسبيح فى نفس الانسان وروحه ، وفى شئون حياته ، وفى المجتمع البشرى روايات كثيرة لايسعها المقام ...

منها : ما فى أمالى الصدوق قدس سره باسناده عن محمد بن حمران عن الصادق عليه السلام قال : من سبّح الله كل يوم ثلاثين مرة دفع الله تبارك و تعالى عنه سبعين نوعاً من البلاء أدناها الفقر .

وفى الرواية :ان رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : تولت عنى الدنيا وقلّت (كنت خ) ذات يدى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون؟ قال: فقلت: وماذا يارسول الله؟ فقال قل: سبحان الله و بحمده، سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة مابين طلوع الفجر إلى أن تصلى الصبح تأتيك الدنيا راغمة

صاغرة ، ويخلق الله عزوجل من كل كلمة ملكاً يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه .

أقول : ولعمري ان للتسبيح في كل وقت ومكان وخاصة قبل الفجر إلى طلوع الشمس وعند غروب الشمس إلى وقت المغرب آثاراً عجيبة لايعرفها إلاّ من جرّبه في حياته . . . صدق الله العليّ العظيم إذ يقول : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها و من آناء الليل فسبّح و أطراف النهار لعلك ترضى » طه : ١٣٠)

وقال : « واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشيّ والابكار» آل عمران :٤١)

و قال : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً و سبحوه بكرة وأصيلاً هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيماً تحيتهم يوم يلقونه سلام و أعدّ لهم أجراً كريماً » الاحزاب : ٤١ ـ ٤٤)

أقول : لولا آية قرآنية ولارواية إلاّ هذه الآيات لكفانا في بيان فضل التسبيح وآثاره في الحياة الانسانية ، فانها تصرح بسعادة الدارين للمسبّح، وذلك ان التسبيح هو الموجب لصلاة الله عزوجل وهي رحمته على المسبح، وصلاة الملائكة وهي الاستغفار للمسبح ، ورحمته جل و علا عليه في الدنيا و الآخرة و إخراجه من الظلمات إلى النور : من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الايمان و الهدى ، من ظلمات الاستكبار والاستبداد إلى نور العبودية و الرأفة ، من ظلمات الانحطاط والتسفل إلى نور الكمال والتعالي ، من ظلمات الفساد والخسران إلى نور الصلاح والفلاح ، من ظلمات الحيرة والخيبة إلى نور الصواب و الرشاد، من ظلمات المعصية والطغيان إلى نور الطاعة والعرفان ، من ظلمات النفاق والرياء إلى نور الحقيقة والاخلاص ، من ظلمات طلاقة العنان والتوحش إلى نور الشرف والكرامة ، من ظلمات الكذب والخيانة إلى نور الصدق و الامانة ، من ظلمات البغي والظلم إلى

نور القسط و العدل ، ومن ظلمات حب الدنيا وزخارفها إلى نور إرادة الآخرة و نعيمها ...

فعلى الانسان أن يذكر ربه فى أقواله وأفعاله وفى حركاته وسكناته ليلاً ونهاراً ، و يراقبه عند جميع أحواله ... فلا ينسى نعمته عليه و لا يجهل حقه ، ولا يغفل عن رحمته ، فيسعى فى طلب رضاه وهذا هو الذكر الكثير :

« يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » النور : ٣٧)

« أقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله أكبر » العنكبوت : ٤٥)

فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى باسناده عن الحرث عن على عليه السلام قال : من قال حين يمسى ثلاث مرات : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشياً وحين تظهرون » لم يفته خير يكون فى تلك الليلة ، وصرف عنه جميع شرّها ، و من مثل ذلك حين يصبح لم يفته خير يكون فى ذلك اليوم ، وصرف عنه جميع شرّه .

وفيه : باسناده عن حمّاد بن واقد عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال : من قال : سبحان الله والحمد لله سبحان الله العظيم ثلاثين مرّة إستقبل الغنى وإستدبر الفقر وقرع باب الجنة .

وفى الخصال: عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال : قال إبليس : خمسة أشياء ليس لى فيهنّ حيلة وسائر الناس فى قبضتى : من إعتصم بالله عن نية صادقة و اتكل عليه فى جميع اموره ، ومن كثر تسبيحه فى ليله و نهاره ، و من رضى لأخيه المؤمن مايرضاه لنفسه ، و من لم يجزع على المصيبة حتى تصيبه ، ومن رضى بما قسم الله له ولم يهتمّ لرزقه .

﴿التسبيح وأقسامه﴾

واعلم أن التسبيح يمكن أن يتحقق بامور ثلاثة :

احدها- بالنطق والبيان كقولك : « سبحان الله ...»

ثانيها -بالعمل كالحركة للتعظيم ، وحال التواضع التى تدل على تواضع المتواضع ...

فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده » قال فحركة كل شيء تسبيح لله عزوجل .

وفى العلل : وتسبيح الشجر حركتها من غير ريح ،وتسبيح البحار زيادتها ونقصانها ،وتسبيح نموّه ونشؤه وقال أيضاً : ظلّه تسبّح لله .

ثالثها- بالفطرة والطبيعة ، و ذلك ان ترتيب الخلقة و النظام التام يدل على عظمة الله تعالى، والأخير لايحتاج إلى إرادة وقصد ويدل على تنزهه عزوجل عن النقائص كلها ، وعما لايليق بشأنه المتعال .

وان الاخير يشاهد فى كل شيء جماداً كان أم نباتاً ،حيواناً كان أو إنساناً ، سماء كانت أم أرضاً ، ليلاً كان أونهاراً ... إذ كل شيء بلسانه التكوينى ينادى على تنزه خالقه جل وعلا عن النقائص ، وإتصافه بصفات العزة و الجلال، والعظمة والكمال ، ويشترك فيه ما سوى الله كله كما يشترك الجميع فى الثانى أيضاً ، فان كل مخلوق له نوع خضوع و خشوع عند عظمة الله تعالى ، وإن كان هذا الخاضع فى غاية التكبر ، وعلى هذا يحتمل قوله عزوجل : «ولا تفقهون تسبيحهم»

وأما الاول فمختص بالانسان ، وذوى العقول ظاهراً ،وذلك انك إذا رأيت كتاباً ألفه عالم ، فترى تارة عظمة المؤلف من كتابه العلمى و اخرى تمدحه و تعظمه بلسانك ، وثالثة تخضع له حين تراه بحيث يدل الخضوع على عظمته ، والفرض انك لاتخضع إلا لمن يليق ،لذلك فكتابه عزوجل التكوينى يدل على تنزهه جل وعلا عن النقص ، ويدل على العظمة والجلال والخضوع حتى من المتكبر لدى عظمته تعالى يدل على سعة علمه وغاية حكمته ونهاية كماله وقدرته المطلقة كما أن التكلم بالتسبيح كذلك.

قال الله تعالى :«سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » فصلت : ٥٣)

وقال : « ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » الانبياء : ٢٢)

وقال بعض الحكماء : ان التسبيح على أربعة وجوه :

احدها- تسبيح ذوى العقول من الانسان والملائكة .

قال الله تعالى : « لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا» الفتح : ٩) وقال : « و الملائكة يسبحون بحمد ربهم»الشورى : ٥) وقال : « وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » الصافات :١٦٤-١٦٦)

ثانيها -تسبيح الحيوان على أنواعه . . .

ثالثها -تسبيح النبات على أقسامه . . .

رابعها -تسبيح الجماد على أنحائه . . .

قال الله عزوجل : « ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات و الارض و الطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه و الله عليم بما يفعلون » النور : ٤١)

وقال:«تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده

ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفوراً »الاسراء : ٤٤)

أما تسبيح العقلاء فبالنطق والحركات ، والذكر والمعاملات ... وتسبيح الحيوان بلسان الحاجات وصورة الدلالات على صانعها ومالا نفقهه . . . وتسبيح النبات: الدلالات على زهرتها على خالقها ، على ثمارئها ، وأغصانها على مدبّرها على رطبها ويابسها على ربها ... وتسبيح الجماد بالخلق وهو عام في جميعها فانها مظهر الآيات . . .

وان قوله عزوجل : « كل قدعلم صلاته وتسبيحه » إشارة إلى أن لكل شيء علماً و شعوراً مناسباً له على صلاته ، وهي القيام بالعبودية : « إن كل من في السموات والارض إلا آتى الرحمن عبداً» مريم : ٩٢)«وله أسلم من في السموات والارض طوعاً و كرهاً» آل عمران : ٨٣) « ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً و كرهاً وظلالهم بالغدو والآصال »الرعد : ١٥) و على تسبيحه و هو ثناء الربوبية ، وذلك ان لكل شيء ملكوتاً وهو قائم به ، و قيام الملكوت بيد الله عزوجل : « فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء » يس : ٨٣)

وعالم الملكوت هو الحياة المحضة وتمام العلم كما قال : « وإن الدار الاخرة لهي الحيوان»العنكبوت : ٦٤)

و الملكوت هو عالم الارواح ، فلكل شيء روح منه بحسب إستعداده لقابلية الروح فخلق الانسان في أحسن تقويم لقابلية الروح الاعظم ، فلهذا صار كاملهم أفضل المخلوقات وأشرف الموجودات ، وأكرم الخلائق . . .

فكل شيء خصوصية صلاته وتسبيحه على قدر حظّه من عالم الملكوت بل على قدر حظه من عالم الربوبية . وهو متفرد به عما دونه .

وان الملائكة تعلم صلاتها وتسبيحها على قدر حظهم من عالم الملكوت . وكذا الحيوان و النبات و الجماد من أهل الارض أم من أهل السماء ، كلها تعلم و تسبيحها حسب حظها من عالم الملكوت كل بما يلائم نفسه ، و يناسب قدره .

قال الامام سيد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في مناجاته

: « أنت المسبّح - مبنياً للمفعول - في كل مكان ، والمعبود فـي كل زمان ، والموجود في كل أوان ، والمدعوّ بكل لسان ، والمعظّم في كل جنان »

فلكل ذرة لسان ملكوتي ينطق بالتسبيح تنزيهاً لخالقه ، ينطق بالحمد شكراً على ما أولاه من نعمه ، ينطق بالتهليل إقراراً بتوحيده في ذاته و صفاته ، وينطق بالتكبير تعظيماً لصاحبه : « يسبح لله مافي السموات وما في الارض له الملك وله الحمد » التغابن : ١)

وبهذا اللسان نطق الحصا في كفّ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبه تنطق الارض يوم القيامة : « يومئذ تحدث أخبارها » الزلزلة : ٤)

وبهذا اللسان تنطق الجوارح والاعضاء : « قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء » فصلت : ٢١) وبهذا اللسان نطقت السموات و الارض : « فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » فصلت : ١١)

و بهذا اللسان تنطق الدابة : « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلّمهم » النمل : ٨٢)

في تفسير روح البيان : ان أباعلي إبن سينا : إحتجّ بقوله عزوجل : « كل في فلك يسبحون » الانبياء : ٣٣) على كون الكواكب أحياء ناطقة ، و قال : ان الجمع بالواو والنون لايكون إلاّ لاحياء العاقلين .

اجيب عنه : بانه لما اسند إليهن ماهو من أفعال العقلاء وهو السباحة والسجود نزلن منزلة العقلاء ، فعبّر عنهن بضمير العقلاء كقوله تعالى حكاية عن النمل : « ادخلوا مساكنكم » النمل : ١٨)

قال الله عزوجل : « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض و الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب و كثير من الناس » الحج : ١٨)

«التسبيح التكويني والتشريعي»

واعلم أن التدبر في الآيات القرآنية والروايات الواردة يلهمنا ان لكل شيء تسبيحين :

أحدهما - تسبيح تكويني .

وذلك ان ماسوى الله عزوجل من السموات ومافيهن مطيع منقاد مقهور لله جل وعلا بوجوده التكويني لايمكن التخلف عنه إلاّ بفناء وجوده : «وله أسلم من في السموات و الارض طوعاً و كرهاً» آل عمران : ٨٣) «ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ و الآصال» الرعد : ١٥)

وتسبيحه وسجوده من هذه الجهة هو دلالة وجود كل شيء من حيث إمكان حدوثه على تنزّه الواجب لذاته عن الامكان و الحدوث ، و دلالة تبدّل أحوال كل شيء على تنزهه عنه ، فكل موجود بحسب وجوده يدل على الصانع المتصف بصفات العظمة والجمال والعزة والجلال ، والقدرة و الكمال ، المنزه عن نقائص الامكان والزوال ، وعلى تجريده جل وعلا عن علائق الاكوان وشوائب الحدثان... كل بحسب مافي كمونه من نوع إستعداد ...

قال الله عزوجل : «الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه و تعالى عما يشركون» الروم : ٤٠)

وقال : «سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً تسبّح له السموات السبع

والارض ومن فيهن» الاسراء : ٣٣-٤٤)

و قال : «سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء» الانعام: ١٠٠-١٠١)

وقال : «إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولدله ما فى السموات وما فى الارض» النساء : ١٧١)

و حقاً ان هذا مشاهد من اكثر المحسوسات الجوهرية كبذر النبات فى حركاته نحو الكمال ، والنطفة فى تطوراتها من حال إلى حال ، و خلقة الانسان فى شئوناته من حين ولادته إلى آخر عمره ، وفى سير تكامله الجسمي و الروحى كما ان أسرار كل موجود وهيئته وشكله ونظامه الوجود ، تدلّ على وحدانية الله تعالى وربوبيته و كمال علمه وحكمته .

ان ملايين الملايين من الاجرام تسبح فى فضاء الله جل و علا و تنساب فى مداراتها متناسقة متجاذبة لا تصطدم ولاتضطرب ولا تميد ، و ملايين الملايين من الخلائق الحية تجرى بها الحياة إلى غاياتها القريبة والبعيدة فى إنتظام و إحكام تنادى بلحن واحد ان هناك إلهاًواحداً وتدبيراً وتقديراً وحساباً و كتاباً،وتنادى بلحن واحد : ياأيها الناس تيقظوا ثم انظروا فتفكّروا وتدبّروا فى تلك الاجرام السماوية انها ماخلقت مهملة ،وليس ذلك النظام مصادفاً ، وان تلك الموجودات على وجه الارض ماخلقت عبثاً ولم تترك سدى .

وقال بعض المحققين: ان التسبيح التكوينى هو التسبيح الفطرى،وذلك ان الله تعالى أودع فى كل شيء مايسبّح به لله عزوجل ، وهذا على وجه يستلزم الشعور و الادراك ولكن كل بما يلائمه ، وان كل نوع يفهم تسبيح نوعه كما يفهم كل ذى لسانه لسانه : العرب عربياً ، والفارسي فارسياً وهكذا... وقدتظهر هذه الفطرة بما يدركه الانسان كتسبيح الحصى بيد النبى الكريم ﷺ .

و فى الدر المنثور : عن إبن عباس قال : قدم ملوك حضر موت على

النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: كيف نعلم انك رسول الله؟ فأخذ كفاً من حصى، فقال: هذا يشهد اني رسول الله فسبّح الحصا في يده وشهد انه رسول الله.

وفي المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله عزوجل عليه عن إبن مسعود انه قال: كنا نجلس مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونسمع الطعام يسبّح و رسول الله يأكل و أتاه مكرز العامري، وسئله آية فدعا بتسع حصيات فسبّحن في يده.

وفي تفسير العياشي: باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أن توسم البهائم في وجوهها، وأن يضرب وجوهها فانها تسبح بحمد ربها.

وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من طير يصاد في برّ ولا في بحر ولا شيء يصاد من الوحش إلاّ بتضييعه التسبيح.

وفي الدر المنثور: عن أبي حمزة الثمالي قال: قال محمد بن علي بن الحسين عليه السلام و سمع عصافير يصحن قال: تدرى ما يقلن؟ قلت: لا قال: يسبحن ربهن عزوجل ويسئلن قوت يومهنّ.

وفيه: عن أبي حمزة أيضاً قال: كنا مع علي بن الحسين عليهما السلام فمرّ بنا عصافير يصحن فقال: أتدرون ماتقول هذه العصافير؟ فقلنا: لا قال: أما اني ما أقول: إنا نعلم الغيب و لكني سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبيطالب أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ان الطير إذا أصبحت سبحت ربها و سئلته قوت يومها، و ان هذه تسبح ربها وتسئله قوت يومها.

وقال بعض المحققين: ليس هذا تسبيحاً بلسان الحال إزاء تسبيح الانسان بلسان المقال كما قد يتوهم بعض المتوهمين بل كل بلسان يلائم به المقال به.

وان قوله عزوجل: «كل قد علم صلاته وتسبيحه» مشعر بأن العلم سار في الموجودات مع سريان الخالقة، فلكل منها حظّ من العلم والاستعداد على مقدار حظه من الوجود، وليس لازم ذلك أن يتساوى الجميع من حيث العلم والاستعداد، أو يتحد من حيث

جنسه ونوعه أو يكون عند كل ماعند الانسان من ذلك أو أن يفقه الانسان بما عندها من العلم قال الله تعالى حكاية عن جوارح الانسان : «قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء» فصلت: ٢١)

وقال : « فقال لها وللارض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» فصلت: ١١) و إذا كان كذلك ، فما من موجود مخلوق إلاّ و هو يشعر بنفسه بعض الشعور وهو يريد بوجوده إظهار نفسه المحتاجة الناقصة التى يحيط بها غنى ربه وكماله لاربّ غيره ، فهو يسبح اه وينزهه عن الشريك ، و عن كل نقص ينسب إليه ، فالحق ان التسبيح فى الجميع حقيقى قالى (بلسان المقال) لابلسان الحال فحسب كما توهم بعض، غير ان كونه قالياً لايستلزم أن يكون بألفاظ موضوعة كألفاظنا وأصوات مقروعة كأصواتنا ...

فقوله عزوجل : «تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن» الاسراء : ٤٤) يثبت لها تسبيحاً حقيقياً و هو تكلمها بوجودها ماله من الا رتباط بسائر الموجودات الكائنة ، وبيانهاتنزه ربهاعما ينسب إليه المشركون من الشركاء و جهات النقص ...

وبهذا اللسان تنطق الارض يوم القيامة و تحدّث أخبارها ، و بهذا اللسان تنطق أبعاض الانسان وتشهد على مافعله ، وبهذا اللسان نطقت السموات والارض إذ «قالتا أتينا طائعين» .

فان كل شىء يعرف ربه بفطرته ، ويخضع لديه بجبلته ، ويعبده ويسجدله ويسبّحه بطبعه ، وإن كنا لانفقه ذلك ، فكل حصاة وحجر وحبّة و ورقة وزهرة وثمرة ونبات وشجرة وحشرة ، و كل دابة على وجه الارض وما فيها، و كل مافى السماء تتوجه إلى الله عزوجل بفطرته وتسبح له كل بلغته ولسانه ومقالته نخصّه: «ولكن لاتفقهون تسبيحهم»

سواء تسمعون تسبيحهم ولاتفقهون كما انكم تسمعون لغاتاً غير لغاتكم،

ولاتفقهو نها؟أو لاتسمعون تسبيحهم لانكم محجوبون بصفاقة الطين من جهة و بظلمات المآثم من جهة اخرى فانها تحول بين قلوب الانسان و بين الحياة الخفية السارية فى ضمير هذا الوجود النابضة في كل متحرك وساكن ،وفى كل شىء فى هذا الوجود إلاّ من صقل قلبه بنور الله عزوجل من الانبياء والاوصياء و الاخصّاء وأولياء الله تعالى .

كيف تفقهون وانكم لاتسمعون بقلوبكم ولاتوجهونها إلى أسرار الوجود الخفية ، و إلى النواميس التى تنجذب إليها كل ذرة فى هذا الكون و العالم الشاسع، ولما كان هذا الانسان الشريد كثيراً مايتخلف عن الفطرة ، فيترك التسبيح لله عزوجل و الخضوع لديه جعل الله تعالى تسبيحاً تشريعياً لئلا يخرج هذا الانسان عن مدار الخلق لتخلفه مما هو مفطور عليه . فتدبر واغتنم ، فان المقام مزال الاقدام ...



﴿تسبيح السموات والارض والرعد﴾

قال الله عزوجل : « تسبّح له السموات السبع والارض ومن فيهن » الاسراء : ٤٤)

وقال : « يسبّح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم » الجمعة : ١)

وقال : « ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » الرعد : ١٣)

وفيما أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام :

« يا موسى ! هادعوتني وجدتني ، فاني سأغفر لك على ما كان منك ، السماء تسبّح لي وجلاً ، والارض تسبّح لي طمعاً ، وكل الخلق يسبّحون لي داخرين . ثم عليك بالصلاة فانها لي بمكان ، ولها عندي عهد وثيق » .

ان السموات وما فيها من الخلائق ... ومن الشمس والقمر والنجوم ... وما في هذا الجوّ الشاسع والرعد والبرق والسحاب ... وان الارض وما فيها من الدواب والبحار والجبال والأشجار ... كلها تسبح لله عزوجل على كلا القسمين من التسبيح : التكويني والفطري .

فعلينا أن نعد إلى النجوم والشمس والقمر . وننظر إلى ما تقوم به من حركات معينة ووفق ساتير رياضية متقنة حسبما حدده الله تعالى ، نجدها مسبحة لله عزوجل في حركاتها ومداراتها : « والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي

لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النهار كل في فلك يسبحون » يس :٣٨-٤٠)

فكل شيء في هذا الكون خاضع لله جل و علا و منقاد له وجوداً و مقالاً ، كلاً بحسب حاله يسبح لله تعالى بأنواع التسبيح سواء كان هذا الشيء مادياً أو غير مادي ، و ذلك ان مآل المادة : الذرات و هي القوى الكهربائية من موجبة و سالبة هي الطاقات ... والطاقات تسبح لله تعالى كما يسبح الانسان والحيوان ولكنا لانفقه تسبيحها . وان الجبال تسبح لله عزوجل مع داود عليه السلام :« يا جبال أوّبي معه و الطير » سباء : ١٠)

« و سخرنا مع داود الجبال يسبحن و الطير » الانبياء : ٧٩) « إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق » ص : ١٨)

قال الله تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله » الحشر : ٢١)

وقال : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملها وأشفقن منها وحملها الانسان » الاحزاب : ٧٢)

وحقاً لو نلنا بما كشف لنا الغطاء لسمعنا تسبيح كل شيء ولكنا قادرين على إسماعه لغيرنا .

نعم ! كل ما في السموات وما في الارض خاشع لله عزوجل تكويناً ، و خاضع لديه فطرياً لا يستثني منه شيء أبداً فانه عزوجل يقول : « إن كل من في السموات والارض إلاّ آتي الرحمن عبداً » مريم : ٩٣)

فأنى لهذا الانسان أن يشذّ عن تسبيحه لله جل وعلا ، و يتبجح باكتشافه القمر الصناعي وذهابه إلى جوّ الارض بسرعة لاتتجاوز(١٠) كيلومترات في الثانية على ماقد يتخيل . .

فما باله يلفظ المقدسات التي فيها الكمال النفسي ،فيعود ليصبح خشبة عارية عن كل فضيلة ، وروحاً جامداً أشبه شيء بالصخرة الصماء : « و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة » المنافقون : ٤) « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما

يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » البقرة :٧٤) « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » غافر : ٣٥) ان الله تعالى يأمر نابتسبيحه كل يوم قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفى آناء الليل والنهار، وفى كل حال ومكان من غير أن يقفنا عن السعى والعمل...

فقال :« وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار » طه : ١٣٠)

وقال : « واوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً» مريم : ١١)

وقال: « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » الروم : ١٧)

وقال : « يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله » النور : ٣٦ ـ ٣٧)

فما ألذّ التسبيح لو كان خالياً عن كل شائبة فهو إنغمار فى الحب الالهى وذوبان الحب اللاهوتى ، ان فى هذا التسبيح الخالص لذة تفوق كل لذة مادية : لذة لاتضاهيها أيّة لذة : لذة لايريد الانسان أن يفارقها طرفة عين ، لذة تأخذ بمجامع القلب إلى حيث الطمأنينة ، والارتياح النفسى إذ قال عزوجل:« ألا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد: ٢٨)

ولذلك نرى ان ابراهيم ﷺ يقدم ماعنده من الغنم . وكان يملى ما بين الجبلين يقدمها إلى من نادى من بعيد بصوت رخيم : « سبّوح قدّوس ربنا و رب الملائكة والروح » .

ما أحلى التسبيحات فى أيام شهر رمضان المبارك ومنها :

«سبحان الله خالق مايرى ومالايرى ، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله رب العالمين ، سبحان الله الذى ينشىء السحاب الثقال ، ويسبح الرعد بحمده و الملائكة من خيفته ،ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ويرسل الرياح بشراً

يدى رحمته ، و ينزل الماء من السماء بكلمته ، وينبت النبات بقدرته ويسقط الورق بعلمه ، سبحان الله الذى لايعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولاأصغر من ذلك ولاأكبر إلاّ فى كتاب مبين »

ومنها: ما جاء فى دعاء الجوشن الكبير : « سبحانك يا لاإله إلاّ إلاّ أنت الغوث الغوث صلّ على محمد و آله وخلّصنا من النار يارب ياذاالجلال والاكرام»

ومنها: ماجاء فيه: «يامن تواضع كل شىء لعظمته ، يامن استسلم كل شىء لقدرته ، يامن ذلّ كل شى لعزته ، يا من خضع كل شىء لهيبته ، يا من انقاد كل شىء من خشيته ، يا من تشققت الجبال من مخافته ، يا من قامت السموات بأمره ، يا من استقرت الارضون باذنه ، يا من يسبّح الرعد بحمده ، يا من لايعتدى على أهل مملكته » .

ومنها: دعاء المجير على ما جاء فى مفاتيح الجنان للشيخ الجليل المحدث شيخ عباس القمى رضوان الله تعالى عليه .

ومنها: ما جاء فى دعاء العديلة ـ : « ولم يزل سبحاناً على جميع الاحوال وجوده قبل القبل فى أزل الآزال وبقائه بعد البعد من غير إنتقال ولازوال ... » الدعاء .

ومنها: ما جاء فى الدعاء الرجبية : « سبحان الاله الجليل ، سبحان من لا ينبغى التسبيح إلاّ له ، سبحان الأعزّ الاكرم ، سبحان من ليس العزّ وهو له أهل »

ومنها: تسبيحات ليالى شهر رمضان المبارك بعد الصلاة النافلة : « سبحان من هو حفيظ لايغفل ، سبحان من هو رحيم لايعجل ، سبحان من هو قائم لا يسهو ، سبحان من هو دائم لايلهو » «سبحانك سبحانك ياعظيم اغفر لى الذنب العظيم»

ومنها: ما فى دعاء أبى حمزة الثمالى فى السحر : « فسبحانك ما أحلمك وأعظمك وأكرمك مبدئاً ومعيداً تقدّست أسمائك وجلّ ثناؤك و كرم صنائعك وفعالك »

ومنها: ما جاء في دعاء العرفة للامام سيد الشهداء سبط المصطفى الحسين بن أبيطالب عليه السلام ـ «فسبحانه سبحانه لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا وتفطّرتا سبحان الله الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ـ سبحانك اني كنت من الموحدين لاإله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الخائفين، لاإله إلاّ أنت سبحانك اني كنت من الوجلين، لاإله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الراجين، لاإله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الراغبين، لاإله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من المهلّلين، لاإله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من السائلين، لاإله إلاّ أنت سبحانك اني كنت من المسبحين، لاإله إلاّ أنت سبحانك اني كنت من المكبّرين، لاإله إلاّ أنت سبحانك ربي ورب آبائي الاولين ـ تسبح لك السموات السبع و الارضون ومن فيهن وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمدك ..» الدعاء.

و منها: ماجاء من تسبيح مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في آداب زيارة الامام سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام: «سبحان الذي لاتنفد خزائنه، سبحان الذي لاتبيد معالمه، سبحان الذي لايفنى ماعنده، سبحان الذي لايشرك أحداً في حكمه، سبحان الذي لااضمحلال لفخره، سبحان الذي لاانقطاع لمدته، سبحان الذي لاإله غيره»

و منها: ماجاء من تسبيح بنت المصطفى فاطمة الزهراء سلام الله عليها في آداب زيارة الامام المظلوم الحسين بن علي عليه السلام: «سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم، سبحان ذي العز الشامخ المنيف، سبحان ذي الملك الفاخر القديم، سبحان ذي البهجة والجمال، سبحان من تردّى بالنور والوقار، سبحان من يرى أثر النمل في الصفا، ووقع الطير في الهواء»

وغيرها من المسبحات التي تلذبها النفوس المزكاة لاتقاس بها لذائذ مادية دنياوية، ولايفقهها ولايدركها ولايذوقها إلاّ من تزكى و ذكر اسم ربه فصلى وخاصة وقت الأسحار ... طوبى ثم طوبى لمن وفّقه الله جل وعلا بها، ووفّقنا بها

بحق محمد وآله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

ومما لامراء فيه ان الله تعالى قد أودع في النفس الانسانية غريزة التوجه إليه جل وعلا والاعتراف بربوبيته وعظمته وقدرته وجلاله وجماله ...

قال الله تعالى : «ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض وسخّر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ـ ولئن سئلتهم من نزّل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله ـ فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجّاهم إلى البر إذاهم يشركون» العنكبوت: ٦١ـ٦٥)

و قال : «قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكّرون قل من ربّ السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون ـ سبحان الله عما يصفون» المؤمنون : ٨٤ـ٩١)

وقال : «قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار و من يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبّر الامر فسيقولون الله فقل أفلاتتقون فذلكم الله ربكم الحق» يونس: ٣١ـ٣٢)

فهذه الغريزة : التوجه إلى الحق المتعال عند الشدائد و المحن ، عند المصيبات والاوجاع ، وعند الامراض والأخطار ... متأصلة في نفس الانسان يشعر به كل من فطر على فطرة لاتبديل لها : «فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله» الروم : ٣٠)

فان الطفل حسبما أودع الله عزوجل فيه من غريزة التوجه إليه يشعر بعد أن يبلغ الخامسة أو السادسة من عمره بل أقل من ذلك بقوّة خارقة مهيمنة عليه يستعين بها ، ويتوجه إليها في الشدائد والاهوال ... وهذا المهيمن اللانهائي في صفاته وكمالاته هو الله تعالى .

وهكذا كل من في السموات و الارض ، فيتوجه إلى الحق المتعال بصورة

فطرتـه .

وهو تعالى يقول : «يسبح لله مافى السموات ومافى الارض له الملك و له الحمد» التغابن : ١)

حتى ان الجمادات أسلمت لله عزوجل فى حركاتها وقوانينها التى أودعها الله جل وعلا فيها ، فهى مطيعة منقادة ليس لها أن تنحرف عمارسم لها .

ألاترى ان الكترون يدور حول البروتون فى باطن الذرة بسرعة/ ٢٠٠٠ كيلومتر فى الثانية بشكل اهليليجى .

وليس هذا إلاّ نوع تسليم إلى مشيّة الله تعالى ونوع انقياد وإسلام يتناسب مع حياة الذرة : «وله أسلم من فى السموات والارض طوعاً و كرهاً» آل عمران: ٨٣) «ولله يسجد من فى السموات و الارض طوعاً و كرهاً وظلالهم بالغدوّ و الآصال» الرعد : ١٥)

كذلك تتجاذب الاجسام أو الكرات مستلمة إلى أمر الله عزوجل حسبما أودع فيها من قانون :

$$ق = ى \frac{ك\ ك}{م^{٢}}$$

(قوة الجذب بين كتلتين ، ك ، ك) تتناسب طردياً مع حاصل ضربهما وعكسياً مع مربع المسافة بينهما . و (ى) هى النسبة الثابتة ومقدارها :

$\frac{١}{١٥٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/}$ من ثقل الغرام .

ويقول الله تعالى فى هذا المقام : «ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» فاطر: ٤١)

و يقول : «ألم تر أن الله سخّر لكم مافى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلاّ باذنه» الحج: ٦٥)

و كذلك الرقاص يطيع الله تعالى فى تذبذبه و حركاته التابعة لقانون

وضعه الله تعالى : ن = ٢ ط ٧ $\frac{\text{ل}}{\text{ح}}$

فان مدة الذبذبة الواحدة لهذا الرقاص يتناسب طردياً مع جذر طول الرقاص و عكسياً مع التعجيل الارضى و (ط) هى النسبة الثابتة و تساوى : ٣/١٤١٦ أو $\frac{٢٢}{٧}$ تقريباً .

وان حدوث الماء من إمتزاج حجمين من الايدروجين (HZ) مع حجم من الاوكسيجين (O) بعد إفراز تيار كهربائى نوع تسبيح لله تعالى ، وان التيار الكهربائى يسبح الله تعالى باتباعه قانوناً من الله تعالى (جورج سيمون اوم) الفيزيائى الآلمانى الشهير باكتشافه : ت = $\frac{\text{ف}}{\text{م}}$ أى شدة التيار تتناسب طردياً مع الجهد الكهربائى وعكسياً مع مقاومة السلك .

ومئات القوانين فى الفيزياء العالية كلها أدلة واضحة على تسبيح كل شيء فى أرضنا هذه لله تعالى .

وكم من قوانين فيزيائية فى كواكب اخرى ومجرات لاتعد لاتشبه ماعلى الارض من قوانين لاختلاف الشروط والاحوال لايعلمها إلاّ الله تعالى :

« ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » لقمان : ٢٧)

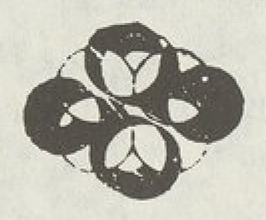
وما أعظم قول الله تعالى إذ قال : « إن كل من فى السموات و الارض إلاّ آتى الرحمن عبداً » مريم : ٩٣)

فحين يعمل جهاز الرادار الذى وضعه الله عزوجل بفضله فى جسم الوطواط دون حاجة من الحيوان إلى إنتباه أو إصلاح إنما يسبّح الله تعالى أيّما تسبيح ، و ان عمليات الهضم والامتصاص فى الجسم الانسانى ، و التفاعلات الكيموية التى تنطوى عليها ، و الخميرة التى تقوم بكل تفاعل و الخرائط التى تبين التفاعلات الدائرية العديدة ، ومايدور بين كل منها والآخر من تفاعلات اخرى و الجذور

حين تمتص المواد الكيمياوية من التراب ويوصلها إلى الاغصان ... فالاوراق و عملية التنفس و التغذى بالهواء المحيط كل اولئك إستسلام لأمر الله عزوجل دون زيغ أوحيد، وفي الوقت نفسه يوحى ان وراء كل ذالك النظام خالقاً أعلى نظم الكون أبدع تنظيم،ولم يكن الانسان في جميع هذه المعلومات إلا مستكشفاً عما أودع الله تعالى من قوانين وخصائص بلطف منه عزوجل .

فكل شيء في هذا الكون يسبّح لله تعالى بقسمي التسبيح ، ومن هذاالعام هو الرعد ، ولكنا لانفقه تسبيحه إذ قال عزوجل : «ويسبح الرعد بحمده»الرعد: ١٣) .

في تفسير العياشي : عن يونس بن عبدالرحمن ان داود قال : كنا عنده عليه السلام فارتعدت السماء فقال عليه السلام : هـو سبحان من يسبّح لـه الرعد بحمده و الملائكة من خيفته ، فقال له أبو بصير: جعلت فداك إن للرعد كلاماً ؟ فقال : يا أبامحمد سل عما يعنيك ودع مالايعنيك .



﴿ تسبيحات الحيوان والنبات والجماد ﴾

قال الله تعالى : «وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم» الاسراء : ٤٤)

ان التسبيح هو توجه كل شيء إلى الله عزوجل . و إستسلام و تقديس الله جل وعلا و تنزيهه عن كل نقص كل بمقالته التي تلائم به ، وهذا سار في كل شيء، ومنه الحيوان والنبات والجماد .

ويعرف الأهل من الانبياء والاولياء عليهم السلام تلك المقالة، وقد تظهر لغيره إذا اقتضى الظهور كتسبيح الحصى في كفّ نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فسمع مقالته من سمع ، والاّ فكل شيء في تسبيح ، ولكنا لانفقه تسبيحه .

في تفسير العياشي : عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام انه دخل عليه رجل ، فقال له : فداك أبي وامي اني أجد الله يقول في كتابه: «وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم» فقال له: هو كما قال، فقال له : أتسبّح الشجرة اليابسة ؟ فقال : نعم أما سمعت خشب البيت تنقصّ ؟ ذلك تسبيحه ، فسبحان الله على كل حال .

اقول : تنقص البيت : تشقق فسمع له صوت .

و في المحاسن : باسناده عن أبي بصير قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : «وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم» قال: نقض الجدر تسبيحها ؛ قلت : نقض الجدر تسبيحها ؟ قال : نعم .

وفي تفسير العياشي : عن زرارة قال : سئلت أباجعفر عليه السلام عن قول الله: «وان من شيء إلاّ يسبح بحمده» قال : انا نرى ان تنقض الحيطان تسبيحها .

وفي الكافي : باسناده عن داود الرقي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عزوجل : «وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم» قال : تنقّض الجدر تسبيحها .

وفي تفسيرابن كثير : عن أبي ذرالغفاري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل .

انك ترى الكواكب في الفضاء معلقة بلاعمد مرفوعة تراها، ولكنهاتسبّح في أفلاكها، وتجري إلى منازلها وتسبّح بمقالتها التي قدرت لها ولكنها لانفقه تسبيحها ، كذلك يسبح بحمده ويثني عليه جل وعلا كل شيء نستمدّ منه سروراً وإنتعاشاً وحبوراً كالسموات في زرقتها ، و الحقول في خضرتها و البساتين في نضرتها ، والأشجار في حفيفها والمياه في خريرها ، والطيور في تغريدها والشمس في شروقها وغروبها ، والسحب في أمطارها ...

وفي الكشاف: قال : لايبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لايكاد العقلاء يهتدون إليها . فالصلاة هنا: الدعاء . إن قلت : متى رآى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسبيح من في السموات والارض . وصلاة الطير وتسبيحه حتى قيل له : «ألم تر...» الخ ؟

والجواب : ان هذا كله بالنسبة إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام مشاهد بالعيان ومسموع بالآذان ، وبالنسبة إلينا تصديق بالايمان .

وفي تفسير الفخر : روى عن أبي ثابت قال: كنت جالساً عند محمد بن علي الباقر عليه السلام فقال لي : أتدري ماتقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها ؟ قال : لا . قال : فانهن يقدسن ربهن . ويسئلنه قوت يومهن .

ثم قال الفخر: واستبعد المتكلمون ذلك .فقالوا : الطير لو كانت عارفة بالله

تعالى لكانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا و اشارتنا لكنها ليست كذلك ، فانا نعلم بالضرورة انها أشد نقصاناً من الصبي الذي لايعرف هذه الامور فبان يمتنع ذلك فيها أولى ، وإذا ثبت انها لاتعرف الله تعالى إستحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت انها لاتسبّح إلاّ بلسان الحال من أن المراد من التسبيح دلالة هذه الاحوال على تنزيه الله تعالى لاالنطق اللساني .

ثم ذكر كلاماً من بعض العلماء :

انه قال : انا نشاهد ان الله تعالى ألهم الطيور وسائر الحشرات أعمالاً لطيفة يعجز عنها أكثر العقلاء وإذا كان كذلك فلم لايجوز أن يلهمها معرفته ودعائه وتسبيحه ، فمن تأمّل في كيفية إحتيال العنكبوت في الصيد ورمي الدبّ الانسان بالحجارة والعصا وصعوده إلى الشجر وكسر الجوز بين كفيه وتركه قشر الجوز و أكله لبّه و سرقة الفأرة ، وأفعال النحل و مالها من الرئاسة ، و بناء البيوت المسدسة التي لايتمكن من بنائها أفاضل المهندسين ، ومعرفة الخيل صوت الفرس الذي قابله وقتاماً ، ومعرفة الكلاب بنزول المطر ومعرفة البقر بوقوع الزلزلة ، و فتح التمساح فاه لطائر يقع على فمه ، فينظف مابين أسنانه و مقاتلة الحبارى بالافعى ، وصنعة الخطاف خاناً له في السقوف بالماء والطين ...

والمقصود ان الأكياس من العقلاء يعجزون عن أمثال هذه الحيل والافعال ، فاذا جاز ذلك فلم لايجوز أن يقال : ان التسبيح والصلاة والدعاء ملهمة من عند الله تعالى بمعرفته والثناء عليه . وان كانت غير عارفة بسائر الامور التي يعرفها الناس ، انك لاتنكر تلك الافعال والحيل . فكيف تنكر النطق والقول من الحيوان والطير كل بما يلائم به .

وقد قال الله عزوجل حكاية عن النمل : «قالت نملة يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده» النمل : ١٨)

وفي الكافي : باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - قال : أخبرني

أبي عن جدي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن قتل الستة منها الخطاف ،وقال : ان دورانه في السماء أسفاً لما فعل بأهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتسبيحه قراءة «الحمد لله رب العالمين» ألا ترونه يقول: «ولا الضالين» .

وفي تفسير ابن كثير : عن أنس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : انه دخل على قوم وهو وقوف على دواب لهم ، ورواحل فقال لهم: «اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي لاحاديثكم في الطرق والاسواق فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكر الله منه» .

وفي تفسير روح البيان : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن ابعث اني لا عرفه الآن .

و في الدر المنثور : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : آجال البهائم كلها وخشاش الارض والنمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها ، وغير ذلك آجالها في التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها، وليس إلى ملك الموت منها شيء .

قيل : في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «وليس إلى ملك الموت منها شيء» انه لا يتصدى بنفسه قبض أرواحها ، وإنما يباشرها بعض الملائكة الاعوان و الملائكة أسباب متوسطة على أي حال . و من المحتمل انه ليس للحيوان ملك الموت ولا الاعوان أصلاً .

و في تفسير روح البيان : في قوله تعالى : «خلق الله السموات و الارض بالحق» العنكبوت : ٤٤) ان داود (عليه السلام) دخل في محرابه فرأى دودة صغيرة فتفكر في خلقها ، وقال : مايعبأ الله بخلق هذه ؟ فانطقها الله تعالى، فقالت: ياداود أتعجبك نفسك وأنا على ما أنا ، والله أذكر الله واشكره اكثر منك على ما آتاك .

و في تفسير القمي : باسناده عن إسحق بن عمار عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: مامن طير يصاد في بر ولا بحر ولا يصاد شيء من الوحوش إلا بتضييعه التسبيح

وفى الكافى : باسناده عن سالم مولى أبان قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : مامن طير يصاد إلاّ بتركه التسبيح ، ومامن يصاب إلاّ بترك الزكاة .

وورد كثيراً : ان تسبيح الديك: « سبّوح قدّوس ربنا و رب الملائكة و الروح» ولكنا لانفقهه . وأعظم مافيه من العجائب معرفة الاوقات الليلية، فيقسط أصواته عليها تقسيطاً لايكاد يغادر منه شيئاً، سواء طال أم قصر، ويوالى صياحه قبل الفجر وبعده فسبحان من هداه لذلك .

و فى رواية : ان الديك يقول : سبحانك ماأعظم شأنك .

وفى الكافى : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى جعفر عليه السلام قال : ان لله عزوجل ديكاً رجلاه فى الارض السابعة وعنقه مثبتة تحت العرش ، وجناحاه فى الهوى إذا كان فى نصف الليل أو الثلث الثاني من آخر الليل ضرب بجناحيه وصاح: «سبّوح قدوس ربنا الله الملك الحق المبين فلا إله غيره رب الملائكة و الروح» فتضرب الديكة بأجنحتها وتصيح .

و حقا : ان البشر لم يعرف بعد مع تقدمه العلمى ورقاه الفكرى ما يعرف ديك داره الذى فى مرأى عينيه من أوقات الليل والنهار فى الفصول المختلفة فكيف يعرف هذا الديك ؟

و حقاً : ان الانسان ماعرف واحداً من الملايين من أسرار وجوده فكيف غيره ؟ فمن الحمق والجهل إنكارها ؟

﴿ صلاة الطير وتسبيحها ﴾

قال الله عزوجل : « والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه » النور:٤١)
وقال: «وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » الاسراء:٤٤)
ان كثيراً من الآيات القرآنية تصرح بان الطير في جو السماء والارض تسبّح لله جل وعلا وتقدّسه ، ولكنا لا نفهم هذا النوع من التسبيح .

وقد وردت روايات كثيرة نشير إلى ما يسعه المقام :

في البحار : الخرائج : روى أن الحسين عليه السلام سئل في حال صغره عن أصوات الحيوانات لان من شرط الامام أن يكون عالماً بجميع اللغات حتى أصوات الحيوانات ، فقال : على ما روى محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي عن الحسين عليه السلام أنه قال :

إذا صاح النسر فانه يقول : « يا بن آدم عش ما شئت فآخره الموت »

وإذا صاح البازي يقول : « ياعالم الخفيّات وياكاشف البليات »

وإذا صاح الطاووس يقول : «مولاي ظلمت نفسي واغتررت بزينتي فاغفرلي »

وإذا صاح الدرّاج يقول : « الرحمن على العرش استوى »

وإذا صاح الديك يقول : « من عرف الله لم ينس ذكره »

وإذا قرقرت الدجاجة تقول : « يا إله الحق أنت الحق وقولك الحق يا الله يا حق »

وإذا صاح الباشق يقول : « آمنت بالله واليوم الآخر »

وإذا صاح الحداء تقول: «توكّل على الله ترزق»
وإذا صاح العقاب: «من أطاع الله لم يشق»
وإذا صاح الشاهين يقول: «سبحان الله حقاً حقاً»
وإذا صاحت البومة تقول: «البعد من الناس انس»
وإذا صاح الغراب يقول: «يارازق ابعث الرزق الحلال»
وإذا صاح الكركيّ يقول: «اللهم احفظني من عدوّي»
وإذا صاح اللقلق يقول: «من تخلى عن الناس نجا من أذاهم»
وإذا صاح البطة تقول: «غفرانك يا ألله»
وإذا صاح الهدهد يقول: «ما أشقى من عصى الله»
وإذا صاح القمري يقول: «يا عالم السرّ و النجوى يا ألله»
وإذا صاح الدبسي يقول: «أنت الله لاإله سواك يا ألله»
وإذا صاح العقعق يقول: «سبحان من لايخفى عليه خافية»
وإذا صاح الببغاء يقول: «من ذكر ربه غفر ذنبه»
وإذا صاح العصفور يقول: «استغفر الله مما يسخط الله»
وإذا صاح البلبل يقول: «لاإله إلاّ الله حقاً حقاً»
وإذا صاح القبجة تقول: «قرب الحق قرب»
وإذا صاحت السمانات تقول: «يا بن آدم ما أغفلك عن الموت»
وإذا صاح السوذنيق يقول: «لاإله إلاّ الله محمد وآله خيرة الله»
وإذا صاحت الفاختة تقول: «يا واحد ياأحد يافرد ياصمد»
وإذا صاح الشقراق يقول: «مولاي أعتقني من النار»
وإذا صاحت القنبرة تقول: «مولاي تب على كل مذنب من المذنبين»
وإذا صاح الورشان يقول: «إن لم تغفر ذنبي شقيت»
وإذا صاح الشفنين يقول: «لاقوة إلاّ بالله العلي العظيم»

وإذا صاحت النعامة تقول : « لامعبود سوى الله »

وإذا صاحت الخطافة فانها تقرأ سورة الحمد وتقول : « يا قابل توبة التوابين يا الله لك الحمد »

وإذا صاحت الزرّافة تقول : « لاإله إلاّ الله وحده »

وإذا صاح الحمل يقول : « كفى بالموت واعظاً »

وإذا صاح الجدى يقول : « عاجلنى الموت ثقل ذنبى وازداد »

وإذا صاح الأسد يقول : « أمر الله مهمّ مهمّ »

وإذا صاح الثور يقول : « مهلاً مهلاً يا بن آدم أنت بين يدى من يرى ولا يرى وهو الله »

وإذا صاح الفيل يقول : « لايغنى عن الموت قوة ولاحيلة »

وإذا صاح الفهد يقول : « ياعزيز يا جبار يا متكبّر يا ألله »

وإذا صاح الجمل يقول : « سبحان مذلّ الجبارين سبحانه »

وإذا صهل الفرس يقول : « سبحان ربنا سبحانه »

وإذا صاح الذئب يقول : « ما حفظ الله لن يضيع أبداً »

وإذا صاح إبن آوى يقول : « الويل الويل الويل للمذنب المصر »

وإذا صاح الكلب يقول : « كفى بالمعاصى ذلاً »

وإذا صاح الارنب يقول : « لاتهلكنى يا الله لك الحمد »

وإذا صاح الثعلب يقول : « الدنيا دار غرور »

وإذا صاح الغزال يقول : « نجّنى من الأذى »

وإذا صاح الكركدن يقول : « أغثنى وإلاّ هلكت يا مولاى »

وإذا صاح الايل يقول : « حسبى الله ونعم الوكيل حسبى الله »

وإذا صاح النمر يقول : « سبحان من تعزّز بالقدرة سبحانه »

وإذا سبّحت الحيّة : « ماأشقى من عصاك يارحمن »

وإذا سبّحت العقرب تقول : « الشرّ شيء وحش »

ثم قال عليه السلام : ما خلق الله من شيء إلاّ وله تسبيح يحمدبه ربه ، ثم تلاهذه الاية : « و إن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم »

قوله عليه السلام: « القبجة » : الحجل وهي إسم جنس يقع على الذكر والانثى ، و« السوذنيق » :الصقر ، « الشفنين » بكسر الشين :نوع حمام صوته في الترنم كصوت الرباب وفيه تحزين ، و« الباشق » معرّب باشه ، و « الدبسي » : نوع حمام طائر صغير منسوب إلى دبس الرطب .

و في الاختصاص : عن إبن عباس قال : شهدنامجلس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه فاذا نحن بعدّة من العجم فسلّموا عليه فقالوا : جئناك لنسئلك عن ستّ خصال ، فان أنت أخبرتنا آمنّا وصدّقنا ، وإلاّ كذّبنا وجحدنا، فقال علي عليه السلام : سلوا متفقهين ولاتسئلوا متعنتين قالوا :أخبرنا ما يقول الفرس : في صهيله ، والحمار في نهيقه ، والدرّاج في صياحه ،والقنبرة في صفيرها ، والديك في نعيقه ،والضفدع في نقيقه؟

فقال علي عليه السلام : إذا إلتقى الجمعان ومشى الرجال بالسيوف يرفع الفرس رأسه فيقول: «سبحان الملك القدوس»ويقول الحمار في نهيقه: «اللهم العن العشّارين » ويقول الديك في نعيقه بالأسحار: « اذكروا الله ياغافلين» ويقول الضفدع في نقيقه : «سبحان المعبود في لجج البحار » ويقول الدرّاج في صياحه: « الرحمن عن العرش استوى » وتقول القنبرة في صفيرها : « اللهم العن مبغض آل محمد » قال :فقالوا : آمنا وصدّقنا وما على وجه الارض من هو أعلم منك ، فقال عليه السلام :

ألا افيد كم ؟ قالوا : بلى يا أمير المؤمنين ، فقال : إن للفرس في كل يوم ثلاث دعوات مستجابات ، يقول في أوّل نهاره : « اللهم وسّع على سيّدي الرزق» ويقول في وسط النهار : « اللهم اجعلني أحب إلى سيّدي من أهله وماله »ويقول في آخر نهاره : « اللهم ارزق سيّدي على ظهري الشهادة »

وفي الكافي: باسناده عن أبي بكر الحضر مي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من اتخذ في بيته طيراً فليتخذ ورشاناً ، فانه أكثر شيء لذكر الله عزوجل وأكثر تسبيحاً وهو طير يحبنا أهل البيت .

وفيه : باسناده عن سليمان بن جعفر الجعفري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : لاتأكلوا القنبرة ولاتسبّوها ولا تعطوها الصبيان تلعبون بها ، فانها كثيرة التسبيح لله ، وتسبيحها : لعن الله مبغضي آل محمد .

نعم : ان الطير تتكلم و تسبّح يفقه لغاتها و تسبيحاتها الانبياء و الاوصياء المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين ومنهم سليمان بن داود عليه السلام قال الله جل وعلا : « وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير ـ وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ـ فمكث غير بعيد فقال أحطت بمالم تحط به وجئتك من سباء بنباء يقين اني وجدت امرأة تملكهم و اوتيت من كل شي ولها عرش عظيم و جدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله » النمل : ١٦ ـ ٢٤)

فللطير صلاة وتسبيح : « كل قد علم صلاته وتسبيحه » فكيف بهذا الانسان إن لم يصلّ ولم يسبّح الله عزوجل ، انه تعالى يقول : « ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين » المدثر : ٤٢ـ٤٣) فأهل النار أول ما يعترفون به انهم لم يكونوا من المصلين ولم يكونوا من المسبحين لم يشاركوا حتى الجماد في تسبيحه على حدّ قوله تعالى : «وإن من شي إلاّ يسبح بحمده » .

فطوبى لمن أفلح يتزكى نفسه وبتسبيحه وصلاته . . .

وفي دعاء الجوشن الكبير: ـرقم ٦ـ : «يامن تواضع كل شيء لعظمته ، يامن استسلم كل شيء لقدرته ، يامن ذلّ كل شيء لعزّته ، يامن خضع كل شيء لهيبته ، يامن انقاد كل شيء من خشيته ، يامن تشقّقت الجبال من مخافته ، يامن قامت السموات بأمره ، يامن استقرّت الارضون باذنه ، يامن يسبّح الرعد

بحمده ، يامن لايعتدى على أهل مملكته»

وفيه : ـ رقم٣٧ـ : « يامن كل شيء خاضع له، يامن كل شيء خاشع له، يامن كل شيء كائن له ، يامن كل شيء موجود به ، يامن كل شيء منيب إليه ، يامن كل شيء خائف منه ، يامن كل شيء قائم به ، يامن كل شيء صائر إليه ، يامن كل شيء يسبح بحمده يامن كل شيء هالك إلاّ وجهه»

ومن أعمال يوم العرفة : «سبحان الله قبل كل أحد، وسبحان الله بعد كل أحد، وسبحان الله مع كل أحد، وسبحان الله يبقى ربنا ويفنى كل أحد، وسبحان الله تسبيحاً يفضل تسبيح المسبحين فضلاً كثيراً قبل كل أحد، وسبحان الله تسبيحاً يفضل تسبيح المسبحين فضلا كثيراً بعد كل أحد، وسبحان الله تسبيحاً يفضل تسبيح المسبحين فضلاً كثيراً مع كل أحد، وسبحان الله تسبيحاً يفضل تسبيح المسبحين فضلاً كثيراً لربنا الباقي ويفنى كل أحد، وسبحان الله تسبيحاً لايحصى ولايدرى ولاينسى ولايبلى ولايفنى وليس له منتهى ، وسبحان الله تسبيحاً يدوم بدوامه و يبقى ببقائه فى سنى العالمين وشهور الدهور وأيام الدنيا وساعات الليل والنهار، وسبحان الله أبد الأبد ومع الأبد مما لايحصيه العدد ولا يفنيه الأمد ، ولايقطعه الابد، وتبارك الله أحسن الخالقين ».

ومن دعاء سيد الشهداء سبط المصطفى الامام الحسين بن علي صلوات الله عليهم ـ يوم العرفة ـ : «تسبّح لك السموات السبع والارضون و من فيهنّ ، و إن من شيء إلاّ يسبح بحمدك ...» الدعاء

﴿القرآن الكريم و الفلاح﴾

قال الله عزوجل : «قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى» الاعلى: ١٤- ١٥) يرى اللغويون والمفسرون لغات الفلاح والنجاح و النجا مترادفات ... وهم يقولون : أصل الفلح : الشق ، والفلاح : الفوز والنجاة و الظفر والبقاء فى النعيم والخير، ويقال لأهل الجنة : المفلحون لفوزهم ببقاء الأبد .

وأصل النجاح : الظفر بالشيء يقال : فلان أفلح وأنجح إذا أصاب طلبته و أدرك بغيته بالسعي والعمل . قال الامام على عليه السلام « ما أقرب النجاح ممن عجّل السراح» أى السير إلى صالح الاعمال .. . و قال على عليه السلام : « من توخّى الصواب أنجح» .

وأصل النجا : السرعة ، نجاينجو: إذا أسرع ونجا من الامر إذا خلص منه، وأصل النجوة : الارض المرتفعة التى لاتبلغها السيل، فمن لاذبها يسلم من السيل ثم استعمل فى السلامة من كل أذى . قال الامام على عليه السلام : «من صدق نجا» .

وقد فسّر المفسرون تلك اللغات بالظفر والفوز و النجاة باعتبار النتيجة حيث ان الفلاح بشق الارض و السعى فيها بالزرع يدرك بغيته ، ثم استعمل فى كل من أصاب بخير فهو مفلح ، و الناجح هو الذى ينال بما يغتبط بـه و فيه صلاح الحال .

وقال بعض اللغويين : ان الفرق بين الصلاح والفلاح : ان الصلاح مايتمكن به من الخير أو يتخلص به من الشر، والفلاح : نيل الخير و النفع الباقى أثره ، و

سمى الشىء الباقى الأثر فلحاً ويقال للأكار فلاح لانه يشق الارض شقاً باقياً فى الارض، والافلح المشقوق الشفة السفلى، يقال: هذه علة صلاحه، ولايقال:فلاحه بل يقال: هى سبب فلاحه، ويقال: موته صلاحه لانه يتخلص به من الضرر العاجل، ولايقال: هو فلاحه لانه ليس بنفع يناله، ويقال أيضاً لكل من عقل وحزم وتكاملت فيه خلال الخير: قد أفلح، و يقال: صلح إلاّ إذا تغيّر إلى إستقامة الحال، و الفلاح لايفيد التغيير، ويجوز أن يقال: الصلاح وضع الشىء على صفة ينتفع به سواء إنتفع أم لا، ولهذا يقال: أصلحنا أمر فلان، فلم ينتفع بذلك فهو كالنفع فى أنه يجوز أن لاينتفع به، ويقال: فلان يصلح للقضاء ويصلح أمره، ولايستعمل الفلاح فى ذلك. إنتهى كلامه. و قال بعض الحكماء: «ان الفلاح هو الاعتدال فى النفقات»

اقول: ان الفلاح هو: الادراك والنيل بالكمال والخير من حيث هو كذلك سواء كان دنيوياً أم اخروياً من طريق الايمان وصالح الاعمال، ويعبّر عن الفلاح فى اللغة الفارسية بـ «رستگارى» وهذا معنى النيل بسعادة الدارين بالايمان و صالح الاعمال...

ومن البديهى ان الفلاح صفة فاضلة نفسانية تحصل بامور عديدة، وقد علق الله عزوجل حصول هذه الصفة بمواضع فى القرآن الكريم على تزكية النفس و الايمان والتوبة والتقوى وذكر الله جل وعلا وذكر ماأنعمه عليه والجهاد فى سبيل الله تعالى، وفعل الخير وصالح الاعمال والتعاون على البر و الاحسان، و إقامة الصلاة و الانفاق فى إعلاء كلمة الحق و إدحاض كلمة الباطل، و الاجتناب عن المعاصى والمآثم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر...

قال الله عزوجل: «ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها» الشمس: ٧-٩)

وقال: «قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على

أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» المؤمنون:١-١١)

وقال : «وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون» النور : ٣١)

و قال : « ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون» آل عمران : ٢٠٠)

وقال : «وإذ كروا الله كثيراً لعلكم تفلحون» الانفال : ٤٥)

وقال : «فاذ كروا آلاء الله لعلكم تفلحون» الاعراف : ٦٩)

وقال : «ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة و جاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون» المائدة : ٣٥)

وقال: «ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون» الحج : ٧٧)

وقال : «فأما من تاب وآمن و عمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين» القصص : ٦٧)

و قال : « فآت ذا القربى حقه و المسكين و ابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون» الروم: ٣٨)

و قال : «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون و الذين يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون» البقرة : ٢- ٥)

وقال : «ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» المائدة : ٩٠)

و قال : « فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون - فالذين آمنوا به و

عزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون» الاعراف: ١٥٧ ـ ٨).

وقال: «انما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون» النور: ٥١)

وقال: «فاتقوا الله مااستطعتم واسمعوا واطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون» التغابن: ١٦)

وقال: «ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون» آل عمران: ١٠٤)

وغيرها من الآيات الكريمة فى أسباب موجبة للفلاح...

وقدنفى كثير من الايات القرآنية صفة الفلاح عمن تلبس بالكفر والطغيان، بالظلم والاجرام، بالكذب والافتراء، وبالسحر والعصيان...

قال الله عزوجل: «انه لايفلح الكافرون» المؤمنون: ١١٧)

وقال: «انه لايفلح الظالمون» الانعام: ٢١)

وقال: «انه لايفلح المجرمون ـ قل إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ـ ولايفلح الساحرون» يونس: ١٧ـ ٦٩و٧٧)

﴿ غرر حكم ودرر كلم في الفلاح ﴾

كلمات قصار حول الفلاح عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المومنين علي بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى ما يسعه المقام :

١ـ قال الامام علي عليه السلام : « المفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح » أي من قام بجناح الدين الاسلامي فيدعو الناس إليه ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، أو إنقاد لاوامر الله تعالى فائتمر بأوامره وإنتهى عن نواهيه ...

٢ـ وقال عليه السلام : « أطع العلم واعص الجهل تفلح » والمعنى : إن تطع العلم بالعمل به ، وتعص الجهل بالاجتناب عن المعاصي والمآثم فحنيئذ تحصل لك صفة نفسانية وهي الفلاح وهو الكمال الانساني والنيل بسعادة الدارين .

٣ـ وقال عليه السلام : « أيقن تفلح » أي إن تيقن باليوم الاخر والحساب والجزاء فيه تفلح . قال الله عزوجل: « وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » لقمان : ٤ـ٥)

٤ـ وقال عليه السلام : « إذا أعرضت عن دار الفناء وتولّهت بدار البقاء فقد فاز قد حك وفتحت لك أبواب النجاح وظفرت بالفلاح »

٥ـ وقال عليه السلام : « توقّ معاصي الله تفلح »

٦ـ وقال عليه السلام : « في العمل لدار البقاء إدراك الفلاح »

٧ـ وقال عليه السلام : « قد أفلح التقيّ الصموت »

٨ـ وقال عليه السلام : « من نصر الحق أفلح »

٩- وقال عليه السلام: «من أيقن أفلح»

١٠ - وقال عليه السلام: «من عمل بالحق أفلح»

١١ - وقال عليه السلام: «من غلب عقله هواه أفلح»

١٢- وقال عليه السلام: «مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا فلاح، ونسّاكاً بلا اصلاح وتجّاراً بلا أرباح»

١٣- وقال عليه السلام: «لايفلح من يسرّه ما يضرّه»

١٤- وقال عليه السلام: «لايفلح من يتبهّج بالرذائل»

١٥- وقال عليه السلام: «لايفلح من وله باللعب واستهتر باللهو والطرب» وقد وصف الامام على عليه السلام المفلح بصفة التدين بالدين الاسلامى والتسليم لأمر الله عزوجل واليقين فى اعتقادياته والعمل بماعلم والتوله بدار الاخرة والاجتناب عن معاصى الله تعالى ومحارمه، والتقوى ونصرة الحق والعمل به و إتباع العقل . . .

وفى أعمال الليلة الواحدة والعشرين من ليالى شهر رمضان المبارك ندعو:

«اللهم صلّ على محمد وآل محمد واقسم لى حلماً يسدّ عنى باب الجهل، وهدى تمنّ به علىّ من كل ضلالة، وغنى تسدّ به عنى باب كل فقر، و قوة تردّ بها عنى كل ضعف، وعزاً تكرمنى به عن كل ذل، ورفعة ترفعنى بها عن كل ضعة، و أمناً تردّ به عنى كل خوف، و عافية تسترني بها عن كل بلاء و علماً تفتح لى به كل يقين، ويقيناً تذهب به عنى كل شكّ، ودعاء تبسط لى به الاجابة فى هذه الليلة، و فى هذه الساعة الساعة الساعة يا كريم، وخوفاً تنشر لى به كل رحمة وعصمة تحول بها بينى وبين الذنوب حتى افلح بها عند المعصومين عندك برحمتك يا أرحم الراحمين»

وفى أعمال الليلة السابعة والعشرين من ليالى الرجب المرجب ندعو -:

«اللهم اقلبنا مفلحين منجحين غير مغضوب علينا ولا ضالين برحمتك يا أرحم الراحمين»

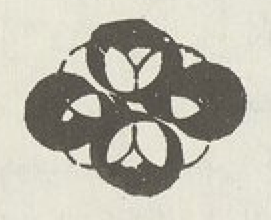
وفى أعمال ليلة العرفة - : « وأقلبنى إلى أهلى بالفلاح والنجاح محبوراً فى العاجل والآجل انك على كل شيء قدير ... » الدعاء .

وفى دعاء الامام سيد الشهداء سبط المصطفى الحسين بن على عليه السلام يوم العرفة - : « اللهم أقلبنا فى هذا الوقت منجحين مفلحين مبرورين غانمين » الدعاء .

وفى زيارة مولاى : عباس بن على عليه السلام - : « واجعلنى ممن ينقلب من زيارة مشاهد أحبائك مفلحا منجحاً قد استوجب غفران الذنوب وستر العيوب وكشف الكروب انك أهل المغفرة »

وفى دعاء الفجر الصادق - « واجعل أول يومنا هذا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً »

وفى التعقيبات المشتركة - : « وأن تجعل دعائى أوله فلاحاً وأوسطه نجاحاً وآخره صلاحاً انك أنت علام العيوب »



الصحف النازلة على الأنبياء عليهم السلام

وبعض ما فيها

قال الله عزوجل: «ان هذا لفي الصحف الاولى صحف إبراهيم و موسى» الاعلى: ١٨-١٩)

ان الصحف هي الكتب السماوية النازلة - قبل هذا القرآن الكريم-على أنبياء الله تعالى و المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، و هي مأة و أربعة كتب على ماورد في الروايات عن الطريقين:

منها ما في الخصال: باسناده عن أبي ذر قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو في المسجد جالساً وحده فاغتنمت خلوته - إلى أن قال: - قلت: يارسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: مأة كتاب و أربعة كتب أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان.

قلت: يارسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلها، وكان فيها: «أيها الملك المبتلى المغرور انى لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم، فاني لاأردها، وإن كانت من كافر و على العاقل مالم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات:

ساعة يناجي فيها ربه عزوجل، و ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر

فيما صنع الله عزوجل إليه ، وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال ، فان هذه الساعة عون لتلك الساعات ، و استجمام للقلوب وتوزيع لها ، و على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه ، فان من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه ، و على العاقل أن يكون طالباً لثلاث مرمّة لمعاش أو تزوّد لمعاد أو تلذذ في غير محرّم .

قلت : يارسول الله فما كانت صحف موسى ؟ قال : كانت عبراً كلها و فيها: «عجبت (عجب خ) لمن أيقن بالموت كيف يفرح ؟ ولمن أيقن بالنار لم يضحك ؟ ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها لم يطمئن إليها ؟ ولمن يؤمن بالقدر كيف ينصب؟ ولمن أيقن بالحساب لم لايعمل ؟

قلت : يارسول الله هل في أيدينا مما أنزل الله عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى ؟ قال : ياأباذر إقرأ : «قدأفلح من تزكى و ذكر اسم ربه فصلّى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف إبراهيم وموسى»

قوله ﷺ : «استجمام للقلوب» : تفريح لها ، و«توزيع لها» أي تفريغ لها، و «ينصب» أي يتعب نفسه بالجد والجهد .

و في المجمع : وروى عن أبي ذر انه قال: قلت : يارسول الله كم الانبياء؟ فقال : مأة الف نبي وأربعة وعشرون ألفاً ، قلت : يارسول الله كم المرسلون منهم؟ قال : ثلاث مأة وثلاثة عشر وبقيتهم أنبياء قلت: كان آدم عليه السلام نبياً ﷺ ؟ قال : نعم كلّمه الله وخلقه بيده .

يا أباذر أربعة من الأنبياء عرب: هود وصالح وشعيب ونبيك قلت: يارسول الله كم أنزل الله من كتاب ؟ قال : مأة واربعة كتب أنزل الله منها على آدم عليه السلام عشر صحف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وعلى اخنوع وهو إدريس ثلاثين صحيفة وهو أول من خطّ بالقلم، وعلى إبراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور

و الفرقان .

و فى نور الثقلين : قال أبوذر : قلت : يارسول الله فما كانت صحف إبراهيم عليه السلام ؟ قال : كانت أمثالاً كلها : أيها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم ابعثك لتجمع المال بعضه على بعض، وإنما بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم، فانى لا أردها ، وإن كانت من كافر أو فاجر فجوره على نفسه، و كان فيها أمثال، وعلى العاقل مالم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات :

ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يفكر فيها فى صنع الله، وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال ومن المطعم والمشرب ، و على العاقل أن يكون طاعناً فى ثلاث : تزود لمعاد ، أومرمة لمعاش ، أولذة فى غير محرم ، و على العاقل أن يكون بصيراً فى زمانه مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه ، قلت: يارسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال : كانت عبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالنار ثم ضحك ؟ عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ؟ عجبت لمن أبصر الدنيا و تقلبها بأهلها حالاً بعد حال وهو يطمئن إليها ؟ عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لم يعمل؟

قلت : يارسول الله فهل فى أيدينا شيء مما كان فى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام فيما أنزل الله عليك ؟ قال : اقرأ ياباذر: «قدأفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير و أبقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف إبراهيم وموسى»

اقول : رواه الزمخشرى فى(الكشاف) والنيسابورى فى (غرائب القرآن) والسيوطى فى (الدر المنثور) والخازن فى (لباب التأويل) والسيد الطباطبائى رضوان الله تعالى عليه فى (الميزان) وغيرهم باختلاف يسير .

ان تسئل : ان قوله عزوجل : « كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا

فيه» البقرة : ٢١٣) يثبت نزول كتاب على كل واحد من الانبياء عليهم السلام ، فما وجه حصر الكتب السماوية النازلة عليهم فى مأة وأربعة كتب ؟

نجيب عنه : ان المراد بالكتاب هو الجنس فمعنى الاية الكريمة انه كان مع كل واحد منهم كتاب بالحق يتبعه و يدعو الناس إليه ، سواء نزل عليه أم نزل على من قبله من الانبياء وكان هو تابعاً له ، فليس معناها انه نزل على كل واحد منهم كتاب مستقل .



الصحف عند أئمة أهل البيت عليهم السلام

في الكافي :باسناده عن ضريس الكناسي قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وعنده ابو بصير فقال ابو عبدالله عليه السلام : ان داود عليه السلام ورث علم الانبياء وان سليمان عليه السلام ورث داود عليه السلام وان محمداً صلى الله عليه وآله ورث سليمان عليه السلام واناورثنا محمداً صلى الله عليه وآله وان عندنا صحف ابراهيم والواح موسى فقال ابو بصير: ان هذا لهو العلم فقال :يابامحمد ليس هذا هو العلم انما العلم مايحدث بالليل و النهار يوماً بيوم وساعة بساعة .

و فيه :باسناده عن المفضل بن عمر قال : قال ابوعبدالله عليه السلام : ان سليمان ورث داود وان محمداً ورث سليمان وانا ورثنا محمداً وان عندنا علم التوراة و الانجيل والزبور وتبيان مافي الالواح قال : قلت : ان هذا لهو العلم؟ قال: ليس هذا هو العلم ان العلم الذي يحدث يوماً وساعة بعد ساعة .

و في بصائر الدرجات :باسناده عن فيض بن المختار عن ابي عبدالله عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله افضت اليه صحف ابراهيم وموسى فأتمن عليها رسول الله صلى الله عليه وآله علياً فأتمن عليها علي الحسن و إئتمن عليها الحسن الحسين حتى انتهى إلينا .

و فيه : باسناده عن القداح عن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام :لو وضعت لي وسادة ثم إتكيت عليها لقضيت بين أهل التوراة بالتوراة حتى تزهر إلى ربها ، ولو وضعت لي وسادة ثم اتكيت عليها لقضيت بين أهل الانجيل بالانجيل

حتى يزهر إلى ربه، و لو وضعت لى وسادة ثم إتكيت عليها لقضيت بين أهل الزبور بالزبور حتى يزهر إلى ربه، ولو وضعت لى وسادة ثم إتكيت عليها لقضيت بين أهل القرآن بالقرآن حتى يزهر إلى ربه.

وفيه: باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال لى: يا بامحمد ان الله لم يعط الانبياء شيئاً إلا وقد أعطاه محمداً، وقد أعطى محمداً جميع ما اعطى الانبياء وعندنا الصحف التى قال الله: «صحف إبراهيم وموسى» قلت: جعلت فداك وهى الألواح؟ قال: نعم.

وفيه باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام انه سئله عن قول الله تعالى: «ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر» ماالذكر وما الزبور؟ قال: الذكر عندالله، والزبور الذى نزل على داود وكل كتاب نزل فهو عند العالم.

اقول: أراد الامام عليه السلام بـ «العالم» الامام المعصوم عليه السلام وهو منه.

وفيه باسناده عن إبن مسكان عن ليث المرادى أنه حدثه عن سدير بحديث فأتيته فقلت: ان ليث المرادى حدثنى عنك بحديث فقال: وماهو؟ قلت: جعلت فداك حديث اليمانى قال:

كنت عند أبى جعفر عليه السلام فمر بنا رجل من أهل اليمن فسئله أبوجعفر عليه السلام عن اليمن فاقبل يحدث فقال له أبوجعفر عليه السلام: هل تعرف دار كذا و كذا؟ قال: نعم و رأيتها قال: فقال له أبوجعفر عليه السلام: هل تعرف صخرة عندها فى موضع كذا؟ قال: نعم ورأيتها، قال الرجل: مارأيت رجلاً أعرف بالبلاد منك، فلما قام الرجل قال لى أبوجعفر عليه السلام: يا باالفضل تلك الصخرة التى غضب موسى عليه السلام فالقى الالواح فما ذهب من التوراة إلتقمته الصخرة، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أدته إليه وهى عندنا:

وفيه باسناده عن أبى خالد القماط عن أبى عبدالله عليه السلام: سمعته يقول: لنا ولادة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طهر وعندنا صحف إبراهيم و موسى و رثناها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفيه : باسناده عن أبي بصير قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : عندنا الصحف الاولى : صحف إبراهيم وموسى فقال له ضريس : أليست هي الألواح؟ فقال: نعم.

وفي الكافي : عن هشام بن الحكم في حديث بريه : انه لما جاء معه إلى أبي عبدالله عليه السلام فلقى أباالحسن موسى بن جعفر عليه السلام فحكى له هشام الحكاية، فلما فرغ قال أبوالحسن عليه السلام لبريه : يابريه كيف علمك بكتابك؟ قال : أنا به عالم، قال : كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ماأوثقني بعلمي فيه، قال : فابتدأ أبوالحسن عليه السلام يقرأ الانجيل فقال بريه : إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة او مثلك، قال: فآمن بريه وحسن ايمانه وآمنت المرأة التي كانت معه.

فدخل هشام و بريه والمرأة على أبي عبدالله عليه السلام فحكى له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى عليه السلام وبين بريه ، فقال أبوعبدالله عليه السلام :«ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم» فقال بريه : أنّى لكم التوراة والانجيل و كتب الأنبياء؟ قال : هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤها ونقولها كما قالوا إن الله لايجعل حجة في أرضه يسئل عن شيء فيقول : لاأدري.

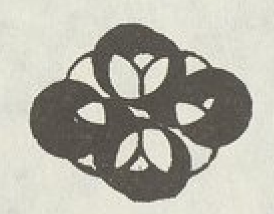
أقول : «في بعض النسخ «بريهه» مكان «بريه» في جميع المواضع.

تمت سورة الاعلى والحمدلله الآخرة والاولى
وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرة والنجباء

فهرس ماجاء فى تفسير سورة البروج

يدور البحث حولها على فصلين:

الفصل الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



البصيرة الثالثة : وفيها تسعة امور :

البصيرة الرابعة : وفيها عشرة أمراً :

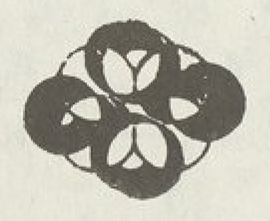
البصيرة الخامسة : وفيها امور ثلاثة :

البصيرة السادسة : وفيها ثلاثة امور :

فهرس ماجاء فى تفسير سورة الطارق

يدور البحث حولها على فصلين:

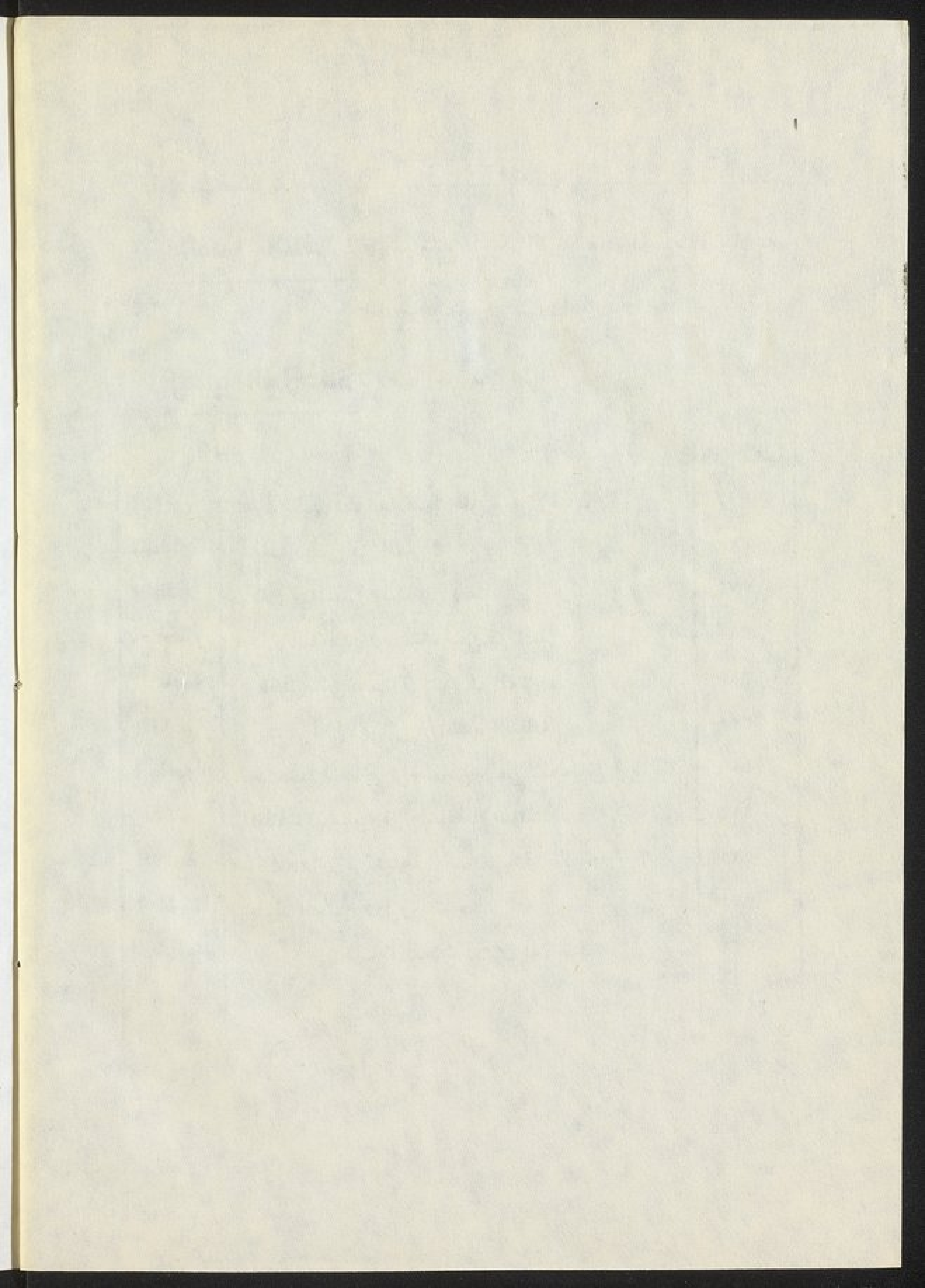
الفصل الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة الطارق وفيها

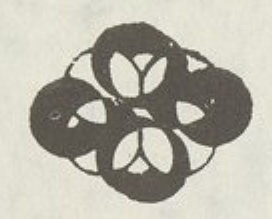
البصير الواحدة : وفيها أحد عشر أمراً :



فهرس ماجاء في تفسير سورة الأعلى

يدور البحث حولها على فصلين :

الفصل الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها تسع عشرة بصيرة :



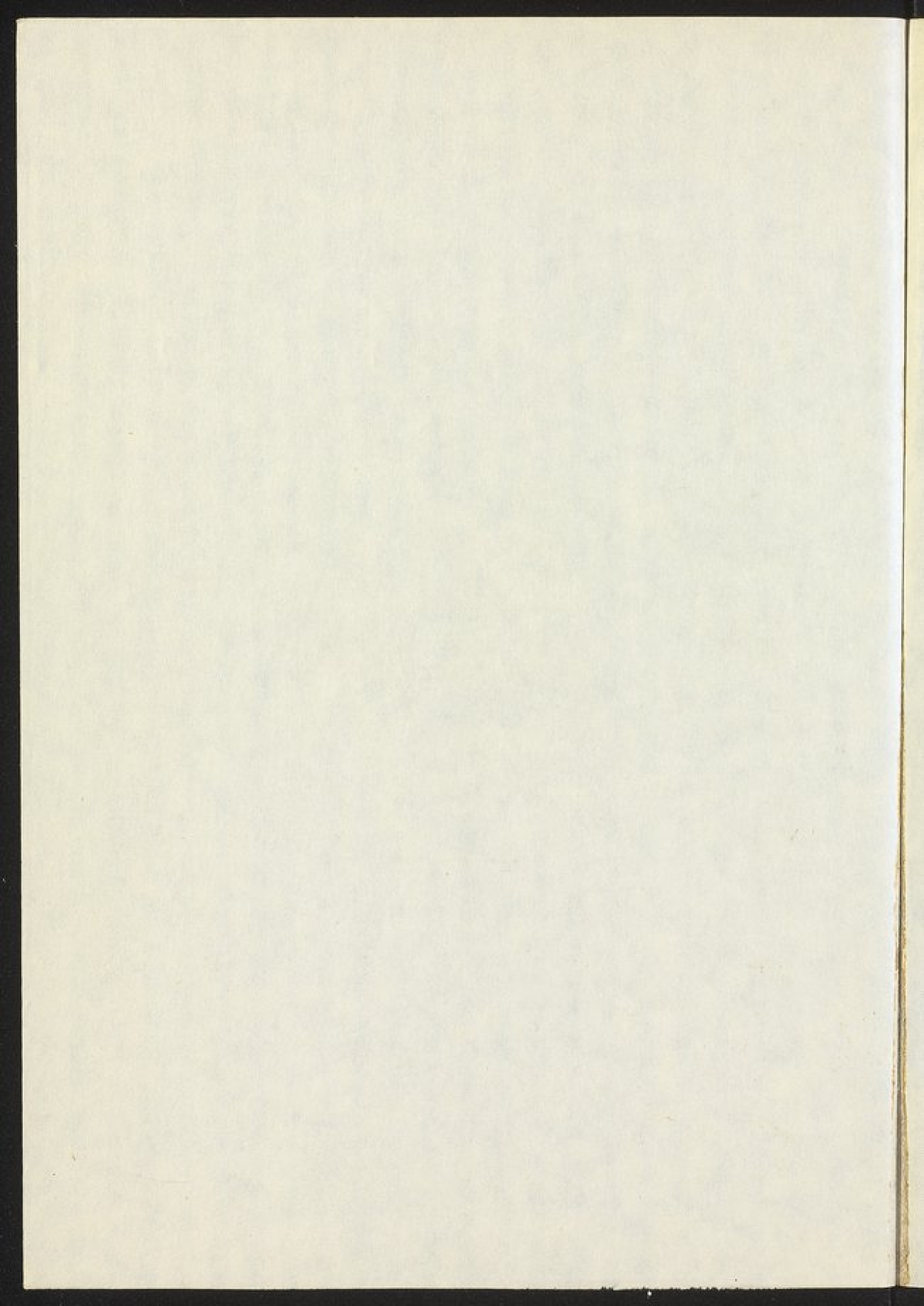
الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

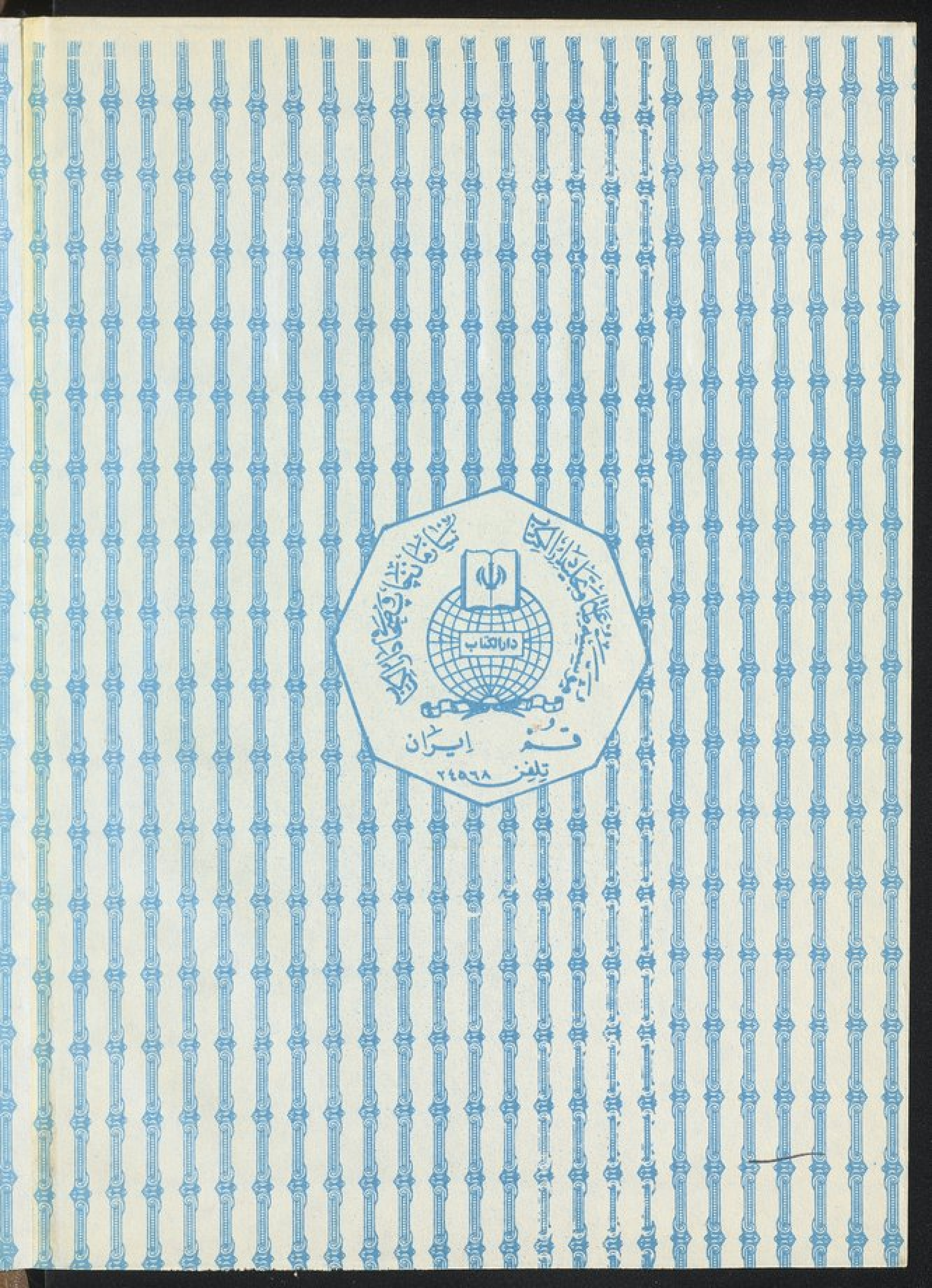
المبحوث عنها في سورة الأعلى وفيها ثلاث بصائر:

البصيرة الاولى: وفيها ثمانية امور:

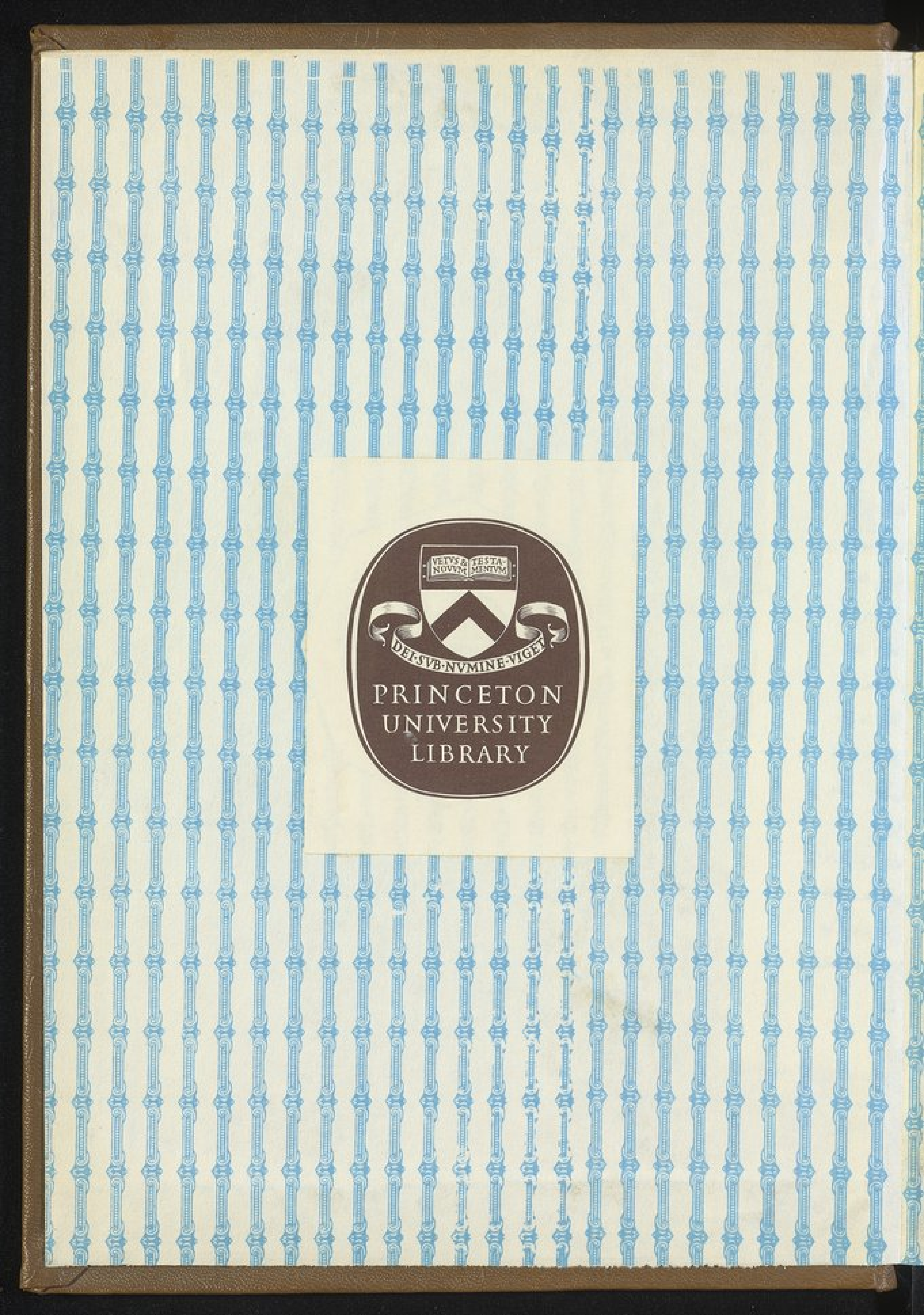
البصيرة الثانية : وفيها أمران :

البصيرة الثالثة : وفيها أمران :





دار الكتاب
قم ایران
تلفن ٢٤٥٦٨


VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

